

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى جعل العقل مفتاح العلوم ، ومدرک مبادئ المنطوق والمفهوم ،
وتمشأ بيان الحقائق والموهوم ، ومظهر بديع المنشور والمنظوم .

أحمدہ حمد من يميز نيل نعمه اعترف ، وأشكره شكر من ورد مناهل فضله ^{خطبة الموات}
واعترف . وأشهد أنه الربُّ الرحمن ، الذى خلق الإنسان وعلمه البيان . وأشهد
أن سيدنا وولانا محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه وخليفه ، الذى تلخص الدين
بارشاده أحسن تلخيص ، وتخلص متبع هديه من الجحيم أعظم تخليص . فكانت
بعتنه مفتاح باب الخيرات ، والطريق الموصل إلى منهج الميراث . صلى الله وسلم
عليه وعلى آله الكرام ، وصحبه الأئمة الأعلام ، ما أغرب مبتدئ ببديع النظام ،
وأعجب منته بحسن الختام ۱۱ .

وبعد ؛ فإن الفقير الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، نظر الله إليه بعين
العفو والغفران ! ورضى عنه أتم الرضوان ! لما كان متحلياً بجلية العلماء ،
مستشعراً لشعار الفضلاء ، وبردُ الشيبة قشيب^(١) وغصن الصبار طيب ،
ومزيج الأمانى خصيب^(٢) والسعادة تلمحظه عيونها^(٣) ، وتتوارد عليه أبقارها
وعيونها^(٤) ، لم يزل في خدمة العلم وتأليفه ، وترتيبه وتصنيفه ، بقدر ما يصل إليه

(١) البرد - بضم الباء - الثوب ، والقشيب : الجديد ، وأراد بمجدة ثوب
الشباب أنه في مقتبل العمر .

(٢) المربع : المنزل الذى يسكن في زمن الربيع ، وخصيب : همه الخصب
ونماء الزرع ، وأراد أن آماله عظيمة واسعة المدى كثيرة .

(٣) كأنه لحظه معنى قول الشاعر :

وإذا العناية لاحظتك عيونها نعم فالخسوف كلهن أمان

(٤) العيون - بضم العين - جمع عوان - بفتح العين والواو - وهى النصف
في سنه .

عله القاصر ، وحسب ما ينفذ فيه فهمه الفانر ، وكان من جملة ما حفظه من المتن ، وعلق بخاطره من الفنون ، كتاب تلخيص المفتاح ، الذى هو فى باب راحة الارواح ، تفيد الله مؤلفه برحمته ورضوانه ! وأسكنه بحاجج^(١) جناته ! وفيه من الشواهد الشعرية ما يعزى^(٢) للأقدمين ، وما ينسب للمولدين ، إلا أن أكثرها مجهول الأنساب ، مفعول الأحساب^(٣) ، وربما عزاه بعض شارحي الكتاب لغير قائله ، ونسبه إلى غير أبيه : إما لاشتباه في الأوزان ، أو تماثل في المعان ، ولم أر من عمل على تلك الشواهد شرحا يشفى العليل ، أو يروى الغليل^(٤) ، غير أن شيخنا المرحوم العلامة الجلال السيوطي سقى الله من صوب الرحمة نراه ، وأكرم منزله ومثواه ! عمل على بعضها تعليقاً لطيفاً لم يسكله ولم يخرج عن مسودته ، وكثيراً ما كانت نفسى تنازعنى للتصدى لذلك ، وأقول لها : لست هناك ، وأعلها بالمواعيد ، وهى تقرب إلى البعيد ، وتؤول لى أنه أقرب إلى من حبل الوريد ، فيقوى العزم ، ويستعمل الجزم ، ويهمل الأخذ بالجزم ، إلى أن آن أوانه ، وحان إبانته^(٥) ، فسمرت عن ساعد الاجتهاد ، واستعملت الجد في تحصيل ذلك المراد ، وسلكت فيه منهج الاختصار ، ومدرج الاختصار ، ونصيت^(٦) على أبحر تلك الشواهد العروضية ، ووضعت فى كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الأدبية ، وذكرت ترجمة قائله إلا ما لم أطلع عليه بعد

(١) بحاجج : جمع بحبوحة ، وهى فى الأصل وسط الدار .

(٢) يعزى : ينسب .

(٣) كذا ، والمعروف «مفعول الأحساب» أو «غفل الأحساب» يضم الغين وسكون الفاء فى الأخيرة ، وذلك لأن الفعل الثلاثى لا يعتمدى بنفسه فلا يؤخذ منه اسم المفعول .

(٤) الغليل . العطش ، أو شدته .

(٥) إبان الشئ - بكسر الهمزة وتشديد الباء - وقته .

(٦) أصله نصصت ، فقلب أحد الأمثال ياء كما فى تظنيت وتقضى ، والأصل تظننت وتقضض .

التفتيش في كتب الأدب ، والتحرى والاستقصاء في الطلب ، ومزجت فيه الجدة بالهزل ، والحزن بالسهل .

وميمته بـ « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »

فجاء بحمد الله غريب الابتداء ، عجيب الاختراع ، بديع الترتيب ، رائع وصف الحكمة التركيب ، مبرداً في فن الأدب ، كفيلاً لمن تأمله بالعجب ، وهو وإن كان من جنس الفضول الذي ربما يستعمل ، أو هو بقول الحسود داخل في قسم المهمل ؛ فهو أمنية كان الخياطُ يَتمناها ، وحاجة في نفس يعقوب قضاها ^(١) على أنه لا يخلو من فائدة فريدة ، ونكتة عن مواطنها شريفة ، ودُرّة مستخرجة من قاع البحور ، وشذرة ^(٢) تُزين بها قلائد النحور ، وعجائب تُحلّ لها الحبا ^(٣) وغرائب يقول لها العقل السليم : مرحباً مرحباً ، ولئن خالط هذا القول هوى النفس ، أو ظنّ المغالاة به صادق الحدس

فالرّمهُ مَقْتُونٌ بِتَأْلِيفِهِ وَفَعْلُهُ فِي مَدْحِهِ غَاوِيَةٌ
وَالْفَضْلُ مِنْ نَازِلِهِ أَنْ يَرَى مَا قَدْ حَوَى بِالْمَقْلَةِ الرَّاضِيَةَ
وَإِنْ يَجِدْ عَيْباً يَكُنْ سَاتِراً عَوَارُهُ بِالْمَنْةِ الْوَافِيَةَ

ومن تأمله بعين الإنصاف والرّضى ، شهد بصديق هذا الوصف وبصحة قصّيه
وحين سأل الله الوصول ثانياً إلى الممالك الرومية ، لازالت من المسكارة
محبيه ! استوطن منها قسطنطينية العظمى ، لازالت من الله في وقاية وحجي !

(١) مأخوذ من قوله تعالى : (لا حاجة في نفس يعقوب قضاها) من الآية

٦٨ من سورة يوسف .

(٢) الشذرة : القطعة من الذهب تقع من الممدن ، أو الذلّة الصغيرة .

(٣) الحبا : جمع حبوة ، وهي أن تجلس وتضع بطون قدميك على الأرض وتمسك ركبتك بشوبك أو بيدك ، ومن كلامهم " بنو فلان إذا عقدوا الحبا أطلقوا الحبا ، أى أنهم إذا جلسوا هذه الجلسة أطلقوا العطايا .

إذ هي محلُّ الكرم ، وموطن النعم ، ومحط الرحال ، ومُنْتَهَى الآمال ، ومَشْرِقُ
السَّادَةِ ، وَفُقُ السِّيَادَةِ ، وموسمُ الأدبِ ، وحَلْبَةُ الخطباءِ ، ودارُ الإسلامِ ،
ومَقَرُّ الملوكِ الأعْلَامِ ، وتَحْتِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الشَّانِ ، ومَحَلُّ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ ،
لَا زَالَتْ دَارُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ ، ومستقرُّ الأمانِ والأمانِ ! مَا تَعَاقَبَ الْمُلُوكُ ،
بَنُوَامِ حَيَاةِ سُلْطَانِ الْعَالَمِ ، وخيرُ ملوكِ بَنِي آدَمَ ، سَلْبَانِ الزَّمَانِ ، وخَافَانِ الْعَصْرِ
وَالْأَوَانِ ، ومَغْفَرُ آلِ عَثْمَانَ ، لَا يَرِحَتْ دَوْلَتُهُ مَخْلَدَةَ خُلُودِ الْأَبْرَارِ ، فِي دَارِ
الْقَرَارِ ، وسَعَادَتِهِ : بِدَمْعِ مَسْبِلَةِ الْأَدْوَارِ ! مَا دَارَ الْفَلَكَ الْمُدَارَ ، تَعَاقَبَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
وَكُنْ مِنْ أَعْظَمِ خَيَالِ السَّعْدِ ، وَعَطَايَا الْجَدِّ ^(١) ، أَنْ شَمَلْتَهُ الْعَنَاءُ ، وَحَفَنَهُ
الرَّعَايَةُ ، بَنَظَرِ قَرْدِ الدَّهْرِ ، وَوَحَادِ الْعَصْرِ ، وَبِكِرِ عَطَارِدِ ، وَنَادَةِ الْفَلَكَ ،
وَتَلَرِجِ الْمَجْدِ ، وَغُرَّةِ الزَّمَانِ ، وَيَنْبُوعِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ ، الْعَالَمِ الْعَلَامَةِ ، وَالْخَيْرِ
الْبَحْرِ الْعَهْمَةِ ، جَامِعِ أَشْجَاتِ الْمَفَاخِرِ ، وَالْمُتَفَرِّدِ بَنَائِطِ الْمَآثِرِ ، سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا
سَمْعَى قَاضِي الْقَضَايَةِ بَنَتْهُ الْمُلُوكُ قِسْطَنْطِينِيَّةَ الْعُظْمَى ، فَهُوَ مَوْكَى تَخَفُضِ هِمَمِ
الْأَقْوَالِ عَنْ بُلُوغِ أَدْنَى فِضَائِلِهِ وَمَعَالِيهِ ، وَيَقْصُرُ جَهْدُ الْوَصْفِ عَنْ أَيْسَرِ فَوَاضِلِهِ
وَمَسَاعِيهِ ، حُضْرَتُهُ مَبْلُغُ الْجُودِ ، وَمَقْصِدُ الْوَفُودِ ، وَقِبْلَةُ الْآمَالِ ، وَمَحْطُ
الرَّحَالِ ، وَجَمْعُ الْأَدْبَاءِ ، وَحَلْبَةُ الشُّعْرَاءِ ، ذُو هِمَّةٍ مَقْصُورَةٍ عَلَى مَجْدِ يُشِيدُهُ ،
وَأَنْصَامِ يُجِيدُهُ ، وَفَاضِلٍ يَصْطَلِمُهُ ، وَخَامِلٍ وَضَعَهُ الدَّهْرُ فَيَرْفَعُهُ ، فَاقِ الْأَقْرَانِ ،
وَسَادِ الْأَعْيَانِ ، فَلَا يُدَانِيهِ مُدَانٌ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَّانِ ^(٢) ، وَابْنِ
بِجَارِيهِ فِي مَضَارِ الْجُودِ جَوَادٍ ، وَلَا يَبَارِيهِ فِي ارْتِبَادِ السِّيَادَةِ مُرْتَادٍ .

(١) الجد - بفتح الجيم - الحظ والبخت .

(٢) لحظ في هذه الفقرة قول حسان بن ثابت [من الوافر] :

وفد حكتنا نقول إذا رأينا لندي جسم يعد وذى بيان
كانك أبها المعطى بيانا وجسمنا من بنى عبد المدان

ما كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَالِ نَافِذًا فِيهَا ، وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فَحُولًا
لَا زَالَتْ آيُ مَجْدِهِ بِالْسِّنِ الْأَقْلَامِ مَتْلُوَّةٌ ، وَأَبْكَارُ الْأَفْكَارِ بِدِجِّ مَعَالِيهِ مَحْلُوَّةٌ ١
وَحِينَ أَنَاخَ مَطَايَا قَصْدِهِ ، بِأَفْنَاءِ سَمْعِهِ ، صَادَفَ مَوْلَى حَقِّيًّا ، وَظِلًّا ضَفِيًّا
وَمَرْتَمًا رَحِيبًا ، وَصِرْبًا خَصِيْبًا ، وَبِشَاشَةِ وَجْهِ تَسْرِ الْقُلُوبِ ، وَطَلَاقَةِ مُخْبِئٍ تَفْرِجُ
الْكُرُوبِ ، وَتَغْفِرُ لِدَهْرِ مَا جَنَاهُ مِنَ الذُّنُوبِ ، مَعَ مَا يُضَافُ لِلذَّكَاءِ مِنْ مَنْظَرٍ وَسِيمٍ ، وَنَجْمٍ
كَرِيمٍ ، وَخَلَائِقَ رَقَّتْ وَرَاقَتْ ، وَطَرَائِفَ عَلَّتْ وَفَاقَتْ ، وَفَضَائِلَ ضَفَّتْ مَدَارِعَهَا ،
وَشَمَائِلَ صَفَّتْ شَارِعَهَا ، وَسُودَدَتْ تُذْنِبُ بِهِ عُقُودُ الْخُنَاصِرِ ، وَتُثْنِي عَلَيْهِ طَيْبُ الْعُنَاصِرِ ،
فَحِيدٌ مِنْ صَبَاحِ قَصْدِهِ السُّرَى ١ ، وَعِلْمٌ أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ٢ :
إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا قَصَدْتَ جَنَابَهُ تَلْقَاهُ طَلْقَ الْوَجْهِ رَحْبَ الْمَنْزِلِ

وَهَا هُوَ فِي ظِلِّ عِزِّهِ رَنَحَى الْبَالِ ، مَتَمِيزَ الْحَالِ ، آمِنٌ مِنْ صِرْفَانِ
الدَّهْرِ ، وَحِدْنَانَ الْقَهْرِ ، يَرْتَفِعُ فِي رِيَاضِ فَضْلِهِ ، وَيُجْرِعُ مِنْ طَلِّ جُودِهِ وَوَبْلِهِ ،
قَدْ عَجَزَ عَنِ الشُّكْرِ لِسَانُهُ ، وَكَلَّ عَنْ رَقْمِ الْحَمْدِ بَنَانُهُ ، لَمْ يَقْدِرْ مِنْ مَغْنَى رَأْفَتِهِ ظَلَالًا
وَلَمْ يَقِلْ لَصِيدِحِ أَمَالِهِ أَنْتَجِبِي بِلَالًا ٣ ، وَبِهِ حَقُّ قَوْلِ الْقَائِلِ ، مِنْ الْأَوَائِلِ ٤
وَلَمَّا أَنْتَجَمْنَا لَا تُذْنِبِينَ بِظِلِّهِ أَعَانَ وَمَا عَنَى ، وَمَنْ وَمَا مَنَا
وَرَدْنَا عَلَيْهِ مُقْتَرِبِينَ قَرَأَشْنَا وَرُدَّنَا نَدَاهُ مُجِدِّينَ فَأَخْصَبْنَا ٥

(١) مَا خُذَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يُحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى ، وَالسُّرَى - بَضْمُ
السَّيْنِ - السَّيْرِ لَيْلًا .

(٢) هَذِهِ الْجُمْلَةُ قَالَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ .

(٣) أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَاءِ بِمَدْحِ بِلَالِ بْنِ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى
الْأَشْعَرِيِّ [مِنْ الْوَافِرِ] :

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَاً فَقُلْتُ لَصِيدِحِ أَنْتَجِبِي بِلَالًا
وَصِيدِحُ : اسْمُ نَاقَتِهِ .

(٤) الْبَيْتَانِ لِأَبِي الْفَرَجِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيِّ صَاحِبِ الْأَغَانِي ، يَقُولُهُمَا
فِي الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ .

(٥) وَرَدْنَا - فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ - فَعَلَ مَاضٍ مِنَ الْوُرُودِ ، وَالْوَاوُفِيهِ مِنْ أَوَّلِ =

وجه ما يقوله في المعجز عن حمده وشكره ، والله عى جوده وبره :

أَمْ وَجِيرُ التَّصْنَعِ مِنْهُ ، وَبَرُّهَا إِلَيْهِ بَرٌّ مِثْلُهَا لَا يُكْفَرُ
لَوْ أَسْفُتْ حَوَلَتْ لِبَرِّيَّةٍ أُنْتُ وَكُنْتُ بِهَا أَثْنَى عَلَيْهِ وَأَشْكُرُ
وَكُنْتُ أَوْفَى حَقٍّ ذَاكَ وَنَمَّ قِيَامًا بِحَقِّ الشُّكْرِ جَهْدِي أَشْمُرُ

وكن من جهة دواعي التمسع وبراعث الجند ، أن شمل هنا التأليف نظره
الشريفة حين وصل إلى حضرة بحمد الشيف ، فظهر به إعجابا رضع من مقامه ،
ونصب فوق متن الحجرة خوافق أعلامه ، جريا على عادته النفيسة في جبر
القلوب ، وسر الميوب ، فحين طرق السمع ، خبر استحسانه تلك الجمع ،
أحب الصغير أن يخدم حضرته العلية ، وسدته السنية ، بنسخة منه لتكون
مذكرة يحمل التقدير ملخام في قيد الحلية ، وسببا باعثا على الترحم عليه بعد الملمات .
وعلمه يكون وسيلة للانظام في سلكه ، وذريعة إلى الانحياز إلى ملكه ،
ولا هو أقل من أن يشاع ذكره ، أو يشاد قصره ، وكيف يهدى الرشل^(١) إلى
البحر ، أو القل إلى القطر^(٢) ، غير أن هواجس الفكر وخواطر الآمل متمسكة
في قبوله بأذيل عسى ولل^(٣) ، والقي قوى في الظن بشيعة الزاكية ، تلقيا بالبشر
ونسحة بنته انراضية ، وهو يرجو أن يهب عليه نسيم قبول القلوب ، ويؤمل
أن يُبلل ستر العفو عما فيه من الميوب ، وهاهو يرفع أكتف التضرع والابتهايل .
إلى ذى الغضة والجلال ، أن يُبليته من ذلك ، أقصى غاية الآمال ، بمنه وبمنه .

= الكلمة و در دنا ، في أول النصف الثاني من البيت من قولهم : راد
أكلًا^(١) يروده ، بمعنى طلبه ، ومنه الرائد .
(١) الرشل : الماء ، القليل .
(٢) الظل : أضعف المطر ، والقطر : انظر المتنايع .
(٣) لعل : حرف وضع في العربية للدلالة على الترجى ، وعسى : فعل جامد
معناه الترجى أيضا ، وكأنه قد قال : متمسكة بأذيل الرجاء .

شواهد المقدمه

١ - * غَدَا يَرُهُ مُنْتَشِرَاتٍ إِلَى الْعَلَا *

قائله امرؤ القيس ، وتماهه :

* تَصِلُ الْعِثَاصُ فِي مِثْيٍ وَمُرْسِلٍ *

وهو من البحر الطويل ، من القصيدة المشهورة التي هي إحدى المعلقةات

السبع ، وأولها ^(١) :

بَسَقَطَ اللَّوِي بَيْنَ الْمَدْخُلِ فَيَوْمِلِ	قِيَا نَبَكٍ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالِ	فَنُوضِحَ فَاَلْقَرَاءُ لَمْ يَعْفُ رَسَمَهَا
يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ	وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطْبِعِهِمْ
تَمْتَمْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرُ مُعْجَلِ	وَبَيْضَةِ خَدْرِ لَا يَرَامُ خِبَاؤُهَا
عَلَى حِرَاصًا لَوْ يُسْرِثُونَ مَتْنَلِي	تَجَاوَزْتُ أَخْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعْتَرَا
تَمَرُّضَ أَتْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ	إِذَا مَا التَّرِيَا فِي السَّمَاءِ تَمَرَّضْتُ
لَدَى السُّتْرِ إِلَّا لَيْسَةَ الْمَفْضَلِ	فَجَبْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمٍ نِيَابَهَا
وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي	فَقَالَتْ يَمِينُ اللَّهِ مَا لَكَ حِيلَةً
عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالُ مِرْطٍ مُرْجَلِ ^(٢)	خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجْرُ وَرَاءَنَا
بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِفَافٍ عَقَقَلِ	فَلَمَّا أَجْزَنَّا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى
عَلَى هَضْبٍ الْكَشِيشِ رِيًّا الْمُخْلَجَلِ	هَمَّصْتُ بِفَوْذَى رَأْسِهَا قَتَايِلْتُ
تَرَانِبَهَا مَصْقُولَةً كَالسَّجْنَجَلِ	مُهْمَمَةً بَيْضَاهُ غَيْرُ مَفْضَاةٍ
بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَخْشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفَلِ	تَصَدُّ وَتَبْدَى عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَقَى

سُتَار من
لغة امرؤ
القيس

(١) هذه الأبيات غير متصلة في المعلقة ، وهي الأول والثاني ثم الخامس
ثم من الثالث والعشرين إلى السادس والثلاثين على التعاقب في رواية التبريزي .

(٢) في نسخ المعلقةات : * عَلَى أَثْرِنَا ذَيْلُ مِرْطٍ مُرْجَلٍ *

وجيد كجيد الرِّيم ليس بفاحش إذا هي نَصَتْهُ ولا يَمْعَطُلُ
 وفرع يزبن المَتْنِ أسوداً فاحم أنثى كَفَنِيو النَخْلَةِ الْمُتَشَكِّلِ
 وبعده البيت ، والقصيدة طويلة ، وسيأتي طرف منها في شواهد الإِنشاء
 إن شاء الله تعالى

والغداثُ — جمع غَدِيرَة — : الذوائب ، والاستشزار : الرفع والارتفاع جميعاً ،
 والفعل منه لازم إن كسرت زايه ، ومنعده إن فتحت ، والأُتْلَا : جمع عُلْيَا ، تأنيث
 الأعلى ، وأراد الجهات العلا ، والعِصَص : جمع عقيصة ، وهي الخصلة من الشعر
 تأخذها المرأة فتلويها ثم تعدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها ، والمثنى من الشعر
 وغيره : ماثنى ، والمرسل : ضده .

ومعنى البيت : أن حبيته لكثرة شعرها بعضه مرفوع وبعضه مثنى وبعضه
 مرسل وبعضه معقوص ملوى بين المثنى والمرسل .

والشاهد في البيت : التنافر ، وهو لفظة « مستشزرات » لنقلها على اللسان
 وعُسر النطق بها .

وامرؤ القيس ^(١) اسمه حُنْدُج بن حُجْر بن عمرو المقصور ^(٢) ، سمي بذلك لأنه ترجمة امرئ
 اقتُصِر به على ملك أبيه حندج ^(٣) والحنديج في اللغة : زملة طيبة تُنبت ألواناً .
 وأمه فاطمة — وقيل تملك ^(٤) — بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب ومُهْلِل ،

(١) لامرئ القيس ترجمة في الأغاني (٨ - ٦٢) وفي الشعراء لابن قتيبة
 (٣٧) وطبقات الجُمحى (١٥) .

(٢) في الشعراء لابن قتيبة والأغاني « امرؤ القيس بن حجر بن حجر بن الحارث
 ابن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور » وفي طبقات الجُمحى
 « امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو
 ابن معاوية بن الحارث بن يرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة » .
 (٣) كذا في أصول هذا الكتاب ، والصواب « حجر » كافي الشعراء لابن
 قتيبة والأغاني .

(٤) وقع في الأصول « تمل » وهو خطأ تصويبه عن الأغاني (٨ - ٦٣ بلاق) ثم

وكية امرئ القيس : أبو وهب ، وأبو الحرث^(١) ويلقب فبالقروح لقوله
 [من الطويل :
 وَمَنْكَرٌ قَوَّحًا دَائِبًا سَرِيحَةً لِّلْ مَنَلَا نَحْوَلْنَ أَبُو سَا
 ويلقب لثمة أيضاً لقوله من استغرب :
 • أَدُوْدُ الْهَوَايَ عَنِّي ذِيْلًا •

ويقال له : الملك الضَّيْلُ ، وسُمي امرئ القيس رجل الشدة ، والقيس في
 اللغة : الشدة ، وقيل : القيس اسم صنم ، ولما كان الأصمى يكره أن يروى
 قوله • يَأْمُرُ الْقَيْسَ فَاتَزَلْ •^(٢) ويرويه « يَأْمُرُ اللَّهَ فَاتَزَلْ » . وهو القى روى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه « أشعر الشعراء » وقادهم إلى النار ،
 وقيل في تحويله : إن المراد شعراء الجاهلية والمشركين .
 وهو أول من لطف الماتى ، ومن استوقف على الطول وشبه النساء بالنساء
 وألها واليتيم ، وشبه الخيل بالتيان واليصى ، وفرق بين القسيب وما سواه
 من القصبة ، وأجد الاستمارة والتشبيه .

وكان من حديثه أن أباه طرده لما كان الشعر ، وبما طرده من أجل زوجته
 هرة ، وهي أم الخوثر التي كان امرأة القيس يُشَبَّه بها في شعره^(٣) ، وكان
 يُدعى من قال إن اسم أمه تمك لم يقل إنها أخت الماهل ، بل قال : إنها من رهط
 حمروين معد بكرب الزبيدي ، وقد وقع في شعر امرئ القيس ما قد يؤخذ
 منه أنه ابن تمك ، وذلك في قوله [من الطويل] :

لَا هَلْ نَأْهَاهَا وَالْخَوَاثِرُ جَمَّةً بِأَنْ أَمْرَ الْقَيْسِ بَرْتَمَكْ يَقْرَأُ
 (١) ويكنى « بأزيد » أيضاً .

(٢) هذا بعض بيت من المعاقبة ، والبيت بتمامه :

تَمَوْلَ وَقَدْ مَلَّ الْقَيْطُ بِنَاءً هَا : غَرَّتْ بِعَيْرِي بِأَمْرِ الْقَيْسِ فَاتَزَلْ

(٣) قد صرح باسم « هرة » في عدة أبيات ، منها قوله [من الطويل] :

فَلَدَى الصَّبُوحِ هَدْرٌ وَفَرْتَا وَلِيدًا ، وَهَلْ أَفْتَرَسَتْ فِي غَيْرِهِمْ ؟

وقد صرح باسم الخوثر في أبيات منها قوله في المعاقبة [من الطويل] :

كَدْبُكَ مِنْ أُمِّ الْخَوَثِرِ قَبْلَهَا وَجَارَتِهَا أُمُّ الرِّبَابِ بِمَسْأَلِ

يتفرق في أحياء العرب ويستنبح صعايلهم وفتياتهم ، والعرب تطبق على الصوص
القذابين تشبهاً بالذئب ، وكان يُفترس بهم ، وكانت أبومك بنى أسد قسّمهم
عسّاً شديداً ، قتلوا على قتله ، فلما بلغه قتل أبيه وكان يشرب الخمر قال :
ضَيْعَى صَنْبِرَا ، وحنى قل النار كبيراً . اليوم خمرٌ ، وغداً أمرٌ . فأرسلها
مثلاً ، وقيل : بل قال : اليوم قحاف ، وغداً حاف . والقحاف : من المعضوء
شدة الشرب ، والقحاف : من قاف الهام إذا قطعها .

ثم إنه جمع جمّاً من بنى بكر بن وائل وغيرهم من صعايل العرب ، وخرج
يريد بنى أسد ، فحبرهم كلهم بمخروجه إليهم ، فارتحلوا وتبهم امرؤ القيس ،
فأوقع بيني كنانة ، وكان بنو أسد قد لجأوا إليهم ، ثم ارتحلوا عنهم ، فقتلهم
قتلاً ذريعاً ، وأقبل أصحابه يقولون : يا ثارات الهام ، قتلت عجزو منهم :
واللات أيها الملك مانحن بذرك ، وإنما ذك بنو أسد وقد ارتحلوا ، فرفع القتل
عنهم وقال [من الوافر] :

ألا يألّف نَفْسِي إِز قَوْمِهِمْ هُمْ كَالْوَالِدِ الشَّاهِ فَلَمْ يُصَابُوا
وَقَامَ جَدُّهُمُ بَيْنِي عَلَى وَبِالْأَشْتَيْنِ مَا كُنَ الْقَلْبُ^(١)
وَأَقْلَبُنِ عِلْبَاهُ جَرِيضاً وَلَوْ أَدْرَكْتَهُ صَغِيرَ الْوِطْلِ^(٢)

وقيل : إن أصحابه اختلفوا عليه حين أوقع بيني كنانة ، وقالوا له : أوقست جوم
رؤاه وظلمتهم ، فخرج إلى اليمن إلى بعض مقاوله حمير^(٣) واسمه قمرل ، فاستجابه

(١) في الديوان « وقام جدم بيني أبيهم » وهو الصواب ، لأن أسداً
وكنانة ابنا خزيمة ، وجدم : حظهم ومجنتهم .

(٢) أراد علباه بن الحارث الأسدي أحد قلة حجر . وجريضاً : به غمة
الحوف ، وصغر الوطاب : خلا جسمه من روحه ، كنى بذلك عن قتله .

(٣) المقاوله والإقبال : الذين يلون الملوك في المنزلة ، سموا بذلك لأن لهم
قولا نافذاً ، واحدم قيل ، بفتح فسكون .

فَنَبَّطُهُ قَوْمِلَ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 وَكُنَّا أَنْسَا قَبْلَ غَزْوَةِ قَوْمِلَ وَرَثْنَا الْغَنَى وَالْجَدَّ أَكْبَرَ أَكْبَرًا
 ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قَيْصَرَ بَعْدَ أَنْ أُوْدِعَ أَدْرَاعُهُ وَكَرَاعُهُ السَّمُومَلُ بْنُ عَادِيَاهُ ،
 فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

بِكِي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ ذُونَهُ وَأَيَقِنُ أَنَا لَأَحْتَانَ بِقَيْصَرَ
 فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنَكَ ، إِنَّمَا نُحَاوِلُ مَلِكًا أَوْ نَمُوتُ فَنَعُذَرَا
 وَصَاحِبُهُ عَمْرُو بْنُ قَيْثَةَ الشَّاعِرِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَكَانَ قَدْ طَوَى
 عَنْهُ الْخَبَرَ حَتَّى جَاوَزَ الدَّرْبَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَيْصَرَ اسْتَعَاثَ بِهِ ، فَوَعَدَهُ أَنْ
 يَرْفِدَهُ^(١) بِمَجِيئِهِ .

وَكَانَ امْرَأَةُ الْقَيْسِ جَمِيلَ الْوَجْهِ ، وَكَانَ لِقَيْصَرَ ابْنَةٌ جَمِيلَةٌ ، فَأَشْرَفَتْ يَوْمًا
 مِنْ قَصْرِهَا فَرَأَتْ امْرَأَةَ الْقَيْسِ فِي دُخُولِهِ إِلَى أَبِيهَا فَتَعَلَّقَ بِهَا وَرَاسَلَهَا فَأَجَابَتْهُ إِلَى
 مَا سَأَلَ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

فَقُلْتُ : بَيْنَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي^(٢)
 وَقِيلَ : إِنَّ أَبَاهَا زَوْجَهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ كَانَ سَبَقَ إِلَى قَيْصَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ
 يُقَالُ لَهُ الدَّمَاحُ فَوُشِيَ بِهِ إِلَى قَيْصَرَ ، فَوَجَّهَ مَعَهُ جَيْشًا ، ثُمَّ أَتَبَعَهُ رَجُلًا مَعَهُ حُلَّةٌ
 مَسْمُومَةٌ ، وَقَالَ لَهُ : اقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ بِحُلَّةٍ قَدْ
 لَبَسَهَا لِيَكْرَهُكَ بِهَا ، وَأَدْخَلَهُ الْحَمَامَ ، فَإِذَا خَرَجَ فَالْبَسْهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا فَعَلَ تَنَفَّطَ بَدَنُهُ
 وَكَانَ يُحْمَلُ فِي مَحْفَةٍ فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

لَقَدْ طَوَّيَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبَسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا

(١) رَفَدَهُ : أَعَانَهُ وَقَوَّاهُ ، وَابَهُ ضَرْبَ .

(٢) يَسْتَشْهَدُ الْمَحَاةَ بِهَذَا الْبَيْتِ عَلَى جَوَازِ حَذْفِ النَّفْيِ بَعْدَ الْقَسَمِ إِذَا
 كَانَ حَرْفُ النَّفْيِ « لَا » وَالْمَنْفَى فَعَلًا مُضَارِعًا .

وكان الطاح قبل ذلك قد عَثَّ بِأَمْرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَمَسَى بِهِ فَهَرَبَ ، فَأَرَادَ كَمَا
سَمِعَ بِهِ أَنْ يَسْمِيَ بِهِ .

ثم إن امرأ القيس لما بلغ أنقرة طُعنَ في إبطه وارْفَضَ عنه أصحابه ، وَكَانَ
نَزُولُهُ إِلَى جَانِبِ جَبَلٍ ، وَإِلَى جَانِبِهِ قَبْرُ لَابَنَةِ بَعْضِ الْمُلُوكِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرَ ،
فَقَالَ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

أَجَارَتْنَا إِنْ أَلْطَوْبَ تَنْوُبُ وَإِنِّي مُؤَيِّمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ
فَإِنْ تَصْلِيْنِي تَسْعِدِي بِمِرْدَقِي وَإِنْ تَقْطَعْنِي فَالْغَرِيبُ غَرِيبُ
ثُمَّ مَاتَ هُنَاكَ فَدَفِنَ بِأَنْقَرَةِ . وَكَانَ آخِرَ مَا تَسْكَامُ بِهِ :^{١١}
رُبَّ طَعْنَةٍ مُثْعَنَجَرَةٍ وَخُطْبَةٍ مُسْحَنَفَرَةٍ
وَجَفْنَةٍ مُدْعَتَرَةٍ وَقَصِيدَةٍ مُجَبَّرَةٍ
تَبَقَّى غَدَاً بِأَنْقَرَةِ

(١) اضطربت الروايات في هذه الأبيات ، فوقعت في نسخة من الشعر
والشعر لابن قتيبة هكذا :

رُبَّ خُطْبَةٍ مُسْحَنَفَرَةٍ وَطَعْنَةٍ مُثْعَنَجَرَةٍ
وَجَهْبَةٍ مُتَجَسِّرَةٍ تَدْفِنُ غَدَاً بِأَنْقَرَةٍ
ووقعت في نسخة أخرى منه هكذا :

وَطَعْنَةٍ مُسْحَنَفَرَةٍ وَجَفْنَةٍ مُثْعَنَجَرَةٍ تَبَقَّى غَدَاً بِأَنْقَرَةٍ
وَفِي الْأَغَانِي :

رُبَّ خُطْبَةٍ مُسْحَنَفَرَةٍ وَطَعْنَةٍ مُثْعَنَجَرَةٍ
وَجَفْنَةٍ مُتَجَسِّرَةٍ حَلَّتْ بِأَرْضِ أَنْقَرَةٍ
وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ (ثَعَجَر) :

رُبَّ جَفْنَةٍ مُثْعَنَجَرَةٍ وَطَعْنَةٍ مُسْحَنَفَرَةٍ تَبَقَّى غَدَاً بِأَنْقَرَةٍ
وَالْمُسْحَنَفَرَةُ : الْوَاسِعَةُ ، وَالْمُثْعَنَجَرَةُ : السَّائِلَةُ الْمُنْسَكِبَةُ ، وَأَصْلُ الْمُسْحَنَفَرِ
وَالْمُثْعَنَجَرِ السَّيْلُ الْكَثِيرُ ، وَتَقُولُ : ائْتَمَنَجَرْتُ السَّحَابَةَ بِقَطْرِهَا ، وَائْتَمَنَجَرِ
الْمَطَرُ يَتَمَنَجَرُ ائْتَمَنَجَارًا .

٢ - * وفاحاً ومرسياً مرسجاً *

شامد النراة

قائه رؤبة^(١) بن العجاج ، وهو من بحر الرجز ، من أرجوزة طويلة أولها :
 ما هاج أشجاناً وشجواً قد شجا من طللٍ كالأنحمٍ أنهباً^(٢)
 أمسى لغاي الرامست مذرَجاً وانخذته التامجات منأجاً^(٣)
 منازل هيجن من تريجاً من آل ليلى قد عفون حيججاً^(٤)
 والسخط قطع رجاً من رجاً أزمان أبست وأضحاً مفلجاً^(٥)
 أغر برأقا وطرقاً أبرجاً ومثالة وحجياً مرججاً

وبعد البيت ، وبعدة :

* وكذلك وعثاً إذا ترججاً *

القاحم : الأسود ، وأراد شعراً فاحماً ، خفف الموصوف وأقام الصفة مقامه ،
 والمرسن - بفتح السين وكسرهما - الألف الذي يُشد بالرسن ، ثم استعير
 لألف الإنسان ، ومرسجاً : مختلف في تخريمه ، قيل : من مرسجه تسريجاً
 بهجه وحسنه ، وقيل : من قولهم « سيوف سريجية » منسوبة إلى قبيلة يقال له

(١) لا يوجد هذه الأرجوزة في ديوان أراجيز رؤبة ، ولا في زياداته ،
 وهي في ديوان أراجيز أبيه العجاج (ص ٧ ليبسج) .

(٢) في الديوان «ماهاج أحزاناً» والأشجان : جمع شجن - بفتح الشين
 والجيم - وهو الحزن .

(٣) في أصول هذا الكتاب «أمسى لها في الرامسات» وفيها « وانخذته
 التامحات » وما أثبتناه عن الديوان هو الصواب .

(٤) في الديوان « منازل » .

(٥) في أصل الكتاب « والسخط قطع » وأثبتناه عن الديوان ، وهو
 أعرف وأشهر .

(٦) القين - بفتح فمكون - الحداد الذي يصنع السيوف .

سُرُجٍ ، شبه بها الآف في الدقة والاستواء ، وقيل : من السراج وهو قريب من قولهم « سرج وجهه » بكسر الراء - أى حسن . والزُججُ : دِقَّةُ الملحجين . والمعنى : أن لهذه المرأة الموصوفة مُقلَّة سوداء ، وحاجباً مذهباً مقوساً ، وشعراً أسود ، وأظفار كالسيف السريجي في دقته واستوائه ، أو كالسراج في بريقه وضياؤه . والشاهد فيه : الغرابة في « مسرجاً » للاختلاف في تخريمه .

ورؤية قائل هذا البيت هو ^(١) أبو محمد (رؤبة) بن العجاج ، (والمعجاج لقبه) واسمه عبد الله (بن رؤبة) البصري النخعي السعدي ، سُمي باسم قطنة من الخشب يشبُّ بها الإثاء ، وهي بضم الراء وسكون الهمة وفتح الباء الموحدة وبداها هاء ساكنة ، وهو وأبوه راجزان مشهوران ، كلٌّ منهما له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز ، وهما مجيدان (في رجزهما) وكلف رؤبة هذا بصيراً بالبلغه قِماً بمحوشها ^(٢) وغيرِها .

حكى يونس بن حبيب النحوي قال : كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاء شبيب بن عمرو الضبي ، فقام إليه أبو عمرو وألقى له لبد بقلته ، فجلس عليه ، ثم أقبل عليه بمحدثه ، فقال شبيب : يا أبا عمرو ، سألت رؤبتكم عن اشتقاق اسمه فاعرفه ، يعني رؤبة ، قال يونس : فلم أملك نفسي عند ذكره فقلت : لعل تظن أن معد بن عدنان أفصح منه ومن أبيه ، أفترَف أنتما الرؤبة والرؤبة والرؤبة والرؤبة والرؤبة ؟ وأنا غلام رؤبة ، فلم يحرجوا بآ ، وقام مغضباً ، فأقبل على أبو عمرو وقال : هذا رجل شريف يقصد مجالسنا ويقضي حقوقنا ، وقد أسأت فيها

(١) انظر هذه الترجمة في ابن خلكان (١-٣٣٣) وكل ما فيها من زيادة

بين علامتين فهو عنه

(٢) وجد في هامش النسخة المطبوعة في بلاق مانسه « قوله وبداها هاء ساكنة ، يعني وقفاً وإلا فهي كناية مسلة تعرض لها الحركات الاعرابية » اهـ .

(٣) في الأصول « محوشها » وتصويبه عن ابن خلكان .

فعلت بما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسى عند ذكر رؤية ، فقال أبو عمرو :
 أَوْ سُلِّطَتْ عَلَى تَقْوِيمِ النَّاسِ ؟ ثم فسّر يونس ماقاله فقال : الرؤية : خيرة الابن ،
 والرؤية : قطعة من الليل ، والرؤية : الحاجة ، يقال : فلان ما يقوم بروية أهله :
 أى بما أسندوا إليه من حوائجهم ، والرؤية : رجاء ماء الفحل ، والرؤية بالهمز : القطعة
 التى يشعب بها الاناء ، والجميع يضم الراء وسكون الواو إلا رؤية فانه بالهمز .
 وقيل ليونس : مَنْ أَشْعُرُ النَّاسِ ؟ فقال : العجاجُ رؤية ، فقليل له : لم نعن
 الرُّجَاز ، قال : هما أشعر أهل القصيد ، وإنما الشعر كلام وأجوده أشعره ، قال
 العجاج [من الرجز] :

* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ إِلَهُ الْغَيْبِ *

فهى نحو من مائتى بيت موقوفة القوافى ولو أطلقت (١) قوافيها كلها
 لكانت منصوبة ، وكذلك عامة أراجيزهما .
 وعن ابن قتيبة قال : كان رؤية يأكل الفأر ، فموجب فى ذلك ، فقال :
 هـى والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللاتى تأكل العذرة ، وهل يأكل الفأر
 إلا نقي البر ولباب الطعام ؟ !

وحدث أبو زيد الأنصارى النحوى قال : دخل رؤية بن العجاج السوقَ
 وعليه بركانى (٢) أخضر فجعل الصبيان يعبثون به ويغرزون شوك النخل فى بركانه
 ويصبحونه به : يامردوم ، يامردوم ، فجاء إلى الوالى فقال : أرسل معى الورعة فإن
 الصبيان قد حالوا بينى وبين السوق ، فأرسل معه أعواناً ، فشد على الصبيان وهو يقول :

(١) موقوفة القوافى : أراد به أنها ساكنة حرف الروى الذى بنيت عليه
 القافية . و « أطلقت » أراد به تحرك حرف رويها . ومن دلائل تمكن الشاعر من
 لغته أن يحى بما ذكر يونس عن أرجوزة العجاج فى حين أن ذلك غير لازم .
 (٢) فى نسخة « برنكان » وهو بزنة زعفران ، وكلاهما صحيح ، يقال
 بركان ، وبركانى ، وبرنكان ، وبرنكانى . وهو الكساء ، أو هو الكساء
 الأسود خاصة .

أَتَمَّ عَلَى أَمَّكَ بِالْمَرْدَمِ أَعُورُ جَمَدٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ
شَرَابُ أَلْبَانٍ خَلَايَا كُومٍ

قال : فجلسوا يَعدون بين يديه حتى دخلوا داراً في الصيارفة ، فقال له الشرطي :
أين هم ؟ قال : دخلوا دار الظالمين ، فسببت إلى الآن دار الظالمين لتقول رؤبة ،
وهي في صيارفة سوق البصرة .

وعن المدائني قال : قدم البصرة راجز من رُجاز المدينة ، فجلس إلى حلقة
فيها الشعراء ، فقال : أنا أرجز العرب ، أنا الذي أقول [من الرجز] :

مَروانُ يُعطى وَسَعِيدٌ يَمْنَعُ مَروانُ نَبْعٌ وَسَعِيدٌ خِرْوَعٌ

وددت أني راهنت من أحب في الرجز يدا بيد ، والله والله لأننا أرجز من
العجاج ، فليت البصرة جمعت بيني وبينه ، قال : والعجاج حاضر وابنه رؤبة معه ،
فأقبل رؤبة على أبيه فقال : قد أنصفك الرجل ، فأقبل عليه العجاج فقال :
ها أنا ذا العجاج فهم ، وزحف إليه ، فقال : وأى العجاجين أنت ؟ قال : ما خلكت
تعنى غيري ، أنا أبو عبد الله الطويل ، وكان يكنى بذلك ، فقال له المدني : ما عنيتك
ولا أردتكَ ، قال : كيف وقد هتفت باسمي ! قال : أو ما في الدنيا عجاج سواك ؟
قال : ما علمت ، قال : ولكني أعلم وإياه عنيت ، قال : فهذا ابني رؤبة ، قال :
اللهم غفراً ، ما بيني وبينكما عمل ، وإنما مرادى غيركما ، قال : فضحك أهل
الحلقة ، وكفأ عنه .

وعن عبد الرحمن بن محمد بن علقمة قال : أخرج شاهين بن عبد الله الثقفي
رؤبة معه إلى أرضه ، فقعدهوا يلعبون بالترد ، فلما أتوا بالخلوان قال رؤبة فيه :

يَا إِخْوَتِي جَاءَ الْخُلُوانُ فَارْفُؤْا حَخَّانَةً كَمَا بَهَا تَقَعَقُعُ
لَمْ أَذْرِ مَا تَلَاثُهَا وَالْأَرْبَعُ

قال : فضحكنا ورفعناها وقدم الطعام .

وكان رؤبة مقباً بالبصرة ، فلما ظهر بها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي

ابن أبي طالب كرم الله وجهه على المنصور ، وجرت الواقعة المشهورة ، خاف رؤية
على نفسه وخرج إلى البادية ليجنب الفتنة ، فلما وصل إلى الناحية التي قصدتها
أدركه أجله بها فتوفي سنة خمس وأربعين ومائة .

وهذا يخالف ما رواه يعقوب بن داود ، قال : لقيت الخليل بن أحمد يوماً
بالبصرة فقال : يا أبا عبد الله دَفَنَّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم ، فقلت له : كيف
ذلك ؟ قال : حين انصرفت من جنازة رؤية بن العجاج ، وكان قد أسن رحمته الله
وقد سمع أباه ، وأبوه سمع أباه رضى الله عنه ، وقال النسائي : وليس هو
بالقوى ، وقد روى رؤية بن العجاج عن أبي الشعثاء عن أبي هريرة رضى الله عنه ،
قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر وحده يحدو [من الرجز] :
طافَ الْخَيْلَانِيزُ فَهَاجَا سَمَاءَ خِيَالُ لُبْنَى وَخِيَالُ تَكْسَمَا
قَامَتْ مُرِيكَ خَشْيَةً أَنْ تَضْرَمَا سَاقًا بِخَنْدَاءَ وَكَبَّاءَ أَذْرَمَا
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينسكو .

وحدث أبو عبيدة الحداد قال : حدثنا رؤية بن العجاج قال : سمعت
أباه رضى الله عنه يقول : السواك يذهب وَضَرَ الطعام ، وهذا الخبر يدل
على أنه سمع من أبي هريرة رضى الله عنه ، والله أعلم .
ومن شعره [من الخفيف] :

أَيُّهَا الشَّامْتُ الْمُؤَمِّرُ بِالشَّيْبِ أَقْلَنْ بِالشَّبَابِ افْتِخَارَا
قَدْ لَبَسْتُ الشَّبَابَ غَضًّا طَرِبَا فَوَجِثُ الشَّبَابَ نَوْبًا مُعَارَا

٣ - * الحمد لله العلى الأجلل *

قائله أبو النجم ، وهو من بحر الرجز ؛ من أرجوزة طويلة ؛ وبعده :
الوَاهِبُ الْفَضْلُ الْوَهَّابُ الْمُجَزِّلُ أَعْطَى فَلَمْ يَبْخُلْ وَلَمْ يُبْخَلْ
والشاهد فيه مخالفة القياس اللغوي في قوله « الأجلل » إذ القياس الأجل بالادغام

خامد مخالفة
القياس

وأبو النجم اسمه ^(١) الفضل بن قدامة بن عبيد الله المجلى ؛ وهو من رجّاز ترجمة أبي النجم
المجلى الاسلام والفحول المتقدمين فى الطبقة الأولى منهم .

وفد على هشام بن عبد الملك وقد طمن فى السن فقال : يا أبا النجم ، حدثنى
قال : أعنى أو عن غيرى ؟ قال : بل عنك ، قال : إني لما كبرت عرض لى البول
فوضعت عند رجلى شيئا أبول فيه ؛ فقمّت من الليل أبول ؛ فخرج منى صوت ؛
فتشدت ؛ ثم عدت ؛ فخرج منى صوت آخر ؛ فأويت إلى فراشى ؛ وقلت :
يا أم الخيلار ؛ هل سمعت شيئا ؟ قالت : لا والله ولا واحدة منهما . فضحك هشام
وعن أبى عبيدة قال : مازالت الشعراء تقصّر بالرجّاز حتى قال أبو النجم :

* الحمد لله العلى الأجلل *

وقال المعجاج :

* قد جبر الدين الإله فجبر *

وقال رؤبة :

* وقاتم الأعماق خاوى المحترق *

فانتصفوا منهم .

وعن أبى عمرو الشيبانى قال : قال فتيان من عجلٍ لأبى النجم : هذا رؤبة
بالمربد يجلس فيسمع شعره ؛ وينشد الناس ويجمع إليه فتيان بنى تميم ، قال :
أوتحبون ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : فائتنى بشئ من نبذة ، فأثوه به فثربه ثم
انتفض فقال [من الرجز] :

إذا اضطبحتُ أربعا عرفتني ثم تجشمتُ الذى جشمتنى

(١) ترجمة أبى النجم فى الأغاني (٩ - ٧٧) وفى خزائن الأدب للبهى
(١ - ٤٩ و ٤٠٦) وفى الشعراء (٣٨١) وانظر مع ذلك كامل المبرد (٢ - ٧٠)
والموشح للرزبانى (٢١٣) وطبقات الشعراء للجمحى (١٤٩)

فلما رآه رؤبة أعظمه ، وقام له عن مكانه ، وقال : هذا رَجَّازُ العرب —
وسأله أن ينشدهم ، فأنشدهم :

* الحمد لله الملىُّ الأجلل *

وكان من أحسن الناس إنشادا ، فلما فرغ منها قال له رؤبة : هذه أتم الرجز
ثم قال : يا أبا النجم ، قربت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وابنه ، يوم عليه أنه
حيث قال [من الرجز] :

تَبَقَّلْتُ مِنْ أَوَّلِ التَّبَقُّلِ بَيْنَ رِمَاحِي^(١) مَالِكٍ وَنَهْشِلِ

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة ، فقال له أبو النجم : هيهات.
السكر تشابه : أى إنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس ، ونهشل قبيلة من^(٢) ربيعة.
وعن أبي برزة المربدى قال : خرج المعجاج محتفلا عليه جبة من خز ،
وعلمة من خز ، على ناقه له قد أجاد رحلها ، حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون
عليه ، وأنشدهم :

* قد جَبِرَ الدينَ الإلهُ فَجَبِرَ *

وذكر فيها ربيعة فهجاء ، فجاء رجل من بنى بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو
في بيته فقال : أنت جالس وهذا المعجاج يهجوننا في المربد ، قد اجتمع عليه
الناس : صف لى حاله وزِيَّه الذى هو فيه ، فوصف له ، فقال : ابغني جملا
طعانا قد أكره عليه من الهناء ، فجاء بالجل ، فأخذ سراويل له فجعل إحدى

(١) فى الأصول « بين أفايحى » وما أثرتاه عن الأغاني

(٢) السبب فى ذكر أبى النجم هاتين القبيلتين — نعى مالكاً ونهشلاً —
أن دماء كانت بين بنى دارم وبنى نهشل ، وحروبا فى بلادهم ، فتحامى جميعهم
الرعى فيما بين فلج والصمان مخافة أن يعروا بشىء ، حتى عفا كلؤه وطال ، فذكر
أن بنى عجل جاءت إلى ذلك الموضع فرعته ولم تحف هاتين القبيلتين ، ففخر
أبو النجم بذلك

رجليه في السراويل واتزر بالأخرى ، وركب الجمل ، ودفع خطامه إلى من يقوده .
فانطلق حتى أتى المربد ، فلما دنا من المعجاج قال : اخلع خطامه ، فخلعه وأنشد :

* تذكر القلب وجهلاً ما ذكر *

فجعل الجمل يدنو من الناقة ويتشممها ، ويتباعد عنه المعجاج لئلا يفسد ثيابه .
ورحله بالقطران ، حتى بلغ قوله :

* شيطانه أنى وشيطاني ذكر *

فعلق الناس هذا البيت ، وهرب المعجاج منه .

وورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك في الشعراء ، فقال لهم هشام : صفوا
إبلا فقيظوها وأوردوها وأصدروها حتى كأني أنظر إليها ، فأنشده ، وأنشده
أبو النجم :

* الحمد لله العليّ الأجل *

حتى إذا بلغ إلى ذكر الشمس فقال :

* فهي على الأفق كمين ... *

فأراد أن يقول « الأحول » ثم ذكر حَوْلَ هشام فلم يتم البيت وأرنج عليه ،
فقال هشام : أجز ، فقال « كمين الأحول » وأمر القصيدة ، فأمر هشام بوجء
عنفه وإخراجه من الرصافة ، وقال لصاحب شرطته : يارب بيع إياك وأن أرى هذا .
فكلم وجوه الناس صاحب شرطته أن يقره ، ففعل ، فكان يصيب من فضول
أطعمة الناس ويأوي المساجد ، قال أبو النجم : ولم يكن بالرصافة أحد يضيف إلا
سليم بن كيسان السكبي ، وعمر بن بسطام التغلبي ، فكانت آتى سليماً فأنفدى
عنده ، وآتى عمرًا فأنعش عنده ، وآتى المسجد فأبيت ، قال : فاهتم هشام
ليلة وأمسى لقيس النفس ، وأزاد محدثاً محدثه ، فقال لخادم : ابغني محدثاً أعرابياً
أهوج شاعراً يروى الشعر ، فخرج الخادم إلى المسجد فاذا هو بأبي النجم فضر به

برحه وقال : قم أجب أمير المؤمنين ، قال : إني رجل أعرابي غريب ، قال :
 إليك أبنى ، هل تروى الشر ؟ قال : نعم وأقول ، فأقبل به حتى أدخله القصر ،
 وأغلق الباب ، قال : فأيقن أبو النجم بالشر ، ثم مضى به فأدخله على هشام في
 بيت صغير بينه وبين نسائه ستر رقيق ، والشمع بين يديه يزهر ، فلما دخل قال له
 هشام : أبو النجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ضيئك ، قال : اجلس ، فسأله
 وقال له : أين كنت تأوى ؟ وأين منزلك ؟ فأخبره ، قال : وكيف اجتمعنا لك ؟ قال :
 كنت أقمسى عند هنا ، وألتمسى عند الآخر ، قال : فأين كنت تبيت ؟
 قال : في المسجد حيث وجدني رسولك ، قال : وما لك من الولد والمال ؟ قال : أما
 المثل فلا مالى ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبني يقال له شينن ، قال : هل
 أخرجت من بناتك أحدا ؟ قال : نعم ، زوجت اثنتين وبيت واحدة تجمز في
 آياتنا كأنها نعمة ، قال : وما أوصيت به الأولى ؟ وكانت تسمى برة بالراء ، قال
 [من الرجز] :

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةٍ قَلْبًا حَرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَلَةِ شَرًّا
 لَا تَسَامَى صَرَبًا لَهَا وَجَرًّا حَتَّى تَرَى حُلُومَ الْحِيلَةِ مَرًّا
 وَإِنْ كَسَتْكَ ذَهَابًا وَدَرًّا وَالْحَيُّ عَمِيهِمْ بَشَرًا طَرًّا
 فضحك هشام وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت [من الرجز] :

سُبُّ الْحَلَةِ وَابْنَتِي عَلَيْهَا وَإِنْ دَنَتْ فَازْدَلْنِي إِلَيْهَا (١)
 وَأَوْجِبِي بِالْهَرِ زُكْبَتَيْهَا وَمَرْهَبَيْهَا وَاضْرِبِي جَنْدَيْهَا (٢)

(١) رواه في الكامل (٢-٧٠)

* وإن أبت فازدلى إليها *

(٢) روى في الكامل

* ثم أفرعى بالود مرفقيها *

والود بفتح الواو وتشديد الدال الودت . وفي الأغاني « وأوجى بالهبر »

وَضَهْرِي تَبِيءُ فَا عَيْبَا لَا تَجْبِرِي نَدْرَاهُ بِهِنْتِيهَا (١)
 قل: فضحك ثم حتى بدت نواجذه وسقط علي قتله، وقال: ويحك! ما
 هاهنا وصية يعقوب عليه السلام ولده، قل: ولا أنت كييعقوب يا أمير المؤمنين
 قل: فإقنت ثلاثة؟ قل: قلت [من الرجز]:

أَوْصِيكَ يَا بَنِي فَأَيُّ ذَاهِبٍ وَصِيكَ تَنْحَمُّكَ الْأَقْلَبُ
 وَالْجَارُ وَالضَّيْفُ الْكَرِيمُ الْغَائِبُ وَيَرْجِعُ أَيْكُنْ وَهُوَ خَائِبٌ (٢)
 وَلَا تَتَى أَفْضَرُكَ السَّاهِبُ لَهْنٌ فِي وَجْهِ أَمَةٍ كَتَبُ
 وَالرَّوْجُ بَيْنَ الزَّوْجِ بَيْنَ الصَّحْبِ

قل: فكيف قلت هنا ولم تنزج؟ وأي شيء قلت في تخر تزويجها؟
 قل: قلت [من الرجز]:

كَأَنَّ ظِلَامَةً أَخَذَتْ شَيْبَتِي يَتِيمَةً وَوَالِدَهَا حَيًّا
 الزَّأْسُ قُلُوبُ كُهُ وَصُتْبُنْ وَلَيْسَ فِي السَّاقَيْنِ لَا جَيْضُنْ
 تِلْكَ نَتِي يَفْرَعُ مِنْهَا الشَّيْضُنْ (٣)

قل: فضحك ثم حتى ضحك النساء لضحكك، وقال للنص: كم بقي من
 نفقتك؟ قل: شئمة دينار، قل: أعطه إياها ليصحب في رجل ظلامه؛
 ممكن الخيطين.

(١) روى في الكامل:

* وجددي الحلف به عليها *

وروى في الأغاني (٩-٨٠)

* وضاهرى النمر لها عليها *

(٢) في الأغاني * لا يرجع المسكين *

(٣) في الكامل * تلك التي يذعر منها. *

ودخل أبو النجم يوماً على هشام وقد مضت له سبعون سنة، فقال له هشام :
 ما رأيك في النساء ؟ قال : إني لأنظر إليهن شراً ، وينظرن إلى حذرا ، فوهب
 له جارية ، وقال له : اغد على فأخبرني ما كان منك ؛ فلما أصبح غدا عليه
 فقال له : ما صنعت شيئاً ولا قدرت على شيء ، وقلت في ذلك أبياتا [من
 الكامل : ^(١)]

فَنظَرْتُ فَأَعْجِبَهَا الَّذِي فِي دَرْعِهَا	وَمِنْ حَسَنِهِ وَنَظَرْتُ فِي سِرِّهَا
ضَيْقًا يَبْضُ بِكُلِّ عَرْدٍ نَالُهُ	كَالصَدِيقِ أَوْ صَدْعِ بَرِيٍّ مُتَجَاوِيٍّ ^(٢)
فَرَأَتْ لَهَا كَفَلًا يَتَوَهَّجُ بِخَضْرَاهَا	وَعَنَّا رَوَادِفُهُ وَأَجْنَمُ نَابِيٍّ ^(٣)
وَرَأَيْتُ مَنْتَشِرَ الْعَجَانِ مُفَلَّصًا	رُخْبَرًا مَفَاصِلُهُ وَجَلْدًا بَالِيًا
أَدْرِيقُهُ الرُّكْبَ الْخَلِيقُ كَأَنَّمَا	أَدْنَى إِلَيْهِ عَنَابَرًا وَأَفَاعِيًا
إِنَّ التَّدَامَةَ وَالسَّدَامَةَ فَاعْلَمَنَّ	لَوْ قَدْ خَبِرْتِكَ لِلْوَأْسَى حَالِيًا ^(٤)
مَا يَالُ رَأْسِكَ مِنْ وَرَائِي طَالَمَا	أُظْنَنْتُ أَنَّ حِرَافَتَهُ وَرَائِي
فَاقْهَبْ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ لَا تُرْجَى	أَبَدُ الْإَبِيدِ وَلَوْ عَمِرْتَ لَيَالِيًا
أَنْتَ الْغُرُورُ إِذَا خَبِرْتَ وَرَيْبًا	كَانَ الْغُرُورُ لِمَنْ رَجَاهُ شَاقِيًا
لَكِنَّ أَيْرَى لَا يُرْجَى نَفْعُهُ	حَتَّى أَعُودَ أَخَا فِتْنَةٍ نَاشِيًا

فضحك هشام وأمر له بجارية أخرى .

وحدث أبو الأزهري ابن بنت أبي النجم عن أبي أمه أنه كان عند عبد الملك
 ابن مروان - ويقال : عند سليمان بن عبد الملك - يوماً ، وعنده جماعة من

(١) الأبيات إلا الثاني في الأغاني (٩-٨١)

(٢) كذا ، ولا يستقيم لي معنى لعجز هذا البيت

(٣) في الأغاني « يميل بخضرها » وفيه « وأجتم جانيها »

(٤) كذا في الأغاني ، وفي أصول هذا الكتاب « لو قد خبرتك للموافي »

الشراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدق وجارية واقفة على رأس سليمان — أو عبد الملك — تنبُّ عنه ، فقال : من صبحني بقصيدة يفتخر فيها وصَّيَّ في فخره وهبته هذه الجارية ، قال : قاموا على ذلك ، ثم قالوا إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته ، يمتنون الرجز ، فقال : ألا لا أقول إلا قصيدا ، فقال من ليلته قصيدته التي فخر فيها ، وهي [من الكامل] : ^(١) .

* علق الفؤاد حبائل الشعاء *

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء ، فأنشده حتى بلغ إلى قوله :
مَنْ أَلْزَمَ رَجَعَ الْجِيُوشَ لِصُلْبِهِ عِشْرُونَ وَهُوَ يُمَدُّ فِي الْأَحْيَاءِ ^(٢)
قال له عبد الملك — أو سليمان — قف ، إن كنت صدقت في هذا البيت فلا تزد ما وراءه ، فقال الفرزدق : أنا أعرف منهم ستة عشر ، ومن ولد ولده أربعة كلهم قد رجع ، فقال عبد الملك — أو سليمان — : ولد ولده هم ولده ، ادفع إليه الجارية يا غلام ، قال : فقلبيهم يومئذ .
وحدث الأصمى قال : قال أبو النجم ثامد بن الفرخ : أرايت قولك
[من الطويل] :

(١) انظر ثمانية أبيات من هذه الكلمة سوى البيت الآتي في الجمعي (١٥٠) وفيه في هذا المقطع :

* علق الهوى بحبائل الشعاء *

(٢) رجع الجيوش : أراد أخذ ربيع الغنائم ، وكان الرؤساء والسادة يأخذون لأنفسهم ربيع ما يقيم قومهم في الحروب ، ويسمونه المرباع ، وقال الشاعر :
لك المرباع منها والضغايا وحكك الذشيطة والفضول
يريد أبو النجم أن من قومه من كان سيداً رئيساً ، وفي الجمعي * عدوا
كن ربيع الجيوش * يريد أن من قومه من ساد حتى ربيع الجيوش وعاش
حتى رأى من أولاده عشرين رجلاً كلهم سيد ورئيس .

إِنْ تَكُ مِنْ شَيْبَانٍ أُمِّي فَأَنَّى لِأَيُّضَ جَلِيَّ عَرِيضَ الْمَقَارِقِ
أُكُنْتُ شَاكِي نَسَبِكَ حَتَّى قُلْتُ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ الْعَدِيلُ : أَشَكَّكَتَ فِي
نَفْسِكَ أَوْ فِي شَعْرِكَ حِينَ قُلْتَ [مِنْ الرِّجْزِ] :
أَنَا أَبُو النُّجْمِ وَشَعْرِي شَعْرِي اللَّهُ دَرَى مَا يُجْنُ صَدْرِي
فَأَمْسَكَ أَبُو النُّجْمِ وَاسْتَحْيَا ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ آخِرُ دَوْلَةِ بَنِي أُمِيَّةَ .

* * *

٤ - * كَرِيمُ الْجَرِشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ *

عَامِلُ كَرَامَةِ
فَالسَّحَابِ

قَاتَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي ، مِنْ قَصِيدَةٍ مِنْ بَحْرِ الْمُتَقَارِبِ ، وَكَانَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ
ابْنُ حُدَّانٍ صَاحِبُ حَلَبٍ قَدْ أَنْفَذَ إِلَيْهِ كِتَابًا بِخَطِّهِ إِلَى الْكُوفَةِ بِأَمَانٍ وَسَأَلَهُ
السَّيْرَ إِلَيْهِ ، فَأَجَابَهُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

فَهَيْتُ الْكِتَابَ أَبْرَأَ الْكِتَبِ فَسَمِعًا لِأَمِيرِ أُمِيرِ الْعَرَبِ
وَطَوْعًا لَهُ وَابْتِهَاجًا بِهِ وَإِنْ قَفَرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجِبَ
وَمَا عَاقَبَنِي غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ فَإِنَّ الْوُشَاةَ طَرِيقُ الْكِذْبِ (١)
وَتَكْثِيرُ قَوْمٍ وَتَقْلِيلُهُمْ وَتَقْرِيبُهُمْ بَيْنَنَا وَاتَّخَذَ بَ
وَقَدْ كَانَ يَنْصَرِّمُ سَمْعُهُ وَيَنْصَرِّفُ قَلْبُهُ وَالْحَسْبُ
وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ الْبَاقِيْنَ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتِ الْذَّاهِبُ
فَيَقْلَقُ مِنْهُ الْبَعِيدُ الْأَنَاءَ وَيَقْضِبُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْغَضَبُ
وَمَا لَأَقْنِي بِعَمْدِكُمْ بَلَدُهُ وَلَا أَعْنُضْتُ مِنْ رَبِّ لِعَمَائِ رَبِّ (٢)

(١) فِي الدِّيَوَانِ « وَإِنَّ الْوُشَاةَ طَرِيقَ الْكِذْبِ »

(٢) فِي الدِّيَوَانِ « وَمَا لَأَقْنِي بِعَمْدِكُمْ بَلَدُهُ »

وَمَنْ رَكِبَ التَّوَرَ بَعْدَ الْجَوَا دَانَكَرَ أَظْلَافُهُ وَالنَّبَبُ
وَمَا قَسَتْ كُلُّ مَأْوِكَ الْبِلَادِ فَدَعْ ذِكْرَ بَعْضٍ يَمِنْ فِي حَلَبُ
وَلَوْ كُنْتُ سَمِّيتُهُمْ بِاسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدُ وَكَانُوا الْخَشَبُ
أَفْرِ الرَّأْيِ يُشَبِّهُ أَمْ فِي السَّخَا أَمْ فِي الشَّجَاعَةِ أَمْ فِي الْأَدَبُ
مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرَ اللَّقَبُ كَرِيمُ الْجُرْشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبُ
أَخُو الْخَرْبِ يُخْدَمُ مِمَّا سَبَى قَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبُ
إِذَا حَارَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسْرُ بِمَا لَا يَهَبُ

وهي طويلة

والجرشي بكسر الجيم والراء مقصورا: النَّفْسُ، وأشار بقوله «مبارك الاسم» إلى أن اسم المدوح على، وهو اسم مبارك يترك به، لمكان على بن أبي طالب رضي الله عنه، ولأنه مشتق من العلو والعلو مبارك، ومعنى «أغر اللقب» مشهور لأنه سيف الدولة، والأغر من الخليل: الذي في وجهه غُرَّةٌ، وهي البياض، استعير لكل واضح معروف

والشاهد فيه كراهة السمع للفظه تكون في البيت كالجرشي هنا

وأبو الطيب ^(١) اسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي تركة أبي
الكندى الكوفي المتنبي الشاعر المشهور. ^(٢) وإنما قيل له «المتنبي» لأنه ادعى
النبوة في بداية السَّأوة، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ

(١) له ترجمة في سرح العيون (١٥) وفي يتيمة الدهر (١-٩٠) وفي تاريخ
ابن خلكان (١-٦٢) النبيل بمصر. وأكثر ما هنا منقول عن ابن خلكان.
(٢) في ابن خلكان «وقيل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن
عبد الجبار» اهـ.

أمير حصن نائب الأخشيدي فأسره وتفرق أصحابه ، وحبس طويلاً ، ثم استتابه وأطلقه وكان قد قرأ على البوادي كلاماً ذكر أنه قرآن أنزل عليه فنه « والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لي أخطار ، أمض على سننك واقفُ أثر من كان قبلك من المسلمين ، فان الله قانع بك زيع من الهدى في الدين وضل عن السبيل »

وكان إذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام فينكره ويمجده وما أطلق من السجن التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان ، ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، ومدح كافوراً الأخشيدي ، وأتوجور بن الأخشيدي وكان يقف بين يدي كافور وفي رجلية خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ، وركب بحاجبين من مماليكهما بالسيف والمناطق ، ولما لم يرضه هجاء وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ، فوجه كافور خلفه عدة راحل فلم يلحق ، وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الذي لم يلق ، فأجزل صلته ، ولما رجع من عنده عرض له قاتك بن أبي جيل ^(١) الأسدي في عنة من أصحابه ، فقاتله ، فقتل المتنبي وابنه محمد ^(٢) ، وغلّاه مغلح ، بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد ، ويقال : إنه قال شيئاً في عضد الدولة ، ففس عليه من قتله ، لأنه لما وفد عليه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مُسرّجة محلاة وثياب مفتخرة ، ثم دس عليه من سألته : أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف ، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً . فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز عليه قوماً من بني ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتلاً

(١) في ابن خلكان « ابن أبي الجهل »

(٢) في أصول هذا الكتاب « محشد » وهو تصحيف ، ونص ابن خلكان على أنه بالسين مهملة

شديداً ثم انبرزم ، فقال له غلامه أين قولك [من البسيط] :
الْخَيْلُ وَالْأَيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالطَّنُّ وَالضَّرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالنَّمَمُ
فقال : قتلتنى قتلك الله ، ثم قاتل فقتل .

ويقال : إن الخلفاء جاءوه وطلبوا منه خمسين درهما ليسيروا معه ، فتمنع الشح
والكبر ، فتقدموه فوق له ماقوع
وكان قتله يوم الأربعاء لست بقين ، وقيل : لثلاث بقين ، وقيل : لليلتين
بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة

ومولده كان فى سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة فى محلة تسمى كندة ، وليس هو
من كندة التى هى قبيلة ، بل هو جوفى
وقيل : إن أباه كان سقاء بالكوفة ، وكان يلقب بعبدان ثم انتقل إلى الشام
بولده ، وإلى هذا أشار بعض الشعراء فى هجوه فقال [من الخفيف] :

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ النِّضْ لَ مِنْ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا
عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي السُّكُوفَةِ الْمَاءَ ، وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحْيَا

ولقد أولع بعض شعراء عصره بهجوه ، حسداً له على فضله ، وتمكنه من
الملوك ، ومراعاة لتيهه وتكبره ، ومن أخش فى ذلك ابن حجاج ، فقال جارياً على
عادته فى السخف والمجون [من المجتث] :

يَا دِيمَةَ الصَّفْعِ صُبِّيْ عَلَى قَفَا الْمُنْبِيْ
وَيَا قَفَاهُ تَقَدَّمْ حَتَّى تُصِيرَ بِجَنَبِيْ
وَأَنْتَ يَا رِمَحَ بَطْنِيْ عَلَى سِبَالِيْ هُبِّيْ

ويقول فيها :

إِنْ كُنْتَ أَنْتَ نَبِيًّا فَالْقِرْدُ لَأَشْكُ رَبِّيْ

وقال فيه أيضاً من قصيدة [من السريع] :

قُلْ لِي وَطَرُوزُكَ هَذَا الَّذِي فِي غَايَةِ الْحُسْنِ شَوَابِيرُهُ
مَاضِرُهُ إِذْ جَاءَ فَصْلُ الشِّتَا لَوْ أَنَّ شَعَرَ آسَتِي سَمُورُهُ

ولقد كان المتنبي من المكثرين من نقل اللغة، والمطلعين على غريبها وحوشها
ولا يسأل عن شيء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر، حتى قيل:
إن الشيخ أبا علي الفارسي قال له يوما: كم لنا من الجوع على وزن فُعْلِي؟ فقال
المتنبي في الحال: حَجَلِي^(١) وَطَرِي، قال الشيخ أبو علي: فطالعت كتب اللغة
ثلاث ليال على أن أجده لذين الجمعين ثالثا فلم أجده، وحسبك من يقول أبو علي
في حقه هذه المقالة

وقال أبو الفتح بن جني: قرأت ديوان المتنبي عليه، فلما بلغت إلى قوله
في كافور الأخشيدي [من الطويل]:
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أُنْتَقِبُ؟
وَبِئْسَ مَا يَذُودُ الشَّعَرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا بَنَّةَ الْقَوْمِ قَلْبُ
قلت له: يمز على كون هذا الشعر في غير سيف الدولة، فقال: حذرناه
وأنذرناه فما نفع، ألسنت القائل فيه [من الطويل]:
أَخَا الْجُودِ أَعْطِ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُهُ
فهو الذي أعطاني [كافورا]^(٢) بسوء تدبيره وقلة تمييزه

والناس في شعره على طبقات: فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده،
ومنهم من يرجح أبا تمام عليه، ووزق في شعره السعادة، واعتنى العلماء بديوانه

(١) حجل: جمع حجل، وهو الطائر الذي يسمى القبيح، وطرابي: جمع
طرaban -- على زنة قطران -- وهي دويبة منتنة الرائحة
(٢) الزيادة عن ابن خلكان، وهي لازمة لإكمال المعنى

فشرحوه حتى قيل : إنه وجدله ما يزيد على أربعين شرحا
ومن شعره مما ليس في ديوانه بل رواه الشيخ تاج الدين الكندي بسند
صحيح متصل بيتان ، وهما [من الكامل] :

أَبْعَيْنَ مُنْقَرٍ إِلَيْكَ نَظَرْتَنِي فَأَهَنْتَنِي وَقَدَفْتَنِي مِنْ حَائِنٍ ؟
لَسْتُ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنِّي أَنْزَلْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الْخَالِقِ

ولما قتل رثاه أبو القاسم المظفر بن علي الطوسي^(١) بقوله [من الخفيف] :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ الْأَسَانِ
مَا رَأَى النَّاسُ ثَنَانِي الْمُنْبِيَّ أَيْ ثَانٍ يُبْرَى لِبُكْرِ الزَّمَانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جِدِّ شَيْءٍ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانِ
هُوَ فِي شِعْرِهِ نَبِيٌّ وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي

ويحكى أن المعتمد بن عباد اللخمي صاحب قرطبة وإشبيلية أنشد يوما في
مجلسه بيت المتنبي الذي هو من جملة قصيدته المشهورة ، وهو [من الطويل]^(٢) :

إِذَا ظَفَرْتُ مِنْكَ الْعُيُونُ بِنَظَرَةٍ أَتَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطَى وَرَارِمُهُ

وجعل يردده استحسانا له ، وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهب بن
الأندلسي ، فأنشد ارتجالا [من الطويل] :

لَنْ جَادَ شِعْرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّمَا تُجِيدُ الْعَطَايَا وَالْأَلِهَاتُ تَفْتَحُ الْإِلَهَا

(١) الطوسي - بفتح - الطاء والباء - نسبة إلى طبرس ، وهي مدينة بين
نيسابور واصبهان وكرمان

(٢) هو من قصيدة مدح بهاسيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة (٣٣٧هـ)
وأولها قوله :

وفاؤكما كالربيع أشجاء طاسمه بأن تسعدا ، والدمع أشفاء ساجمه

تَبَيَّنَ مُجِيبًا بِالْقَرِيبِ ؛ وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَرَوِي شِعْرَهُ لَتَأَنَّى
وهذا مثل قديم قاله أبو سعيد القصار في جعفر بن يحيى [من مجزوه الخفيف] :
لَا بَنِي يَحْيَى مَا تَرَى بَلَفْتَ بَنِي إِلَى السَّهَاءِ
جَادَ شِعْرِي بِجُودِهِ وَاللَّهِ تَفْتَحُ اللَّهُ
والله بالضم : العطايا ؛ وبالفتح جمع لهاء الخلق .

ورثاه أيضاً محمد بن عبد الله الكاتب النصبي بقصيدة يستجيش فيها عضد
الدولة على مسحى قدمه ومربق دمه ؛ فنها [من البسيط] :
قَرَّتْ عُيُونُ الْأَعَادَى يَوْمَ مَصْرَعِهِ وَطَلَمَّا سَخِنَتْ فِيهِ مِنَ الْحَسَدِ
ومنها :

أَبَا شُجَاعٍ فَتَى الْهَيْجَا وَقَارَسَهَا وَمُشْتَرَى الشُّكْرِ بِالْإِفْهَاقِ وَالصَّفْدِ (١)
هَذِي بَنُو أُسْدٍ جَاءَتْ بِمُؤَيَّدَةٍ صَاءٍ نَائِجَةٍ هَدَّتْ مُدْرَى أَحَدِ
سَمَطَتْ عَلَى الْمُنْتَبِي مِنْ قَوَارِسِهَا سَبْعُونَ جَاءَتْهُ فِي مَوْجٍ مِنَ الزُّرْدِ
حَتَّى أَتَتْ وَهَوَى أَمْنٌ فِي دَعْوَةٍ يَسِيرُ فِي سِتْرَةٍ إِنْ تَحْصَى لَمْ تَزِدْ
كَرَّتْ عَلَيْهِ سِرَاعًا غَيْرَ وَأَنِيةً فَسَادَتْهُ قَرِينَ الثَّرْبِ وَالنَّادِ (٢)
مَنْ بَعْدَ مَا أَعْلَمْتَ فِيهِمْ أَسْنَتُهُ طَمَعًا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
فَأُطْلِبَ بِنَارِ قَتَى مَا زِلْتُ تَعْضُدُهُ اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ كَهْفٍ وَمِنْ عَصْدٍ (٣)

(١) الصفد - بفتح الصاد والفاء جميعا - العطاء

(٢) الناد: الثرى ، وهو بفتح الاء والهمزة ، وقد تسكن همزته ، لكن في غير هذا البيت لأن الوزن يستدعى المحرك

(٣) عضده يعضده - مثل نصره ينصره - أى أعانه . وعاضده : مثله

أَزَلَّ الْعُيُونُ عَلَيْهِمْ أَيَّهَ سَلَكُوا وَضَبَّقِ الْأَرْضَ وَالْأَفْطَارَ بِالرَّصْدِ (١)
 شَرَدَهُمْ بِجُيُوشٍ لَا قِيَامَ لَهَا تَأْتِي عَلَى سَبَدِ الْأَقْوَامِ وَالْبَدِ (٢)
 ورنه أيضاً ثابت بن هارون الرقيّ النصراني بقصيدة يستثير فيها عضد
 الدولة على فاتك وبنى أسد ، يقول في أولها [من الكامل] :

الدهر أنكى والأيالي أنكدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِكَ يَا أَحْمَدُ
 قصدتك لما أن رأتك أنفيسها يُخَالُ بِمَثَلِكَ وَالنَّفَاسُ تَقْصُدُ
 ذُوقْتَ الْكَرْبَةَ بَغْتَةً وَفَقَدْتَهَا وَكَرِهَ فَقْدَكَ فِي الْوَرَى لَا يَفْقُدُ
 قل لي إن أسطعت الجواب فإني صَبَّ الْفُؤَادِ إِلَى خَطَابِكَ مُكْمَدُ

ومنها :

أَتَرَكْتَ بَعْدَكَ شَاعِرًا ؟ وَاللَّهِ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ فِي الزَّمَانِ تَقْصُدُ (٣)
 أَمَّا الْعُلُومُ فَأَتَّبَهَا يَا رَبِّهَا تَبَسَّكَ عَلَيْكَ بِأَدْمَعٍ لَا تَجْمُدُ
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ ، دَعْوَةٌ مِمَّنْ حَشَاءُ بِالْأَسَى يَتَوَقَّدُ
 هُدًى بَنُو أُسْدٍ بِضَيْفِكَ أَوْقَعَتْ وَحَوَتْ عَطَاءَكَ إِذْ حَوَاذَ الْفَرْقَدُ
 وَلَهُ عَلَيْكَ بِقَصْدِهِ يَإِذَا الْعَالَا حَقَّ التَّحَرُّمُ وَالذُّمَامُ الْأَوْكَدُ
 فَرَعَ الذُّمَامُ وَكُنْ لَضَيْفِكَ طَالِبًا إِنَّ الذُّمَامَ عَلَى الْكَرِيمِ مُؤَبَّدُ
 وأخبار المشتري وما جرى له كثيرة ، وسيتنى طرف منها ومن شعره في أثناء

هذا الكتاب .

- (١) الرصد - تفتح الراء والصاد جميعاً - القوم يراقبون الشيء كالحرص .
 الواحد فيه والجمع والمذكر والمؤنث سواء
 (٢) العرب يقولون : ايس لفلان سبد ولا لبد ، وهم يريدون أنه ليس له
 شيء . والسبد : وبر الايل ، والابد : الصوف .
 (٣) مقصد : يريد شاعرا لأن الشاعر يقصد القصائد

شاهد تنافر
الكلمات

٥ - وَقَبْرَ حَرْبٍ يَمُكَّانَ قَفَرٍ وَلَيْسَ قَرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

البيت من الرجز ، ولا يعرف قائله ، ويقال : إنه من شعر الجن ، قالوه في حَرْبٍ بن أمية بن عبد شمس لما قتلوه بثأر حيلة منهم قتلها القفل الذي كان فيه ، ودُفن ببادية بعيدة ، وكان حَرْبٌ المذكور مُصافيا لمِرْدَاسِ السُّلَمِيِّ أبي العباس الصحابي ، فقتلها الجن جميعا ، وهذا شيء قد ذكرته الرواة في أخبارها ، والعرب في أشعارها .

ذكر أبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني ، أن حرب بن أمية لما انصرف من ^{مقتل حرب} حرب عكاظ هو وإخوته مرة بالقرية ، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، ^{ابن أمية ومرداس السلمي} فقال له مرداس بن أبي عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال : بلى ، فإله ؟ قال : نعم المزدحج هو ، فهل لك أن تكون شريكى فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم ، فأضرم النار في الغيضة ، فلما استطارت وعلالها بها صميج من الغيضة أنبت وضجيج كثير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعها وخرجت منها ، فقال مرداس في ذلك [من البسيط] :

إِنِّي انْتَخَبْتُ لَهَا حَرْبًا وَإِخْوَتَهُ إِنِّي بِحَبْلِ وَثِيقِ الْعَهْدِ دَسَّاسُ
إِنِّي أَقُومُ قَبْلَ الْأَمْرِ حُجَّتَهُ كَيْمَا يَقَالَ وَلِيَ الْأَمْرِ مِرْدَاسُ

قال : فسموا هاتفاً يقول لما احترقت الغيضة [من مجزوء الرجز] :

وَيْلٌ لِحَرْبٍ فَارِسًا مُطَاعِنًا مُخَالِسًا
وَيْلٌ لِحَرْبٍ فَارِسًا إِذْ لَيْسُوا الْقَوَانِسَا
لِنَقْتُلَنَّ بَقَايَهُ جَحَاجِحًا عَنَابِسَا

ولم يلبث حرب بن أمية ومرداس أن ماتا ، فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادّعاها بعد ذلك كليب بن عمرو السلمي ثم الظاهري ، فقال في ذلك عباس بن مرداس [من الكامل] :

أَكْلَيْبُ مَالِكٌ كُلَّ يَوْمٍ ضَانًا وَالظُّلْمُ أَنْكَذُ وَجْهٌ مَلْعُونٌ
 عَجَبًا لِقَوْمِكَ يَحْسِبُونَكَ سَيِّدًا وَإِخَالُ أَنْكَ سَيِّدٌ مَغْيُونٌ^(١)
 فَإِذَا رَجَمْتَ إِلَى نَسَائِكَ فَادَّهَنُ إِنَّ الْمَسْلَمَ رَأْسُهُ مَدْعُونٌ
 وَأَفْطَلُ بِقَوْمِكَ مَا أَرَادَ بِوَائِلِي يَوْمَ الْقَدِيرِ تَمِيمُكَ الْمَطْعُونُ^(٢)
 وَإِخَالُ أَنْكَ سَوَفَ تَلْقَى مِثْلَهَا فِي جَانِبَيْكَ سِنَانُهَا الْمَسْنُونُ
 إِنَّ الْقَرْيَةَ قَدْ تَبَيَّنَ أَمْرُهَا إِنْ كَانَ يَنْفَعُ عِنْدَكَ التَّبْيِينُ
 حِينَ انْطَلَقْتَ تَخْطُهَا إِلَى ظَلَمَاءَ وَأَبُو يَزِيدَ يَجْجُوهَا مَدْفُونُ
 وقد روى البيتُ بلفظ.

* وَمَا بَقَرِبِ قَبْرِ قَبْرِ حَرْبِ قَبْرِ *

ويقال : إنه لا يتبياً لأحد أن ينشئه ثلاث مرات متواليات فلا يتمتع .
 و « قرب » وقع خبراً لليس وكان من حقه أن يقول « قرب قبره » فأى
 بالظاهر موضع المضمر ليدل على لزوم التوجع .
 والشاهد فيه : التنافر ، لما في هذه الألفاظ من قتل النطق بها ، ولذلك
 هرب أرباب الفصاحة من اللفظين المتقاربين إلى الادلغام ، لا انتقال اللسان فيه
 إليهما انتقالة واحدة ، وشبهوا النطق بالتقاربين بمشى المقيد .

٦ - كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى *

من شواهد
التنافر

قائله أبو تمام الطائي ، وتماه :

* مَعَى وَإِذَا مَالَتْهُ لَمْتُهُ وَحَدِي *

(١) في الأصول « مغبون » وفي هذه الكلمة روايتان إحداها « معيون »
 أي مصاب بالعين ، والثانية « مغبون »
 (٢) أراد إسميه : كليب وأثل الذي قتله جساس بن مرة ، وإسميه فامت
 حرب البسوس

وهومن قصيدة من الطويل يمح بها أبا الفيث موسى بن إبراهيم ويعتبر
إليه، وأولها :

شَهِتْ لَقَدْ أَفَوْتُ مَعَالِكُمْ بَعْدِي وَحَتَّ كَمَا حَتَّ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدٍ (١)
وَأَتَجِدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْسَامِ دَارِكُمْ فَيَادِمُ أَنْجِدَنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ
لِعَمْرِي لَقَدْ أَخْلَقْتُ جِدَّةَ أَلْبَا بَكَاءُ وَجَدْتُمْ عَلَى رَيْلِي الْوَجْدِ (٢)
إِلَى أَنْ قَالَ فِي مَدِيحِهَا :

أَنَا فِي مَعَ الرُّكْبَانِ ظَنُّ ظَنَّنْتُ نَسَكْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ (٣)
لَقَدْ نَكَبَ الْقَدْرُ الْوَفَاءَ بِسَاحَتِي إِذَا وَسَرَحْتُ الدَّمَ فِي مَسْرَحِ الْحَدِ
وَهَشَّكَتُ بِالْقَوْلِ اتْلَا حُرْمَةَ الْعَلَا وَأَسْلَكْتُ حُرَّ الشَّعْرِ فِي مَسْلَكِ الْعَبْدِ
نَسِيتُ إِذَا كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ شَاكِلَتْ يَدَ الْقَرَبِ أَعَدَّتْ مُسْتَهَامًا عَلَى الْبَعْدِ
وَمَنْ زَمَنِي أَلْبَسْتَنِيهِ كَأَنَّهُ إِذَا ذُكِرْتُ أَتَيْلَهُ زَمَنُ الْوَرْدِ
وَأَنَّكَ أَحَكَمْتَ الَّذِي بَيْنَ فِكْرَتِي وَبَيْنَ الْقَوَائِي مِنْ ذِمَامٍ وَمِنْ عَهْدِ
وَأَصْلَتْ شِعْرِي فَأَعْتَلَى رَوْنَقُ الضُّحَى وَلَوْلَاكَ لَمْ يَظْهَرْ زَمَانًا مِنَ الْغَمْدِ (٤)
وَكَيْفَ وَمَا أَخْلَتْ بَعْدَكَ بِالْحِجَا وَأَنْتَ قَلَمٌ تَخْلِلُ بِمَكْرَمَةِ بَعْدِي (٥)
أَمْرٌ يُبْلِجُ هَجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَرْتَهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي

- (١) في الديوان « معانيسكم بعدى » وأفوت : أفقرت، وحَتَّ : انمَحَّت
وطمست معالمها . والشائع : ما ألّف من الغزل
(٢) في الديوان « على وجدتم به خلق الوجد »
(٣) في الديوان « لففت له رأسي »
(٤) أصلت : أرادت أظهرت وشهرت ، وأصله إخراج السيف من غمده ،
والغمد : قراب السيف
(٥) في الديوان « فكيف »

وبعد البيت ، وبعده :

ولو لم يزغني عنك غمركَ وازعُ لأعديتي بالحلم ، إنَّ الملا تُعدى^(١)
ومعنى البيت : هو كريم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه فيمدحونه
لأسياء إحسانه إليهم كإسدائه إلى ، ولا أمدحه بشيء إلا صدقني الناس فيه ،
أو أن الناس وافقوني على وجود ما يوجب المدح للإنسان من صفات الكمال فيه ،
وإذا لمته لا يوافقني أحد على لومه ، لعدم وجود المقتضى له فيه .

وفي معناه قول الآخر [من الكامل] :

وإذا شكوك لم أجدي مُسعداً ورُميتُ فيما قلتُ بالبهتانِ^(٢)
وقد ناقضَ هذا المعنى ابن أبي طاهر بقوله [من السريع] :
يُشركُني العالمُ في ذمِّه لَكُنِّي أمدحه وحدي

وطاهر العتابي المعروف بالمعتمد البغدادي بقوله [من الطويل] :

مدحتهم وحدي فلما هجوتهم هجوتهم والناس كلهم معي
والشاهد فيه التنافر أيضا ؛ لما في قوله « أمدحه » من النقل لقرب مخرج
الحاء من مخرج الهاء ، لأن الخارج كلما قربت كانت الألفاظ مكبودة قلقة غير
مستقرة في أما كتبها ، وإذا بعدت كانت بعكس الأول ، ولهذا لم يوجد في كلام
العرب العين مع الفين ، ولا مع الحاء ، ولا مع الخاء ، ولا الطاء مع التاء ، حذراً
مما مر . وأيضاً فيه ثقل من جهة التكرار في « أمدحه » و « لمته » .

ومن قبيح التكرار قول الشاعر [من السريع] :

وأزور مَنْ كان له زاراً وعاف عاف العُرفِ عرفانهُ

(١) في الديوان « ولو لم يزغني عنك للحلم وازع » .

(٢) مسعدا : معينا يوافقني ؛ والبهتان : الكذب ؛ أو أبشعه .

ترجمة أبي تمام

وأبو تمام^(١) اسمه حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس بن الأشج بن يحيى ابن مروان ، ينتهي إلى طيء . قال أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى^(٢) :
والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام أن أباه كان نصرانياً من أهل جاسم قرية من قرى الجيدور ، من أعمال دمشق^(٣) يقال له تدوس العطار ، فجعلوه أوساً ، وولد أبو تمام بالقرية المذكورة سنة تسعين ، وقيل : سنة ثمان وثمانين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين وسبعين ، ونشأ بمصر ، وقيل : إنه كان يسقى الماء بالجرة في جامع مصر ، وقيل : كان يخدم حاكماً ويعمل عنده ، ثم اشتغل وتنقل إلى أن صار واحد عصره في ديباجة لفظه ، وفصاحة شعره^(٤) وحسن أسلوبه ، وكان له من الغفوضات ما لا يلحقه فيه غيره ، حتى قيل : إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد ، وله كتاب الحامسة الذي دل على غزارة فضله ، وإتقان معرفته ، وحسن اختياره ، وله مجموع آخر سماه فحول الشعراء ، جمع فيه طائفة كثيرة من شعراء الجاهلية والحضرين والإسلاميين ، وله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء ، ومدح الخلفاء وأخذ جوارهم .
وكن في لسانه حُبسة وفي ذلك يقول ابن المعتدل^(٥) أو أبو العميل [من مجزوء الزمل] :

- (١) قف على ترجمة أبي تمام في الأغاني (١٥ - ٩٩ - ١٠٨) وفي ابن خلكان (١ - ٢١٤ - ٢١٨) وفي الخزائن (١ - ١١٧٣) .
(٢) وقع في المطبوعتين « الأموى » تحريفاً ، والحديث عن ابن خلكان عن الأمدى صاحب الموازنة بين أبي تمام والبحترى .
(٣) في الأغاني « مولده ومنشؤه بناحية فيج بقرية منها يقال لها جاسم »
(٤) أحسبه « ونصاعة شعره »
(٥) في المطبوعتين « ابن المعتدل » تحريفاً ، وابن المعتدل — بالذال المعجمة — هو عبد الصمد بن المعتدل بن غيلان ، وكان هجاء خبيث اللسان شديد العارضة (له ترجمه في الأغاني) وقد نسب البيهقي في أخبار أبي تمام (٢٤١) إلى مغلله .

يَا نَبِيَّ اللَّهِ فِي الشَّعْرِ وَيَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ
أَنْتَ مَنْ أَشْعَرِ خَلْقِ اللَّهِ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ

وهذا نوع من البديع يسمى الهجاء في معرض المدح ، ومن مزيح ما جاء
فيه قول ابن سناء الملك في قوَّاد [من السريع] :

لِي صَاحِبٌ أَقْدِيهِ مِنْ صَاحِبٍ حَلَوِ التَّائِي حَسَنِ الْإِحْتِيَالِ
لَوْ شَاءَ مِنْ رَقَّةٍ أَلْفَاضِلِ أَلْفَ مَا بَيْنَ الْهَدَى وَالضَّلَالِ
يُكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رُبَّمَا قَادَ إِلَى الْمَهْجُورِ طَيْفَ الْخِيَالِ

ومنه قول ابن أبي الأصميج يهجو قتيباً ذا أبنه [من السريع] :

ابْنُ فُلَانٍ أَكْرَمُ النَّاسِ لَا يَمْنَعُ ذَا الْحَاجَةِ مِنْ فُلِهِ
وَهُوَ قَتِيْبُهُ ذُو اجْتِهَادٍ وَقَدْ نَصَّ عَلَى التَّقْلِيدِ فِي دَرَسِهِ
يَسْتَحْسِنُ الْبَحْثَ عَلَى وَجْهِهِ وَيُوجِبُ الْفَعْلَ عَلَى نَفْسِهِ

ووفد أبو تمام إلى البصرة وبها عبد الصمد بن المغنل الشاعر ، فلما سمع
بوصوله ، وكان في جماعة من أتباعه وغلماناه ، خاف من قدومه أن يميل الناس
إليه ويرضوا عنه ، فكتب إليه قبل دخوله البلد [من الخفيف] :

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ تَبْرُزُ لِلنَّاسِ سِيسَ وَتَلْقَاهُمْ بِوَجْهِ مُدَائِلِ
لَسْتَ تَفُكُّ رَاجِعاً لَوْصَالِ مِنْ حَبِيبٍ أَوْ رَاغِباً فِي نَوَالِ
أَيُّ مَاءٍ يَبْقَى لَوْجَهَكَ هَذَا بَعْدَ ذَلِّ الْهَوَى وَذَلِّ السُّؤَالِ (١)

فلما وقف على الأبيات أعرض عن مقصده ورجع وقال : قد شغل هذا
ما يليه فلا حاجة لنا فيه .

وقد تبعه الأمير مجير الدين بن تميم بقوله [من الخفيف] :

(١) في الأصول وابن خلسكان • بين ذل الهوى وذل السؤال • وأراه
مصحفا عما أثبتناه عن أخبار أبي تمام .

شواهد الهجاء
في معرض المدح

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ يَا تَجَلَّيْمُو بَ وَكَلْبَاهَا مَقْرُ السَّيَادَةِ
 لَسْتَ تَنْفَكُ رَاكِبًا أَيْزَ عَبْدٍ مُسْبِطِرًا أَوْ حَامِلًا خَفَّ غَادَةِ
 أَيْ مَاءَ لَحْرٍ وَجْهَكَ يَبْقَى بَيْنَ ذُلِّ الْبَغَا وَذُلِّ الْقِيَادَةِ
 ولما أُنشد أبو تمام أبا ذؤلف المجلى قصيدته البائية التي أولها [من الطويل]^(١) :
 عَلَى مِثْلِهِ مِنْ أَزْوَاجٍ وَمَلَاعِبٍ أَذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ
 استحسناها وأعطاه خمسين ألف درهم ، وقال : والله إنها لدون شعرك ، ثم
 قال : والله ما مثل هذا القول في الحُسْنِ إلا ما رثيت به محمد بن حميد الطوسي ،
 فقال أبو تمام : وأي ذلك أراد الأمير ؟ قال : قصيدتك الرائية التي أولها^(٢)
 [من الطويل] :

كَذَا فِيلُجِلْ الْخُطْبُ وَلِيَفْدَحِ الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعِينٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَُا عِنْدُ^(٣)
 وَدَدْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُا لَكَ فِيَّ ، قَالَ : بل أفدى الأمير بنفسى وأهلى وأكون
 المقدم قبله ، قال : إنه لم يمت من رثى بهذا الشعر .

وحدث الرِّياشي قال : كان خالد الكاتب مفرماً بالفلان المرد ينفق عليهم
 كل ما يفيد ، فهو غلاماً يقال له عبد الله ، وكان أبو تمام الطائي يهواه أيضاً ،
 قال فيه خالد [من مخلم البسيط] :

قَضِيبُ بَايَ جَنَاهُ وَرَدُ يَحْمِلُهُ وَجَنَةُ وَخَدُ
 أَتْنِ طَرْفِي إِلَيْهِ إِلَّا مَاتَ عَرَاةً وَعَاشَ وَجَدُ
 مَلِكٌ طَوَعَ النَّفُوسَ حَتَّى عَلِمَهُ الزَّهْوُ حِينَ يَبْدُو
 فَاجْتَمَعَ الصَّدُ فِيهِ حَتَّى لَيْسَ نَخْلَقِي سِوَاهُ صَدُ

وبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتاً منها قوله [من السريع] :

(١) اقرأها في الديوان (٤٠) .

(٢) اقرأها في الديوان (٣٦٨) .

(٣) وقع في المطبوعتين « لذا » والقصيدة أشهر من قنابلك ، وما أثبتناه
 عن الديوان وعن ابن خلكان الذي أخذ عنه المؤلف أكثر هذه الترجمة .

شمرُك هذا كله مُفْرِطٌ في بَرْدِهِ يا خالِدُ البَارِدُ

فملقها الصبيان ولم يزالوا يصيحون به : يا خالِدُ يا بَارِد ، حتى وسوس ، وقد

هجا أباً تمام في هذه القصة فقال فيه [من البسيط] :

يا معشر المرءِ إني ناصحٌ لَكُمْ والمرءُ في القول بين الصدق والكذب

لَا يَنْسَكُنْ حَبِيباً مِنْكُمْ أَحَدٌ فِدَاءٌ وَجَمَاعَتُهُ أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ

لَا تَأْمَنُوا أَنْ تَحُولُوا بِمَدِّ ثَلَاثَةٍ فَتَرْكِبُوا عُمَدًا لَيْسَتْ مِنَ الْخَشَبِ

ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بخراسان وامتدحه بالقصيدة التي أولها

بديعة أبي تمام

[من الطويل] :

* أَهْنُ عَوَادِي يُوسُفَ وَصَوَّاحِبِهِ *

أُنْكَرَ عَلَيْهِ أَبُو الْعَمَيْثِلِ وَقَالَ لَهُ : لِمَ لَا تَقُولُ مَا يُرْغِمُ ؟ فَقَالَ لَهُ : لِمَ لَا تَقْتَهِمُ

مَا يُقَالُ ؟ فَاسْتَحْسَنَ مِنْهُ هَذَا الْجَوَابُ عَلَى الْبَدِيعَةِ

وذكر الصولي أنه امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة^(١) سينية

فلما انتهى إلى قوله فيها [من الكامل] :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سِمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَحْنَفٍ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

قال له السكندی الفيلسوف وكان حاضراً : الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق

قليلاً ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لَا تُسْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

فَعَجِبُوا مِنْ سُرْعَةِ فَطْنَتِهِ .

وما ذكر — من أنه أنشد القصيدة للخليفة ، وأن الوزير قال : أي شيء

طلبه فأعطه فإنه لا يمشي أكثر من أربعين يوماً لأنه قد ظهر في عينه الدم من

(١) أقرأها في الديوان (١٧٢).

شدة الفكرة . وصاحب هذا لا يبش لاهذا القدر . قاله الخليفة : ما تشهر ؟
 قل : أريد الموصل ، فعضده إليها ، فوجه إليها ، بنى هذه المدة ومات -
 فتش لاهمة له أسلا . والصحيح ما ذكرناه . وأن الحسن بن وهب احتج به
 وولاه يريد الموصل ، فقام بها أقل من سنتين وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين
 ومائتين وقيل : ثمان وعشرين . وقيل : اثنتين وثلاثين . وبني عليه أبو نهميل
 ابن حميد الغوسي قبة ، خارج باب الميدان على حافة الخندق .

وولد ابن يزيد وزيره الوزير محمد بن عبد الملك الثالث وزير الحشم بقوله . وهو يومئذ
 وزير . وقيل : بها لأبي الزبيران عبد الله بن الزبيران السكبي ، مولى بنى أمية
 [من الكامل] :

نَبَأَ أَنِّي مِنْ أَكْظَمِ الْأَنْبَاءِ لَمْ أَلَمْ مُقْلِلُ الْأَحْشَاءِ
 قُلُوبًا حَيْبٌ قَدْ تَوَيَّ فُجَيْتُهُمْ تَلَدْتُكُمْ لَا تَحْمِلُوهُ الطَّائِي

وحكى ابن عدلان الموصل النحوى المتروجم قال : سألت ابن عتير عن
 معنى قوله [من الغويل] :

سَقَى اللَّهُ دُوحَ الْغَوَاصِّينَ وَلَا ابْرَئُونَ مِنَ الْمَوَلِ الْجَدْبَاءِ لَا قُبُورَهَا (١)
 ولم حرمها بنحس القبور ؟ قال : لأجل أبى تعلم .

ومن محكم شدة قوله من قصيدة (٢) [من الكامل] :

أَخْرَسَتْ بِذُعَابَتِنِي حَتَّى إِذَا مَا غَبَّتْ عَنْ بَعْضِي ظَلَّتْ تَشْدُقُ
 حَمْدُ رَأَى أَسَدَ الْغَرِينِ فَهَلْ حَتَّى إِذَا وَلَّى تَوَلَّى يَنْهَقُ

(١) هذا البيت من قصيدة لابن عتير مدح بها السلطان الملك المعظم
 شرف الدين عيسى ابن الملك المعادل بن أيوب . وأول هذه القصيدة قوله :
 أشافك من عليا دمشق قصورها . وولدان أرض النيرين وحورها
 وقد وقع في المطبوعتين « من الموصل الحدية » محررا .

(٢) القصيدة في هجاء عتبة بن أبى طاصم (الديوان ٤٩٩) وقد أسقط
 ناسه بعض أبيات منها . والذي رواه المؤلف هنا أبيات غير متصل بعضها ببعض

هَيْتَكَ فَكَأَنَّ تَمَّالَ مَا يَرَى بَمَثَلِهَا مَعَهُ وَبَلَّغَ شَيْئًا
قُلْ مَا جَاءَكَ إِلَّا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ يَهْدِيهِ الْغِيَاثُ لَا يَضِلُّ
أَنْعَمْتُ حَتَّى عَيْتِهِمْ قُلْ لِي مَنَى وَفَزَلْتُ سُرْعَةَ مَا يَرَى يَلْبَسُو^(١)
يَلَاكُ يَمْنَى الْقَائِلُونَ يَهْلِسُ لَنْ الشَّيْءِ بِكُلِّ حَتَّى يَحْتَمِلُ
فَلْتَعْلَمَنَّ حَرِيمٌ مَنْ وَهَبَ مَنْ وَقَدِيمٌ مَنْ وَحْدَتِ مَنْ يَتَذَكَّرُ
بقوله من قصيدة أخرى [من الكامل]:

أَعْوَامٌ وَصَلَ كَذِبُهَا طَيْبَهَا ذِكْرُ الْغَوَى فَكُنْهَا نَيْبَهَا
نَمُ أَنْتَرَتْ أَلَمَ حَبْرٍ أَرْدَقَتْ نَعْوَى أَمَى فَكُنْهَا نَعْوَى
نَمَ اخْتَصَتْ تِلْكَ السُّنُونَ وَأَهْلَهَا فَكُنْهَا وَكُنْهَا نَحْلَهَا
وقد اختصر معنى هذه الآيات انتهى في قوله [من الخفيف]:

قَضَرْتُ مَدَّةَ الْبَالِ الْمَوَاضِي فَطَالَتْ بِهَا الْبَالِ الْبَالِ
ولأن الغرض رحمه الله هذا المعنى بضم الـ الاختصار المحمدي [من البسيط]:
أَعْوَامٌ إِبْقَاهُ كَالْيَمِّ فِي قَضَرٍ وَيَوْمٌ إِبْرَاقِهِ فِي الطُّولِ كَالْحَبِّ
وَدِيَّانٌ نَظْمُهُ مَشْهُورٌ، وَقَدْ ثَبَتَ مِنْ لَأَنَّهُ فِي قَيْمِهِ هَذَا التَّوَقُّفُ مَقْبُوحٌ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

٧ - وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا تَمَكُّكُ * يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَيْدِيهِمْ يَدْرِيغُ

تعليل
هنا

البيت للفردوق ، من قصيدة من الطويل يشرح بها ما ذهبت إليه من
إسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان .

والشاهد فيه التحديد ، وهو : أن لا يكون الكلام ضمن الدلالة على المراد

(١) في الديوان « أنعمت حتى عيتهم » وفيه « ساعة ما يرى »

إما غُطِّلَ في نظم الكلام فلا يُتوصَّل منه إلى معناه ، أو لا تنتقل الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً ، والأول هو الشاهد في البيت

والمعنى فيه : وما مثله يعني الممدوح ، في الناس حتى يقاربه ، أى أحد يشبهه في الفضائل ، إلا مملكا ، يعنى هشاماً ، أبو أمه أى أبو أم هشام أبوه ، أى أبو الممدوح فالضمير في أمه للملك ، وفي أبوه للممدوح ، ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وأبوه وهو خبره ، بأجنبي وهو حى ، وكذا فصل بين حى ويقاربه وهو نعت بأجنبي وهو أبوه ، وقدّم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كما تراه في غاية التعقيد ، وكان من حق الناظم أن يقول : وما مثله في الناس أحد يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه

شواهد أخرى
للتعقيد

ومن التعقيد قول الفرزق أيضاً [من الطويل] :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب نصاهره
أى : إلى ملك أبوه ما أمه من محارب أى ما أمه منهم

ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

فما من فتى كُنّا من الناس واحداً به تبتغي منهم عديلاً نباده
أى : فما من فتى من الناس كُنّا تبتغي واحداً منهم عديلاً نباده به .

وقول الآخر [من الطويل] :

وما كنت أخشى الدهر إحلاس مسلماً من الناس ديناً جاءه وهو مسلم (١)
أى : وما كنت أخشى الدهر إحلاس مسلم مسلماً من الناس ديناً جاءه وهو ، أى جاءه معاً .

(١) في الأصول « إحلاس مسلم » وهو لا يتفق مع ما ذكره في بيان معناه و « مسلم » في آخر البيت مخفوض بإضافة إحلاس إليه ، والكلام ينتهى عند « وهو » .

ومثله قول أبي تمام [من الكامل] :

كَاتِبِينَ فِي كَبْدِ الْبِغَاءِ وَلَمْ يَكُنْ كَاتِبِينَ ثَانٍ إِذْ هَمَّا فِي الْعَارِ
وَالْفَرْزْدَقُ رَحِمَهُ اللَّهُ اسْمُهُ^(١) هَامُ بْنُ غَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ التَّمِيمِيِّ ،
أَبُو فِرَاسٍ صَاحِبُ جَرِيرٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ غَالِبٌ مِنْ جِلَّةِ قَوْمِهِ وَمِنْ سَرَاتِهِمْ ، وَكَتَبَتْهُ
أَبُو الْأَخْطَلُ ، لَوْلَا كَانَ لَهُ اسْمُهُ الْأَخْطَلُ ، وَهُوَ شَاعِرٌ أَيْضًا ، وَوَهْمُ بَعْضِهِمْ فِيهِ فَظَنَّهُ
الْأَخْطَلُ التَّغْلِبِيُّ النَّصْرَانِي ، وَجَعَلَهُ أَخَا لِلْفَرْزَدَقِ ، وَهَذَا مِنْ عَجَبِ الْعَجَبِ ، إِذْ
الْفَرْزَدَقُ مُسْلِمٌ وَأَبُوهُ وَجَدَهُ صَعْصَعَةَ صَحَابِي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ
أَنْ يَكُونَ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي أَخَاهُ ، وَصَعْصَعَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ صَحْبَةٌ لَكِنَّهُ لَمْ
يَهَاجِرْ ، وَهُوَ الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَةَ ، وَبِهِ افْتَخَرَ الْفَرْزَدَقُ فِي قَوْلِهِ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :
وَجَدْتُ الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ فَأَحْيَا الْوَيْدَةَ فَلَمْ تُؤَادِ^(٢)
قِيلَ : إِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحْبَبُ أَلْفِ مِائَةِ وَوَدَّ وَحَلَّ عَلَى أَلْفِ فَرَسٍ .

وَأُمُّ الْفَرْزَدَقِ لَيْلَى بِنْتُ حَابِسٍ^(٣) أخت الأقرع بن حابس رضى الله عنه !
روى الفرزدق رحمه الله عن علي بن أبي طالب ، وأبي هريرة ، والحسين ،

(١) تجيد ترجمة الفرزدق في الأغاني (٨ - ١٨٦ - ١٩٧) وفيه أيضا (١٩)
(٢ - ٥٢) . وفي ابن خلكان (٣ - ١٣٦ - ١٤٦) . وفي ابن قتيبة (٢٨٩)
(٣٠١) .

(٢) في المطبوعتين « ولم يؤد » وهو تحريف ، وما أثبتناه عن الأغاني
وعن ابن خلكان .

(٣) كذا ، والصواب أن أم الفرزدق لبنة بنت قرظة الضبية ، نص عليه
أبو الفرج في الأغاني (١٩ - ٢) وقال ابن قتيبة (٢٩٦) : « وخال الفرزدق
هو العلاء بن قرظة الضبي ، وكان شاعرا » وأما ليلى بنت حابس فهي أم غالب
أبي الفرزدق . نص عليه أبو الفرج وابن خلكان الذي أخذ عنه المؤلف : أكثر
ما في هذه الترجمة ، وكذلك نص عليه ابن قتيبة .

وابن عمر ، وأبى سعيد الخدري رضى الله تعالى عنهم أجمعين .
 ووفد على الوليد وسليمان ابني عبد الملك ومدحهما . قال ابن النجار : ولم أر له
 وفادة على عبد الملك بن مروان ، وقال السكابي رضى الله عنه : وفد على معاوية ،
 ولم يصح . روى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال : دخلت على الفرزدق
 فتحرك فإذا في رجله قيد ، قلت : ما هذا يا أبا فراس ؟ قال : حلفت أن لا
 أخرجه من رجلى حتى أحفظ القرآن . وكان كثير التعظيم لقبر أبيه ، فاجاءه أحد
 واستجار به إلا قام معه وساعده على بلوغ عرضه .

وقد اختلف أهل المعرفة بالشعر فيه وفي جرير في المناضلة بينهما ، والأكثرون
 على أن جريراً أشعر منه ، وقد أنصف الاصفهاني فقال : أما من كان يميل إلى
 جودة الشعر وفخامته وشدة أسرهِ فيقدم الفرزدق ، وأما من كان يميل إلى أشعار
 المطبوعين وإلى الكلام السمع الغزل فيقدم جريراً .

وكان جرير قد هجا الفرزدق بقصيدة منها [من الوافر] :

وَكُنْتُ إِذَا نَزَلَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتُ بِخَزِيَّةٍ وَتَرَكْتُ عَارَا

فاتفق أن الفرزدق بعد ذلك نزل بامرأة من أهل المدينة ، وجرى له معها
 قصة يطول شرحها ، وملخص الأمر أنه راودها عن نفسها بعد أن كانت أضافته
 وأحسنَت إليه ، فامتنعت عليه ، وبلغ الخبرُ عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وهو
 يومئذ والى المدينة المنورة ، فأمر بإخراجه منها ، فأركب على ناقه لينفي ، فقال :
 قاتل الله ابن المراغة - يعني جريراً - كأنه شاهد هذا الحال حين قال ، وذكر
 البيت السابق .

ومن شعره لما كان في المدينة المنورة [من الطويل] :

هُمَا دُلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْتَضَى بَارِ أَقْطَمِ الرِّيشِ كَاسِرُهُ
 فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ قَالَتَا أَحْيَى يُرْجَى أَمْ قَتِيلٌ نَحَازِرُهُ
 فَتَلَّتْ أَرْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُ وَابْنَا وَأَقْبَلْتُ فِي عَجَازٍ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ

أحاذر بوابين قد وكلاً بنا وأسود من ساجٍ قعر مسامره^(١)
فقال جرير لما بلغه ذلك [من الطويل] :

لقد وندت أم الفرزدق فاجراً فجاءت بوزواز^(٢) قصير القوام
يُوصَلُ حبله إذا جنَّ ليله لينقى إلى جاراته بالسالم
تدلّيت تزي من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلل والمكالم
هو الرّجس يأهل المدينة فاحذروا مداخل رجس بالخبيثات عالم
لقد كان إخراج الفرزدق عنكم طهوراً لما بين المصلّى وأقم
فأجاب الفرزدق عنها بقصيدة طويلة منها [من الطويل] :

وإن حراماً أن أسبّ مقاسماً بأبائى الشّم الكرام اتخضارم
ولكنّ نصفاً لو سببت وسبى بنو عبد شمس من مناف وهاشم
أولئك آبائى فجئى بمنهم واعتد أن أهجو كلياً بدارم

ولما سمع أهل المدينة أبيات الفرزدق الأول جاؤا إلى مروان بن الحكم
وهو والى المدينة من قبل معاوية ، فقالوا : ما يصلح هذا الشعر بين أزواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أوجب على نفسه الحد ! فقال مروان : لست أحده
ولكن أكتب إلى من يحذره ، وأمره بأن يخرج من المدينة ، وأجله ثلاثة أيام
لذلك ، فقال الفرزدق [من الوافر] :

توعدنى وأجلنى ثلاثاً كما وعدت لمهلكم نمود

(١) هكذا ورد هذا البيت فى أصول هذا الكتاب وفى ابن خلكان .
وقد ورد فى الأغاني هكذا :

أحاذر بوابين لا يشعروا بنا وأحمر من ساج تلوح مسامره
(٢) الوزواز : الرجل الخفيف الطياش . ووقع فى ابن خلكان « بوزاز »
وهى تؤدى معنى حسناً .

ثم كتب مروان إلى عامله كتاباً يأمره أن يحدّه ويسجنه ، وأوهمه أنه كتب له بجائزة ، ثم ندم مروان على ما فعل ، فوجه سفيراً وقال للفرزدق :
إني قد قلت شعراً فاسمعه [من الكامل] :

قَالَ لِلْفَرَزْدَقِ وَالسَّفَاهَةَ كَلِمَةً
وَإِنْ اجْتَنَيْتَ مِنَ الْأُمُورِ عَظِيمَةً
وَدَعِ الْمَدِينَةَ إِنِّيَا مَرَهُوبَةً
فَلَمَّا وَقَفَ الْفَرَزْدَقُ عَلَيْهَا فَظَنَ لَمَّا أَرَادَ مَرْوَانَ فَرَمَى الصَّحِيفَةَ وَقَالَ :

يَا مَرْوُ إِنِّي مَطِيتِي مَحْبُوسَةً
أَلْقِ الصَّحِيفَةَ يَا فَرَزْدَقُ لَا تَكُنْ
وَرَجَوْا الْحَبَاءَ وَرَبُّهُمْ يَبَاسُ
نَكِدَاءَ مِثْلَ صَحِيفَةِ الْمُتَلَسِّسِ^(٢)
وَحَبَوْتَنِي بِصَحِيفَةٍ مَحْتَمُومَةٍ
يُخْشَى عَلَى بَهَا حَيَاهِ الْنَقَرَسِ

وأتى سعيد بن العاص الأموي ، وعنده الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر
رضي الله تعالى عنهم ، فأخبرهم الخبر ، فأمر له كل واحد بمائة دينار وراحلة ،
وتوجه إلى البصرة ، فقبل لمروان : أخطأت فيما فعلت ، فانك عرضت عرضك

(١) اجلس : اثنت الجلساء ، وهي بلاد نجد .

(٢) صحيفة المتلسس : مضرب المثل ، وكان الملك عمرو بن هند قد أوهم
المتلسس - واسمه جرير بن عبد المصيح - وطرفة بن العبد البكري أنه أمر
لها بحباء وعطية ، وكتب لسكل واحد منهما كتاباً إلى عامله يأمره بقتله إذا
ورد عليه ، أما المتلسس فأقرأ صبيّاً كتابه فعلم ما فيه ، فرمى به في اليم ، والتبس
النجاح ، وأما طرفة ففضى لطيفته حتى إذا ورد على عامل الملك ، أخذه فقتله ،
وفي قذف المتلسس صحيفة ، يقال ذلك الشعر المشهور :

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كِي يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا
وَأَقْرَأَ تَرْجَمَةَ الْمُتَلَسِّسِ فِي الشَّعْرِ وَالشَّعْرَةَ لَا بَيْنَ قَتِيلَةٍ (ص ٨٥) وَأَقْرَأَ تَرْجَمَةَ
طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ فِيهِ أَيْضًا تَالِيَةً لِتَرْجَمَةِ الْمُتَلَسِّسِ .

لشاعر مضر ، فوجه إليه رسولا و معه مائة دينار ، وأرحله ^(١) خوفا من هجائه .
ونزل يوما في بني منقر والحلي خلوف ، فجاءت أفعى فدخلت مع جارية
فراشها ، فصاحت ، فاحتال الفرزدق فيها حتى انسابت ، ثم ضم الجارية إليه
فزبرته ونحّته عنها فقال [من الطويل] :

وَأَهْوَنُ عَيْبِ الْمِنْقَرِيَةِ أَنَّهَا شَدِيدُ بَيْطَانِ الْخَنْظَلِيِّ لُصُوقُهَا
رَأْتُ مِنْقَرًا سَوْدًا قِصَارًا وَأَنْصَرَتْ قَتْنِي دَارِمِيًّا كَالْهَلَالِ يَرُوقُهَا
وَمَا أَنَا هَجْتُ الْمِنْقَرِيَةَ لِلصَّبَا وَلَكِنَّمَا اسْتَمَصْتُ عَلَى عُرُوقِهَا
فلما هجها استعذت عليه زياداً فهرب إلى مكة المشرقة ، فأظهر زياد أنه لو
أناه لجباه فقال الفرزدق [من الطويل] :

دَعَانِي زِيَادٌ لِلْمَطَاءِ وَلَمْ أَكُنْ لِأَقْرَبِهِ مَا سَاقَ ذُو حَسْبٍ وَقَرَا
وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ يَرَى بِهِمْ قَفَرًا
وَأَنَّى لِأَلْحَشَى أَنْ يَكُونَ عَطَاؤُهُ إِذَا هُمْ سَوْدًا أَوْ مُحْجَرَةً سُمَرًا
قال ابن قتيبة : سوداً يعنى السياط ، والمحجرة : القيود ، وهذه الجارية يقال
لها ظمياء ، وهى عمة اللعين الشاعر المنقرى .

ودخل الفرزدق مع فتيان من آل المهلب في بركة يتبردون فيها ، ومهم ابن
أبى علقمة الماجن ، فجعل يتفات إلى الفرزدق ويقول : دعوني أنكحه فلا يهيجونا
أبدًا ، وكان الفرزدق من أجبن الناس ، فجعل يستغيث ويقول : لا يس جلده
جلدى ، فيبلغ ذلك جريرا فيوجب على أنه قد كان منه إلى الذى يقول ، فلم يزل
يناشدهم حتى كفّوه عنه .

وركب يوما بقلته ومربسوة ، فلما حاذاهن لم تتمالك البغلة ضراطا ، فضحك منه
فالتفت إليهن وقال : لا تضحكن فما حملتنى أنثى إلا ضرطت ، فقالت إحداهن :
ما حملك أكثر من أمك ، فأراها قد قاست منك ضراطا عظيما ، فحرك بقلته وهرب .

ويقال : إنه مر وهو سكران على كلاب مجتمعة فسلم عليهم ، فلما لم يسمع الجواب أنشأ يقول [من الوافر] :

فأردّ السلامَ شيوخُ قَوْمٍ مَرَّتْ بِهِمْ عَلَى سِكَكِ الْبَرِيدِ
وَلَا سَيْبًا الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ قُطِيعَةُ أَرْجُوَانٍ فِي الْقُعُودِ
وقال : ما أعياني جوابُ قطٍ إلا جواب دَهْقَانِ مرّة ، قال لي : أنت الفرزدق
الشاعر ؟ قلت : نعم ، قال : إن هجوتني تخرب ضيعتي ؟ قلت : لا ، قال : فتמות
عيشونة ابنتي ؟ قلت : لا ، قال : فرجلى إلى عنقي في حر أمك ، فقلت :
ويحك ، لم تركت رأسك ؟ قال : حتى أنظر أي شيء تصنع يا ابن الزانية .

وكان الفرزدق يقول : خير السرقة ما لا يقطع فيه ، يعنى بذلك سرقة الشعر .
وقال : قد علم الناس أني أغل الشراء ، وربما أتت على الساعة وقلع
ضرس من أضرارى أهون على من قول بيت .

ومن جيد شعره قوله [من الكامل] :

قالت وكيف يميلُ بِمِثْلِكَ لِلصَّبَا وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْحَلِيمِ وَقَارُ
وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْسَ يُصْبِحُ بِجَانِبِهِ نَهَارُ
وقيل لعين المنقري : اقض بين جرير والفرزدق ، فقال [من الوافر] :

سأقضي بين كلب بنى كليب وبين القَيْنِ قَيْنِ بَنِي عِقَالِ
فإنَّ السَّكْبَ مَطْعَمُهُ خَبِيثُ وَإِنَّ الْقَيْنَ يَعْمَلُ فِي سَفَالِ
فما بَقِيًّا عَلَى نَزَكَتَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرْدَ النَّبَالِ

وقال أبو عمرو بن العلاء : حضرت الفرزدق وهو يجود بنفسه ، فما رأيت
أحسن ثقة منه بالله تعالى .

توفي سنة عشر ومائة ، وقيل : سنة اثنتي عشرة ، وقيل : سنة أربع عشرة .
ورثاه جرير بأبيات منها قوله [من الطويل] :

فَلَا وَلَدْتُ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حَامِلٌ وَلَا ذَاتُ بَعْلٍ مِنْ فَنَاسٍ تَعْلَتِ
هُوَ الْوَفْدُ الْمِيْمُونُ وَالرَّاتِقُ النَّأَى إِذَا التَّعْلُ يَوْمًا بِالْعَشِيرَةِ زَلَّتِ
ورثاه أيضاً بغير ذلك .

وقال ابنه لبطة : رأيت أبي في المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : نفعني
الكلمة التي نازعت فيها الحسن عند القبر ، وذلك أن الحسن البصري لما وقف
على قبر النوار زوجة الفرزدق ، والفرزدق واقف معه والناس ينظرون ، فقال الحسن :
ما للناس ؟ فقال الفرزدق : ينظرون خيراً للناس ، وشر الناس ، فقال : إني لست
بخيرهم ولست بشيرهم ، ولكن ما أعددت لهذا المضطجع ؟ فقال : شهادة أن لا إله
إلا الله منذ سبعين سنة .

ورؤى في النوم قتيلاً له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بإخلاصي يوم الحسن
وقال : لولا شيبتك لعذبتك بالنار .

وقصته في تزوجه بالنوار ابنة عمه شبيبة ، وورث منها أولاداً ، وهم : لبطة
وسبطة وكطبة ، وليس لواحد منهم عتب .

*

* *

٨ — سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَكَسَّكَبُ عَيْنَيَّ الدَّمْعَ لِتَجْمَدَا

شاهد التعقيد
المعنوي

البيت للعباس بن الأحنف^(١) من أبيات من الطويل
والشاهد فيه السبب الثاني الحاصل به التعقيد ، وهو : الانتقال ، فإن
معنى البيت : أطلب وأريد البعد عنكم أيها الأحبة لتقربوا ، إذ من عادة الزمان
الائتيان بضد المراد ، فإذا أريد البعد يأتي الزمان بالقرب . وأريد وأطلب
الحزن الذي هو لازم البكاء ليحصل الشرور بما هو من عادة الزمان ، فأراد

(١) اشتهرت نسبة هذا البيت إلى العباس بن الأحنف ، وهو لا يوجد
في ديوانه المطبوع في استامبول ١٣٩٨ .

أَنْ يَكْفِيَ عَمَّ يُوجِبُهُ دَوَامُ التَّلَاقِ مِنَ السَّرُورِ بِالْجُودِ ، لَفْظُهُ أَنَّ الْجُودَ هُوَ
 خُلُقُ الْعَيْنِ مِنَ الْبُكَاءِ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ شَيْءٍ آخَرَ ، وَأَخْطَأُ فِي مُرَادِهِ ، إِذْ
 الْجُودُ هُوَ خُلُقُ الْعَيْنِ مِنَ الْبُكَاءِ حَالَةً إِرَادَةَ الْبُكَاءِ مِنْهَا ، كَقَوْلِ أَبِي عَطَاءٍ يَرْنَى
 ابْنُ هُبَيْرَةَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَأَسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارٍ دَمْعَهَا لَجُودُ
 وَقَوْلِ كَثِيرٍ عِزَّةٍ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْعَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِهَا غَدَاةَ الشَّبَابِ لَأَعْيِيرَ أَلَوْجِدَ تَعَمُّدُ
 فَلَا يَكُونُ الْجُودُ كِتَابَةً عَنِ السَّرُورِ ، بَلْ عَنِ الْبُخْلِ ، فَيَكُونُ الْإِتِّقَالُ مِنْ
 جُودِ الْعَيْنِ إِلَى بُخْلِهَا بِالدَّمْعِ ، لَا إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنَ السَّرُورِ ، وَلَوْ كَانَ فِي الْجُودِ
 صِلَاحَةٌ لِأَنَّ يَرَادُ بِهِ عَدَمُ الْبُكَاءِ حَالِ الْمَسْرَةِ ، لَجَازَ أَنْ يَقَالَ فِي الدَّعَاءِ « لَا زَالَتْ
 عَيْنُكَ جَامِدَةً » ، كَمَا يَقَالُ « لَا أَبْكِي اللَّهَ عَيْنُكَ » ، وَهَذَا غَيْرُ مُشْكُوكٍ فِي بَطْلَانِهِ
 وَعَلَيْهِ قَوْلُ أَهْلِ اللُّغَةِ « سَنَةٌ جَادٌ » أَيْ لَا مَطَرُ فِيهَا ، وَنَاقَةٌ جَادٌ أَيْ لَا لَبَنَ فِيهَا .
 وَقَدْ فَسَّرَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ هَذَا الْبَيْتَ بِغَيْرِ هَذَا ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ قَتِيرٌ يَمُودُ
 عَنْ أَهْلِهِ وَيَسَافِرُ لِيَحْصُلَ مَا يُوْجِبُ لَهُمُ الْقُرْبَ ، وَتَسْكَبُ عَيْنَاهُ الدَّمْعَ فِي بَعْدِهِ
 عَنْهُمْ لَتَجْمَدَا عِنْدَ وَصُولِهِ إِلَيْهِمْ . وَأُنْشِدُ [مِنَ الطَّوِيلِ] ^(١)

تَقُولُ سَلِيمِي لَوْ أَقْبَتَ بَارِضُنَا وَلَمْ تَذَرِ أَقْنَى لِلْمَقَامِ أَطُوفُ

وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ — وَقَدْ صَلَّى طَوِيلَ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَصْبَحَ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ :
 أَتَعْبَتِ نَفْسُكَ — فَقَالَ : رَاحَتَهَا أَطْلُبُ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ رُوحِ بْنِ حَاتِمِ بْنِ قَبِيصَةَ
 ابْنِ الْمُهَلَّبِ — وَنَظَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ وَاقِفًا بِيَابِ النُّصُورِ فِي الشَّمْسِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ :
 قَدْ طَالَ وَقُوفُكَ فِي الشَّمْسِ — فَقَالَ رُوحٌ : لِيَطُولَ قَعُودِي فِي الظِّلِّ .
 وَقَوْلُ الزَّجَجِ فِي أَمَالِيهِ : أَخْبَرْنَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ ، قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا بِمَحْضَرَةِ

(١) البيت لعروة بن الورد ، وانظر الموازنة (ص ٦١ بتحقيقنا)

مطلب ، فأسرعت القيام قبل اعضاء المجلس ، قال لى : إلى أين ؟ ما أراك تصبر
عن مجلس الخلفى ! معنى المبرد ، قلت له : لى حجة ، قال لى : لى أراه فحتم
البحرئى على أبى تمام ، فاذا أتيتَه قلت له : ما معنى قول أبى تمام [من أوافر] :
أَلْفَةً التَّجْبِيرُ كَمِ افْتِرَاقٍ أَظْلُ فَكُلُّ دَاعِيَةِ اجْتِمَاعٍ
قال أبو الحسن : فلما صرت إلى أبى العباس المبرد سألتُه عنه ، قال : معنى
هذا أن المتجابين والمتماشقين قد يتصارمون ويتهلجان دلالة ، لا عزما على
القطيعة ، فاذا حلن الرجل وأحس بالفراق ، ترجأ إلى الوداد ، وتلقا
خوف الفراق ، وأن يطول العهد باللقاء بعده ، فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع
كما قال الآخر [من الخفيف] :

مُتَّماً بِالْفِرَاقِ يَوْمَ الْفِرَاقِ مُتَجَبِّرِينَ بِالْبُكَ وَالْعَنَقِ
وَأَظْلُ الْفِرَاقُ فَلْتَقِيَا فِيهِ سِهَ فِرَاقُ أَتَاهُمَا بِمَدَقِ
كَيْفَ أَدْعُو عَلَى الْفِرَاقِ بِحُتْفٍ وَغَدَاةَ الْفِرَاقِ كُلُّ التَّلَاقِ ؟

قال : فلما عدت إلى مجلس مطلب سألتى عنه ، فأعدت عليه الجواب
والآيات ، قال : ما أشد تمويهه ! ما صنع شيئا ! إنما معنى البيت : أن الإنسان
قد يفارق محبوبه رجاء أن يفهم فى سفره فيعود إلى محبوبه مستغنياً عن التصرف
فيطول اجتماعه معه ، ألا تراه يقول فى البيت الثانى :

وَلَيْسَتْ فُرْجَةُ الْأَوْبَابِ إِلَّا بِمُوقِفٍ عَلَى تَرَجِ الْوَدَاعِ

وهنا نظير قول الآخر ، بل منه أخذ أبو تمام :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكَ لِتُزَوِّبُوهُ وَتُسَكِّبُ عَيْنِي الدَّمُوعَ لِتَجْمُدَا
هَذَا ذِكْرُ بَيْتِهِ .

، وذكرت بما تقدم آنفا من أن مدة الزمان الالئى بضد المراد ، أى : وإن كل
على وفق الإرادة الالهية قولُ الباخرزى [من الكامل] :

وَلَطَمْنَا اخْتَرْتُ الْفِرَاقَ مُفَالِطًا وَاحْتَلْتُ فِي اسْتِمَارِ غَرَسِ وَدَادِي

ترجمة العباس
لأحنف

وَدَغَيْتُ عَنْ ذِكْرِ الْوَصَالِ لَأَنْهَا تَبَيُّ الْأُمُورُ عَلَى خِلَافٍ مُرَادَى
والعباس (١) بن الأحنف هو خال إبراهيم بن العباس الصولي، وهو حنفي يماشي،
وكان رفيق الحاشية، لطيف الطباع، وله مع الرشيد أخبار، قال بشار: ما زال
غلام من بني حنيفة يُدخل نفسه فينا ويخرجها حتى قال [من البسيط] (٢):

أُبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا ابْتِظُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا
وَاسْتَبْصَوْنِي فَلَمَّا قُتِّ مُنْتَصَبًا بِنَقْلِ مَا حَمَلُونِي مِنْهُمْ قَعَدُوا
لَا تُخْرِجَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَحْبَهُمْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ

وكان في العباس آلات الظُّرْف: كان جميل المنظر، نظيف الثوب، فارة
المركب، حسن الألفاظ، كثير النوادر، شديد الاحتمال، طويل المساعدة.

طلبه يحيى بن خالد البرمكي يوما فقال: إن مارية هي الغالبة على أمير
المؤمنين، وإنه جرى بينهما عتب، فهي برة دالة المعشوق تأتي أن تغسدر،
وهو بمرء خلافة وشرف الملك والبيت يأبى ذلك، وقد رُمْتُ الأمر من قبلها
فأعيايت، وهو أخرى أن تستغزله الصبا، فقل شعرا تسهل به عليه هذه القضية
وأعطاه دواة وقرطاسا، فطلبه الرشيد فتوجه إليه، ونظم العباس قوله
[من الكامل] (٣):

العاشقان كِلَاهُمَا مُتَغَضِّبٌ وَكِلَاهُمَا مُتَوَجِّدٌ مُتَجَنِّبٌ

(١) تجدد للعباس بن الأحنف ترجمة في ابن خلكان (١ - ٣٨٨) وفي
الأغاني (٨: ١٥ - ٢٥).

(٢) في الديوان (٥٠) أول وثاني ورابع ستة أبيات، وفيه في عجز الثاني
« بشقل ما حملوا من ودم... »

(٣) في الديوان (١٨) وفيه في عجز الأول * وكلاهما متشوق متطرب *
وفي الثاني « مراغة » و « مراغما » و « مما يعالج يتمب » وفيه في الرابع
« إن تمسكن منكما ».

صَدَّتْ مُفَاضِيَةً وَصَدَّ مُفَاضِيًا وَكَلَاهَا مِمَّا يُمَالِجُ مُنْعَبُ
رَاجِعُ أَجْنَبِكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنَّ الْبَتِّيمَ قَلْبًا يَتَجَنَّبُ
إِنَّ التَّجَنُّبَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكَ دَبَّ السُّلُوكُ قَعْرُ الْمَطْلَبِ

ثم قال لأحد الرسل : أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات ، فان كان فيها
مقنع وجهت بها إليه ، فعاد الرسول ، وقال : هاتها فني أقل منها مقنع ، فكتب
الآبيات وكتب تحتها أيضاً [من السريع] (١) :

لَا بَدْءَ لِلْعَاشِقِ مِنْ وَقْفَةٍ تَكُونُ بَيْنَ الْوَصْلِ وَالصَّرِيمِ
حَتَّى إِذَا الْهَجْرُ تَمَازَى بِهِ رَاجِعَ مَنْ يَهْوَى عَلَى رَغَمِ

فدفع بحمي الرقعة إلى الرشيد ، فقال : والله ما زأيت شعراً أشبه بما نحن فيه
من هذا الشعر ، والله لكأنني قُصِدْتُ بهذا ، فقال : والله يا أمير المؤمنين وأنت
المقصود به ، فقال الرشيد : يا غلام ، هات نعلي فأنني والله أراجعها على رَغَمِ ،
قمهض ، وأذهله السرور أن يأمر للعباس بشيء ، ثم إن مارية لما علمت بمجيء
الرشيد إليها تلقته ، وقالت : كيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فأعطهاها الشعر ، وقال :
هذا الذي جاء بي إليك ، قالت : فمن قاله ؟ قال : العباس بن الأحنف ، قالت :
فهم كوفي ؟ قال : ما فعلت بعد شيئاً ، فقالت : والله لا أجلس حتى يكفأ ، فذر
له بمال كثير ، وأمرت هي له بدون ذلك ، وأمر له بحمي بدون ما أوتت به ، وحمل
على بردون ، ثم قال له الوزير : من تمام النعمة عندك أن لا تخرج من الدار حتى
تؤثِّل لك بهذا المال ضيعة ، فاشترى به ضياعاً بجملة من ذلك المال ودفع إليه بقيته .
وحدث أبو بكر الصولي عن أبي زكريا البصري قال : حدثني رجل من
قريش قال : خرجت حاجاً مع رفقة لي ، فمررنا عن الطريق لنصلي ، فجاءنا غلام

(١) في الديوان (١٤٥) أول ورابع أربعة أبيات ، وفيه صدر ثاني هذين

• حتى إذا ما مضى شوقه •

قال لنا : هل فيكم أحدهم أهل البصرة ؟ فقلنا : كلنا من أهل البصرة ، فقال :
إن مولاي من أهلها ، ويدعوكم إليه ، فقمنا إليه ، فاذا هو نازل على عين ماء ، فجلسنا
حوله ، فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفاً ، وأنشأ يقول [من الرمل]^(١) :

يَا بَيْدَ الدَّارِ عَنْ وَطْنِهِ مُرْدًا يَبْكِي عَلَى شَجْنِهِ
كَلًّا جَدَّ الرَّحِيلُ بِهِ زَادَتْ الْأَسْقَامُ فِي بَدَنِهِ

ثم أغنى عليه طويلاً ونحن جلوس حوله إذ أقبل طائر فوقع على أعلى شجرة
كان تحتها ، وجعل يغرّد ، ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ، ثم أنشأ يقول :
وَلَقَدْ زَادَ الْفُؤَادَ شَجًى طَائِرٌ يَبْكِي عَلَى فَنَنِهِ
شَقُّهُ مَا شَفَقَى فَبِكِي كُلُّنَا يَبْكِي عَلَى سَكَنِهِ

ثم تنفس نفساً فاضت معه نفسه ، فلم نبرح عنده حتى غسلناه وكفناه وتوليناه
الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس بن الأحنف .
وكانت وفاته سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل : سنة اثنتين ، وما ذكر من
أنه مات هو والكسائي وإبراهيم الموصلي وهشيمة الحنابلة في يوم واحد ، وأن الرشيد
أمر المأمون أن يصلي عليهم ، وأنه قدم العباس بن الأحنف رحمه الله لقوله
[من الكامل] :^(٢)

وَسَعَى بِهَا قَوْمٌ وَقَالُوا إِنَّهَا لَكِي الَّتِي تَشْفَى بِهَا وَتُكَابِدُ
تَجِدُهُمْ لَيْكُونَ غَيْرَكَ ظَنُّهُمْ إِنِّي لِعَجَبِي الْحَبِيبُ الْجَاهِدُ

(١) في الديوان (١٦٢) أربعة أبيات ، غير متعاقبة على هذا الترتيب
وفيه في أولها « يا غريب الدار » وفي ثاني هذه « جد البكاء » ودبت الأسقام »
وأربعة الأبيات في ابن خلكان مع القصة بترتيبها هنا ، لكن بالالفاظ التي
في الديوان .

(٢) في الديوان (٤٨) ضمن قصيدة ، وفيه في صدر الأول وسمالك لي
قوم وقالوا » .

ففيه نظر ، لأن الكسائي مات سنة تسع وثمانين ومائة ، على خلاف فيه ، وما كان المأمون من يقدم العباس على مثل الكسائي ، وأيضا فقد روى الصولي أنه رأى العباس بن الأحنف بعد موت الرشيد بمنزله بباب الشام ، والله أعلم أى ذلك كان .

ومن شعره [من الطويل] ^(١) :

وَحَدَّثَنِي يَا سَعْدُ عَنْهُمْ فَرَدَّتَنِي
جُنُونًا فَرَزَنِي مِنْ حَدِيدِكَ يَا سَعْدُ
هَوَاهُوَى لَمْ يَعْرِفِ الْقَلْبُ غَيْرَهُ
فَلَيْسَ لَهُ قَبْلُ وَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ

ومنه أيضا [من الطويل] ^(٢) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْلُقْكَ إِلَّا شَفَاعَةُ
فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَكُونُ بِشَافِعِ
وَأَقِمْ مَاتَرَكِي عِتَابَكَ عَنْ قَلْبِي
وَلَكِنْ لِعَلِمِي أَنَّهُ غَيْرُ نَافِعِ
وَأِنِّي إِنْ لَمْ أَزِمِ الصَّبْرَ طَائِعًا
فَلَا بَدَّ مِنْهُ مُكْرَهًا غَيْرَ طَائِعِ

ومن رقيق شعره قوله من جملة قصيدة [من الكامل] ^(٣) :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَعْدُبُ نَفْسُهُ
أَقْصَرُ فَإِنْ شِفَاءَكَ الْإِقْصَارُ
نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِرْ
عَيْنَا يُعِينُكَ دَمْعُهَا الْمُدْرَارُ
مَنْ ذَا يُمِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا
أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تَمَارُ ؟

وشعره كله جيد ، وجميعه في الغزل لا يكاد يوجد فيه مدح . رحمه الله تعالى !

(١) في الديوان (٥٨) أول وثالث ثلاثة أبيات ، وفيه في ثانی هذين « لم يعلم القلب » .

(٢) في الديوان (٩٨) خامس وثاني وثالث خمسة أبيات ، وفيه في ثالث هذه « وأنى إذا لم أزم »

(٣) في الديوان (٦٨) ضمن قصيدة ، وفيه في أول هذه « المعذب قلبه » وفي ثانیها « عينا لغيرك دمعا مدرار » .

٩ - * سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدٌ *

شاهد كثرة
التكرار

وقال أبو الطيب المنيني ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها سيف الدولة بن

حمدان أولها (١) :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدِ وَإِنَّ ضَجِيعَ الْخُودِ مِثْلُ لَمَاجِدِ
يَرُدُّ يَدًا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ وَيَعْمَى الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ
مَتَى يَشْتَقِي مِنْ لَاعِجِ الشُّوقِ فِي الْحَشَا مُحِبٌّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدٌ
إِذَا كُنْتَ نَحْشَى الْعَارِ فِي كُلِّ خُلُوقِ فَلِمَ تَنْصَبُّكَ الْحِسَانُ الْخُرَائِدُ
أَلْحَ عَلَى السَّعْمِ حَتَّى أَلْفَنَهُ وَمَلِّ طَبِيبِي جَانِبِي وَالْعَوَائِدُ
أَهْمُ بَشَى وَالْيَالَى كَأَنَّهَا تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ
وَحِيدٌ مِنَ الْخِلَافِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ
وَتُسَعَّدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ

ومنها قوله في المديح :

خَلِيلُ بَنِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَكَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمَنِ الْقَصَائِدُ (٢)
فَلَا تَعْجَبْ إِنْ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

والسبوح : الفرس الحسن الجرى ، يقال : فرسٌ سابجٌ وسبوح ، وخيل سوابج

(١) في الديوان (١ - ٢٦٨) .

(٢) في الديوان « فلم منهم الدعوى » وقال العكبري في شرحه : « قال أبو الفتح : لو قال * فكَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمَنِ الْقَصَائِدُ * لكان أحسن واشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم » اهـ . وأبو الفتح بن جني أعرف الناس بما قال أبو الطيب ، فلعل ما هنا إصلاح للكلام على وفق ما رغب فيه أبو الفتح .

لسبعها بيديها في سيرها . وسبوح : اسم فرس لربيعة بن جُثَم ، وهو مرفوع على أنه فاعل « تسعدني » .
والمعنى : وتعيني على توارد الغمرات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال هي لها منها أدلة عليها .
والشاهد فيه كثرة التكرار وتتابع الإضافات ^(١) وهي قوله « لها منها عليها » والله تعالى أعلم .

* * *

١٠ — * حَمَامَةٌ جَرَعًا حَوْمَةً الْجَنْدَلِ اسْجَعِي *

شاهد تنابع
الإضافات

قائله ابن بابك الشاعر المشهور ، من قصيدة من الطويل ، وتمامه :

* فَأَنْتِ بَمَرَأَى مِنْ سُمَادَ وَمَسْمَع *

والجرعاء : هي الرملة الطيبة المنبت لا وعرثة فيها ، أو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل ، أولدَّعْص لا ينبت ، أو الكتيب جانب منه حجارة وجانب رمل وحومة القتال : معظمه ، وكذلك من الماء والرمل وغيره ، والجندل : الحجارة ، والسجع : هدير الحمام ونحوه .

والمعنى : يا حمامة جرعاء هذا الموضع اسجعي وترني طرباً فأنت بمرأى من الحبيبية ومسمع ، فجدير لك أن تطربي إذ لا مانع لك منه .

والشاهد فيه : تنابع الإضافات ، فانه أضاف « حمامة » إلى « جرعاء » و « حومة » إلى « الجندل » وهو من عيوب الكلام .

قال القزويني : وفيه نظر ، لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم ، أي بقوله « من تنافر الكلمات مع فصاحتها » وإلا فلا يخل بالفصاحة ، كيف وقد جاء في التنزيل (مثل دأب قوم نوح) وقد

(١) في البيت كثرة التكرار ليس غير

قال صلى الله عليه وسلم « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » .

قيل : لانسلم وجود تتابع الاضافات في الحديث الشريف ، إذ لفظة الابن
صفة تاقبلها ، وليس ما قبلها مضافا إليها .

وعن صاحب بن عباد « إياك والاضافات المتداخلة فأنها لا تحسن »
وذكر الشيخ عبد القاهر أنها تستعمل في الهجاء كقول القائل [من الخفيف] :
يا على بن حمزة بن عماره أنت والله تلجة في خياره
قال : ولا شك في قتل ذلك ، لكنه إذا سلم من الاستكراه ملاح وظرف ،

ومما حسن فيه قول ابن المعتز [من الطويل] :

وظلّت تدِيرُ الرَّاحَ أَيْدِي جَادِرٍ عِثاقِ دَنَانِيرِ الْوُجُوهِ مِلَاحٍ

وقول الخالدي [من المنسرح] :

وَيَعْرِفُ الشَّعْرَ مِثْلَ مَعْرِفِي وَهُوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مُجْتَهِدٌ

وَصَبْرِي الْقَرِيضِ وَزَّانُ دَيْبِ نَارِ الْمَعَانِي الدَّفَاقِ مُنْتَقِدٌ

وهذان البيتان لسعيد بن هشام الخالدي ^(١) الشاعر المشهور من قصيدة يصف

فيها غلاماً له ، وهي بديعة فأجبت ذكرها ، وهي :

مَا هُوَ عَبْدٌ لَكِنَّهُ وَلَدٌ خَوَّلَنِيهِ الْمُهَيَّمُنُ الصَّمَدُ

وَشَدُّ أَرْبَى بِحُسْنِ خِدْمَتِهِ فَهُوَ يَدِي وَالذَّرَاعُ وَالْعُضْدُ

صَغِيرُ رَسَنِ كَبِيرُ مَنَفْعَةٍ تَمَازِجُ الضَّعْفِ فِيهِ وَالْجِلْدُ

فِي سَنٍّ بَدَرِ الدُّجَا وَصُورَتِهِ فَمَثَلُهُ يُصْطَفَى وَيُعْتَقَدُ

(١) هكذا وقع في أصول الكتاب ، ووقع في فوات الوفيات (١ - ٢١٨)

« سعد بن هاشم » وفي البيعة (٢ - ١٨٣ بتحقيقنا) « سعيد بن هاشم »

وهو الصواب ، وهو أبو عثمان الخالدي ، شاعر من شعراء سيف الدولة ،
وحافظ خزانة كتبه ، وأخوه أبو بكر كذلك ، وها الخالديان .

مُشَقُّ الطرفِ كُلُّهُ كَدَلٌ مَعَطَّلُ الْجِدِّ حَلِيَّةُ الْجَبَدِ
 وَوَرْدُ حَدِيثِهِ وَالشَّقَائِقُ وَالسَفَاحُ وَالْجَلَنَارُ مُتَنَزِّدُ
 رِيَاضِ حُسْنِ زَوَاهِرٍ أَبَدًا فَيَهِنُ مَالَهُ النِّعَمُ مُطَرَّدُ
 وَغَصْنُ بَابٍ إِذَا بَدَأَ وَإِذَا شَدَا فَقَمَرِيٌّ بَابُهُ غَرْدُ
 مُبَارَكِ الْوَجْهِ مَذْخُطٌ بِهِ بَالِي رَخِيٍّ وَعَيْشَتِي رَغْدُ
 أَنَسَى وَلَهْوِي وَكُلُّ مَا رَبَّيْتُ مَجْتَمَعٌ فِيهِ لِي وَمُنْفَرِدُ
 مُسَامِرِي إِنْ دَجَا الظَّلَامُ فَلِي مِنْهُ حَدِيثٌ كَأَنَّهُ الشَّهيدُ
 ظَرِيفٌ مَزْحٌ مَلِيحٌ نَادِرٌ جَزْهُرُ حُسْنِ شَرَارِهِ يَقْدُ
 خَازِنُ مَا فِي دَارِي وَحَافِظُهُ فَلَيْسَ شَيْءٌ لَدَيَّ مُتَنَزِّدُ
 وَمُنْفَقٌ مُشَقُّ إِذَا أَنَا أَسْرَقْتُ وَبَذَرْتُ فَهُوَ مُقْتَصِدُ
 يَصُونُ كُتُبِي فَكُلُّهَا حَسَنٌ يَطْوِي ثِيَابِي فَكُلُّهَا جَدُّ
 وَأَبْصَرُ النَّاسِ بِالطَّبِيخِ فَكَالْمَسْكِ الْقَلَايَا وَالْعَنْبَرُ الثَّرْدُ
 وَهُوَ يَنْدِيرُ الْمَدَامَ إِنْ جُلِيْتُ عَرُوسٌ دَنَتْ بِقَابِهَا الْزُبْدُ^(١)
 يَمْنَحُ كَأْسِي يَدًا أَنَامِلُهَا تَنْحَلُّ مِنْ لِيْنِهَا وَتَنْعَقِدُ
 تَقْفُهُ كَيْسُهُ فَلَا عِيُوجُ فِي بَعْضِ أَخْلَاقِهِ وَلَا أَوْدُ
 وَبَعْدَهُ الْبَيْتَانِ ، وَبَعْدَهُمَا أَيْضًا :

وَكَاتِبٌ تَوْجِدُ الْبَلَاغَةِ فِي الْفَنَاطَةِ وَالصَّوَابُ وَالرَّشْدُ
 وَوَاجِدٌ بِي مِنْ الْحُبِّ وَالسَّرَافَةِ أَضْعَافٌ مَا بِهِ أَجْدُ
 إِذَا تَبَسَّمتُ فَبَوَّ مُبْتَهِجٌ وَإِنْ تَنَمَّرْتُ^(٢) فَهُوَ مُرْتَعِدُ

(١) فِي الْأَصُولِ « عَرُوسُ بَكَرٍ » وَمَا أَثْبَتْنَاهُ عَنْ فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ .

(٢) فِي الْفَوَاتِ « وَإِنْ تَنَمَّرْتُ » .

ذَا بَعْضُ أَوْصَافِهِ وَقَدْ بَقِيَتْ لَهُ صِنَاتٌ لَمْ يَجْهَرْ أَحَدُ
 وَقَدْ عَارَضَهَا الشَّهَابُ بِقَصِيدَةٍ يَنْبَغُ فِيهَا غَلَامًا لَهُ، وَهِيَ [مِنَ الْمُسْرَحِ]:
 مَا هُوَ عَبْدٌ كَلَّا وَلَا وَلَدٌ إِلَّا عَنَاءُ تَضْنَى بِهِ الْكَدُّ
 وَفَرْطُ سَهْمٍ أَعْيَا الْأَسَاةَ فَلَا جِلْدٌ عَلَيْهِ يَبْقَى وَلَا جِلْدُ
 أَقْبَحُ مَا فِيهِ كُلُّهُ وَلَقَدْ تَسَاوَتْ الرُّوحُ مِنْهُ وَالْجَسَدُ
 أَشْبَهَ شَيْءًا بِالْقَرْدِ فَهُوَ لَهُ إِنْ كَانَ لِلْقَرْدِ فِي الْوَرَى وَلَدُ
 ذُو مَقْلَةٍ حَشْوُ جَنَاحِهَا عَمَصَ تَسِيلُ دَمْعًا وَمَاهِنًا رَمَدُ
 وَوَجْنَةٌ مِثْلُ صَبْغَةِ الْوَرَسِ لَكِنْ ذَاكَ صَافٍ وَلَوْهَا كَمَدُ
 كَأَنَّمَا الْخُدُ فِي نَظَافَتِهِ قَدْ أَكَلَتْ قَوْقُ صَحْنِهِ غُدْدُ
 يَقْطُرُ سَمًّا فَضَحَكُهُ أَبَدًا شَرُّ بُكَاءٍ وَبِشْرُهُ حَرْدُ
 يَجْمَعُ كَفَمِهِ مِنْ مَهَانَتِهِ كَأَنَّهُ فِي الْهَجِيرِ مُرْتَمِدُ
 يُطْرِقُ لَا مِنْ حَيًّا وَلَا خَجَلٍ كَأَنَّهُ لِلتَّرَابِ مُنْتَقِدُ
 أَلَسْكَ إِلَّا فِي الشَّمِّ يَنْبَغُ كَالْـ____ كَلْبٍ وَلَوْ أَنَّ خَصْمَهُ الْأَسَدُ
 يَشْتَمِي النَّاسَ حِينَ يَشْتَمُهُمْ إِذَا لَيْسَ يَرْضَى يَشْتَمُهُ أَحَدُ
 كِلَانٍ إِلَّا فِي الْأَكْلِ كُلِّهِ إِذَا مَا حَضَرَ الْأَكْلُ جَمْرَةٌ تَقْدُ
 كَالنَّارِ يَوْمَ الرِّيحِ فِي الْخُطْبِ الْـ____ يَابِسَ تَأَنَّى عَلَى الَّذِي تَجِدُ
 يَرْفُلُ فِي حُلْمَةٍ مُنْبَسَةِ مِنْ قَمَلِهِ رَقَمَ طَرْزَهَا طَرْدُ
 أَجَلُ أَوْصَافِهِ النَّصِيبَةُ وَالْـ____ كَذَبُ وَقُلُّ الْحَدِيثِ وَالْخَسَدُ
 كُلُّ غُيُوبِ الْوَرَى بِهِ اجْتَمَعَتْ وَهُوَ بِأَضْعَافٍ ذَاكَ مُنْفَرِدُ
 إِنْ قُلْتَ لَمْ يَدِرْ مَا أَقُولُ وَإِنْ قَالَ كِلَانًا فِي الْفَهْمِ مُتَّحِدُ
 كَانَ مَالِي إِذَا تَسَلَّمَهُ مَاءَ قَرَاحٍ وَكَفَّهُ سَرْدُ

حَمَلْتُهُ لِي دَوِيَّةٌ حَسَنَةٌ كُنْتُ عَلَيْهَا فِي الظَّرْفِ أَعْنَمُ
 كَمَثَلِ زَهْرِ الرِّيَاضِ مَا وَجَدْتُ عَيْنِي لَهَا مُشَبَّهًا وَلَا تَجِدُ
 فَرًّا يَوْمًا بِهَا عَلَى رَجُلٍ لَدَيْهِ عِلْمُ الصُّورِ يَسْتَنْدُ
 أَوْ دَعَا عَنْدهُ فَفَرَّ بِهَا وَمَا حَوَاهُ مِنْ بَعْدِهَا الْبَلَدُ
 فَبَا يَبْكِي فَظَلْتُ أَضْحَكُ مِنْ فَعَلِي وَقَلْبِي بِالْفَيْضِ يَنْقُدُ
 وَقَالَ لِي لَا تَخَفْ فِخَايَتَهُ مَسْهُورَةٌ الشَّكْلِ حِينَ يَنْقُدُ
 عَلَيْهِ ثَوْبٌ وَعَمَّةٌ وَلَهُ ذَقْنٌ وَوَجْهٌ وَسَاعِدٌ وَيَدُ
 وَقَاتِلْ بِهِ قَاتُ خَدُّهُ وَلَا وَزَنٌ تَجَاوِزِي بِهِ وَلَا عَدُ
 فَنِي الَّذِي قَدْ أَضَاعَهُ عِرْضُ وَهُوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مُجْتَهِدُ

ومثله قول راشد الكاتب في غلام له قد باعه ، وكان اسمه نفيسا فسماه خيسيا

[من البسيط] :

بِمَنَا خَيْسِيًّا فَلَمْ يَحْزَنْ لَهُ أَحَدُ وَغَابَ عَنَّا قَنَابَ الْهَمِّ وَالْكَدُ
 أَهْوَنُ بِهِ خَارِجًا مِنْ بَيْنِ أَظْهَرْنَا لَمْ نَنْقُدْهُ وَكَلْبُ الدَّارِ يُنْقُدُ
 قَدْ عَرَّيْتُ مِنْ ضَوْفِ الْخَيْرِ خِلْقَتَهُ فَلَا رُوءَاءَ وَلَا عَقْلٌ وَلَا جَلْدُ
 يَدْعُو الْفَعُولَ إِلَى مَا تَحْتَ مِثْرِهِ دُعَاءُ مَنْ فِي اسْتِهِ النَّيْرَانُ تَنْقُدُ
 وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا [من الطويل] :

عَرَضْنَا خَيْسِيًّا فَلَحْتِي كُلُّ تَاجِرٍ شِرَاهُ وَأَعْيَا يَنْعُهُ كُلُّ دَلَالٍ
 وَمَا بَاتَ فِي قَوْمٍ يُحِبُّونَ قَرْبَهُ فَأَصْبَحَ إِلَّا وَالْحَبُّ لَهُ قَالِي^(١)
 فَمَا فِي يَدَيْهِ خِدْمَةٌ يُشْتَمَى لَهَا وَلَا عَنْدهُ مَعْنَى يُرَادُ عَلَى حَالٍ
 بَلَى لَيْسَ يَخْلُو مِنْ مَعَايِبِ أَهْلِهِ وَإِنْ أَصْبَحُوا فِي ذِرْوَةِ الشَّرَفِ الْعَالِي

(١) قال : . يبغيض كارهه ، فلاه يقولوه ، وفلاه يقلبه : أبعضه .

إذا لم يجده فيهم . فمألاً زمامُ
وَيَحْتَالُ فِي اسْتِخْرَاجِ مَا فِي بُيُوتِهِمْ
وَابْنُ سَعْدٍ سَمِعَهُ سِرّاً أَمْرَهُ
وَيَعْبَثُ بِالْجِيرَانِ حَتَّى يُبْلَغَهُمْ
يُرِيهِمْ ضُرُوفَ الدَّهْرِ مِنْ حَقَائِقِهِ
أَقُولُ وَقَدْ مَرَوْا بِهِ يَرْضَوْنَهُ
بِمَعْضِ عِيُوبِ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْخَالِ
بِمَا قَصَرَتْ عَنْهُ يَدُ أَكْلٍ مُحْتَالٍ
وَكَاذَهُمْ فِيهِ رِيَاةٌ مُتَنَالٍ
وَيُرِيهِمْ أَهْلَ الدَّارِ بِالْقِلِيلِ وَالْقَالَ^(١)
أَعْلَاجِيْبَ لَمْ تَخْطُرْ يَوْمَهُمْ وَلَا بَالٍ
إِلَى النَّارِ فَازْهَبْ لَا رَجَعْتَ وَلَا مَالِي

وقال العلامة ابن الوردي رحمه الله يهجو عبداً له اسمه بهادر [من الطويل] :

بِهَادِرُ عَبْدٌ لَا يَهْلَا وَلَا دُرٌّ فَمَا أَنَا حَرْ يَوْمَ قَوْلِي لَهُ حَرْ

وأما ابن بابك فهو عبد الصمد^(٢) بن منصور بن الحسن بن بابك الشاعر المشهور أحد الشعراء الجيدين الكثيرين ، وهو بغدادى ، وله ديوان كبير وأسلوب رائع في نظم الشعر ، طاف البلاد ، ومدح الأكابر كمضد الدولة والصاحب بن عباد وغيرهما ، وأجرلوا له الجوائز ، وذكر صاحب اليتيمة أنه كان يَشْنُو في حضرة الصاحب بن عباد ويصيف في وطنه ، وقد ذكر ذلك في بعض قصائده^(٣) ، قال :
وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره فاستملحته ، وهو «أما ابن بابك ، وكثرة غشيانه بابك ، فأنما تُعْشَى منازل الكرام ، والمتهل العذب كثير الزحام»

ومن شعره في وصف الخمر من قصيدة [من الطويل] :

(١) يريم أهل الدار : يلهم ويورثهم السامة .

(٢) لابن بابك ترجمة في ابن خلكان (١-٥٣٢) وفي يتيمة الدهر للشعالبي

(٣) ٣٤٣ مصر

(٣) ذلك قوله :

وحادث بالصراج أخا اشتياق يلاعب ظله جسد مخيف

له بالريف من جرحان مشق وبالنخلات من غمى مصيف

عَفَارٌ عَلَيْهَا مِنْ دَمِ الصَّبِّ نُقْطَةٌ. وَنَ عِبْرَاتِ الْمُسْتَهَامِ قَوَاقِعُ^(١)
 مُعَوَّدَةٌ غَضَبَ الْعُقُولِ كَأَنَّمَا لَهَا عِنْدَ أَلْبَابِ الرُّجَالِ وَدَائِعُ
 تَحْيِيرٍ دَمْعُ الْمَزِينِ فِي كَأْسِهَا كَمَا تَحْيِرُ فِي وَرْدِ الْخُدُودِ الْمَدَامِعُ
 وله من أخرى في وصف إضرام النار في بعض غياض طريقه إلى الصاحب

[من البسيط] :

وَمَقْلَعٌ فِي مَجَزِ الشَّمْسِ مَسْجِبُهَا أَرْعَيْتَهَا فِي شَبَابِ السُّدَّةِ الشُّهْبَا
 حَتَّى أَرْتَنِي وَعَيْنُ الشَّمْسِ فَاتِرَةٌ وَجْهَ الصَّبَاحِ بِذِيلِ اللَّيْلِ مُنْتَقِبَا
 وَلَيْلَةٍ بَتُّ أَشْكُو الْهَمُّ أَوْلَهَا وَعَدْتُ آخِرَهَا أَسْتَجِدَّ الطُّرْبَا^(٢)
 فِي غَيْصَةٍ مِنْ غِيَاظِ الْحَسَنِ دَانِيَةٍ مَدَّ الظَّلَامُ عَلَى أُرَاقِهَا طُنْبَا^(٣)
 يُهْدِي إِلَيْهَا مُجَاجِ الْخَرِّ سَاكِنُهَا وَكَلَّمَ دَبَّ فِيهَا أَثْمَرَتْ لَهَا
 حَتَّى إِذَا النَّارِ طَاشَتْ فِي ذَوَائِبِهَا عَادَ الزُّمْرُدُ مِنْ عِيدَانِهَا ذَهَبَا
 مَرَقَتْ مِنْهَا وَتَفَرُّ الصُّبْحُ مُبْتَسِمٌ إِلَى أَغْرِ يَرَى الْمَذْخُورَ مَا وَهَبَا
 وله أيضاً [من البسيط] :

أَحْبَبْتُهُ أَسْوَدَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرَةَ فِي عَيْنِهِ عِدَّةٌ لِلْوَصْلِ مُنْتَظَرَةٌ
 لَدُنْ الْمَقْلَدِ مَخْطُوفِ الْحَشَا تَمَلَّأَ رَخَصَ الْعِظَامِ أَشْمُ الْأَنْفِ وَالْقَصْرَةَ
 لِلظُّلِيِّ لَفَتَتْهُ وَالْفَصْنِ قَامَتْهُ وَالرُّوْضِ مَا بَنَتْهُ وَالزَّمْلِ مَا سَتَرَتْهُ
 تَسْكَادُ عَيْنِي إِذَا خَضَتْ مُحَاسَنَهُ إِلَيْهِ أَثْمَرُهُ مِنْ رِقَّةِ الْبَشْرَةِ
 حَتَّى إِذَا قُلْتُ قَدْ أَمْلَكْتُهَا شَرَهَتْ شَوْقًا إِلَيْهِ وَفِي عَيْنِ الْحَبِّ شَرُهُ

(١) في اليتيمة « من دم الصب نفضة » .

(٢) في الأصول « بت سلواهم » ولعله محرف عن « بت سلواهم »

(٣) في اليتيمة « من رياض الحزن » وفي الأصول « على أوراقها » وما أثبتناه في هذه العبارة عن اليتيمة .

ومنه [من البسيط] :

زَمُّ النُّوْبِ وَأَصْوَاتُ النَّوَاعِيِ وَالشَّرْبُ فِي ظِلِّ أَكْوَاحِ الْمَنَاطِيِ
وَصَرَعَةُ بَيْنَ إِبْرِيْقٍ وَبَاطِيَةِ وَفَرَّةٌ بَيْنَ مِزْمَارٍ وَطَنْبُورِ
أَشْهَى إِلَى مَنِ الْبَيْدَاءِ أَعْيَفُهَا وَمِنْ طُلُوعِ الشَّيَا الشَّهْبِ وَالْقَوْرِ
يَارُبُّ يَوْمٍ عَلَى الْقَاطِلِ جَازِبِي صُبْحُ الزُّجَاجَةِ فِيهِ فَضْلَةُ النُّورِ
صَدَعْتُ طَرْتُهُ وَالشَّمْسُ قَاصِدَةٌ فِي يَلْقَى مِنْ ضَبَابِ الدَّجَنِ مَزْدُورِ
كَأَنَّ مَا انْهَلَتْ مِنْ أَهْذَابِ مَرْتَه دَمْعٌ تَسَاقَطَ مِنْ أَجْنَانِ مَهْجُورِ
فَيْنَ رَشَاشٍ عَلَى الرِّيحَانِ مُقْتَحِرِ وَمِنْ رَدَاذِ عَلَى الْمُنْشُورِ مَنُورِ
ومن شعره أيضا [من الكامل] :

وَعَذِيرُ مَاءٍ أَفْجَمَتْ أَطْرَافَهُ كَالدَّمْعِ لَمَّا ضَاقَ عَنْهُ بِجَالِ
قَمَرُ الرِّيَاضِ إِذَا الْغُصُونُ تَعَدَّلَتْ وَإِذَا الْغُصُونُ تَهَدَّلَتْ فَهَلَالُ
ومنه وهو غريب التشبيه [من البسيط] :

وَأَفَى الشَّتَا فَبَزَّ النُّورُ بَهْجَتِهِ فَعَلَ الْمَشِيبَ بِشَعْرِ اللَّعْمَةِ الرَّجُلِ
وَرَدَّدَ تَفَتَّحَ ثُمَّ ارْتَدَّدَ مُجْتَمِعًا كَمَا تَجْمَعُ الْآفَافُ لِلْقَبْلِ
وقد أخذته الأمير مجير الدين بن تميم مع زيادة التضمين فقال [من الكامل] :

سَيَقَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْحَدَاقِ وَرْدَةٌ وَأَتَتْكَ قَبْلَ أَوَانِهَا تَطْفِيلًا
طَمَعَتْ بِلَثْمِكَ إِذْ رَأَتْكَ فَجَمَعَتْ فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا
وهذا التضمين من بيت للمتنبي في وصف الناقة وهو [من الكامل] :

وَيُغَيِّرُنِي جَذْبُ الزَّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا
فنقله ابن تميم إلى وصف زرد الورد فأحسن غاية الإحسان ، وهو من قول
مسلم بن الوليد [من الكامل] :

وَالْعَيْسُ عَاطِفَةُ الرُّؤْسِ كَأَنَّمَا يَطْلُبْنَ سِرَّ حَثِّ فِي الْمَجْلِسِ
وفي مثل قول ابن تميم قول الخباز البلدي دوبيت :

ووردة تحكى بسبق الورد طليعة تسرعت من جُند
قد ضَمَّها في الغصن قرص البرد ضم فم لُقْبَلَةٍ مِنْ بُعْدٍ
وذكرت بهذا ما قاله صاعد اللقوى ^(١) صاحب كتاب الفصوص يصف
بأكورة ورد حلت إلى أبي عامر مجد بن أبي عامر الملقب بالنصور [من المتقارب] :

أَتَشْكُ أبا عامر وَرْدَةً يُحَاكِي لَكَ الْمِسْكَ أَنْفَاسَهَا
كَعُذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَطَطَّتْ بِأَكْلَامِهَا رَأْسَهَا

فاستحسن النصور ما جاء به ، فحسده الحسين بن العريف فقال : هي لباس
ابن الأحنف ، فناكره صاعد ، فقام ابن العريف إلى منزله ووضع أبياتا وأنتبتها
في صفح دفتر وقد نقض بعض أسطاره وأتى بها قبل افتراق المجلس ، وهي
[من المتقارب] :

عَشَوْتُ إِلَى قَصْرِ عَبَّاسَةٍ وَقَدْ جَدَلَ النَّوْمُ حُرَّاسَهَا
فَالْقَيْتُهَا وَهِيَ فِي خِدْرِهَا وَقَدْ صَدَعَ السَّكْرُ أَنْفَاسَهَا ^(٢)
فَقَالَتْ : أَسَارِ عَلَى جَمْعَةٍ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، قَرَمْتُ كَلْسَهَا
وَمَدَّتْ إِلَى وَرْدَةٍ كَفَّهَا يُحَاكِي لَكَ الْمِسْكَ أَنْفَاسَهَا
كَعُذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَطَطَّتْ بِأَكْلَامِهَا رَأْسَهَا
وَقَالَتْ خَفِ اللَّهُ لَا تَفْضَحْ حَسَنٌ فِي ابْنَةِ عَمِّكَ عَبَّاسَهَا
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى غَفْلَةٍ وَلَا خُنْتُ نَامِي وَلَا نَامَهَا

قال : فنجعل صاعد ، وحلف فلم يقبل منه ، وافترق المجلس على أنه سرقتها

(١) له ترجمة في نفع الطيب (٢ - ٢٧٦ بولاق) وفي الذخيرة لابن بسام

(ق ٤ ج ١ ص ٢) وقد رويت هنالك القصة والأبيات كلها .

(٢) في المطبوعتين « إيناسها » وما أنتبتناه موافق لما في الذخيرة والنفع

وتمكنت في صاعد لأنه كان يوصف بغير الثقة فيما ينقله .

ومن شعر ابن بابك يصف زملاؤه وهو معنى جيد [من الكامل] :

وَقَدْ تَبَيَّنَتْ إِلَيْكَ تَحْمِلُ بَرِّي حَرْفٌ يُسَكِّنُ مَيْشِبَهَا الْقَدْلَانُ

يَتَنَبَّى أَرْقِيَرُ خُطْمَهَا فَكَانَهُ غَزْرٌ يُحْلُولُ نَبْهَ ثُمْبَانُ

وقد زاد فيه على المتنبي وقد ذكر الخليل [من الطويل] :

فَجَانِبُ فَيْبَا إِبْصَارِ أَعْنَةٍ كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا

وهو من قول ذي الرمة [من الطويل] :

وَجَمِيعَةُ أَتْقَانٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شَجَاءٌ عَلَى رُسْرِ الْمَذْرَاعَيْنِ مُطْرَقُ

على أن ذا الرمة لم يزد على التشبيه شيئا، وانتفى أي به في عرض بيته ،

وزاد مقصد آخر ، وهو أن الخليل لا يترك الأعنة تستقر في أيدي فرسانها لما

فيها من سورة النرج وحسن البقية بعد طول السرى ، فكأنما الأعنة أطاع تلذغ

أعناقها . إذ بشرتها ، فتجاذبها الفرسان الأعنة وهي تجاذبهم إياها ، وهذا لم

يقصده ذو الرمة ولا يؤخذ من بيته .

ومن شعر ابن بابك بيت من قصيدة في غاية الرقة ، وهو [من الوافر] :

وَمَرَّ بِي النَّسِيمُ فَرَقَّ حَقِّي كَأَنِّي قَدْ شَكُوتُ إِلَيْهِ مَابِي

وقل بعضهم أن ابن بابك لما وفد على صاحب بن عباد وأنشده مدامحه فيه

طعن عليه بعض الحاضرين ، وذكر أنه منتحل ، وأنه ينشد قصائد قد قالها

ابن نباتة السدي ، فأراد صاحب ابن عباد أن يمتحنه فاقترح عليه أن يقول

قصيدة يصف فيها الفيل على وزن قول عمرو بن ممدى كرب [من الكامل] :

أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَابِقَةً وَعَدَاءَ عِلْدِي

قال [من الكامل] :

فَمَا لَقَدْ نَشَرَ الْحَيَا بِنَاكِبِ الْعَمَلَيْنِ بُرْدَا

وَتَنَفَّتْ بِبَيْتِهِ تَضْحَكُ الزَّهْرُ الْمُنْدَى
وَجَرِيحَةُ الْبَابِ تَنْشُرُ مِنْ سَقِطِ الدَّمْعِ عَقْدًا
تَلْعَنُهَا حَلَبُ الشُّؤْنِ وَقَلْبًا اسْتَبْرَتْ وَجِدًا
وَمُسَاجِلِي لِي قَدْ شَفَقْتُ إِذْ أُوْ فِي فِ الْغَمِّ
لَا تَزِمُ بِي فَأَنَا الْقِي صَبْرْتُ حَرَّ الشَّمْرِ عَيْدًا
بِشَوَارِدِ شَمْسِ الْقِيَا دَبْرَدَنْ عِنْدَ الْقُرْبِ بُدَا
وَمَمَكِ الْبُرْدَيْنِ فِي شِبْهِ النَّمَا شَيْءٌ وَقَدْ
وَكَاثِمًا نَسَجَتْ عَلَيْهِ يَدُ النِّهَامِ الْجَوْنِ جَلْدًا
وَإِذَا لَوْتِكَ صِفَاتِهِ أَعْطَاكَ نَسَّ الرُّومِ قَدْ
فَكَانَ بِمِصْرٍ غَلَامٍ فِي مَا ضَمِنِهِ إِذَا تَصَدَّى
وَكَانَ عَوْدًا عَاطِلًا فِي مَتَحْنِهِ إِذَا تَبَدَّى
يَحْدُو قَوَائِمَ أَرْبَعًا يَتَرَكْنَ بِالتَّمَلُّكِ وَهَدَا
جَابُ الْمَطْوِيِّ قَدْ قَرَّ دَ بِالْكَرَاهَةِ وَاسْتَبَدَا
فَإِذَا تَجَلَّلَ هَضْبَةٌ فَكَانَ ظِلُّ الْبَيْلِ مَدَا
وَإِذَا هَوَى فُكُنْ رُكْنًا مِنْ عُيُنٍ قَدْ نَزَدَى
وَإِذَا اسْتَقْلُ رَأَيْتَ فِي أَعْطَانِهِ هَرَلًا وَجِدَا
مُنْقَرَطًا أَذْنًا نَمَى زَجَرُ الْمُسُوفِ إِذَا تَمَدَّى
خَرَقًا لَا يَجِدُ السَّرَا رُ إِذَا تَوَلَّجَهَا مَرَدَا
أَوْطَانُهُ صَرَعِي رَسِي فِي وَاجْتَنَيْتُ وَصَلَ سُمْدَى
مَلِكُ رَأَى الْإِحْسَانِ مِنْ عُدُوِّ النُّوَابِ طَامَعْدَا
كَافَى الْكُفَاةِ إِذَا انْتَبَهَ مَقْلُ الْقَنَا الْخَطَرِ رُمَدَا

تَكْسُوهُ نَشَرَ العَرَفِ كَسَفٌ مِنْ جُفُونِ الطَّلِّ أُنْدَى
لَا زَلَّتْ يَا أَمَلَ الْعَفَاةِ لِفَارِطِ الإِمْلَاقِ وَرَدَا
فَالِقَ الْإِلْيَإِ لَأَبْسًا عَيْشًا بَرُودَ الظَّلِّ رَغْدَا

فاستحسنها صاحب ولام الطاعن عليه على كذبه وادعائه أنه انتحل شعر
غيره ، فقال : يا مولانا هذا والله معه ستون قبيلة كلها على هذا الوزن لابن نباتة
فضحك منه .

وكان صاحب قد برز أمره لابن بابك وغيره من الشعراء الذين يحضرته
أن يصفوا الفيل على هذا الوزن ، فمن قصيدة لأبي الحسن الجوهري :
يَزْهُو بِخُرْطُومٍ كَمَشَلِ الصَّوْجَانِ يَرْدَ رَدَا
مَتَدَّدٌ كَالْفُؤُورِ نَ تَمَدُّهُ الرَّمْضَاءُ مَدَا
أَوْ كَمُ رَاقِصَةٍ تُشِيرُ بِهِ إِلَى النَّدْمَانِ وَجَدَا
وَكَأَنَّهُ بُوْقٌ يُجْهِرُكَ لِيَنْفَخَ فِيهِ جَدَا
يَسْطُو بِصَارِمِي لَحْسَى يَحْطَانِ الصَّخْرَةَ هَدَا
أَذْنَاهُ مِرْوَاحَتَانِ أَسْنَدَتَا إِلَى الْفَوْدَيْنِ غَدَا
عَيْنَاهُ غَاثَتَانِ ضَيَّقَتَا لَجَمَ الضَّوِّ عَدَا
ومن قصيدة لأبي محمد الخازن :

وَكَأَنَّمَا خُرْطُومُهُ رَاوُوقٌ خَمَرٌ مَدَمَدَا
أَوْ مِثْلُكُمْ مُسْبِلٍ أَرْخَنَهُ لِلتَّوْدِيْعِ سَعْدَى
وَإِذَا التَّوَى فَكَأَنَّهُ السَّعْبَانُ مِنْ جَبَلٍ تَرْدَى
وَكَأَنَّمَا انْقَلَبَتْ عَصَا مُوسَى غَدَاةً بِهَا تَحْدَى
وكانت وفاته في سنة عشر وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى !

شواهد الفن الأول، وهو علم المعاني

١١ - جاء شقيق عارضاً رُحْمَهُ * إِنَّ بَنِي عَمَكَ فِيهِمْ رِمَاحُ

تنزيل هو النكر
منزلة المنكر

البيت للحلج بن فضالة ، من السريع ، وبعده :

هَلْ أَحْدَثَ الدَّهْرُ لَنَا ذِائَةً * أَمْ هَلْ رَمَتْ أُمُّ شَقِيقٍ سِلَاحُ

شقيق هنا : اسم رجل .

والمعنى : جاء هذا الرجل وأضاماً رُحْمَهُ عرضاً مفتخراً بتصرف الرماح ، مُدلاً

بشجاعته ، دالاً ذلك على إعجاب شديد منه واعتقاده بأنه لا يقوم إليه أحد من بني

أعمامه كأنهم كلهم عَزَلٌ ليس مع أحد منهم رمح فليل له : تنكب وخل لهم طريقهم

لثلاثتهم عليك رماحهم وتراكم عليك أسننتها ، إن بني عمك فيهم رماح كثيرة

والشاهد فيه : تنزيل غير المنكر للشيء المنكر له إذا ظهر عليه شيء

من أمارات الإنكار ، وقد تقدم معناه

وما أحسن قول ابن جابر الأندلسي مشيراً إلى شطر البيت الأول

[من السريع] :

سَامِحٌ بِالْوَصْلِ عَلَى بُحْلِهِ * وَقَالَ لِي أَنْتَ يَوْصِلِي حَقِيقُ

فَقُلْتُ مَا رَأَيْكَ فِي نَزْهِهِ * مَا بَيْنَ كَاسَاتِ وَرُوضِ أُنَيْقُ

فَقَالَ يَعْنِي خَدَّهُ وَاللَّامَا * هَذَا هُوَ الرُّوضُ وَهَذَا الرَّحِيقُ

فَبَتُّ مِنْ دَمْعِي وَمِنْ خَدِّهِ * مَا بَيْنَ نُعْمَانَ وَبَيْنَ الْعَقِيقُ

وَإِذْ تَدَلَّلْتُ عَلَى حُبِّهِ * فَقَالَ مَا تَخْشَى أَمَّا تَسْتَفِيقُ

فَدَيْ وَخَدِّي خَنَهِمَا يَا فَنِي * هَذَا هُوَ الرُّمُحُ وَهَذَا شَقِيقُ

وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسي أيضاً فقال [من السريع] :

أَبَدْتُ لَنَا الصَّدْعَ عَلَى خَدِّهَا * فَأُطْلِعَ اللَّيْلُ لَنَا صَبْحَهُ

فَحَدَّهَا مَسْجُ قَدَّهَا قَائِلُ * هَذَا شَقِيقُ عَارِضِ رُحْمِهِ

وقد ضمنه ابن الوردي أيضاً فقال [من السريع] :

لَمَّا رَأَى الزَّهْرُ الشَّقِيقَ انْتَنَى * مِنْهُزِمًا لَمْ يَسْتَطِعْ لَمَحَهُ

وقال : مَنْ جاء ؟ فقلنا له : جاء شقيقٌ عارضاً رُمحه
وأما حجل بن فضالة فهو أحد بني عمرو بن عبد قيس بن معن بن أعصر

١٢ — أشاب الصغير وأقنى الكبير كُرُّ الفداة ومرَّ العتي

شواهد الاسناد

البيت للصّلتان المبدى الحماسي^(١) من قصيدة من المتقارب . ونسب الجاحظ
في كتاب الحيوان هذه الأبيات للصّلتان السعدى ، وقال : هو غير الصّلتان
المبدى ، وبعد البيت :

إذا لَيْلَةٌ أَهْرَمَتْ يَوْمَهَا أُنِى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ فِتْيِ^(٢)
زُرُوحٌ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِّنْ عَاشٍ لَّا تَنْقُضِ
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَّابِقِ
إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لَّنْ قَدْ رَرَى أُرُونِى السَّرَى أَرُوكَ الْغَنَى
بُنَى بِدَاخِبٍ نَحْوَى الرِّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَ النِّجَى^(٣)
فَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَمَرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفَى

(١) الحماسى : أحد شعراء ديوان الحماسة الذى اختاره أبو تمام حبيب
ابن أوس الطائى من شعر العرب ، وانظر شرح التبريزى بتحقيقنا (٣-١٩١)
آخر باب الأدب .

(٢) فى الحماسة « إذا ليلة هربت »

(٣) فى الأصول « خب » بالهمز ، فى صدر البيت وعجزه ، وما أثبتناه
عن الحماسة ، والخب — بكسر الخاء — المكسر والخديعة ، والخب — بفتح
الخاء — الوصف منه ، أى الماكر المخادع . وقبل هذا البيت فى الحماسة
قوله :

ألم تر لقمان أوصى ابنه وأوصيت عمر أفنعم الوصى

فَكُنْ كَابِنٍ لَيْلٍ عَلَى أَسْوَدٍ إِذَا مَا سَوَادٌ بِلَيْلٍ خَشَى^(١)
 فِكْلُ سَوَادٍ وَإِنْ هَيْبَتُهُ مِنَ اللَّيْلِ يُخْشَى كَمَا تَخْشَى
 أَرْدَ مُحْكَمِ الشَّعْرِ إِنْ قُلْتَهُ فَإِنَّ السَّكَّامَ كَثِيرُ الرُّوَى
 كَالصَّغْتِ أَدْنَى لِبَعْضِ اللِّسَانِ وَبَعْضُ التَّكَلُّمِ أَدْنَى لِعَيْنِ

ومعنى البيت : أن كرور الأيام ومرور الليالي يجعل الصغير كبيراً والطفل شائلاً^(٢) والشيخ فانياً .

والشاهد فيه : حل إسناد الانقضاء إلى كرور الأيام ومرور الليالي على الحقيقة لكون إسناده إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر .

والصلتان العبدى هو قُتَمِّ بْنِ خَبِيَّةَ^(٣) بن عبد القيس^(٤) . وهو شاعر مشهور قيل له : اقض بين جرير والفرزدق ، فقال [من الطويل]^(٥) :

(١) هذا البيت والبيتان بعده لا توجد في الحماسة .

(٢) هذا استعمال ردىء ، والجيد أن يقال : شاب يشيب فهو أشيب .

(٣) وقع في الأصول « بن حبيبة » محرفاً ، والتصويب عن الخزائنة (١ - ٣٠٨) . قال : « خبيبة بفتح الحاء المعجمة وكسر الموحدة وتشديد المشنة التحتية وأصلها الحمز » اهـ .

(٤) هو أحد بني محارب بن عمرو بن وداعة بن عبد القيس ، فنسبه هنا إلى جده الأعلى ، أو الصواب « من عبد القيس » بدل « بن عبد القيس »

(٥) وردت هذه القصيدة في خزائنة الأدب للبغدادى (١ - ٣٠٥) وقال قبل إيرادها : « عدة أبياتها ثلاثة وعشرون بيتاً ، وأوردها المبرد في كتاب الاعتناء ، والقالى في أماليه ، وابن تيمية في كتاب الشعراء إلا أنه حذف منها أبياتاً » اهـ . وانظر أمالى القالى (٢ - ١٤١) دار الكتب .

أَنَا الصَّلْتَانُ الَّذِي قَدْ عَلِمْتُمُو مَتَى مَا يُحْكَمُ فَهُوَ بِالْحَقِّ صَادِعٌ^(١)
 أَتَنَى تَعِيمَ حَيْنَ هَابَتْ قَضَائِيَا وَإِنِّي لِبِالْفَصْلِ الْمُبِينِ قَاطِعٌ
 كَمَا أَتَنَدَّ الْأَعْشَى قَضِيَّةَ عَامِرٍ وَمَا لَتَعِيمَ فِي قَضَائِي رَوَاجِعُ^(٢)
 سَأَفْقَى قَضَاءَ بَيْنَهُمْ غَيْرَ جَائِرٍ قَهْلُ أَنْتَ لِلْحَكَمِ الْمُبِينِ سَامِعٌ
 قَضَاءَ امْرِئٍ لَا يَتَقَى الشَّتَمَ مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ فِي الْمَدْحِ مِنْهُمْ مَنَافِعُ^(٣)
 فَإِنْ كُنْتُمَا حَكَمْتُمَا نِي فَانصَبَا وَلَا تَحْزَعَا وَلْيَرْضَ بِالْحَقِّ قَانِعُ^(٤)
 فَإِنْ يَكُ بَحْرُ الْحَنْظَلِيِّينَ وَاحِدًا فَمَا تَسْتَوِي حِينَتَاهُ وَالضَّفَادِعُ
 وَمَا يَسْتَوِي صَدْرُ الْقَنَازِ وَرُجُهَا وَمَا يَسْتَوِي شُمُّ الدُّرَى وَالْأَجَارِعُ^(٥)
 وَلَيْسَ الذَّنَابِيُّ كَالْقَدَامَى وَرَيْشِهِ وَمَا تَسْتَوِي فِي الْكَفِّ مِنْكَ الْأَصَابِعُ^(٦)
 أَلَا إِنَّمَا تَحْظِي كَلِيبٌ بِشَعْرَهَا وَبِالْجَدِ تَحْظِي دَارِمٌ وَالْأَفَارِعُ

(١) في الخزانة « أنا الصلتان والذي قد » وفيه « فهو بالحكم صادق »
 وفي الأمل « أنا الصلتاني الذي قد »

(٢) في الخزانة « وما لتعيم من قضائي » والبيت يشير إلى قصة المنافرة
 بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ودخول الأعشى ميمون بن قيس بينهما
 وقوله من قصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

(٣) في الخزانة « وليس له في الحمد منهم » .

(٤) في الخزانة « فإن كنتم حكمتما نيا فاصمتا » وفيها وفي الأمل « وليرض
 بالحكم قانع » وفيها بيتان بين هذا البيت والذي بعده .

(٥) في أصول هذا الكتاب « والأكارع » محرفا ، وما أثبتناه عن الخزانة
 والأمل .

(٦) في أصول هذا الكتاب « وليس الذنابي كالقدافي » وهو تحريف
 صوابه عن الأمل .

أرى الخطيئة بذَّ الفرزدقَ شعيره ولكنَّ خيراً من كليبٍ مُجاشعٍ^(١)
 فَيَا شاعراً لا شاعراً اليومَ مثلهُ جريرٌ ولكنَّ في كليبٍ تواضعُ
 ويرفعُ من شعيرِ الفرزدقِ أنه له باذخٌ لذى الخسيسةِ رافعُ^(٢)
 وقد يُحمدُ السيفُ الرديَّ بنعديه وتلقاهُ رثاً جفنهُ وهوَ قاطعُ^(٣)
 يُنشأني النصرَ الفرزدقُ بعدما أناختُ عليه من جريرِ صواقعُ
 فقلتُ له إني ونصركَ كالذي يُثبِتُ أنفاً كشمتهُ الجوادعُ
 وفي ذلك يقول جرير رحمه الله تعالى [من الطويل] :
 أقولُ ولم أملك سوابقَ عبيرةٍ متى كانَ حكمُ الله في كربِ النخلِ^(٤)

- (١) في أصول الكتاب « أرى الخطيئة في بذ الفرزدق شأوه » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الأملی والخزانة .
- (٢) في الأصول « له باذخ لذى الخسيسة رافع » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن الأملی والخزانة .
- (٣) في الخزانة والأملی « يحمد السيف الردي ، يمجفه »
- (٤) هذا البيت — على ما ذكر البغدادي عن المبرد — ملقف من بيتين وإليك عبارته (٣٠٦-١) : « قال المبرد : قال أبو عبيدة : فأما الفرزدق فرضى حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة من لا مروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير فغضب من المتزلة التي أنزله إياها ، فقال بهجوه — وهو أحد بني هجرس —
- أقول ولم أملك سوابق عبيرة متى كان حكم في بيوت الهجارس
 فلو كنت من رهط المعلي وطارق فضيت قضاء واضعاً غير لابس
 قال : والمعلي أبو الجارود أو جده ، وطارق بن النعمان من بني الحارث ابن خزيمة ، وأم المنذر بن الجارود بنت النعمان ، وقال جرير أيضاً :
 أقول لعين قد تحدر ماؤها متى كان حكم الله في كرب النخل
 فلم يحبه الصلتان ، فسقط . اهـ

١٣ — بَرَزَ عَنْهُ قُتْرُعًا عَنْ قُتْرُعٍ * جَذَبُ اللَّيَالِي أَبْطَى أَوْ أَسْرَعَ

* أَفْنَاهُ قِيلَ لِلَّهِ لِلشَّمْسِ اِطْلُغِي *

هذه الأبيات لأبي النجم العجلي ، من قصيدة من الرجز ، أولها (١) :

قد أصبحت أم الخيل تدعى على ذنباً كله لم أضع

* من أن زات رأسي كراس الأصلع *

وبعد الأبيات ، وبعدها :

* حتى إذا وارك أفق فارجعي *

والقترعة : الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي ، أو هي ما ارتفع من الشعر وطال ، أو الشعر حوالى الرأس ، وجعها قنازع وقترعات ، وجذب الليالي هو مضيقها واختلافها ، ويقال : جذب الشهر ، إذا مضى عامته ، وأبطى أو أسرعى : صفة الليالي ، أى : المقول فيها أبطى أو أسرعى ، وقيل : حال منها ، أى الليالي مقولاً فيها أبطى أو أسرعى ، والصلع : انحسار شعر مقدم الرأس لنقصان مادة الشعر فى تلك البقعة وقصورها عنه واستيلاء الجفاف عليها (٢) ولتطامن الدماغ عما يماسه من القحف فلا يسقيه سقيه إياه وهو ملاق له ، والموارة : الستر .

ومعنى الأبيات : أن هذه الحبيبة — بعنى أم الخيل زوجته — أصبحت تدعى على ذنوبها لم ارتكب شيئاً منها ؛ لرؤيتها رأسي كراس الأصلع لكبرى وشيخوختى ، ميزو فصل مرّ الأيام ومضى الليالي الشعر الذى بقى حوالى الرأس وجوانبه ، ثم قال : أفناه قيل الله وأمره للشمس بالطلوع والغروب .

(١) السكامة مذكرة فى خزنة الأدب (١ - ١٧٦ بولاق) .

(٢) قال ابن سينا « ولا يحدث الصلع للنساء لكثرة رطوبتهن ، ولا للخصيان لقرب أمزجتهن من أمزجة النساء » اهـ .

والشاهد فيها : هو أن حمل إسناد تمييز الشعر إلى جذب الليالي مجاز بقرينة قوله « أفناه - إلى آخره »

وأبو النجم : تقدم التعريف به في شواهد المقدمة .^(١)

١٤ - يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

البيت لأبي نواس ، من قصيدة من الوافر يهجو فيها الأعراب والأعرابيَّات وينم عيشهم ، وأولها :^(٢)

دَعِ الرَّسْمَ الَّذِي دَنَرْنَا يُقَالِي الرِّجَّحَ والمَطَرَا
وَكُنْ رَجُلًا أَضَاعَ الْعِرْ ضَ فِي اللَّذَاتِ وَالْخَطَرَا^(٣)
أَلَمْ تَرِ مَا بَنَى كِسْرَى وَسَابُورُ لِمَنْ غَبَرَا
مَنَازِلَ بَيْنَ دِجْلَةَ وَالْفُصْرَاتِ أَحْفَهَا شَجَرَا^(٤)
بَارِضٍ بَاعَدَ الرَّحْمَنُ عَنْهَا الطَّلَحَ والعُشْرَا^(٥)
وَلَمْ يَجْعَلْ مَصَايِرَهَا يَرَابِيعًا وَلَا وَحْرَا^(٦)

(١) ارجع إلى شرح الشاهد رقم ٣ .

(٢) اقرأها في الديوان (١٦٤) .

(٣) في الديوان « أضاع العلم » وهو تحريف ، وأحسب ما هنا تحريف أيضا ، وأن الأصل « أضاع العمر » .

(٤) في الديوان « منازة بين دجلة » وفيه « أخضها الشجرا » .

(٥) انطلق — بفتح فسكون — والعشر — بضم العين وفتح الشين — من شجر البادية .

(٦) في أصل الكتاب « ولاوجرا » محرفا ، واليرابيع : جمع يربوع ، وهو حيوان كالغار . والبحر — بفتح الواو والحاء المهملة — جمع وحره ، وهي وزغة كسام أبرص ، أو ضرب من العطاء لا تنطأ شيئا إلا سمته ، أو القصيرة من الأبل والمراد هنا ما عدا الأخير .

ولكن حور غزلانٍ تراعى بالملأ بمرأ
وإن شئنا أحشنا الطير من حافتيها زمرأ^(١)
إلى أن قال :

أما والله لا أشرأ حلفت به ولا بطراً
لوان مرقشاً حتى تعلق قلبه ذكراً^(٢)
كأن ثيابه أطل من أزراره قراً
ومر به بدويان السخراج مضمخاً عذراً^(٣)
بوجه سابري لو تصوب ماؤه قطراً
وقد خطت جواضه له من عنبر طراً
يعين خالط التفتير في أجناتها حوراً
يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدتها نقراً
لأيقن أن حب المر د يلقى سهله وعراً

(١) في الديوان « حشنا الطير » محرفاً ، وأحشنا الطير : أى جشناه من
حواليه لنصرفه إلى الحباله .

(٢) المرقش : لقب لشاعرين أحدهما الأكبر وهو عمرو بن سعد بن مالك
ابن ضبيعة ، وثانيهما الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن
ضبيعة ، وكلاهما من عشاق العرب ومتيمينهم وفرسانهم ، فأما الأكبر فقد عشق
ابنة عمه عوف بن مالك واسمها أسماء ، وأما الأصغر فقد عشق فاطمة بنت
المنذر ، ولكل منهم شعر يدل على ما أشرنا إليه من الصباة وفي المفضليات
شيء منه ، وكذا في تزيين الأسواق .

(٣) في الديوان « ومن يريد ديوان الخراج »

ولا سيمًا وبعضهم إذا حيينه انتهرًا (١)
 والمعنى فى البيت : أن وجهه لما فيه من نهاية الحسن وغاية الكمال ، كلما
 كررت النظر فيه زاده الله عندك حسنا وبهاء ، مع أن تكرار النظر إلى الشيء
 قلما يحلو .

وفى معناه قول الآخر [من الرمل] :
 كُلَّمَا زِدْتَ إِلَيْهِ نَظْرًا زَادَ حُسْنًا عِنْدَ تَكَرُّرِ النَّظَرِ
 وقول ابن الرومى [من المنسرح] :
 لَا شَيْءَ إِلَّا وَفِيهِ أَحْسَنُ فَالْعَيْنُ مِنْهُ إِلَيْهِ تَنْتَقِلُ
 فَوَائِدُ الْعَيْنِ فِيهِ طَارِقَةٌ كَأَنَّمَا أُخْرِيَاُهَا أَوَّلُ
 وقول المتنبي [من الكامل] (٢)
 وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا

وقول عبدوس المغربي [من مجزوء الرمل] :
 يَا غَزَالًا وَهَلَالًا خُلِقَا خَلْقًا عَجِيبًا
 وَقَضِييَا وَكُثْيَا جَمْعًا قَدْ غَرِييَا
 قَدْ غَضَضْنَا ذُنُوكَ الْإِذْ حَاطَ خَوْفًا أَنْ تَذُوبَا
 كُلَّمَا زِدْنَاكَ لَحَظًّا زِدْتَنَا حُسْنًا وَطِيَا

- (١) « لاسيما » بتخفيف ألياء ، وهو لغة فى هذه الكلمة ، و« انتهر » ههنا
 معناه أبطل فى سيره ، والسياق يبعد أن يكون معناه زجر كما هو المشهور
 (٢) هو عجز بيت من قصيدته يمدح فيها ابن العميد وصدده قوله :
 * فهو المشيع بالمسامع إِنْ مَضَى *
 ارجع إلى الديوان (٢ - ١٦٧)

وقول ابن الخيى [من البسيط] :^(١)
 ما يَنْتَهِي نَفَارِي مِنْهُمْ إِلَى رُتَبٍ فِي الْحَسَنِ إِلَّا وَلَاحَتْ قُوْفَهَا رُتَبُ
 وقول قوام الدين المعروف بابن الطراح [من المنسرح] :
 وَعَنْدُكَ لَا يَنْقُضِي لَهُ أَمَدٌ وَلَا لِلَّيْلِ الْخَطَالِ مِنْكَ غَدٌ
 عَلَتْنِي بِأَلْسِنَا غَدًا فَعَدَا إِنَّ غَدًا سَرْمَدًا هُوَ الْأَبَدُ
 تَضْحَكُ عَنْ وَاضِحٍ مُقْبِلُهُ عَذَبٌ بِرُودٍ كَأَنَّهُ الْبَرْدُ
 أَحْوَمُ مِنْ حَوْلِهِ وَبَى ظَمًا إِلَى جَنَى رَيْقِهِ وَلَا أَرْدُ
 وَكَلَّا زِدْتُ وَجْهَهُ نَفَارًا بَدَتْ عَلَيْهِ مَحَاسِنُ جُدُ
 وقريب منه قول ابن المطرز [من المديد] :

يَاحْيِيًّا كُلُّهُ حَسَنٌ لِحَبِّ كُلِّهِ نَظَرُ
 وَجْهَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ حَيْثُمَا قَابَلْتَهُ قَمَرُ
 ومن غريف ما يذكر هنا أن ليعقوب بن الدقاق مستعمل أبي نصر صاحب
 الأصمعي قال : كنا يوم جمعة بقبة الشعراء في رحبة مسجد المنصور نتناشد ،
 وكنت أعلاهم صوتا ، إذ صاح بي صائح من ورأى يا منتوف ، فتغافلت كأني لم
 أسمع شيئا ، فقال : ويلك يا أعمى يا أعمى لم لا تتكلم ؟ فقلت : من هذا ؟ فقالوا :
 أبودانق الموسوس ، فالتفت إليه ، فقال : ويلك اهل تعرف أحسن من هذا
 البيت أو أشعر من قائله ، وهو [من المنسرح] :

(١) ابن الخيى : هو محمد بن عبد المنعم بن محمد بن شهاب الدين الخيى ،
 بمصر الأصل ، ومصرى الدار ، وتوفي في القاهرة سنة خمس وثمانين وثمانمائة
 والبيت المذكور من قصيدة مطلعها :

يا مطلباً ليس لى فى غيره أرب إليك آل التقصى وانتهى الطلب
 ولهذا القصيدة قصة ذكرت فى ترجمته فى فوات الوفيات (٢ - ٢٨٨)
 (٦ - مائة)

مَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ مِنْهُ نَاحِيَةً إِلَّا أَقَامَتْ مِنْهُ عَلَى حَسَنِ

قَهْلَتْ كَالْحَاجِرِ لَهُ : لَا ، قَالَ : لَا أَمْ لَكَ ! هَلَا قُلْتَ نَمِ قَوْلُهُ [مِنْ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ] :

يَزِيدُكَ وَجْهٌ حَسَنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

نَمِ وَثَبَ وَثْبَةً فُجِسَ إِلَى جَانِبِي ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، وَقَالَ لِي : يَا أَعْمَى ، صَفِّ لِي
صُورَتَكَ السَّاعَةَ ، وَالْأَخْرَجْتُكَ مِنْ بَرْتِكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ مِنْ كَانَ حَاضِرًا فَقَالَ :
ظَلَمْتَهُ ظُلْمًا ، وَهُوَ ضَرِيرٌ لَمْ يَرَوْجِهْ ، فَمَنْ أَحْسَنَ مِنَّا أَنْ يَصِفَهُ فَلْيَصِفْهُ ، وَكَانَ عَلَى
الْحَقِيقَةِ أَقْبَحَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَكَانَ يَخْلُقُ شَرَّ رَأْسِهِ وَشَرَّ لِحْيَتِهِ وَشَرَّ حَاجِبِيهِ وَيَدَيْهِ
قَالَ : فَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ ، فَقَالَ : اكْتُبُوا صِفَتَهُ فِي رَأْسِهِ ، وَأَنْشُدْ [مِنْ الْوَافِرِ] :

أَشْبَهُ رَأْسَهُ نَوَلًا وَجَارًا بِعَيْنِيهِ وَنَضْنَضَةً اللِّسَانِ
بَأَضْحَمِ قَرَعَةٍ عَظُمَتْ وَتَمَتْ فَلَيْسَ لَهَا لَدَى التَّمْيِيزِ ثَانِ
إِذَا عَلِيَتْ أَسَافَهَا أَمَلَتْ دَعَاكُمْ رَأْسُهَا نَحْوَ اللَّيَّانِ
فَكَانَ لَهَا مَكَانَ الْجِدْرِ مِنْهَا إِذَا اتَّصَلَتْ بِمُسْكَةِ الْجُرَانِ
لَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ وَبَيْصٍ كَأَنَّ بَرِيقَهَا لَمَعَ الدُّهَانِ
فَلَا سَلَمَتَ مِنْ حَذَرِي وَخَوْفِي مَتَى سَلِمْتَ صَفَاتُكَ مِنْ بَنَانِي
وَوَثَبَ إِلَيَّ ، فَخَالَتِ الْأَيْدِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ .

وَالشَّاهِدُ فِي الْبَيْتِ : مَعْرِفَةُ حَقِيقَةِ الْحِجَازِ الْعَقْلِيَّ الْخَفِيَّةِ الَّتِي لَا تَظْهَرُ إِلَّا بَعْدَ
نَظَرٍ وَتَأَمُّلٍ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَبْدِ الْبَزِيدِيِّ [مِنْ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ] ^(١) :

أَتَيْتُكَ عَائِدًا بِكَ مِنْ لَدُنِّي ضَاقَتْ الْحِيلُ
وَصَبَّرْتَنِي هَوَاكَ وَبَنِي لِحْيَتِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَزِيدِيُّ ، أَحَدُ شُعْرَاءِ بَنِي تَمِيمٍ الْمُحَدِّثِينَ

فَانْ سَلِمَتْ لَكَ نَفْسِي فَا لَا قِيَّةُ جَلَلُ
وَإِنْ قَتَلَ الْهَوَى رَجُلًا فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ

أى: صيرنى الله بهواك وحالى منه، وهى أن يضرب المثل فى الحيف، أى أهلكنى الله ابتلاء بسبب هواك .

والبيت الأخير مأخوذ من قول مسلم بن الوليد [من الوافر] :

مَتَى مَا تَسْمَعُ بِقَتِيلٍ أَرْضُ أُصِيبَ فَإِنِّي ذَلِكَ الْقَتِيلُ

وأبو نواس ^(١) هو: أبو على الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصباح ترجمة **أبى نواس** الحكى، الشاعر المشهور، كان جدُّه مولى الجراح بن عبد الله الحكى وإلى خراسان ونسبته إليه، قيل: إنه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة مع والبة بن الحباب، ثم صار إلى بغداد، وقيل: إنه ولد بالأهواز، وقيل: إنه ولد بكوفة من كورخوزستان فى سنة إحدى وأربعين ومائة، ونقل إلى البصرة فنشأ بها ثم انتقل إلى بغداد، وقد زاد سنة على الثلاثين، ولم يلحق بها أحداً من الخلفاء قبل الرشيد وكان أول ما قاله من الشعر وهو صبي قوله [من المقتضب]:

حَامِلُ الْهَوَى نَعِبُ يَسْتَحِفُّهُ الطَّرَبُ
إِنْ بَكَى نَحَقَ لَهُ لَيْسَ مَابِهِ لَعِبُ ^(٢)
تَضْحَكِينَ لِأَهِيَّةٍ وَالْحُبُّ يَتَنَجَّبُ
كُلَّمَا انْقَضَى سَبَبٌ مِنْكَ جَاءَنِي سَبَبٌ ^(٣)

(١) لأبى نواس ترجمة فى الخزانة (١-١٦٨) وفى ابن خلكان (١-٢٤٠) وأخباره مع جنان خاصة فى الأغاني (١٨-٣٥٤)

(٢) «إِنْ بَكَى نَحَقَ لَهُ» رواية، ومثل ما هنا فى ابن خلكان

(٣) «مِنْكَ جَاءَنِي سَبَبٌ» رواية، وهذا البيت ليس فى ابن خلكان

تَعَجَّبِينَ مِنْ سَقَى رَحْمَتِي هِيَ الْعَجَبُ

وهي أبيات مشهورة

وروى أن الخصب صاحب مصر سأل أبا نواس عن نسبه ، فقال : أغنائى

أدبى عن نسبى

وما زال العلماء والأشراف يزؤون شعر أبى نواس ، ويتفكحون به ، ويفضلونه

على أشعار القدماء

قال محمد بن داود الجراح : كان أبو نواس من أجود الناس بديهةً ، وأرقهم حاشيةً ، لستأ بالشعر يقوله فى كل حال ، والردىء من شعره ما حفظ عنه فى سكره قال الجاحظ : لأعرف بعد بشار مؤلداً أشعر من أبى نواس ، وقال الأصمعى :

ما أروى لأحد من أهل الزمان ما أرويه لأبى نواس . وقال أبو عبيدة : أبو نواس للمحدثين كمرىء القيس للأولين ، لأنه الذى فتح لهم باب هذه الفطن ودلهم على هذه المعانى ، وقال : ذهبَتِ اليمينُ بجِد الشعر وهزله ، فامرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله . وقال أبو الحسن الطوسى : شعراء اليمين ثلاثة : امرؤ القيس ، وحسان

وأبو نواس

وكان خلف الأحمر ولاء فى اليمين فى الأشاعرة ، وكان عصبيا ، وكان من أميل خلق الله إلى أبى نواس ، وهو الذى كناه بهذه الكنية ، لأنه قال له : أنت من أهل اليمين فتسكن باسم من أسامى الذؤين ، ثم أحصى له أسماءهم ، وخبره ، فقال : ذؤيد بن ، وذو كلال ، وذؤير بن ، وذو كلاع ، وذو نواس ، فاختر ذا نواس فكناه أبا نواس ، فسارت له وعلبت على « أبى على » كنيته الأولى .

وكان أبو نواس يعجبه شعر النابغة ، ويفضله على زهير تفضيلاً شديداً ، ثم يقول : الأعشى ليس مثلهما ، وكان يتعصب لجرير على الفرزدق ، ويقول : هو أشعر ، ويأتى بشار ويقول : هو غزير الشعر كثير الافتنان ، ويقول أدمنت قراءة شعر الكعبت فوجدت قشعريرة ، ثم قرأت شعر الخربى فتشقت على عجمى مبردة

ثم قال يوما : شعري أشبه بشعر جرير ، فقل له : فأتقول في الأخطل ؟ قال :
إمائي في الحز ، فقل : الفرزدق ؟ قال : ذاك الأب الأكبر
وقال ابن الأعرابي : قد ختمت بشعر أبي نواس ، فما رويت لشاعر بعده
وقال أبو عمرو الشيباني : لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الأرفاث لاحتججنا
بشعره ، لأنه كان محكم القول لا يخلط

وقال ابن دريد : سألت أبا حاتم عن أبي نواس فقال : إن جد حسن ، وإن
هزل ظرف ، وإن وصف بالغ ، يلقى الكلام على عواهنه لا يبالي من حيث أخذه
وقال أبو الغيث بن البحري : سألت أبي لما حضرته الوفاة : من أشعر الناس ؟
فقال : أعن المتقدمين تسأل أم عن المحدثين ؟ فقلت : عن المحدثين ، فقال : يا بني
لو قسم إحسان أبي نواس على جميع الناس لوسعهم ، وإن لأشجع السلي لأحسانا
وما علم الشعراء أكل الخبز بالشعر إلا أبو تمام ، فقلت له : أنت أشعر أم أبو تمام ؟
فقال : سألت عما لا يزال يسأل عنه : جيد أبي تمام خير من جيدى وردى
خير من رديته .

وقال ابن الأعرابي : بعث إلى المأمون فسرت إليه وهو مع يحيى بن أكرم
يطوفان في حديقة فلما نظراني ولياني ظهورهما ، فجلس ، فلما أقبلت ، فقال
المأمون : يا محمد بن زياد ، من أشعر الشعراء في نعت الحز ؟ فحملت أنشدته للأعشى
وقلت هو الذى يقول [من الطويل] :

تريك القذى من دونها وهى فوقه إذا ذاقها من ذاقها يتمطو
ثم أنشدته للأخطل ، فلم يحفل بشيء مما أنشدته ، ثم قال : يا ابن زياد ، أشعر
الناس في نعتها الذى يقول [من المديد] :

فتمشيت في مفاصلهم كتمشى البرء في السقم
فعلت في الأب إذ مزجت مثل فعل النار في الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها كاهتداء السقر بالعلم

وعن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال : جاء أبو العتاهية ومسلم وأبو نواس
إلى أبي فأنشده أبو العتاهية [من الكامل] :

وَعَفَّتْ أَجْدَاكَ صُنْتُ وَفَعْتُكَ أَزْمَنَةُ خَفْتُ
وَأَرْتُكَ قَبْرَكَ فِي الْقَبُورِ وَأَنْتَ حَتَّى لَمْ تَمُتْ
وَتَكَلَّمْتُ عَنْ أَعْيُنٍ تَبْلَى وَعَنْ صُورٍ شَقْتُ
وَحَكَمْتُ لَكَ السُّلْطَانُ مَا عَلَيَّ أُنْيَاتٍ بَغْتُ
وَأَنْشَدَ شِعْرًا آخَرَ قَوْلَ فِيهِ [من المتقارب] :

عَلَى سُرْعَةِ الشَّمْسِ فِي مَرَّهَا دَيْبُ الْخُلُوقَةِ فِي الْجَمِيَّةِ
قَالَ : وانصرفوا ، فهاكأن بعد أليم عاد إليه مسلم وأبو نواس ، فأنشده مسلم :
[من البسيط] :

• أَجْرَرْتُ حَتْلَ خَلِيجٍ فِي الصَّبَا غَزَلِ •

حتى بلغ قوله :

يَنْلُ بِالرَّقَى مَا يَبْأُ الرُّجَالُ بِهِ كَلَلْتُ مُسْتَجِلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ
قَالَ أَبُو عمرو : أحسنت ، إلا أنك أخذت قول أبي العتاهية :

وَحَكَمْتُ لَكَ السُّلْطَانُ مَا عَلَيَّ أُنْيَاتٍ بَغْتُ

قَالَ : ثم أنشده أبو نواس قوله [من المديد] :

• يُلْشَقِّقُ النَّفْسَ مِنْ حَكَمِ •

إلى أن بلغ إلى قوله :

نَشَمْتُ فِي مَقَاصِلِهِمْ كَنَشَمْتُ الْبَرَّةَ فِي السَّمِّ

قَالَ : أحسنت ، إلا أنك أخذته أيضاً من قول أبي العتاهية :

عَلَى سُرْعَةِ الشَّمْسِ فِي مَرَّهَا دَيْبُ الْخُلُوقَةِ فِي الْجَمِيَّةِ

وقد ذكر بعض أهل العلم أن بيت أبي نواس هذا مأخوذ من قول بعض

المهملين يصف قاتلاً ظر يصيد بسرعة مشى [من انديد]:
 فَتَشَى لَا يَحْسُ بِهِ كَتَشَى قَارِي الْقَرْمِ
 وقيل: إن أبا نواس أشد منه هنا بعض الشراء قال له: أما كذاك أن
 مَرَقْتَ حَتَّى أَحَلَّتْ، قال: ومن أين سَرَقْتَ؟ فأشده بيت المهمل، قال:
 كيف أحلت؟ قال: بقولك «كتشى البرء في السم» وهما جيا عرضان،
 والعرض لا يدخل على العرض، فأقطع أبا نواس ثمغيرته بعد ذلك بأن قال:
 • كَتَشَى الْقَارِي فِي النَّحْرِ •

وهنا بيت المهمل بينه ومثله
 وعن الأصمى أن أبا نواس سرق منه من قول مسلم بن الوليد [من البسيط]:
 نَجْرِي مَحْبَتًا فِي قَلْبٍ وَأَقْبَاهَا جَرَى السَّلاَمَةِ فِي أَعْضَادِهِ مُتَكَسِرِ
 وهو أخذه من قول عمر بن أبي ربيعة حيث يقول [من الوافر]:
 قَدْ دَبَّ الْهَوَى لَكَ فِي قَوَادِي دَيْبَ دَمِ الْحِيلَةِ إِلَى الْفُرُوقِ
 وهو أخذه من قول بعض المدونين حيث يقول [من الطويل]:
 وَاشْرَبَ قَلْبِي حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ كَتَشَى حُبَّ الْكَأْسِ فِي عَطَلِ شَارِبِ
 وَدَبَّ تَهَاوَاهَا فِي عِظَامِي وَحُبَّهَا كَادَبَ فِي الْمُسَوَّرِ سُمَّ الْخَلَابِ
 وهو أخذه من أسقف نجران حيث يقول [من الكامل]:
 مَنَعَ الْبَقَاءَ قَلْبُ الشَّمْسِ وَطَلَعَهَا مِنْ حَيْثُ لَا تَمْسَى
 وَطَلَعَهَا حَمَاءُ صَلْقَةٍ وَغَرَوِيهَا مَقْرَاءُ كَالْوَرَسِ
 نَجْرِي عَلَى كَبْدِ السَّهْلِ كَمَا يَجْرِي حَلْمُ الْمَوْتِ فِي النَّفْسِ
 يَذْكُرَتْ بَيْنَهُ الْآيِلَتِ مَا ظَلَّ الْأَعْيَى وَهُوَ أَعْيَى قَيْسٍ فِي سَكْرَانٍ [من
 المتقارب]:

فَرَأَى مَلَأَ كَأَنَ الدَّيْبَ يَدِبُّ عَلَى كُلِّ عُضْوٍ دَيْبَا

وقد أخذ أبو الشيص قول عمر بن أبي ربيعة فقال [من المجتث] :

لَتَدَّ جَرَى الْحُبِّ يَنْحَى تَجْرَى دَمِي فِي عُرْوَقِ

وأخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

جَرَى حُبِّهَا تَجْرَى دَمِي فِي مَنَاصِلِي فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُئْلٍ بِهَا شُغْلٌ

وقال أبو الفرج بن هندو [من الخفيف]^(١) :

فَتَمَشْتُ فِي قَلْبِي الْمَهْمُومِ كَتَمْتُ الدَّرِيْقِي فِي الْمَسْمُومِ

وأتى عبد الله بن الحجاج بهذا المعنى من غير تشبيه فقال [من الطويل] :

قَبْتُ أَسْقَاهَا سُلَاقًا مَدَامَةً لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبٌ

وما أحسن قول بعضهم [من البسيط] :

وَفِي الظُّلُمَانِ مَهْضُومٌ الْخَشَا غَنِيَجٌ يَخْطُو بِأَعْطَافِ كَسْلَانٍ أَنْطَلَا تَمَلِ

ظَلْمِي مَتَى الْوَرْدُ مِنْ لَحْظِي بُوْجَنْتِهِ مَتَى الْوَاحِظُ مِنْ عَيْنِيهِ فِي أَجَلِي

وقال أبو حاتم: لولأن العامة ابتدأت هذين البيتين وهما لأبي نواس لكتبتهما

بالذهب، وهما قوله [من الوافر] :

وَلَوْ أَنِّي اسْتَزِدْتُكَ فَوْقَ مَا بِي مِنْ الْبُلُوْى لَأَعْجَزَكَ الْمَزِيدُ^(٢)

وَلَوْ عُرِضْتُ عَلَى الْمَوْتَى حَيَاةٌ بِعِيشٍ مِثْلَ عِيشِي لَمْ يُرِيدُوا

وكان المأمون يقول: لو وصفت الدنيا فنفها لما وصفت بمثل قول أبي نواس

[من الطويل] :

أَلَا كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقٌ

(١) في المطبوعتين « ابن عبدو » محرفا، وفي يتيمة الدهر ترجمة لأبي الفرج

الحسين بن محمد بن هندو، أحد أصحاب الصاحب بن عباد، وعن تخرجه جوا

بجوارته وصحبته (٣-٣٦٢ مصر) وفي فوات الوفيات ترجمة لأبي الفرج على

ابن الحسين بن هندو أحد كتاب الانشاء في ديوان عضد الدولة (٢-٥٧ بولاق)

(٢) قوله « لأعجزك » في بعض النسخ « لأعوزك »

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشُوتُ لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
والبيت الأول ينظر إلى قول امرئ القيس [من الوافر] :
فَبَعْضُ اللّوْثِ عَاذِلُنِي فَأُنِّي سَيَكْفِينِي الثَّجَارْبُ وَانْتِسَابِي
إِلَى عَرِيقِ النَّزْرِ وَشَجَّتْ عُرُوقِي وَهَذَا الْمَوْتُ يُسَلِّبُنِي بَشَابِي
وقال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة : أنشدني لأبي نواسكم ، فأنشده
[من المديد] :

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَبُ

فقال سفيان : آمنت بالله الذي خلقه .

واجتمع أبو نواس مع العباس بن الأخنف في مجلس ، فقام العباس في حاجة
فستل أبو نواس عن رأيه فيه وفي شعره ، فقال : لهو أرق من الوهم ، وأنفذ من
الفهم ، وأمضى من السهم ، ثم عاد العباس وقام أبو نواس كذلك ، فستل العباس
عنه وعن رأيه فيه وفي شعره ، فقال : إنه لأقر للعين من وصل بعد هجر ، ووفاء
بعد غدره ، وإنجاز وعد بعد يأس . فلما صارا إلى التبيذ أعلم كل واحد قول الآخر
فيه ، فقال أبو نواس [من الهزج] :

إِذَا ارْتَدَتْ فَتَى الْكَاسِ فَلَا تَمْدُلْ بِعَبَاسٍ

فَنَمَّ الْمَرْءُ إِنْ أَرْضَعْتَ يَوْمًا دِرَّةَ الْكَاسِ

فقال العباس [من الوافر] :

إِذَا نَازَعْتَ صَفْوَ الْكَاسِ يَوْمًا أَخَافُكَ قَتْلَ أَبِي نُوَّاسٍ

فَتَى يَشْتَدُّ حَبْلُ الْوُدِّ مِنْهُ إِذَا مَا خُلَّةٌ رَمَتْ لِنَاسٍ

فتناول أبو نواس قدحا وقال [من الهزج] :

أَبَا الْفَضْلِ اشْرِبْ كَلْسُكَ فَإِنِّي شَارِبٌ سَكَايَ

فقال العباس :

نَمَّ يَا أَوْحَدَ النَّاسِ عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالرَّاسِ

قال أبو نواس :

فَقَدْ حَفَّ لَنَا الْمَجْلِسُ بِالنَّسْرِينَ وَالْأَسْرِ

قال العباس :

وَإِخْوَانِي بِهَابِلَ سَرَّاءِ سَادَةِ النَّاسِ

قال أبو نواس :

وَحَوْدِ لَنَقِ الْمُسْوَعِ مِثْلِ الْفَضْلِ الْكَلْبِيِّ^(١)

قال العباس :

وَقَدْ أَلْبَسَهَا الرَّجُلُ مِنْ أَحْسَنِ الْبَاسِ

قال أبو نواس :

وَقَدْ زِينَتْ بِأَكْلِيلِ يَوَاقِيتَ عَلَى الرَّاسِ

قال العباس :

فَلَا تَحْسِبْ أَخِي كَلْبِي فَأَنِّي غَيْرُ حَبَّاسِ

فكان ما نسي من معارضتهما في ذلك المجلس أكثر مما حفظ ، إلا أنه انصرف العباس وبقى أبو نواس ، فستل عن العتابي والعباس فقال : العتابي يتكلف والعباس يتدفق طبعاً ، وكلام هذا سهل عذب ، وكلام ذاك متدقق كَرَّ ، وفي شعر هذا ماء ورقة وحلاوة ، وفي شعر ذاك جساوة وفظاظة .

وكان لأبي نواس مع أهل عصره مناقضات ومعارضات يطول شرحها ، فنورد

(١) في الأصول « مثل العض للـكاس » محرراً ، وما أثبتناه من الديوان .

منها ما خف ذكره ^(١).

حضر أبو نواس مع جماعة سطحا عاليا يطلبون هلال الفطر، وكان سليمان ابن أبي سهل في عينه سوء، فقام أبو نواس بازائه، ثم قال: يا أبا أيوب كيف ترى الهلال من بعد وأنت لا تراه من قرب؟ فقال له سليمان: قد رأيته ثمشى القهقري حتى تدخل في رحم جليان — يعني أمه — فأحفظ ذلك أبا نواس، فقال في سليمان [من السريع]:

قُلْ لِسُلَيْمَانَ وَمَا شِيعَتِي أَنْ أَهْدِيَ النَّصْحَ لَهُ مُخْلِصًا
مَا أَنْتَ بِالْحُرِّ فَأَلْحَى وَلَا بِالْعَبْدِ اسْتَعْنَيْهُ بِالْعَصَا
فَرَحَهُ اللَّهُ عَلَى آدَمَ رَحْمَةً مِنْ عَمٍّ وَمِنْ خَصْمَا
لَوْ كَانَ يَدْرِي أَنَّهُ خَارِجٌ مِثْلَكَ مِنْ إِحْلِيلِهِ لَاخْتَصَى
فَأَجَابَهُ سُلَيْمَانُ فَقَالَ:

إِنْ ابْنُ هَانِي سَفَلَةٌ خَالِصٌ مَا وَحَدَ اللَّهُ وَلَا أَخْلَصَا
أَعْلَى بِذِكْرِي شِعْرَهُ فَأَعْتَدَى بِالْقَرْضِ فِي أَشْبَاهِهِ مُرْجِصَا ^(٢)
وَكُنْ فِي شِعْرِي وَتَزْرِيدهُ خَوْفٌ مَنْ يَأْتِيهِ قَدْ قَلَصَا ^(٣)
كَالْكَلْبِ هَرَّ اللَّيْثِ حَتَّى إِذَا أَهْدَى إِلَيْهِ مِخْلَبًا بَصَصَا

(١) روى المؤلف في هذه المناقشات كثيرا من المجون الذي ينسب إلى أبي نواس؛ ونحن لا نستطيع لأنفسنا ولا لمن يقوم على تحقيق كتاب من مصنفات السلف أن يتصرف فيه بالحذف أو بالتغيير، ولو كنا نصف كتابا بالزهانة عن هذا المجون، فنحن نثبت ما أثبتته المؤلف، ونستغفر الله لنأوله.

(٢) في الأصول «بالعرض في أشباهه» وما أثبتناه عن الديوان

(٣) وقع هذا البيت في المطبوعتين هكذا:

وكان في شعري وتغريده للخوف من ثوبه قد قلصا
وما أثبتناه موافق لما في الديوان

وكان لأبي الشمقم ضريبة على الشعراء ، فجاء يوما إلى أبي نواس فقال :
 هات ضريبتك ، فدخل المنزل وأخرج إليه رقعة فيها [من الوافر] :
 أَخَذْتُ بِأَيْرِ بَنَلٍ حِينَ أَدُلِّي فَوَيْقَ الْبَاعِ كَالْجَنْعِ الْمَطْوِقِ
 فَمَا إِنْ زِلْتُ أَمْرَهُ بِكُنَى إِلَى أَنْ صَارَ كَالسَّهْمِ الْمَفْوِقِ
 فَلَا أَنْ طَعَى وَنَمَا وَأَنْدَى جَلَدْتُ بِهِ حِرَامَ أَبِي الشَّمَقْمِ
 فوقعت هذه الأبيات في أفواه الصبيان ، وأجابه أبو الشمقم بأبيات
 فلم كسر له .

وحدث الجان قال : اجتمعت أنا وأبو نواس والرقاشي في بعض متزهات
 البصرة ، فنقد شرابنا ، فقلنا : هلم فليقل كل واحد منا بيتا في السقيا لنبتع به
 إلى عبد الملك بن إبراهيم ، فابتدأ أبو نواس فقال [من الرمل] :
 يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ وَائْتِقًا أَقْبَلْتُ بِاللَّهِ وَبِكَ
 أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَصْلَحْتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَلِلْمَالِ لَكَ
 وقال الرقاشي :

اسْقِنِي الْحَرَّ وَدَعِ مِنَ لَامَتِي فِي هَوَايَ نَفْسِي فَتَعْرِى مَنْ نَسَكَ
 وَزِلِكَ الْمُرْدَ فَا مِنْ لَدَيْ نِلْتَهَا إِنْ لَمْ تَنْكُحْهُمْ وَتُنْكَ
 فوقع البيت الرابع بموافقته ، وبعث إلينا بما كفانا .

واجتمع أبو نواس يوما مع الرقاشي في مجلس ، فتذاكرا الشعر ، فقال له
 أبو نواس : لقد سبقتنى إلى أبيات وددت أنها لي بجميع شعري ، قال : وما هي ؟
 قال : قولك [من البسيط] :

نَبَّهْتُ نَدْمَانِي الْمَوْفَى بِنَمَتِهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَابِ طَاسَاتٍ وَأَقْدَاحٍ^(١)

(١) في الديوان (٢٦٢) * من بعد إيماب كاسات وأقداح *

وفيه (٣٥) * من بعد إيماب . . *

فقال خذ واسقني واشرب وغنّ لنا «يا دارَ مَوَايَ بالقاعين فالساح»
فاحسّاً ثانياً أو بعض ثالثة حتى استدارَ ورَدَّ الراح بالراح
فقال له الرقاشي : لكنك أنت سبقتني ببيتين وددت أنهما لي بكل شعري،
فقال أبو نواس : وما هما ؟ قال قولك [من البسيط] :

ومُسْتَطِيلٍ عَلَى الصَّهْبَاءِ بَاكِرَهَا فِي فِتْيَةٍ بِاصْطِبَاحِ الرِّاحِ خُذْاقِي
فَكُلُّ شَيْءٍ رَأَى ظَنَّهُ قَدْحَا وَكُلِّ شَخْصٍ رَأَى قَال : ذَا سَاقِي
واجتمع يوماً أبو نواس مع عنان ، فأقبل عليها ، وقال [من مجزوء الرمل] :

إِنْ لِي أَيْرًا خَبِينًا عَارِمَ الرَّأْسِ فَلَوْتَا
لَوْ رَأَى فِي الْجَوْفِ رَجًا لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا
أَوْ رَأَى فِي السَّقْفِ دِهْرًا لَتَحَوَّلَ عَنْكَ بَوْتَا
أَوْ رَأَى جَوْفَ بَحْرٍ صَارَ لِلْإِعْظَامِ حَوْتَا

فقالت عنان :

رَوَّجُوا هَذَا بِالْفِ إِنْنِي أَخْشَى عَلَيْهِ
وَأُظْنُّ الْآلَفَ قَوْتَا دَاءُ سُوءِ أَنْ يَمُوتَا
قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِبَ الدَّاءُ ٤ فَلَا يَأْتِي وَيُوتِي
فقال أبو نواس [من المجتث] :
أَلَمْ تَرَقُّ لَصَبْرٍ يَكْفِيهِ مِنْكَ قُطَيْرُهُ

فقالت عنان :

إِيَّائِي تَعْنِي بِهِذَا عَلَيْكَ فَاجْلِدْ عُمِيرَهُ

فقال أبو نواس :

أَخَافُ إِنْ رُمْتُ هَذَا عَلَى يَدِي مِنْكَ غَيْرُهُ

قالت عنان :

عَلَيْكَ أُمَّكَ نِكْمًا فَانْهَا كَعَنْفِيرَةٍ
وَدَخَلَ أَبُو نَوَاسٍ يَوْمًا عَلَى النَّاطِقِي ، وَعَنَّانُ جَالِسَةٌ تَبْكِي وَخَذَهَا عَلَى رِزَّةٍ
يَلْبُ ، قَالَ [مِنْ السَّرِيحِ] :

بَكَتْ عَنْانُ فَحَرَى دَمْعُهَا كَالْوَلْوُلِ الْمَرْفُضِ مِنْ خَيْطِهِ
قَالَتْ عَنْانُ وَالْعَبْرَةُ تَحْتَهَا :

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُهَا ظِلًّا تَحْفُفُ بِمَنْهٍ عَلَى سَوَاطِيهِ
وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدَمَ بَشَرَاءٍ عَنْانُ جَارِيَةُ النَّاطِقِي ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبَا نَوَاسٍ قَدْ
هَجَاكَ بِقَوْلِهِ [مِنَ الْمَسْرُوحِ] :

إِنَّ عَنَّانَ الطَّافَ جَارِيَةً قَدْ صَارَ حَرْهَا لِلْأَيْرُمِيدَانَا
لَا يَشْتَرِيهَا إِلَّا ابْنُ رَانِيَةٍ أَوْ قُلُطْبَانٌ يَكُونُ مِنْ كَاتَا

قَالَ : لَعَنَهُ اللَّهُ ! لَأَحَاجَةُ لَنَا فِيهَا . فَأَجَابَتْ عَنْانُ عَنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فَقَالَتْ
[مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ] :

مَجْبِئًا مِنْ حَلْقِي يَدْعَى أَصْلَ اللُّوَاطِ
فَإِذَا صَارَ إِلَى الْبَيْسِ وَخَسَفَ عَنْ تَوَاطِي
فَالَّذِي يَعْلَمُ يَدْرِي مَنْ يَلِي وَجَةَ الْبَسَاطِ

قَالَ أَبُو نَوَاسٍ [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ] :

فَتَحَتْ حَرْهَا عَنَّانُ ثُمَّ نَادَتْ مَنْ يَنْيُكَ
ثُمَّ أَبَدَتْ عَنْ مَشْقٍ مِثْلَ صَحْرَاءِ الْعَتِيكَ
فِيهِ دَرَّاجٌ وَبَطْ وَدَجَاجَاتٌ وَدِيكَ

قَالَتْ عَنْانُ [مِنَ الْمَسْرُوحِ] :

إِنَّ ابْنَ هَانِي بَدَأَهُ كَلْفٌ يَبِيتُ عَنْ نَفْسِهِ بِمَخَادِعِهَا

أَمْسَى بَرُوسُ الْحَلَّانُ يُعْرِفُ فِي النَّسَاسِ وَمِضَارُهُ كَوَارِعُهَا
وَوَجَّهَتْ عَنَّانُ مَرَّةً إِلَى أَبِي نَوَاسٍ بِوصِيفَةٍ لَهَا مَعَ رَقْعَةٍ فِيهَا [من المجتث] :
زَرْنَا لِنَأْكُلَ مَعَنَا وَلَا تَنْيَبُنَ عَنَّا
فَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى الشَّرِّ بِ صُبْحَةٍ وَاجْتَمَعْنَا
فَلَمَّا وَرَدَتْ الْوَصِيفَةُ عَلَى أَبِي نَوَاسٍ قَرَأَ رَقْعَهَا ثُمَّ تَأَمَّلَهَا فَاسْتَحْلَاهَا فَخَدَعَهَا
وَقَضَى وَطَرَهُ مِنْهَا ، ثُمَّ كَتَبَ فِي جَوَابِ الرَّقْعَةِ [من المجتث] :

نَكُنَّا رَسُولَ عَنَّانٍ وَالرَّأْيُ فِيهَا قَعْلَانَا
فَكَانَ خَبْرًا بِمَلِجٍ قَبْلَ الشَّوَاءِ أَكَلْنَا
جَذْبَتِهَا فَتَجَافَتْ كَالْغُصْنِ لَمَّا تَنَنَى
فَقُلْتُ لَيْسَ عَلَى ذَا الْفَعَالِ كُنَّا أَوْزَقْنَا
قَالَتْ فَكُمُ تَتَجَنَّى طَوَلَتْ نَكُنَّا وَدَعْنَا

فَلَمَّا قَرَأَتْ عَنَّانُ الرَّقْعَةَ قَالَتْ : إِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ زَنَى ، وَهَجَرْتَهُ .

وَلَقَدْ ظَرَفَ ابْنُ الْأَبَّارِ بِمَتَابَعَتِهِ أَبَا نَوَاسٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى حَيْثُ قَالَ [من الخفيف] :

زَارَنِي خَيْفَةَ الرَّقِيبِ مَرِيئًا يَتَشَكَّى الْقَضِيبُ مِنْهُ الْكُثْبَا
رَشًّا رَاشٌ لِي سَهَامُ الْمَنَابَا مِنْ جُنُونٍ يُصَيِّ بِهِنَّ الْقُلُوبَا
قَالَ لِي مَا تَرَى الرَّقِيبَ مُظَلًّا قُلْتُ ذَرُهُ أَتَى الْجَنَابَ الرَّحِيَا
عَاطِيَهُ أَكُوسُ الْمَدَامِ دِرَاكًا وَأَدْرِهَا عَلَيْهِ كَوًّا فَكُوبَا
وَاسْتَفْتِيهَا بِحَمْرِ عَيْنِكَ صِرْفًا وَاجْعَلِ الْكَأْسَ مِنْكَ نَفْرَاشْنِيَا
نَمْ لَمَّا نَامَ الرَّقِيبُ سَرِيئًا وَتَلَنَى الْكَرَى سَمِيئًا مُجِيَا
قَالَ لَا بُدَّ أَنْ تَدَبَّ إِلَيْهِ قُلْتُ أَبْنَى رَشًّا وَأَخَذَ ذِيَا
قَالَ فَابْدَأْ بِنَا وَنَّ عَلَيْهِ قُلْتُ كَلَّا لَقَدْ دَفَعْتُ قَرِييَا

فَوَيْبْنَا عَلَى الْغَزَالِ رَكُوبًا وَدَبَبْنَا إِلَى الرَّقِيبِ دَبِيبًا
 فَهَلْ أَبْصُرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِصَبِّ نَكَاحِ مُحِبِّهِ وَنَاكِ الرَّقِيبَا
 قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَلَقَدْ غُزِفَ ابْنُ الْأَيَّارِ ، وَاسْتَهْتَر مَا شَاءَ ، وَأَظْهَرَ لَوْ قَدَرَ عَلَى
 إِبْلِيسَ الَّذِي تَوَلَّى لَهُ نَظْمَ هَذَا الْمُسْلِكِ لَدَبَ إِلَيْهِ ، وَوُثِبَ أَيْضًا عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ :
 وَأَبُو نَوَاسٍ سَأَلَ لِلنَّاسِ هَذَا السَّبِيلَ حَيْثُ يَقُولُ ، وَذَكَرَ الْآيَاتِ ، أَنْتَهَى .
 وَمِنْ أَثَانِيدِ الثَّعَالِبِيِّ فِي هَذَا الْمَعْنَى [مِنْ الْخَفِيفِ] :
 لِي أَيْرَ أُرَاحُنِي اللَّهَ مِنْهُ صَارَ هَمِي بِهِ عَرِيضًا طَوِيلًا
 نَامَ إِذْ زَارَنِي الْحَبِيبُ عَنَادًا وَلَمْ يَهْدِي بِهِ يَنِيكَ الرَّسُولَا
 حَسِبْتُ زُورَةً لِشِقْوَةِ جَدِي فَافْتَرَقْنَا وَمَا شَفِئْنَا غَلِيلَا
 رَجَعَ إِلَى أَخْبَارِ أَبِي نَوَاسٍ .

وَأَشْرَفَ يَوْمًا أَبُو نَوَاسٍ مِنْ دَارِ عَلَى مَنْزِلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّفْقِيِّ وَقَدْ مَاتَ
 بَعْضُ أَهْلِهِ ، وَعَنْدَهُمْ مَائَةٌ ، وَجَنَّانٌ جَارِيَةٌ عَبْدُ الْوَهَّابِ وَاقِفَةٌ مَعَ النِّسَاءِ تَطْلُمُ ، وَفِي
 يَدَيْهَا خَضَابٌ ، وَكَانَتْ حَسَنَاءَ أَدَبِيَّةٍ عَاقِلَةٍ ظَرِيفَةٍ ، وَكَانَ أَبُو نَوَاسٍ يَهْوَاهَا
 قَالَ [مِنْ السَّرِيعِ] :

يَا قَسْرًا أَبْرَزَهُ مَائَةً يَنْدُبُ شَجَوًّا بَيْنَ أَتْرَابِ
 يَبْكِي فَيَذَرِي الدَّمْعَ مِنْ نَجَسٍ وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بَعْنَابِ
 لَا تَبْكُ مَيْتًا حَلًّا فِي حُفْرَةٍ وَأَبْكُ قَتِيلًا لَكَ بِالْبَابِ
 أَبْرَزَهُ الْمَائِمُ لِي كُلَّهَا بَرَّغَمَ دَايَاتٍ وَحُجَابِ
 لَا زَالَ دَائِبًا مَوْتُ أَصْحَابِهِ وَدَابُّ أَنْ أَبْصِرُهُ دَائِبًا (١)
 وَذَكَرْتُ بِالْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مَا عَكَسَهُ بَعْضُهُمْ مِنْهُمَا فِي هِجَاءِ أَعُورَ ، وَهُوَ
 [مِنْ السَّرِيعِ] :

(١) فِي الْأَغَانِي (١٨-٦) رَوَايَةٌ نَحْوُ هَذَا الْبَيْتِ « وَلَا تَزَلْ رُؤْيَتُهُ دَائِبًا »

يا أعوراً أبرزه ماتم يَدُب سَجْوَاً بتخاليط
يَبْكِي فَيَذَرِي الدَّمْعَ مِنْ كُوفَةٍ وَيَلْعَلِمُ الشُّوكَ يَبْلُوطُ
وحدث أبو نواس قال : رأيت النابغة الذبياني في منامى ، فقال لى : بماذا
حَبَسَكَ الرشيد ؟ فقلت له : بقولى [من المنسرح] :
اهْبِجْ نِزَاراً وَأَفْرِجْ لِدُنْهَـا وَهَتِّكِ السِّتْرَ عَنْ مَنَالِهَا
فقال لى : أهل ذاك أنت يابن الزانية فقد استوحيت من كل نزارى عقوبة
منها بما ارتكبت منها ، فقلت : وأنت بماذا حبسك النعمان ؟ قال : ببیت قلته
ستره النعمان عن الناس ، قلت : بقولك [من الكامل] :
سَطَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ فَتَنَّاوَلْتُهُ وَأَتَقَنَّا بِالْيَدِ
فقال : أو هذا مستور ؟ قلت : بقولك [من الكامل] :
وَإِذَا كَسَمْتَ كَسَمْتَ أَضْحَمَ جَائِئِماً مُنْهَـزِراً بِمَكَانِهِ مِلْءَ الْيَدِ
قال : اللهم غفراً ، قلت : فبماذا ؟ قال بقولى [من الكامل] :
فَلَمَكْتُ عَلَيْهَا وَأَسْفَلَهَا مَعَاً وَأَخَذْتُهَا قَسَراً وَقَلْتُ لَهَا أَقْمَدِي
فحدثت بهذا الحديث البزيدى ، فألقى البيت بقصيدة النابغة .
وحكى الأصمعى قال : رأيت أبا نواس بعد موته فى المنام فقلت : هل نسى
من خمرياتك شئ ؟ قال : أجودها ، قلت فاذكره ، فقال [من البسيط] :
اذْكُرْ سِرَاجاً وَسَاقِي الشَّرْبِ يَمْزِجُهَا فَلَاحَ فِي الْبَيْتِ كَالْمَصْبَاحِ بِصَبَاحٍ
كَيْدُنَا عَلَى رِدْلِنَا ، بِالشُّكِّ نَسْأَلُهُ أَرَاخُنَا نَارُنَا أَمْ نَارُنَا الرِّاحَ
وحكى عن عبد الله بن المعتز أنه قال : رأيت أبا نواس فى المنام ، فقلت له :
لقد أحسنت فى قولك [من البسيط] :
جَاءَتْ بِأَبْرِيقِهَا مِنْ بَيْتٍ تَاجَرُهَا رُوحاً مِنَ الْحَرِّ فَرَجَسِمَ مِنَ النَّارِ

هَلْ : لا ، بل أحسنتُ في قولي [من البسيط] :

يَقْبَضُ أَرْوَحَ مِنْ جِسْمِ أُمِّي زَمْنَا وَغَاوَرَ الذَّنْبَ زَحْزَحْنِي عَنِ النَّارِ

وقد أحسن أبو نواس ظنه بربه حيث يقول : [من الوافر]

تَكُنْزُ مَا اسْتَظَفْتَ مِنْ الْخَطَايَا فَانْكَ بِالْبَيْعِ رَبَّنَا غَفُورًا
سَبَّحْهُ إِنْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ عَمَوَا وَتَلَقَى سَيِّدًا مُلْكًا كَبِيرًا
نَمَضُ نَدَامَةً كَفَيْكَ مِئًا تَرَكْتَ خِفَافَةَ النَّارِ السُّرُورَا
ومن شعره [من الكامل] :

سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ آيَةُ لَيْلَةٍ خَضَّتْ صَبِيحَتَهَا بِيَوْمِ الْمَوْقِفِ
لَوْ أَنَّ عَيْنًا وَهَمَّتْهَا نَفْسَهَا مَا فِي الْمَعَادِ مُحْصَلًا لَمْ تَطُوفِ
ومنه [من مجزوء الرمل] :

خُلْ جَنِّيكَ لِأَمْرِ وَأَضِرْ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتْ بَدَاءَ الصَّيْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا الْعَاقِلُ مِنَ الْجَحْمِ فَاهُ بِلِجَامٍ
شَبَتْ يَا هَذَا وَمَا تَتْرَكُ أَخْلَاقَ الْغُلَامِ
وَالنَّيَا أَكَلَاتُ شَارِبَاتُ الْأَنْثَامِ

وأخباره كثيرة ، وديوان شعره مختلف الترتيب لاختلاف جامعيه
وكانت وفاته سنة خمس مئتين وخمس مائة ببغداد
ودفن في مقابر الشونيزي ، رحمه الله تعالى !

شواهد المسند إليه

١٥ — * قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتَ عِلِيلٌ *

هو من الخفيف ، ولا أعرف قائله ، وتماهه :

* سَهْرٌ دَائِمٌ وَحَزْنٌ طَوِيلٌ *

ومعناه ظاهر ، والشاهد فيه حذف المسند إليه للاحتراز عن العيب مع ضيق المقام ، وهو قوله « عليل » أى أنا عليل ، فحذف المبتدأ لما مر .
ومثله قول أبى الطمَّحَانِ الْقَيْنَى الشاعر الجاهلى ، وقال ابن قتيبة : الصحيح أنه لقيط بن زُرارة [من الطويل] :

أَضَاعَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمُ الْجَزَعَ ثَاقِبَةً
نُجُومٌ مِمَّاءٍ كُلُّهَا انْقَضَ كَوَكَبٌ بَدَأَ كَوَكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أى : هم نجوم مماء ، فحذف المسند إليه .

* *

١٦ — إِنْ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانُكُمْ يَشْفِي غَلِيلَ صَدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

حامد تميم
المخاطب على
خطأ ظه

البيت لَعَبْدَةَ بْنِ الطَّيِّبِ ، من قصيدة من الكامل يعظ فيها بنيهِ ويوصيهم بما هو المرضى شرعا ، وأولها :

أَبْنَى إِنْى قَدْ كَثُرَتْ وَرَابِئِي بَصْرَى وَفَى لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْعٌ (١)
فَلَنْ هَلَكْتُ لَقَدْ بَنَيْتُ مَسَاعِيَا تَبَقَى لَكُمْ مِنْهَا مَا تَرَوْا أَرْبَعُ
ذِكْرٌ إِذَا ذُكِرَ الْكَرَامُ يُزِينُكُمْ وَوَرَاةَ الْحَسْبِ الْمَقْدَمُ تَنْفَعُ
وَمَقَامُ أَيَّامٍ لَمْ تُفْضِلْهُ عِنْدَ الْخَفِيزَةِ وَالْمَجَامُعُ تَجْمَعُ
وَلَهَا مِنَ الْكَسْبِ الَّذِى يُغْنِيكُمْ يَوْمًا إِذَا احْتَضَرَ النُّفُوسَ الْمَطْمَعُ
أَوْ صِبْكُمْ يَتَقَى الْإِلَهِ فَانَهُ يُعْطَى الرَّاغِبَ مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ

(١) فى المطبوعتين « وفى لمنظر مستمع » وما أئبته عن المفضليات

وَبَرَّ وَالْكَبِيرَ وَطَاعَةَ أَمْرِهِ إِنَّ الْأَبْرَّ مِنَ الْبَنِينِ الْإِطَاعُ
 إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا عَصَاهُ أَهْلُهُ ضَاقَتْ يَدَاهُ بِأَمْرِهِ مَا يَصْنَعُ
 وَدَعَا الضَّغَائِنَ لَا تَكُنْ مِنْ شَانِكُمْ إِنَّ الضَّغَائِنَ لِلْقَرَابَةِ تَوْضِعُ^(١)
 يُزْجِي عَقَابَهُ لِيَمِثَّ بَيْنَكُمْ حَرَامًا كَأَمْثَلِ الْعُرُقِ الْإِخْدَعُ^(٢)
 وَإِذَا مَضَيْتُ إِلَى سَبِيلٍ فَابْعَثُوا رَجُلًا لَهُ قَلْبٌ حَدِيدٌ أَصَمُّ
 إِنَّ الْحَوَادِثَ تَخْتَرِمُنَّ وَإِنَّمَا عَمُرُ الْفَتَى فِي أَهْلِهِ مُتَوَدِّعُ
 يَسْقَى وَيَجْمَعُ جَاهِدًا مُسْتَهْتَرًا جِدًّا وَلَيْسَ بِأَكْلٍ مَا يَجْمَعُ

وترونيهم : من الاراءه المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ^(٣) ، وجري مجرى الظن
 لبناؤه للمفعول ، وانتصب « إخوانكم » على أنه مفعول ثان لترونيهم ، والغليل
 بالمعجمة : الخندق والضغن ، و « أن تصرعوا » في محل رفع على أنه فاعل يشق ،
 والصرع : الطرح على الأرض كالصرع^(٤) ، وهو موضعه
 والمعنى : يابني إن القوم الذين تظنونهم إخوانكم وتعتمدون عليهم في الشدائد
 بما ظننتم يشقى ما في صدورهم من غليل العداوة وحرقتها أن تصرعوا وتصابوا
 بالحوادث ، فأياكم واستئمانهم والاعتماد عليهم ، وفيه إشعار بقولهم : الحزم سوء
 الظن ، والثقة بكل أحد عجز .

(١) في المفضليات «ودعوا الضغينة» وفيها بين هذا البيت والذي بعده
 بيت يحتاج إليه البيت التالي ، وهو قوله :

واعصوا الذي يزجي التهام بينكم متنصحا ، ذاك السام المنقع
 (٢) بين هذا البيت والذي بعده في المفضليات ثلاثة عشر بيتا منها البيت
 المستشهد به

(٣) ليس ذلك بلازم ، ولا التزمه أحد من الذين كتبوا على التلخيص ، بل
 يجوز أن يكون مضارع رأى بمعنى ظن
 (٤) في المطبوعتين « كالمصرع »

والشاهد فيه: تنبيه المخاطب على الخطأ في ظنه، إذ في قوله «إن الذين» من

التنبيه على الخطأ ما ليس في قولك إن القوم الفلانيين

وَعَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ^(١) شاعر مجيد، ليس بالكثير، والطبيب: لقب لأبيه،

واسمه يزيد بن عمرو، وينسب نسبته لقيم، وهو مخضرم أدرك الإسلام فأسلم، وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن، وقد ذكر ذلك في

قصيدته التي أولها [من البسيط]:

هَلْ حَبَلُ خَوْلَةٍ بَعْدَ الْهَجْرِ وَصُولُ أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدُ الدَّارِ مَشْغُولُ

حَلَّتْ خَوْلِيَّةٌ فِي دَارٍ مُجَاوِرَةٍ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِيهَا الدِّيكُ وَالْفِيلُ^(٢)

يَقَارِعُونَ رُؤْسَ الْعَجَمِ ضَاحِيَةً مِنْهُمْ فَوَارِسٌ لَا عُزْلٌ وَلَا مِيلُ^(٣)

وقال الأصمعي: أرثي بيت قالته العرب^(٤) بيت عبدة بن الطبيب [من الطويل]:

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكُهُ هَلَكُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بَنِيَانُ قَوْمٍ تَهْتَمُّ

وقال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو،

فقال: لا تقل ذلك، فوالله ما تركه من عثر، ولكنه كان يترفع عن الهجاء ويراه

ضمة كما يرى تركه مروهة وشرقاء، وأنشد [من الوافر]:

(١) لعبدة بن الطبيب ترجمة مختصرة في الأغاني، وقد وقع في المطبوعتين

في جميع المواضع «عبدة بن الطبيب» وهو تحريف بنقص الباء

(٢) في المفضليات «أهل المدائن»

(٣) أراد بهذا الإشارة إلى الموقعة التي دارت بين العرب والفرس في

أعقاب القادسية، ويقارعون: يضاربون، والعجم - بضم فسكون - الفرس

هنا، والعزل: جمع أعزل، وهو من لا سلاح معه، والميل: جمع أميل، وهو

الذي ينحرف في ركوبه، وأراد به السوء الركبة

(٤) وقال أبو عمرو بن العلاء في هذا البيت: هذا البيت أرثي بيت قيل،

وقال ابن الأعرابي: هو قائم بنفسه، ماله نفاير في الجاهلية والإسلام.

وأجراً من رأيتُ يظهر غيبٍ على عيبِ الرجال أخو الميوبِ
وعن (١) ابن الأعرابي أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه : أى
المناديل أشرف ؟ فقال قائل منهم : مناديل معركتها غرقه البيض (٢) وقال
آخرون : مناديل اليمن كأنها نور الربيع ، فقال عبد الملك : مناديل أخى بنى سعد
عبدة بن الطبيب حيث يقول [من البسيط] :

لما نزلنا ضربنا ظلّ أخبية * وفار للقوم باللحم المراجيل (٣)
وزد وأشقر ما يؤنس طابخه * ما غير الغلى منه فهو ما كول (٤)
تمت فنا إلى جرد مسومة * أعرافهن لا يدنسنا مناديل (٥)
يعنى بالمراجيل المراحل ، فزاد فيها الباء ضرورة .

١٧ — إن الذى يملك السماء بنى لنا بيتاً دعّمه أعز وأطول
البيت للفرزدق ، وهو أول قصيدة طويلة من الكامل (١) يزيد على مائة
بيت ، وبعده :

بيتاً بناه لنا الملك وما بنى ملك السماء فانه لا ينقل (٢)

-
- (١) وردت هذه القصة فى العقد الفريد (١-١٩٢ الاجنة)
(٢) غرقه البيض : قشرته الرقيقة اللاصقة ببياضه
(٣) فى المفضليات * لما وردنا رفقنا ظل أردية وفى العقد كما هنا ، وفى
المفضليات والعقد جميعاً * وفار باللحم للقوم *
(٤) فى المفضليات والعقد جميعاً * وردا وأشقر لم ينهه طابخه وفى العقد
وحده * ما قارب النضج منها *
(٥) فى العقد * وقد وثبنا على عوج مسومة *
(٦) أقرأها فى الديوان (٧١٤)
(٧) فى الديوان « حكم السماء »

يَبْتَ زُرَّارُهُ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمَجَاشِعُ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
يَلْجُونَ بَيْتَ مَجَاشِعٍ فَإِذَا احْتَبَوْا بِرِزْوَا كَأَنَّهُمُ الْجِبَالُ الْمُشْتَلُ
يَقَالُ : سَكَ الشَّيْءُ سَكًا إِذَا رَفَعَهُ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ ظَاهِرٌ .
وَالْمُرَادُ بِالْبَيْتِ فِيهِ الْكَعْبَةُ ، أَوْ بَيْتُ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ .

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : جَمَلُ الْإِيمَاءِ إِلَى وَجْهِ الْخَيْرِ وَسِيلَةً إِلَى التَّعْرِيزِ بِالتَّعْظِيمِ لِشَأْنِهِ ،
وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ « إِنْ الذِّى سَمَكَ السَّمَاءَ » فَنِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنْتَ الْخَبَرِ الْمَبْنَى عَلَيْهِ أَمْرٌ
مِنْ جَنْسِ الرُّقْمَةِ وَالْبِنَاءِ ، بِخِلَافِ مَا لَوْ قِيلَ إِنْ اللَّهُ أَوْ الرَّحْمَنُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ . ثُمَّ فِيهِ
تَعْرِيزٌ بِتَعْظِيمِ بِنَاءِ بَيْتِهِ لِكَوْنِهِ فَعْلٌ مِنْ رَفْعِ السَّمَاءِ الَّتِي لَا بِنَاءَ أَرْفَعُ مِنْهَا وَلَا أَعْظُمُ .
حَدَّثَ سَلْمَةُ بْنُ عِيَّاسٍ ^(١) مَوْلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَى قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ فِي
السَّجْنِ وَهُوَ مَحْبُوسٌ ، وَقَدْ قَالَ قَصِيدَتَهُ :

بعض أخبار
الفرزدق

إِنَّ الذِّى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَاءُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
وَقَدْ أَغْصَمُوا أَجِيلَ ^(٢) ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا أُرْفِدُكَ ؟ فَقَالَ : وَهَلْ ذَاكَ عِنْدَكَ ؟ فَقُلْتُ :
نَعَمْ ، ثُمَّ قُلْتُ :

يَبْتَ زُرَّارُهُ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمَجَاشِعُ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
فَاسْتَجَادَ الْبَيْتَ ، وَغَاظَهُ قَوْلِي ، فَقَالَ لِي : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ قُرَيْشٍ ،
قَالَ : مِمَّنْ أَيْهَا ؟ قُلْتُ : مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَى ، فَقَالَ : لَنَامَ ، وَاللَّهِ رَضَعُهُ ، جَاوَرَتْهُمْ
بِالْمَدِينَةِ فَمَا أَحَدَتْهُمْ . فَقُلْتُ : أَلَا مَ وَاللَّهِ مِنْهُمْ وَأَوْضَعَ قَوْمُكَ ، جَاءَكَ رَسُولُ مَالِكِ بْنِ
النَّمِرِ وَأَنْتَ سَيِّدُهُمْ وَشَاعِرُهُمْ ، فَأَخَذَ بِأَذْنِكَ يَقْرُدُكَ حَتَّى حَبَسَكَ فَمَا اعْتَرَضَهُ أَحَدٌ
وَلَا نَصَرَكَ . فَقَالَ : قَالَتْكَ اللَّهُ ! مَا أَمْرُكَ ؟ وَأَخَذَ الْبَيْتَ وَأَدْخَلَهُ فِي قَصِيدَتِهِ
ذَكَرْتُ بِقَوْلِهِ : « يَبْتَ زُرَّارَةُ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ » الْبَيْتَ ، مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ
الْأَدَبِ قَالَ : مَا شَبَّهَتْ تَأْوِيلَ الرَّافِضَةِ فِي قَبْحِ مَذْهَبِهِمْ إِلَّا بِتَأْوِيلِ بَعْضِ مَجَانِينِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ « سَلْمَةُ بْنُ عِيَّاسٍ » .

(٢) فِي الْمَطْبُوعَتَيْنِ « وَأَحْيَلُ » .

أهل مكة في الشعر، فانه قال يوماً : ما سمعت بأكذب من بنى تميم ، زعموا أن قول الفائق :

بيناً زارة محتبٍ بفنائهِ ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
أن هذه أسماء رجال منهم ، قلت : وما عندك أنت فيه ؟ قال : البيت بيت الله ، والزارة الحجر زرت حول البيت ، ومجاشع زمزم جشمت بالماء ، وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت له : فنهشل ؟ ففكر فيه ساعة ثم قال : قد أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود ، فذاك النهشل .

وذكرت أيضاً هنا ما حدثه أبو مالك الراوية قال : سمعت الفرزدق يقول :
أبقى غلامان لرجل منا يقال له النضر ، فحدثني قال : خرجت في طلبهما وأنا على ناقة لى عيساء كرماء أريد اليمامة ، فلما صرت في ماء لبني حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابة فأرعدت وأبرقت وأرخت عزاليها ، فعدلت إلى بعض ديارهم وسألت القرى ، فأجابوا ، فدخلت داراً لهم وأتحت الناقة وجلست تحت ظلة لهم من جريد النخل ، وفي الدار لهم جويرية سوداء ، إذ دخلت جارية كأنها سبيكة فضة ، وكان عينيها كوكبان دُرَّيان ، فسألت الجارية : لمن هذه العيساء ؟ تعنى ناقتي ، فقيل : لضيفكم هذا ، فعدلت إلى فتالت : السلام عليكم ، فرددت عليها السلام ، فتالت : ممن الرجل ؟ فقلت : من بنى حنظلة ، فتالت : من أيهم ؟ قلت : من بنى نهشل ، فتبسمت وقالت : أنت إذا من عناء الفرزدق بقوله ، وذكرت الأبيات السابقة ، قال : فقلت : نعم جعلتُ فداك ! وأعجبني ما سمعت منها ، فضحكك وقالت : إن ابن الخطمي ، تعنى جريراً ، قد هدم عليكم بيتكم هذا الذي قد فخرتم به ، حيث يقول (١) :

أخرى الذي رفَع السماء مجاشعاً . وبنى بناءً بالحضيض الأسفل

(١) انظرهما في الديوان (٤٤٤) ضمن قصيدة أولها :
لمن الديار كأنها لم تحمل بين الكناس وبين طلع الأعزل

يَتَنَا بِحَمْمٍ قَيْنَكُمُ خَنَائِهِ دَسَائِقَاعُهُ خَيْثَ الْمَدْخِلِ (١)
 قَالَ: فَوَجَّهْتُ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ، هَلْ لَكَ النَّاسُ
 يُقَدِّرُ فِيهِمْ يَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَتْ: أَيْنَ تَوَدُّ؟ قُلْتُ: إِلَى الْيَمَامَةِ. فَتَنَفَّسْتُ الصَّعْدَاءُ ثُمَّ
 أَتَشَأْتُ تَقُولُ [مَنْ الْوَافِرُ]:

تُذَكِّرُنِي بِإِلَافٍ خَيْرٍ أَهْلِي بِهَا أَهْلُ الْمَرْوَةِ وَالْكَرَامَةِ
 أَلَا فَسَى الْإِلَهِ أَجْشَ صَوْبٍ يَسْحُ بِدَرٍّ بِلَدِّ الْيَمَامَةِ
 قَالَ: فَأَنْتِ يَهَانَتِي قُلْتُ: أَذَاتُ خَيْرٍ أَمْ ذَاتُ بَلٍ؟ فَأَنْشَأْتُ تَقُولُ
 [مَنْ الْوَافِرُ]:

إِذَا رَفَعْتَ النِّيَامَ فَانْ عَمْرًا تَوَدُّهُ الْمَعْمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ
 تُقَطِّعُ قَلْبَهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي فَلَا هُوَ بِالْخَلِيِّ وَلَا بِصَاحِي
 سَقَى اللَّهُ الْيَمَامَةَ حَارًّا قَوْمَ بِهَا عَمْرُو يَمُحُّ إِلَى الرُّوَاكِ
 قَالَ: قُلْتُ لَهَا: مَنْ عَمْرُو هُنَا؟ فَأَنْشَأْتُ تَقُولُ [مَنْ الْوَافِرُ]:

سَأَلْتُ وَكُوْ عَلِمْتُ كَفَفْتُ عَنْهُ وَمَنْ لَكَ بِالْجَوَابِ سِوَى الْخَلْبِيرِ
 هَلْ تَنْكَ ذَا قَبُولٍ إِنَّ عَمْرًا لَكَ الْخَلْبِيرُ الْمُضَى الْمُسْتَعِيرِ
 وَصَالِي بِالْتَبْعِلِ مُسْتَرَاخٍ وَلَوْزْدَ التَّبْعِلِ لِي أُسَيْرِي
 قَالَ: ثُمَّ سَكَنْتُ سَكَنَةً كَأَنَّمَا تَسْمَعُ إِلَى كَلَامِهِ، ثُمَّ تَهَافُتَتْ وَأَنْشَأْتُ تَقُولُ:

يُخَيِّلُ لِي أَيَا عَمْرُو بْنِ كَسِيرٍ بِأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِ
 يُسِيرُ بِكَ الْهُوَيْنَا الْقَوْمُ لَمَّا رَمَاكَ الْحُبُّ بِالْقَلْقِ الْيَسِيرِ
 هَلْ تَنْكَ هَكُنَا يَا عَمْرُو إِنِّي مُبَكَّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقُبُورِ
 ثُمَّ شَهَقْتُ شَهَقَةً فَخَرَّتْ حِمِيَّتِي، قُلْتُ لَهُمْ: مَنْ هُنَا؟ فَقَالُوا: هَذِهِ عَقِيلَةُ بِلَتِ

(١) بِحَمْمٍ: أَرَادَ أَنَّهُ يَدْخُنُ فِيهِ فَيَلْطَحُهُ بِسَوَادِ الدِّخَانِ

الضحك بن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، قلت لهم : فن عمرو هذا ؟ قالوا : ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق ، فارتحلت من عندهم ، فلما دخلت البجامة سألت عن عمرو هذا فإذا هو قد دفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت

والفرزدق قد تقدم ذكره في شواهد المقدمة (١)

١٨ — * هذا أبو الصقر فردا في نحاسه *

شاهد تعريف
المسند إليه
بالإشارة

قائله ابن الرومي ، وتماه :

* من نسل شيبان بين الضال والسلم *

وهذا البيت من قصيدة من البسيط ، وشيبان بن ذهل وشيبان بن ثعلبة قبيلتان ، والضال والسلم : شجرتان من شجر البادية ، وفردا : منصوب على المدح أو الحال

والمعنى : هذا المشار إليه صاحب الاسم المشهور إذا ذكر رجلا فردا في محاسنه وفضائله من نسل شيبان وأولاد هذه القبيلة المقيمين بالبادية ، والاقامة بها مما تتمتع به العرب لأن فقد العز في الحضر .

والشاهد فيه : تعريف المسند إليه بإبراده اسم إشارة متى صلح المقام له واتصل به غرض ، وصلاحيته بأن يصح إحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة إليه حسا ، ثم الغرض الموجب له أو المرجح تفصيل يأتي ضمن الشواهد إن شاء الله تعالى ، وتعريفه بالإشارة هنا لتمييزه أكل تمييز ، وذلك في قوله « هذا أبو الصقر » لصحة إحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة حسا .

ومثله قول المتنبي [من الطويل] :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أُخْسِرُوا الْبِنَا وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدَّوْا

وقول ملاح حاتم الطائي [من الكامل] :

وَإِذَا تَأَمَّلْتُ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مُتَسَرِّلِي سِرْبَالٍ لَيْلِي أَغْبِرُ
أَوْمًا إِلَى الْكُومَاءِ هَذَا طَارِقٌ نَحَرَتْنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِي

وابن الرومي ^(١) هو : أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ، وقيل : هو

ترجمة ابن الرومي ^(٢) الشاعر المشهور ، صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ،

ينفوس على المعاني النادرة فيستخرجها من مكائنها ويبرزها في أحسن قالب ،

وكلن إذا أخذ المعنى لا يزال يستقصى فيه حتى لا يدع فيه فضلة ولا بقية ، ومعانيه

غريبة جيدة .

وحكي ابن دُرُستُويَرٍ وغيره أن لائماً لأمه فقال له : لم لاتشبهه كتشبهات

ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ فقال له : أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني عن

مثله ، فأنشده قوله في الهلال [من الكامل] :

انْظُرْ إِلَيْهِ كَزُورِي مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلْتَهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ

فقال له : زدني ، فأنشده قوله في الآذريون ، وهو زهر أصفر في وسطه خجل أسود ،

وليس بطيب الرائحة ، والفَرَسُ تعظمه بالنظر إليه وفرشه في المنزل [من

مجزوء الرجز] :

كَأَنَّ آذَرِيُونَهَا وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالْيَةِ

مَدَاهِنٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ بَقَايَا غَالِيَةِ

فصاح : واغوثاه ! تالله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ماعون

(١) لابن الرومي ترجمة في ابن خلكان (٢-٤١)

(٢) الذي في ابن خلكان «وقيل جورجيس»

بينه لأنه ابن خليفة ، وأنا أى شئ أصف ، ولكن انظر إذا أنا وصفت ما عرف
 أن يقع قولى من الناس ، هل لأحد قط قول مثل قولى فى قوس ^(١) الغمام
 وأنشد [من الطويل] :

وَسَاتِي صَبِيحَ الصَّبَوحِ دَعْوَتُهُ فَقَامَ وَفِي أَجْنَانِهِ سِنَّةَ الْغَمَضِ
 يَطُوفُ بِكَاسَاتِ الْعُقَارِ كَأَنْجِيمٍ فَمِنْ بَيْنِ مُنْقَضِ عَلَيْنَا وَمُنْقَضِ
 وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدَى الْجَنُوبِ مَطَارِفًا عَلَى الْجَوْ دَكْنَا وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ
 يَطْرُقُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَخْضَرٍ عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَصْفَرٍ إِثْرَ مَبِيزِ
 كَأَذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلْتُ فِي غَلَائِلِ مُصْبَغَةٍ وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ
 وبعضهم ينسبها لسيف الدولة بن حمدان ، منهم صاحب اليتيمة . وقولى فى

صانع الرقاق [من البسيط] :

إِنْ أُنْسَ لَا أُنْسَ خَبَارًا مَرَّتْ بِهِ يَذْهَبُ الرِّقَاقُ مِثْلَ الْمَحِ بِالْبَصْرِ ^(٢)
 مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كُرَّةٌ وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا قَوْرَاءُ كَالْقَمَرِ
 إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا تَنْدَاحُ دَائِرَةٌ فِي لُجَّةِ الْمَاءِ يُلْقَى فِيهِ بِالْحَجَرِ
 وقولى فى قالى الزلاية [من البسيط] :

وَمُسْتَقِرٌّ عَلَى كُرْسِيِّ تَعَبِ رُوحِ الْفِدَاءِ لَهُ مِنْ مَنَصِبٍ نَصَبِ
 رَأْيُهُ سَدْحًا يَقْلَى زَلَايَةٌ فِي رِقَّةِ الْقَشْرِ وَالتَّجْوِيفِ كَالْقَصَبِ
 كَأَنَّمَا زَيْتُهُ الْمُقْلَى حِينَ بَدَأَ كَالْكِيمَاءِ الَّتِي قَالُوا وَلَمْ تَصْبِرْ

(١) هو قوس قزح الذى يظهر فى السماء عقب المطر ، وقد روى صاحب
 يتيمة الدهر هذه الايات ونسبها إلى سيف الدولة الحمدانى (١-٢٤) وقد
 ذكر المؤلف ذلك هنا .

(٢) فى أصول الكتاب « لا أنس لا أنس » وهو غير المعروف .

يُنْقِرُ الْمَجِينُ لَجِيئًا مِنْ أَنْامِلِهِ فَيَسْتَحِيلُ شَبَابِيكَامِنْ الذَّهَبِ
وَمِنْ مَعَانِيهِ الْبَدِيعَةِ قَوْلُهُ [مِنْ السَّكَّامِلِ] :

وَإِذَا امْرُؤٌ مَدَحَ امْرَأًا لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَرَادَ هِجَاهُ
لَوْ لَمْ يُقَدَّرْ فِيهِ بُعْدُ الْمُسْتَقَى عِنْدَ الْوَرُودِ لِمَا أَطَالَ رِشَاهُ

وَقَدْ كَرَّابِنْ الرُّومِيِّ هَذَا الْمَعْنَى فِي نَظْمِهِ فَقَالَ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :

إِذَا عَزَّ رِفْدٌ مُسْتَرْفِدٌ أَطَالَ الْمَدِيحَ لَهُ الْمَادِحُ
وَقَدْ مَا إِذَا اسْتَبَعَدَ الْمُسْتَقَى أَطَالَ الرِّشَاءَ لَهُ الْفَاتِحُ

وَقَدْ أَخَذَهُ السَّرَاجُ الْوَرَّاقُ فَقَالَ [مِنْ الْمُجْتَثِ] :

سَامِحٌ يَفْضُلُكَ عَبْدًا مُقْصِرًا فِي التَّنْأَةِ
رَأَى قَلِيًّا قَرِيبًا فَلَمْ يُطِلْ فِي الرِّشَاءِ

وَعَلَى ذِكْرِ آيَاتِهِ الْمَارَّةِ فِي صَانِعِ الرِّفَاقِ ذَكَرْتُ مَا حَكَى عَنْ الْأَدِيبِ أَبِي
عَمْرِو التَّمِيمِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ أُنْشِدتْ فِي حَلَقَتِهِ فَقَالَ بَعْضُ تَلَامِيذِهِ : مَا أَظُنُّ أَنَّ
يُقَدَّرُ عَلَى الزِّيَادَةِ فِيهَا ، فَقَالَ :

فَكُنْتُ أَضْرُطُّ إِعْجَابًا لِرُؤْيَيْهَا وَمَنْ رَأَى مِثْلَ مَا أَبْصَرْتُ مِنْهُ خَرِي
فَضَحَكْتُ مِنْ حَضَرٍ ، وَقَالُوا : الْبَيْتُ لَا تُلَاقُ بِالْقِطْعَةِ لَوْلَا مَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ
الرَّجِيحِ ، فَقَالَ :

نَ كَانَ بَيْتِي هَذَا لَيْسَ يُعْجِبُكُمْ فَعَجَلُوا مَحْوُهُ أَوْ فَالْعَقْوُهُ طَرِي
وَمِنْ مَعَانِيهِ ابْنُ الرُّومِيِّ الْبَدِيعَةِ قَوْلُهُ يَهْجُو [مِنْ السَّرِيعِ] :

لِخَالِدٍ شَاعِرِنَا زَوْجَةٌ لَهَا حِرٌّ يَبْلُغُ مِثْلَيْهَا
قَوَّامَةٌ بِاللَّيْلِ لَكُنْهَا تَسْتَغْفِرُ اللَّهُ بِرِجْلَيْهَا

وقوله في هذا المعنى ^(١) أيضاً [من الرجز] :

مرفوعة تحت الدجا رجلاها كأنما يستغفران الله
وقد أخذ هذا المعنى أبو عبد البصري فقال من أبيات [من الوافر] :

ولا تتزوجن لهم بنت
بأرجلهم يستغفرن ذأبا فأرجلهم للدعوات راح

رجع إلى شعرا بن الرومي ، فنه قوله [من الكامل] :

طامن حشاك فلا محالة واقع بك ما تحب من الأمور ونكوه
وإذا أناك من الأمور مقدر وهربت منه فنحوه تتوجه

ومنه قوله يهجو [من الوافر] :

غضبت وظللت من سفة وطيش
فما افتزقت لبضيتك الثريا
بزهز لحيه في قدر رقص
ولا اجتمعت لذك بنات نكش

ومنه قوله أيضاً [من البسيط] :

إن كنت من جهل حتى غير معتد
فأعطيني بمن الطرس الذي كتبت
وكنت عن رد مني غير منقلب
فيه القصيدة أو كفارة الكنب

وقد تبعه الفاضل على بن مليك الحموي وأخذ غالب ألفاظه فقال [من البسيط] :

مدحيتكم طمعا فيما أومله
فلم أنل غير حظ الائم والوصب
إن لم تكن صلة منكم لدى أدب
فأجرة الخط أو كفارة الكنب

ولابن الرومي في مثله [من الكامل] :

ردوا على صحتنا سوء ذاتها
فيكم بلا حق ولا استحقاق

وقد سبق إلى هذا المعنى أبو تمام بقوله في المطلب الخراعي [من السريع] :

أقول عدلا فيك فيما أرى
إنك لا تقبل قول الكنب

(١) في المطبوعتين « وقوله فيها هذا المعنى »

مَدَحَكُمْ كَذِبًا لِحَزِينَتِي يُجَلَّا لَقَدْ أَنْصَفْتَ يَا مُطْلِبُ

وقال بن زيمون [من الكامل]:

فَقُلْ لِرَؤُوسِي وَقَدْ قَضَيْتُ بِمَدْحِهِ عُرَى فَكُنَّ السَّجْنُ مِنْهُ تُؤَابِي

لَا تَخْشَى لَأَتَمَّ بِمَا قَدْ جَنَّتُهُ مِنْ ذَلِكَ فِي وَلَا تَوَقَّ عَنَابِي

لَمْ تُخْضِفْ أَمْرِي الصَّوَابَ مَوْهًا هَذَا جَرَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

ولابن مليك وقد مدح بعض رؤساء العصر بقصيدة فريدة فقولت بالحرمان

[من البسيط]:

كَلَّمُوا قَصِيدَكَ بِالْحُرْمَانِ لَمْ رَجَعْتَ بِاللَّهِ إِلَهِي خَبَرْنَا عَنْ السَّبَبِ

صَلَّتْ مَا قَوْلُكَ بَانْتَعَرُ عَنْ خَطَايَا إِلَّا لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْكُذْبِ

ومن شعرا ابن الرومي يهجو إبراهيم بن المهدي ، وهو قريب من هذا المعنى

[من الوافر]:

رَدَدْتَ إِلَى شِعْرِي بَعْدَ مَطْلٍ وَقَدْ دَنَسَتْ مَلْبَسُهُ الْجَدِيدَا

وَقُلْتَ أَمْسَحْ بِهِ مِنْ شَتَّى بَعْدِي وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ الْمَدْحَ الرَّدِيدَا

وَلَا سِيمَا وَقَدْ أَعْلَقْتَ فِيهِ تَخَازِيكَ اللَّوَانِي لَنْ تَبِيدَا

وَهَلْ لَخِي فِي أَتَوَابِ مَيِّتٍ لَبُوسٌ بَعْدَ مَا امْتَلَأَتْ صَدِيدَا

وقال أبو جعفر بن وضاح في أبي الوليد بن مالك وقد قصد عن برة

[من الكامل]:

أَبْلَغُ لَدَيْكَ الْمَالِكِي رِسَالَةً مَحْذُوفَةً بِمِثْلِ السَّنَنِ الْهَذِيمِ

أَلَيْسَتْ أَمْدَاحِي كَأَزْهَارِ الرُّبَا وَحَزِينَتِي بِقَطِيعَةٍ وَتَجْهِيمِ

فَرْدُذٍ عَلَى مَدَامَحِي مُؤَوَّرَةً هَذَا السَّوَارِ لِنِيرِ ذَلِكَ الْمِصْمِ

ولطيف قول أبي المظفر الأبيوردي [من الكامل]:

وَمَدَامَحِي فَحَسْبُ الرِّيشِ أَضْمَتُهَا فِي بَإِخْلِ أَعْيَتْ بِهِ الْأَحْسَابُ

فَإِذَا تَشَبَّهَ الرُّوَادُ وَأَبْصُرُوا الْمَسْمُوحَ قَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ

وقول أبي بكر بن مجير الأندلسي [من الوافر]:

وَقَالَتْ: تَقُولُ وَقَدْ رَأَيْتَنِي أَقَابِي الْجَذْبَ فِي الْمَرْعِ الْخَصِيبِ
أَمَاعَتِ الْفَقِيهِ وَأَنْتَ تَشْكُو لَهُ شَكْوَى الْعَلِيلِ إِلَى الْعَلِيْبِ
وَقَدْ مَرَّ الشَّيْءُ بِمَعْطِيهِ كَمَا مَرَّ النَّسِيمُ عَلَى الْقَضِيْبِ
فَقُلْتُ: عَلَى شُكْرٍ وَامْتِدَاحٍ وَلَيْسَ عَلَى تَقْلِيْبِ الْقُلُوبِ

وما أحسن قول بشار، وكان قد مدح المهدي بقصيدة فخره الثواب، فقيل
له: حرمك أمير المؤمنين، فقال: والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر ما خشي
صرفه على أحد، ولسكنني كذبت في العمل فكذبت في الأمل

والطيف قول ابن جكينا البغدادي [من البسيط]:^(١)

تَفَضَّلُوا وَاعْزُرُوهُ فِي مُنَاطَلَتِي أَنَا أَحَقُّ وَحَقُّ اللَّهِ مِنْ عَتَا
وَلَا تَلْمُؤُوهُ فِي وَعْدٍ يَرُدُّهُ فِي وَقْتٍ مَدَحِي لَهُ عِلْمُهُ الْكَذِبَا
ولا بن جكينا المذكور يعتذر عن بخل المدوحين لفرض عرض له [من الكامل]:
قَدْ بَانَ لِي عُنْدَ الرِّكَامِ فَصَدَّمْ عَنْ أَكْثَرِ الشُّعْرَاءِ لَيْسَ بِعَارٍ
لَمْ يَسْأَلُوا بِذَلِكَ النِّوَالِ وَإِنَّمَا جَدَّ النَّسْدَى لِبِرْوَدَةِ الْأَشْعَارِ
وقال بعضهم في تمهيد عندهم الهجائين [من الهزج]:

تَدَانَتْ طُرُقُ الْيَاسِ فَطَالَتْ طُرُقُ الشُّجْعِ
وَأَجْدَى مَكْسَبُ الْغَشِّ فَأَكْدَى مَكْسَبُ النَّصْحِ

(١) ابن جكينا: هو الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا، الشاعر البغدادي،
كان شاعراً ظريفاً خليعاً، وأكثر أشعاره مقطعات، توفي سنة ثمان وعشرين
وخمسة، وله ترجمة في فوات الوفيات (١-١٤٨)

وَكُنَّ الْإِثْمُ فِي الْمَجْدِ فَصَارَ الْإِثْمُ فِي الْمَدْحِ

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ ابْنِ جُحَظَةَ [مِنْ الْوَافِرِ]:

أَبَى النَّاسُ فِي فِعْلِ الْمَسَاوِي فَأَيُّ يَسْتَحْسِنُونَ سِوَى الْقَبِيحِ

وَصَارَ الْجُودُ عِنْدَهُمْ جُنُونًا فَأَيُّ يَسْتَقِلُّونَ سِوَى الشَّحِيحِ

وَكَانُوا يَهْرَبُونَ مِنَ الْأَهَاجِي فَصَارُوا يَهْرَبُونَ مِنَ الْمَدِيحِ

وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ [مِنْ الْبَسِيطِ]:

كَانَ الْكِرَامُ وَأَبْنَاءُ الْكِرَامِ إِذَا تَسَامَعُوا بِكَرِيمٍ مَسَّهُ "عَدَمُ

تَسَابُقِهِ" فَتَسَابَقُوا فِي وَاسِيَةِ أَخِيهِ كَرَمٍ مِنْهُمْ وَرَجَعُوا بِأَقْبَمِهِمْ وَقَدْ نَدِمُوا

وَالْيَوْمَ لَا شَكَّ قَدْ صَارَ النَّدَى سَفْهًا وَيَنْكُرُونَ عَلَى الْمَعْطَى إِذَا عَمِلُوا

وَمَدَحَ أَبُو الْحُسَيْنِ بَنَ الْفَضْلِ أَحَدَ الْوُزَرَاءِ بِمَرَاكَشٍ ، وَكَانَ أَقْرَعٌ ، فَلَمْ

يُثْبِتْهُ ، فَقَالَ [مِنْ السَّرِيعِ]:

أَهْدَيْتُ مَدِيحِي لِلْوَزِيرِ الَّذِي كَتَبَ بِهِ الْمَجْدُ فَلَمْ يَسْمَعْ

فَحَامِلُ الشَّعْرِ إِلَيْهِ كُنْ يُهْدِي بِهِ مُشْطًا إِلَى أَقْرَعٍ

وَمَا أَحْذَقُ قَوْلَ أَبِي رِيَّاسٍ فِي الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ وَقَدْ مَدَحَهُ وَتَأَخَّرَتْ صَلَاتُهُ وَطَالَ

رُؤْدُهُ إِلَيْهِ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ]:

وَقَائِلُهُ قَدْ مَدَحْتَ الْوَزِيرَ وَهُوَ الْمُؤْمَلُ وَالْمُسْتَحَ (١)

فَمَاذَا أَفَادَكَ ذَلِكَ الْمَدِيحُ وَهَذَا الْغَدُوُّ وَهَذَا الرُّوَّاحُ

فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ يَدْرِي أَمْرُهُ بِأَيِّ الْأُمُورِ يَكُونُ الصَّلَاحُ

(١) «وهو» بتشديد الواو لاقامة وزن البيت ، وقد جاء ذلك في الشعر العربي المحتج به ، وذلك قول الشاعر:

وإن لسانى شهدة يشتقى بها وهو على من صبه الله علقم

عَلَى التَّقْلُبِ وَالْاضْطِرَابِ بِمَجْهَرٍ وَلَيْسَ عَلَى النِّجَاحِ (١)
 وهو قريب من معنى أبيات ابن مجهر السابقة قريباً .
 ولابن الرومي في ذم الخضاب ، وهو من معانيه المحترقة (٢) [من الطويل] :
 إِذَا رَمَمَ الْمَرْءُ الشَّبَابَ وَأَخْلَقَتْ شَبَابَهُ ظَنُّ السَّوَادِ خَضَاباً (٣)
 وَبِفَظْنِ الشَّيْخِ أَنْ خَضَابَهُ يُظَنُّ سَوَاداً أَوْ يَخَالُ شَبَاباً (٤)
 وقد ذكرت بهذين البيتين اعتذار عبدان المعروف بالحوزي عن الخضاب ،
 وهو أحسن شيء رأيته في معناه [من الخفيف] :

فِي مَشَبِي شِمَاتٍ لِعِدَاتِي وَهُوَ نَاعٍ مُنْغَصٍ لِحَيَاتِي
 وَيَعِيبُ الْخَضَابَ قَوْمٌ وَفِيهِ لِي أَنْسٌ إِلَى حُضُورِ وَفَاتِي
 لَا وَمَنْ يَلْعَلُ السَّرَائِرَ مِنِّي مَا بِهِ رُمْتُ خَلَّةَ الْغَانِيَاتِ
 إِنَّمَا رُمْتُ أَنْ أُغَيَّبَ عَنِّي مَا تُرِينِيهِ كُلَّ يَوْمٍ مِرَاتِي
 هُوَ نَاعٍ إِلَى نَفْسِي وَمَنْ ذَا سَرَّهُ أَنْ يَرَى وَجْهَ الْبُعَاةِ
 وعلى ذكر عبدان هذا فقد كان مع فضله وجزالة شعره خفيف الحال متكلف
 المعيشة قاعداً تحت قول أبي الشيب [من الكامل] :

* لَيْسَ الْقَلْبُ عَنْ الزَّمَانِ بِرَاضٍ *

(١) «الاضطراب» بقطع همزة الوصل لإقامة الوزن أيضاً ، وقد جاء ذلك
 في شعر العرب المحتج به عند الضرورة ، فمن ذلك قول الشاعر :

أَلَا أَرَى إِنِّنِّي أَحْسَنُ شَيْمَةً عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي وَمِنْ جَمَلِ

(٢) البيتان في ابن خلكان (٢-٤٢) مع بعض تغيير سند كره

(٣) ورد صدر هذا البيت في ابن خلكان * إذا دام للمرء السواد وأخلقت *

(٤) وقع في ابن خلكان «فكيف يظن» وقد وقع في أصول الكتاب

«أو يخال» - بالحاء المهملة - محرفاً

وهو القائل [من الخفيف] :

فَلْتُ لِلدَّهْرِ مِنْ فُضُولِي قَوْلًا وَحَدَانِي عَلَيْهِ طِيبُ الْأَمَانِي
أَتَرَانِي بِخَلْمَةٍ أَنَا أَجْبِي ذَاتَ يَوْمٍ وَفَاخِرِ الْحُلَانِي
قَالَ هِبْهَاتِ أَنْتِ وَالنَّحْسُ تَرْبَانِي وَقَدْ كُنْتُمْ رَضِيعِي لِبَانِي
لَا تُؤْمَلُ دُرٌّ كَوْبَ شَيْءٍ سِوَى التَّمَشُّيشِ وَلَا خِلْمَةٌ سِوَى الْأَكْفَانِي
وله من أبيات [من الوافر] :

يُكَلِّفُنِي التَّصَبُّرُ وَالْتَّمَلُّ وَهَلْ يُسْطَاعُ إِلَّا الْمُسْتَطَاعُ
وَقَالُوا قِسْمَةٌ نَزَلَتْ بِعَدْلٍ قَلْنَا لَيْتَهُ جَزَرٌ مُشَاعُ

وكان أبو العلاء الأسدي عرضة لأهاجيه ، فمن ملحه فيه قوله [من السريع] :

أَبَا الْعَلَاءِ اسْكُتْ وَلَا تُؤْذِنَا بِشَيْنِ هَذَا النَّسَبِ الْبَارِدِ
وَتَدَّعِي مِنْ أَسَدٍ نَسَبًا لَا تَنْبُتُ الدَّعْوَى بِلَا شَاهِدِ
أَقَمْ لَنَا وَالِدَةً أَوْلَا وَأَنْتِ فِي حِلٍّ مِنْ الْوَالِدِ
وقوله أيضاً [من الكامل] :

قَابِلُ هُدَيْتِ أَبَا الْعَلَاءِ نَصِيحِي قَبُولُهَا وَيُوجِبُ الشُّكْرَ
لَا تَهْجُونَّ أَسِنَّةً مِنْكَ فَرِيحًا تَهْجُو أَبَاكَ وَأَنْتِ لَا تَدْرِي
وقوله [من الكامل] :

أَضْحَى الْمَلُومُ أَبَا الْعَلَاءِ يَسْبِي وَأَنَا أَبُوهُ يَغْنَى وَيَعَادِي ^(١)
وَالْمُنْتَمُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَوْلَادِهِ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ أَوْلَادِي
ولترجع إلى شعر ابن الرومي

قال في بغداد وقد غاب عنها في بعض أسفاره ، وهو معنى جيد [من الكامل] :

يَلْمِزُ صَحْبَتُهَا الشَّيْبَةَ وَالصَّبَا وَلَبِستُ ثَوْبَ اللَّهِ وَهُوَ جَدِيدُ

(١) كذا ، وصوابه عندنا • أضحى الملووم أبو العلاء يسبني •

فَإِذَا تَمَثَّلَ فِي الضَّمِيرِ رَأْيُهُ وَعَلَيْهِ أَغْصَانُ الشَّجَرِ تَمِيدُ
ومعاصنه كثيرة ، وديوان شعره رتبة الصولى على الحروف ، وكان كثير التطير
جداً ، وله فيه أخبار غريبة ، وكان أصحابه يعيشون به فيرسلون إليه مَنْ يَظْطِيرُ
من اسمه فلا يخرج من بيته أصلاً ويمتنع من التصرف سائر يومه ، وأرسل إليه
بعض أصحابه يوماً بفلام حسن الصورة اسمه حسن ، فطرق الباب عليه ، فقال :
من ؟ قال : حسن ، فتفاهل به وخرج ، وإذا على باب داره حانوت خياط قد سلب
عليها درفتين كهيئة اللام ألف ، ورأى تحتها نوى تمر ، فطير وقال : هذا يشير
بأن لا تمر ، ورجع ولم يذهب معه .

وكان الأخفش على بن سليمان قد تولع به ، فكان يقرع عليه الباب إذا أصبح
فإذا قال : مَنْ القارع ؟ قال : مرة بن حنظلة ، ونحو ذلك من الأسماء التي يتطير
بذكرها ، فيحبس نفسه في بيته ولا يخرج يومه أجمع ، فكتب إليه ينهله
ويتوعده بالمجاء ، فقال [من المنسرح] :

قُولُوا لِنَحْوَيْنَا أَبَى حَسَنِ إِنَّ حُسَامِي مَتَى ضَرَبْتُ مَضَى
وَأَنَّ نَبْلِي إِذَا هَمَمْتُ بِهِ أَرْمِي غَدَا نَصَلُهَا بِجَمْرٍ غَضَا
لَا تَحْسَبَنَّ الْمَجَاءَ يَخْدُمُ السَّرْفُ وَلَا خَفَضُ خَفَضَا
ومنها :

عِنْدِيهِ السُّوْطُ إِنَّ قِلَامَ فِي السَّيْرِ وَعِنْدِي اللُّجَامُ إِنَّ رَكْضَا
وكان الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان^(١) بن وهب وزير المتضد يخالف

(١) في الأصول «القاسم بن عبد الله بن سليمان» وما أتبعناه موافق لما في
ابن خلكان

هجومه وقلعت لسانه ، ففسد عليه ابن فراس ، فأطعمه خشكناجية (١) مسمومة ، فلما أكلها أحس بالسقم ، فقام ، فقال له الوزير : إلى أين تذهب ؟ فقال : إلى الموضع الذي بعثت بي إليه ، فقال له : سلم على والدي ، فقال : ليس طريقى على النار ، وخرج من مجلسه وأتى منزله وأقام أياما ومات .

وكان الطبيب يتردد إليه ويعالجه بالأدوية النافعة للسم ، فزعم أنه غلط عليه في بعض العقاقير ، قال نبطويه النحوى : رأيت ابن الرومى وهو يجود بنفسه هملت : ما حالك ؟ فأنشد [من الكامل] :

غَلَطَ الطَّبِيبُ عَلَى غَلْطَةِ مُورِدٍ تَحْجِزُ مَوَارِدُهُ عَنِ الإِصْدَارِ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ الطَّبِيبَ وَإِنَّمَا غَلَطَ الطَّبِيبُ إِصَابَةَ الأَقْدَارِ

وقال أبو عثمان الناجم الشاعر : دخلت على ابن الرومى أعوده فوجدته يجود بنفسه ، فلما قت من عنده قال [من الوافر] :

أَبَا عَثْمَانَ أَنْتَ تَحْجِزُ قَوْمِيكَ وَجُودُكَ لِلْعَشِيرَةِ دُونَ أَوْمِيكَ
تَرْوِدُ مِنْ أُخِيكَ فَلَا أَرَاهُ يَرَاكَ وَلَا تَرَاهُ بَعْدَ يَوْمِيكَ

وكانت ولادته ببغداد بعد طلوع فجر يوم الأربعاء لليلتين خلتا من رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وتوفى في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقيل : أربع وثمانين ، وقيل : وسبعين ومائتين ، ودفن في مقبرة باب البستان ، رحمه الله !

(١) الخشكناج : دقيق الحنطة يعجن بالشيرج ويبسط ويملا بالسكر والوز أو الفستق وماء الورد ثم يضم ويخبز ، وأهل الشام يسمونه المككن قاله داود في التذكرة . وقد تكلمت به العرب ، قال الراجز :
ياحبذا الكمك بلحم مثرود وخشكناج وسويق مقنود

١٩ - أَوْلَيْكَ أَبَافِي جَفْنِي بِمَنِّهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْجَامِعُ شاهد الاتيان
بالسند إليه اسم
إضافة
للمريض

البيت للفوزدق، من قصيدة^(١) من الطويل، يفتخر بها على جرير، أولها :
مِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرُّجَالُ سَمَاحَةً وخيراً إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّازِعُ
ومِنَّا الَّذِي أُعْطِيَ الرَّسُولُ عَطِيَّةً أسارى تميم والعُيُونُ دَوَامُعُ^(٢)
ومِنَّا الَّذِي يُعْطَى الْمُتَيْنِ وَيَشْتَرَى السُّقُولَى وَيَعْلُو فَضْلُهُ مَنْ يُدَارِعُ
ومِنَّا خَطِيبٌ لَا يِعَابُ وَحَامِلٌ أَعْرُثُ إِذَا التَفَّتْ عَلَيْهِ الْجَامِعُ^(٣)
ومِنَّا الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَ وَغَالِبٌ وعمرُو وَمِنَّا حَاجِبٌ وَالْأَقَارِعُ^(٤)
ومِنَّا غَدَاةَ الرَّوْعِ فَتَيَانُ غَارَةٍ إِذَا امْتَنَعَتْ بَعْدَ الرَّجَاحِ الْأَشَاجِعُ^(٥)
ومِنَّا الَّذِي قَادَ الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَى لِنَجْرَانِ حَتَّى صَبَحَتْهُ التَّرَائِعُ
وبعد البيت، وهي طويلة.

ومعنى البيت التعجيز لأنه قد تحقق عنده أن ليس للمخاطب مثل آبائه.

(١) أقرأها في الديوان (ص ٥١٦) وهي نقيضة لقصيدة لجرير بن عطية
مطلما :

ذكرت وصال البيض والشيب وازع ودار الصبا من عهدن بلاقع
(٢) يقصد الأقارع بن حابس، وكان قد خاطب الرسول في بني عمرو بن
جندب بن العنبر، فرد سببهم

(٣) أراد بالخطيب شبة بن عقال، وأراد بالحامل عبد الله بن حكيم
(٤) الذي أحيا الويد هو جده صعصة، وغالب هو أبوه، وعمرُو هو
ابن عمرو بن عدس، والأقارع : الأقارع بن حابس وأخوه فراس

(٥) في الديوان « إِذَا امْتَنَعَتْ نَحْتُ الرَّجَاحِ » وامتعت : ارتفعت، وأراد
بالأشاجع الأيدي، وأصلها عصب ظاهر الكف، يعنى إذا ارتفعت الأيدي
بالسيوف بعد أن عملت بالرماح

والشاهد فيه : إيراد المسند إليه اسم إشارة للتعريض بغبادة السامع حتى كأنه لا يدرك غير المحسوس ، وذلك ظاهر في البيت .

٢٠- * هَوَايَ مَعَ الرِّكْبِ الْبَيْمَانِ مَصْعِدُ *

قائه جعفر بن عُلْبَةَ ، من أبيات من الطويل^(١) قالها وهو مسجون ، وتماهه :

* جَنَيْبٌ وَجَنَانِي بِمَكَّةَ مُوثِقُ *

أحمد المصنف
سبأه مرثا
بالأشانه

والأبيات :

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنْتِ تَخْلَصْتِ إِلَى وَبَابِ السَّجْنِ بِالْقُمْلِ مُغْلِقِ^(٢)
أَلَمْتُ فُحَيْتِ نَم وَلَت فُودَعْتِ فَلَمَّا تَوَلَّيْتُ كَادَتْ النَّفْسُ تَزْهَقُ^(٣)
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَعْتُ بَعْدَكُمْ لِشَيْءٍ وَلَا أَنِّي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ^(٤)
وَلَا أَنَّ قَلْبِي يَزْدْهِمُهُ وَعَيْدُكُمْ وَلَا أَنِّي بِالْمَشَى فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ^(٥)
وَلَكِنْ عَرَّتْنِي مِنْ هَوَاكِ ضَامَةٌ كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكَ إِذَا أَنَا مُطْلَقُ^(٥)
والركب : ركبان الابل ، اسم جمع ، أو جمع ، وهم العشرة فصاعدا ، وقد يكون

(١) رواها أبو تمام في أوائل ديوان الحماسة (انظر شرح التبريزي بتحقيقنا ٥١-١) ورواها أبو الفرج في الأغاني (١١-١٤٩) بزيادة بيتين مع حذف بيت الشاهد ، ورواها صاحب الخزنة (٤-٣٢١)
(٢) هكذا في الأصول والأغاني ، وفي الحماسة والخزنة « وباب السجن دوني مغلق »

(٣) في الحماسة والأغاني والخزنة « ثم قامت فودعت »

(٤) في الأغاني « ولا أن قلبي يزدهيه وعيدكم » وفي الحماسة « ولا أن نفسي يزدهيه وعيدكم » وكذا في الخزنة ، وفيها رواية « ولا أنا من يزدهيه وعيدكم »
(٥) كذا في الأصول والخزنة ، وفي الحماسة والأغاني « عرتني من هواك صباية »

للخيل، ويجمع على أركب وركوب، والأركوب بالضم أكثر من الركب، والركبة
بحركة أقل، ومصدر: من أصعد أى ذهب فى الأرض وأبعد. وجنب: أى بجانب
مستقيم، والجنبان: الجسم والشخص، والجسمان: جماعة البدن والأعضاء من الناس
وسائر الأنواع العظيمة الخلق، وذكر التحليل أنهما بمعنى واحد، والموتق: المقيد
والمعنى فيه: هوأى منضم إلى ركبأن الابل القاصدين إلى اليمن لكون
الحبيب معهم، وبدنى مأسور مقيد بمكة

والشاهد فيه: تعريف المسند إليه بإضافته إلى شئ من المعارف إذ هى أخصر
طريق إلى إحضاره فى ذهن السامع، وهو فى البيت قوله « هوأى » أى مَوْئى
وهو أخصر من قولهم « الذى أهواه » أو غير ذلك، والاختصار مطلوب لضيق
المقام وفرط السآمة لكونه فى السجن وحبيبه على الرحيل

ترجمة جعفر بن
علبة الحارثي

وجعفر بن علبة ^(١) هو ابن ربيعة بن عبد يغوث بن معاوية بن صلاة بن
المقل بن كعب بن الحرث بن كعب، ويكنى أبا عارم، وعارم: ابن له، وقد ذكره
فى شعره، وهو من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل فارس
مذكور فى فوارس قومه، وكان أبوه علبة بن ربيعة شاعراً أيضاً، ومات جعفر
هذا مقتولاً فى قصاص أختلف فى سببه

فقليل: إن جعفر بن علبة وعلى بن جعدب الحارثي القناني ^(٢) والنضر بن
مضارب الماعوى خرجوا فأغاروا على بنى عقيل، وإن بنى عقيل خرجوا فى طلبهم
وافترقوا عليهم فى الطرق، ووضعوا عليهم الأرصاد فى المضايق، فسكانوا كلما

(١) له ترجمة فى الأغاني (١١-١٢٦) وفى الخزانة (٣٢٢-٤) وخبره فى

شرح الحماسة (١-٥٦)

(٢) فى الأصول «الميايى» وما أثبتناه عن الأغاني، وسماه فى شرح
الحماسة «على بن جعدب بن عتي»

أَفْنَتُوا مِنْ عَصَبَةِ لَقِيَتَهُمْ أُخْرَى ، حَتَّى انْتَبَهُوا إِلَى بِلَادِ بَنِي نَهْدٍ ^(١) فَرَجَعَتْ عَنْهُمْ
 بَنُو عَقِيلٍ ، وَقَدْ كَانُوا قَتَلُوا فِيهِمْ ، فَاسْتَعَدَّتْ عَلَيْهِمْ بَنُو عَقِيلِ السَّرِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 الْحَاشِمِيِّ عَامِلَ مَكَّةَ لِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِيهِ عُلْبَةَ بْنِ رِبِيعَةَ ، فَأَخَذَهُ
 بِهِمْ وَجَسَهُ حَتَّى دَفَعَهُمْ وَسَاوَرُ مِنْ كَانَ مَعَهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَمَّا النَّضْرُ فَاسْتَقِيدَ مِنْهُ بِمِجْرَاحَةٍ
 وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ جَعْدٍ فَأَقْلَتَ مِنَ السَّجْنِ ، وَأَمَّا جَعْفَرُ بْنُ عُلْبَةَ فَأَقَامَتْ عَلَيْهِ بَنُو
 عَقِيلٍ قَسَامَةً أَنَّهُ قَتَلَ صَاحِبَهُمْ فَقُتِلَ بِهِ

وَذَكَرَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ أَنَّ الَّذِي أَثَارَ الْحَرْبَ بَيْنَ جَعْفَرِ بْنِ عُلْبَةَ وَبَنِي عَقِيلٍ
 أَنَّ إِيَّاسَ بْنَ يَزِيدَ الْحَارِثِيِّ وَإِسْمَاعِيلَ بْنَ أَحْمَدَ ^(٢) الْعَقِيلِيَّ اجْتَمَعَا عِنْدَ أُمَةِ لَشَعْبٍ
 ابْنِ صَامِتِ الْحَارِثِيِّ ، وَهِيَ فِي إِبِلٍ لِمَوْلَاهَا فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ صَمْعَرُ مِنْ بِلَادِ بَلْحَرِثٍ ^(٣)
 فَتَحَدَّثَا عَنْهَا ، فَأَلَّتْ إِلَى الْعَقِيلِيِّ فَدَخَلَتْهُمَا وَوَأَسَفَتْهُنَّ حَتَّى تَحَنَّنَا بِالْعَائِمِ ، فَأَتَقَطَعَتْ
 عَامَةَ الْحَارِثِيِّ ، وَخَنَقَهُ الْعَقِيلِيُّ حَتَّى صَرَخَ ، ثُمَّ تَفَرَّقَا ، وَجَاءَ الْعَقِيلِيُّونَ إِلَى الْحَارِثِيِّينَ
 فَحَكَمُوهُمْ ، فَوَهَبُوا لَهُمْ ، ثُمَّ بَلَغَهُمْ بَيْتٌ قِيلَ وَهُوَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَلَمْ تَسْأَلِ الْعَبْدَ الزَّيَادِي مَارَأَى رِبْصَةً وَالْعَبْدُ الزَّيَادِي قَائِمٌ

فَقَضَبَ إِيَّاسَ مِنْ ذَلِكَ ، فَلَقِيَ هُوَ وَابْنُ عَمِّهِ النَّضْرُ بْنُ مُضَارِبٍ ذَلِكَ الْعَقِيلِيَّ
 وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ^(٢) فَشَجَّهَ شَجَتَيْنِ وَخَنَقَهُ ، فَصَارَ الْحَارِثِيُّونَ إِلَى الْعَقِيلِيِّينَ
 فَحَكَمُوهُمْ ، فَوَهَبُوا لَهُمْ ، ثُمَّ لَقِيَ الْعَقِيلِيُّونَ جَعْفَرُ بْنُ عُلْبَةَ الْحَارِثِيَّ ، فَأَخَذُوهُ فَضَرَبُوهُ
 وَخَنَقُوهُ وَرَبَطُوهُ وَقَادُوهُ طَوِيلًا ثُمَّ أَطْلَقُوهُ ، فَلَبِغَ ذَلِكَ إِيَّاسَ بْنَ زَيْدٍ فَقَالَ
 يَتَوَجَّعُ لَجَعْفَرٍ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

(١) فِي الْمَطْبُوعَتَيْنِ « بَنِي نَعْرَ » وَمَا انْتَبَهَ عَنْ الْأَغَانِي وَبَعْضِ الْأَصُولِ

(٢) فِي الْأَغَانِي « إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَرَ »

(٣) بَلْحَرِثُ : أَيْ بَنِي الْحَرِثِ

أبا عازم كيف اغتررت ولم تكن تنفّر إذا ما كان أمرٌ تحاذره
فلا صلحَ حتى يخفيك السيفُ خفيةً بكفّ فتى جرّت عليه جرائره
ثم إن جعفر بن عتبة تبعهم هو وابن أخيه جمعب والنضر بن مضارب ،
وإياس بن يزيد ، فلقوا المهدي بن عاصم وكعب بن محمد بخيرة^(١) وهو موضع بالقاعة
فضربوها ضرباً مبرحاً ثم انصرفوا فضلوا عن الطريق ، فوجدوا العقيليين وهم
تسعة نفر فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل جعفر بن عتبة رجلاً من عقيل يقال له
خسينة^(٢) ، فاستعدى العقيليون إبراهيم بن هشام الخزومي عامل مكة ، فرفع
الحارثيين وهم أربعة من نجران حتى حبسهم بمكة ، ثم أفلت منهم رجل فخرج
هارباً ، فأحضرت عقيل قسامة حلفوا أن جعفرًا قتل صاحبهم ، فأقاده إبراهيم بن
هشام وقال إياس وهو محبوس الأبيات السابقة ، وقال لأخيه يحرّضه [من الطويل] :

قلْ لأبي عَوْنٍ إذا ما لقيتهُ ومن دونه عَرَضُ الفلاةِ بحولٍ
تَعْلَمُ وَعَدَّ الشكَّ أني تشغني ثلاثةُ أحراسٍ معاً وَكَبُولُ^(٣)
إذا رُمْتُ مشياً أوتبواتُ مضجعاً تَبَيّتُ لها فوق السكّابِ صليلُ
ولوْ بكَ كانتْ لا تبتعثُ مطيقي يَعُودُ الحفا أخفافها وَيجُولُ
إلى العدلِ حتى يَصْدُرَ الأمرُ مَصْدَرًا وتَبْرأُ مِنْكُمْ قَالَةٌ وَعُدُولُ

وفي رواية أن جعفر بن عتبة كان يزور نساء من عقيل بن كعب ، وكانوا

(١) في الأصول « بخيرة » وما أثبتناه عن الأغاني ، والحديث كله منقول
منه بالحرف

(٢) في الأصول « حسينة » وما أثبتناه عن الأغاني
(٣) عد الشك : أي تجاوزه ، يريد أترك الشك وكن على يقين ، وفي أصول
هذا الكتاب « وعد الشط » محرّفا عما أثبتناه عن الأغاني ، والسكبول : جمع
كبل ، وهو القيد

متجاوزين هم وبنو الحرث بن كعب ، فأخذته عقيل فكشفوا ذبر قيصة وربطوه إلى جُمته ، وضربوه بالسياط وكشفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث إليهن على تلك السبيل ليغيظوهن ويفضحوه عندهن ، فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا فان هذا الفعل مثله ، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم أن لا أزور بيوتكم أبداً ولا ألجها ، فلم يقبلوا منه ، فقال لهم : فان لم تفعلوا ذلك فحسبكم ما قدمضي ومثوا على بالكف عني ، فاني أعدت تعة لكم ويدا لا أكفرها أبداً ، أو فاقتلوني وأريحوني فأكون رجلا آذى قومه في دارهم فقتلوه ، فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم حتى شقوا أنفسهم منه ثم خلوا سبيله ، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له فدفع راحلته حتى أولجها البيوت ، ثم مضى ، فلما كان في نقرة من الرمل أناخ هو وصاحبه ، وكانت عقيل آفقي ^(١) خلق الله للأثر ، فنبعوه حتى اتبوا إليه وإلى صاحبيه ، وكان العقيليون مغترين ^(٢) ليس مع أحد منهم عصاً ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفر وصاحبه بالسيوف فقتلوا منهم رجلا وجرحوا آخر واقتربوا ، فاستعدت عليهم عقيل السري بن عبد الله الهاشمي عامل المنصور على مكة ، فأحضرهم وحسبهم وأقاد من الجارح ودافع عن جعفر بن علبة وكان يحب أن يدرأ عنه الحد ظلولة السفاح في بني الحرث ، ولأن أخت جعفر كانت تحت السري بن عبد الله ، وكانت حظية عنده ، إلى أن أقاموا عنده قسامة أنه قتل صاحبيهم وتوعده بالخروج إلى أبي جعفر المنصور والتظلم إليه ، فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه ، وأفلت على بن جعدب من السجن فهرب ، فلما أخرج جعفر للقود قال

(١) القيافة : تتبع أثر السائر حتى يهتدى إلى مكانه ، وهو من علوم العرب التي امتازت بها ولا يزال في بعضهم إلى اليوم
(٢) مغترين : مأخوذ من غر على غرة

له غلام من قومه: أسقيك شربة من ماء بارد؟ فقال: اسكت لا أم لك، إني إذا لمهيف، واضطلع شمع نعله، فوقف فأصلحه فقال له رجل: أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه؟ فقال [من الوافر]:

أشدَّ قَبَالَ نَعْلِي أن يراي عَدُوِي للحوادث مُستَكِينَا

وكان الذي ضرب عنق جعفر بن عتبة نخبة بن كليب أخو المجنون، وهو أحد بني عامر بن عقيل، فقال في ذلك [من الطويل]:

شَفَى النَفْسَ مَا قَالِ ابْنُ عُبَيْةَ جَعْفَرٍ وَقَوْلِي لَهُ اصْبِرْ لَيْسَ يَنْفَعَكَ الصَّبْرُ
هَوَى رَأْسُهُ مِنْ حَيْثُ كَانَ كَأَ هَوَى عُقَابٌ تَدُلُّ طَالِبًا خَانَهُ الْوَكْرُ^(١)
أَبَا عَارِمٍ فِينَا عَرَامٌ وَشِدَّةٌ وَبَسْطَةُ أَيْمَانٍ سَوَاعِدَهَا شَمْرُ
هُمُ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ هَامَةً جَعْفَرٍ وَلَمْ يُنْجِهِ بَرٌّ عَرِيضٌ وَلَا بَحْرُ
وَقَذَنَاهُ قَوْدَ الْبَكْرِ قَسْرًا وَعَنُوةً إِلَى الْقَبْرِ حَتَّى ضَمَّ أَثْوَابَهُ الْقَبْرِ

وقال عتبة يرى ابنه جعفرا [من الطويل]:

لَمَمْرُكُ إِنْ يَوْمَ أَسْلَمْتُ جَعْفَرًا وَأَصْحَابُهُ لِلْمَوْتِ لَمَّا أَقَاتِلُ
لِجَنْتَبُ حُبِّ الْمَنِيَا وَإِنَّمَا يَبِيحُ الْمَنِيَا كُلُّ حَقٍّ وَبَاطِلُ
فَرَّاحَ بِهِمْ قَوْمٌ وَلَا قَوْمَ عِنْدَهُمْ مُظْلَمَةٌ أَيْدِيهِمْ فِي السَّلَاسِلِ
وَرَبُّ أَخِي غَابَ لَوْ كَانَ شَاهِدًا رَأَى التَّبَالِيُونَ لِي غَيْرَ خَاذِلِ

وقال عليه أيضاً لامراته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر [من الطويل]:

لَمَمْرُكُ إِنْ اللَّيْلَ يَا أُمَّ جَعْفَرٍ عَلَيَّ وَإِنْ عَلَانِي لَطَوِيلُ

(١) في الأغاني « تدلُّ طالبا جانب الوكر »

أَحَازِرُ أَخْبَارًا مِّنَ الْقَوْمِ قَدَدَنْتُ^(١) وَرَجْمَةً أَتَقَاضُ لَهَا^(٢) دَلِيلُ^(٣)
فَأَجَابَتْهُ امْرَأَتُهُ قَالَتْ :

أَبَا جَعْفَرٍ لَّمْتُ لِلْقَوْمِ جَعْفَرًا^(٤) فَمَتَّ كَمَا أَوْعِشَ وَأَنْتَ ذَلِيلُ^(٥)
وَذَكَرَ شَدَادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ بَنَاتَا لِيَحْيَى بْنِ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ حَضَرَتْ الْمَوْسِمَ فِي
ذَلِكَ الْعَامِ لَمَّا قُتِلَ فَكَفَنَتْهُ وَاسْتَجَادَتْ لَهُ الْكَفَنَ وَبَكَتْهُ وَجَمِيعٌ مِّنْ كَانِ مَعَهَا
مِنْ جَوَارِيهَا وَجَمَلْنَ يَنْدُبُنَّهَ بِأَيَّامِهِ الَّتِي قَالَهَا قَبْلَ قَتْلِهِ ، وَهِيَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :
أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ كُنتَ رَأِيًّا^(٦) صَحَارَى بَنِي جَدِّهِ وَالرِّيَّاحِ الذَّوَارِيَا^(٧)
وَلَا زَائِرًا شَمَّ الْعَرَانِينَ أَنْتُمِي^(٨) إِلَى عَامِرٍ يَحْلُلَنَّ رَمْلًا مَعَالِيَا^(٩)
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْحَارِثِيَّاتِ فَانْعَمِي^(١٠) لَهَا^(١١) وَخَبِرْهُنَّ أَنْ لَا تَلَارِقِيَا^(١٢)
وَقَوْدُ قَاوِصِي بَيْنَهُنَّ فَانْمَا^(١٣) سَتُبْرَدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيبَا^(١٤)
أَوْصِيكُمُ إِن مَتَّ يَوْمًا إِيَّاعَارِمَ^(١٥) لِيُغْنِيَ شَيْئًا أَوْ يَكُونَ مَكَانِيَا^(١٦)
وَلَمْ أَتْرِكْ لِي رِيَّةً غَيْرَ أَفْنَى^(١٧) وَدِدْتُ مَعَاذًا كَانُ فِيمَنْ أَتَانِيَا^(١٨)
أَرَادَ وَدِدْتُ أَنْ مَعَاذًا كَانُ أَتَانِي مَعَهُمْ فَقَتَلْتُهُ .

فَقَالَ مَعَاذُ بِحَبِيْبِهِ عَنْهَا بَعْدَ قَتْلِهِ وَيَخَاطَبُ أَبَاهُ وَيَعْرِضُ لَهُ أَنَّهُ قَتَلَ ظُلْمًا لِأَنَّهُمْ
أَقْلَمُوا قِسَامَةً كَاذِبَةً عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَ ، وَلَمْ يَكُونُوا عَرَفُوا الْقَاتِلَ مِنَ الثَّلَاثَةِ بَعِيْنِهِ ،
إِلَّا أَنَّ غِيْظَهُمْ عَلَى جَعْفَرٍ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ ادْعَوْا الْقَتْلَ عَلَيْهِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :
أَبَا جَعْفَرٍ سَلِّمْ بَنَجْرَانَ وَاحْتَسِبْ^(١٩) أَبَا عَارِمَ وَالْمُسْمَنَاتِ الْعَوَالِيَا^(٢٠)

(١) هكذا في أصول هذا الكتاب وفي الأغاني . وورد في شرح الحاشية
« أَحَازِرُ أَنْبَاء » و« لَهَا ذَلِيلُ »

(٢) في الأغاني « صَحَارَى نَجْدِ »

(٣) في الأصول « رَمْلَ مَعَالِيَا » وما أثبتناه من الأغاني

(٤) في الأغاني « وَالْمُسْمَنَاتِ الْعَوَالِيَا »

وقود قُلُوصًا أتلِفَ السيفُ رِبها
يغير دم في القومِ إلا تماربها
إذا ذُكرتْهُ مُعصرُ حارثية
جَرى دَمْعُ عَيْنِها على الخدِّ صافيا
فلا تَحْسِبَنَّ الدِّينَ ياعْلَبُ مَنْسًا
ولا الثَّأْرَ الحِرانَ يَدْمَى التَّقاضيا
سَنَقُتْلُ مِنْكُمْ بِالْقَتِيلِ ثَلَاثَةً
ونُغْلِي وإنْ كانتِ دمانا غواليًا ^(١)
تَمَيَّتْ أَنْ تَلْقَى مُعَاذًا سَفَاهَةً
سَتَلْقَى مُعَاذًا والقَضِيبَ البانِيا
وعن أبي عبيدة قال : لما قتل جعفر بن عتبة قام نساء الحى يبكين عليه ،
وقام أبوه إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال : ابكين منى
على جعفر ، فما زالت التوق ترغو والشياه تنغو والنساء يصحن ويبكين وهو يبكى
معهن ، فما روى يوم أوجع وأحرق مائًا في العرب من يومئذ .

٢١ - له حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وليسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ
البيت لابن أبي السمط ، من أبيات من الطويل ، منها :
فَتَى لَا يَبَالِي الْمُدْجِلُونَ بِنُورِهِ إلى بَابِهِ أَنْ لَا تُقْضَى الْكُوكَبُ
يَصْمُ عَنْ الْفَحْشَاءِ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ غَائِبُ
والحاجب المانع ، والشين : العيب ، والعرف : المعروف : الاحسان :
والشاهد فيه : تنكير الحاجب الأول للتعظيم والثاني للتحقير ، أى ليس له
حاجب حقير فكيف بالعظيم ، ومثله قول الشاعر [من الطويل] :
وَلِلَّهِ مِنْى جَانِبٌ لَا أَضِيعُهُ وَلِلَّهِ مِنْى وَالْخِلَاعَةِ جَانِبُ
وابن أبي السمط ^(٢) :

(١) في الأغاني « وإن كانت دماء غواليا » وما هنا خير
(٢) نسبه أبو هلال العسكري في ديوان المعاني (١-٢٣) إلى أبي الطمحان
مولى ابن أبي السمط ، وروى قبله أول البيتين اللذين ذكرهما المؤلف « فتى لا يبالى ،
(٣) في المخطوطتين والمطبوعتين بياض ، ويظهر أن المؤلف تركه حتى
يجد له ترجمة ، ثم لم يعثر له على ترجمة

فأهد تنكير
السند إليه
للتعظيم والتحقير

٢٢ - الأفعى الذى يظن بك السفن كأن قد رأى وقد سمعاً

البيت لأوس بن حجر من قصيدة من المنسرح^(١) قالها فى فضالة بن كلدة
يمدحه بها فى حياته^(٢) ويرثيه بعد وفاته ، أولها :

أيتها النفسُ أجملِ جزعا إن الذى تحذرنَ قد وقعاً
إن الذى جمعَ السَّحابةَ والسَّنجدةَ والبرَّ والتقى جمعا^(٣)

وبعد البيت ، وبعده :

أُخْلِفَ الْتَلَفَ الْمُرْزَأُ لَمْ يَمْنَعُ بِضَعْفٍ وَلَمْ يَمِتْ طَبِعا^(٤)
وَالْحَافِظَ النَّاسَ فِي تَحْوِطٍ إِذَا لَمْ يُرْسِلُوا تَحْتَ عَائِدَ رُبعا^(٥)
وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحَ وَقَدْ أَمْسَى كَمِيعُ الْقَنَاةِ مُلْتَمِعا^(٦)
الألمى واليلمى : الذكى المتوقد ذكاء ، وسئل الأصمى عن معنى الألمى فأشدد

(١) أقرأها فى ذيل الأمالى (٣٤)

(٢) الأدباء على أن هذه القصيدة مرثية قيلت بعد وفاة فضالة بن كلدة

(٣) فى الأمالى « والحزم والقوى جمعا »

(٤) فى الأصول « ولم يمن طبعاً » محرفاً ، وما أثبتناه عن ذيل الأمالى

(٥) فى الأصول « والحافظ الناس من فحوط » وفيها « لم يرسلوا خلف
رائد » وكلاهما تحريف عما أثبتناه عن ذيل الأمالى . وتحوط : هى السنة
الشديدة المجدبة ، والعائد من الأبل : هى الناقة التى ولدت حديثاً ، والرَّبع : الذى
ولد فى الربيع ، يريد لم يتركوا ولداناقة يرضعها لشدة حاجتهم إلى اللبن ، وهذا
تأكيد لوصف الجذب

(٦) عزت : غلبت ، والشمال : ريح الشمال ، والكميع : الضجيع ، يريد
اشتداد البرودة ، وذلك وقت الشدة والجذب عندهم ، وفى ذيل الأمالى « بات
كميع الفتاة »

البيت ، ولم يزد عليه ، وهو إما مرفوع خبر إنَّ ، أو منصوب صفة لاسمها ، أو بتقدير أعنى ، وخبرها في قوله بعد أبيات :

أَوْ ذَىٰ مَا تَنْفَعُ الْإِشَاحَةُ مِنْ أَمْرِ لِمَنْ قَدْ يُجَاوِلُ الْبِدْعَا^(١)
والشاهد فيه كون جملة قوله « الذي يظن بك الظن » وصفاً كاشفاً عن معنى
الآلئى ، لا كونه وصفاً للمسند إليه

أشعار في معنى
دلالة الظاهر
على الباطن

و بيت أوس هذا تداول معناه الشعراء ، قال أبو تمام [من الكامل] :
ولذلك قيل من الظنون رجلة عليم ، وفي بعض القلوب عيون
وقال المتنبي [من البسيط] :

ماضى الجَنَانِ يُرِيهِ الحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَىٰ عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدٍ
وقال أيضاً [من الطويل] :

ذِكْرُ أَظْنَيْهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ بَرَىٰ قَلْبُهُ فِي يَوْمِهِ مَا يَرَىٰ غَدًا
وقال أيضاً [من المنسرح] :

ويعرفُ الأمرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَالَهُ بَعْدَ فِعْلِهِ نَدْمٌ
وقال أيضاً [من الكامل] :

مُسْتَبْطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُونًا
وهذا المعنى يقرب منه قول أبي نواس [من الكامل] :

مَا تَنْطَوِي عَنْهُ الْقُلُوبُ بِنَجْوَةٍ إِلَّا تُحَدِّثُهُ بِهِ الْعَيْنَانِ
وقول علي بن الخليل [من السريع] :

كَلَّمَنِي لِحَظِّكَ عَنْ كُلِّ مَا أَضْمَرَهُ قَلْبُكَ مِنْ غَدٍ
وقول الخليل [من الهزج] :

(١) الاشاحه : الجد في الامور

أما تقرأ في عينيَّ عنوانَ الذي عندي

وقد سبق إليه المتقدمون ، قال الثقفى [من الطويل] :

تُخَبِّرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا حُبٌّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرُّ

وقال يزيد بن الحكم الثقفى [من الطويل] :

تُسْكَاتِرُنِي كُرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِيٌّ

وما أحسن قوله بعده :

عَدُوٌّ يَخْشَى صَوْلَتِي إِنْ لَقِيْتَهُ وَأَنْتَ عَدُوٌّ لَيْسَ هَذَا بِمُسْتَوِيٍّ

تَصَافِحُ مَنْ لَاقِيْتَهُ ذَا عَدَاوَةٍ صَفَاحًا وَعَيْنِي بَيْنَ عَيْنَيْكَ مُتَزَوِيٍّ (١)

وقال المتنبي في معناه [من الكامل] :

تُخْفِي الْعَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَ يَبُوحُ

وقال غيره [من البسيط] :

عَيْنَاكَ قَدْ دَلَّتْ عَلَيْنِيَّ مِنْكَ عَلَى أَشْيَاءَ لَوْلَا هُمَا مَا كُنْتُ أَدْرِهَا

وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِيَّ مُحَدِّثَهَا إِنْ كَانَ مِنْ حَزَنِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِهَا

ولمؤلفه من أبيات [من الطويل] :

وَيُظْهَرُ وَدًّا تَشْهَدُ الْعَيْنُ زُورَهُ وَيَقْضِي بِذَلِكَ الْقَلْبُ وَالْقَلْبُ أَخْبَرُ

وله في معناه [من الكامل] :

مَنْ كَانَ فِي لِقَائِهِ لَا يَتَوَدَّدُ فَإِنَّا الَّذِي فِي وَدِّهِ أَرْدَدُ

فَالْقَلْبُ عَمَّا قَدْ أَجَنَ ضَمِيرُهُ لَصَدِيقِهِ عِنْدَ التَّلَاقِ يُرْشَدُ

وَإِذَا خَفِيَ حَالُ وَأَشْكَلَ أَمْرُهُ فَالْعَيْنُ تُخْبِرُ بِالْخَفِيِّ وَتَشْهَدُ

(١) في الأصول «وعيني بين عينيك» وهو محرف عما قد أثبتناه

وما أحسن قول أبي نصر بن نباتة [من الطويل] :

ألا إن عين المرء عنوانُ قلبه تُخبرُ عن أسرارِهِ شاء أم أبى

وبديع قول عمار بن عقيل [من البسيط] :

تُبدي لك العينُ ما في نفس صاحبها من الشَّامةِ والوَدَى الذي كانا
إن البغيضَ له عينٌ يصدُّ بها لا يستطيعُ لما في القلبِ كِشْمَانَا
وعينُ ذى الوَدَى لا تنفكُ مقبلةً ترى لها محجراً بشاً وإنساناً^(١)
والعينُ تنطقُ والأفواهُ صامتةٌ حتى ترى من ضمير القلبِ رتيبانا

وقول الآخر [من البسيط] :

رُيكُ أعينهم ما في صدورهم إن الصدور يودى غيبها البصرُ

وقول المعتمد بن عباد صاحب الأندلس [من البسيط] :

تَمَيَّزُ البغضُ في الألفاظِ إن نطقوا وتعرفُ الحقدُ في الأحاطِ إن نظروا
وقول الآخر [من الطويل] :

سُتبدى لك العينان في اللحظ ما الذى يُجنى ضميرُ المرء والعينُ تصدقُ
وقول محمد بن أيدهم صاحب كتاب الدر الفريد [من الوافر] :

صديقك من عدوك ليس يخفى وعنوانُ الدعاوى في العيون
تُخبرُك العيونُ بما أُجَنَّتْ ضماؤها من السر المصُونِ

وقول محمد بن شبل من قصيدة [من الكامل] :

فالعينُ تقرأ من لحاظٍ جليسا ما خُطُّ منه في ضمير الخاطرِ
ولكم قُطوبٌ عن ودادٍ خالصٍ وتبسمٌ عن غل صدرٍ واغبرِ

(١) محجر العين - بفتح الميم وكسر الجيم - ما أحاط بها

يكدأُ الندى منها يفيض على العدا لَدَى الحرب في ثَنِيَّ قنا وقَواضِبِ
والصاعقة : الموت ، وكل عذاب مهلك ، وصيحة المذاب ، والحراق الذي
بيد الملك سائِقِ السحاب ، ولا يأتي على شيء إلا أحرقه ، أو نار تسقط من
السماء ، والانكفاء : الانقلاب ، والأرؤس : جمع رأس ، والأقران : جمع قرن ،
وهو الكف .

والشاهد فيه : مجيء القرينة معاني ملتزمة ، مربوطة بعضها ببعض ،
يكون الجميع قرينة ، لاكل واحد ، فهنا أراد بخمس سحائب أنامل المدوح
الحسن التي هي في الجود وعموم المطاء سحائب : أى يَصُبُّهَا على أ كفائه في
الحرب فيهلكهم بها ، وأراد بأرؤس الأقران جمع الكثرة بقرينة المدح ، لأن
كلاماً من صيغة جمع القلة والكثرة يستعار للآخر ، فهنا لما استعار السحائب
لأنامل المدوح ذكر أن هناك صاعقة وَيُنَّ أنها من فصل سيفه ، ثم قال « على
أرؤس الأقران » ثم قال « خمس » ، فذكر العدد الذي هو عدد الأنامل ،
فظهر من جميع ذلك أنه أراد بالسحائب الحسن الأنامل .

١٠٢ — * وإذا احْتَبَيْ قَرْبُوسُهُ رِعَانَهُ *

شاهد
الاستقارة
النربية

قائله يزيد بن مسعدة بن عبد الملك بن مروان ، من قصيدة من الكامل
يصف فرساً له بأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه وألقى عناناه في قربوس سرجه
وقف بمكانه إلى أن يعود إليه ، وتماهه :

* علك الشَّكِيمِ إِلَى أَنْصِرَافِ الزَّائِرِ *

والقربوس — بفتح الراء ، ولا تسكن إلا في ضرورة الشعر — وهو حِنُوُّ
السَّرج ، وهما قربوسان ، والعنان — بكسر العين — سير اللجام الذي تمسك

به الدابة ، والشكيم ، والشكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس فيها الفأس ،
وأراد بالزائر نفسه بدليل ما قبله ، وهو :

عَوَّدَتْهُ فِئَا أُرُورُ حَبَائِي إِهْمَالَهُ وَكَذَكَ كُلُّ مُخَاطِرِ

والشاهد فيه : الاستعارة الخاصة ، وهي : الغريبة ، والغرابة قد تكون في
نفس الشبه كما في البيت ، فانه شبه هيئة وقوع العنان في موقعه من قربوس
السرّج ممتدا إلى جانبي فم الفرس بهيئة وقوع الثوب موقعه من ركة المحتجب ،
ممتدا إلى جانبي ظهره وساقيه بثوب^(١) أو غيره كوقوع العنان في قربوس السرّج
فجاءت الاستعارة غريبة كفرابة المشبه .

ومن الاستعارات الغريبة قول طُفَيْلُ الْغَنَوَى [من الكامل] :

وَجَعَلْتُ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَانِيهَا الرَّحْلُ

وكذا قول الأستاذ ابن المعتز [من الرجز] :

حتى إذا ما عَرَفَ الصَّيْدُ أَنْصَارَ وَأَذْنَ الصُّبْحِ لَنَا بِالْأَبْصَارِ

وقول جرير [من الكامل] :

تُحْيِي الرُّؤَامِسُ رُبْعَهَا فَتُجِدُّهُ بَعْدَ الْبَلَى وَتَمِيَّتُهُ الْأَمْطَارُ

وقول أبي نواس [من السريع] :

بِصَحْنٍ خَدَّرَ لَمْ يَغِضْ مَأْوُهُ وَلَمْ يَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

أبيات من
الاستعارات
الغريبة

(١) كتب مصحح مطبوعة بولاق هنا ما نصه « قوله بثوب إلى
قوله السرّج ثابت في جميع النسخ ، وهو زائد بلا فائدة ، فلعل الصواب
إسقاطه » اهـ

حتى إذا كان بأرض بنى أسد بين شرج وناظرة ، فبينما هو يسير غلاما إذا
جالت به ناقته فصرعته فاندقت لخنذه (١) فبات مكانه ، حتى إذا أصبح غدت
جوارى الخي يجتنبين السكاة وغيرها من نبات الأرض والناس في ربيع ، فبينما
هن كذلك إذ أبصرن ناقته تجول وقد علق زمامها بشجرة ، وأبصرنه ماقى ، ففرعن
منه وهربن ، فدعا بجارية منهن ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا حليلة بنت
فضالة بن كعدة ، وكانت أصغرهن ، فأعطاهما حجرا وقال لها : اذهبي إلى أبيك
فقلوى : إن ابن هذا يقرئك السلام ، فأنته فأخبرته ، فقال : يا بنية ، لقد أتيت
أباك بمدح طويل أو هجاء طويل ، ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيتا
حيث صرع ، وقال : لا أتحول أبداً حتى تبرأ ، وكانت حليلة تقوم عليه حتى
استقل ، فقال أوس في ذلك [من المتقارب] :

خذلت على ليلاة ساهرة بصحراء شرج إلى ناظرة

تراد ليالى من طولها فليست بطلاق ولا شاكرة

أنوه برجل بها وهيها وأعت بها أختها العائرة

وقال في حليلة [من الطويل] :

لعمرك ما ملئت نواء نوبها حليلة إذ ألت فراشي ومقعدى

ولكن تلتق باليدين ضماي ومل بشرج ما لقبائل عودى

ولم تلهها تلك التكاليف إياها كما شئت من أكرومة وتجرد

سأجزيك أو يجزيك عنى مئوب وقصرك أن يثنى عليك ومحمدى

ثم مات فضالة بن كعدة ، وكان يكنى أبا دليجة ، فقال فيه أوس برثيه
[من البسيط] :

يا عين لا بد من سكب وجمال على فضالة ، جل الرزق والعالى

(١) في الأغاني «غذاه» بالثنية

وهي طويلة، وله فيه عدة قصائد؛ ومما يستجد من شعره قوله [من الطويل] :
 وإني رأيتُ الناسَ إلا أقلهمُ خفافَ اليهودِ يُكثرونَ التنقلا
 بني أمّ ذى المالِ الكثيرِ يرونهُ وإن كان عبداً سيّدَ الأمرِ جحفاً^(١)
 وهم ليقولَ المالِ أولادُ عالةٍ وإن كان مخضاً في العمومِ مخولاً
 وليس أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذى يسوءك إن ولى وبريضك مقبلاً
 ولكن أخوكَ الناءِ ما كنتَ آمناً وصاحبكُ الأدنى إذا الأمرُ أعضلاً
 ويستجد له من هذه القصيدة قوله في السيف :
 كأنّ مدبَّ النملِ تنبُعُ الرِّيا ومدرجَ دَرٍ خافَ برّاً فأسهلاً

شاهد منه
المسند !

٢٣- وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحَدَّثٌ مِنْ جَعَادِ
 البيت لأبي العلاء المعري ، من قصيدة من الخفيف يرثي بها فقهاء حنفياً أولها :
 غيرُ نَجْدٍ في ملتي واعتقادي نوحُ بالكِ ولا ترمُ شادي
 وشبههُ صَوْتُ النَعْيِ إذا قَبَسَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِي
 أبكتُ تلكمُ الحماة أم غَنَّتْ على فرعِ غُصْنِهَا الميَادِ
 صالحَ هُدًى قُبُورُنَا تَمَلُّ الرُّحْبَ فَايْنِ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
 خَفَّفَ الْوَطءَ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ إلْ أَرْضٍ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
 وقَبِيحُ بِنَا وَإِنْ قَدُمُ الْعَمِيدُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
 يَرَى إِنْ اسْطَغْنَتْ فِي الْهَوَاءِ رَوِيداً لَا اخْتِيَالاً عَلَى رَفَاتِ الْعِبَادِ
 رَبِّ لِحَدِّ قَدْ صَارَ لِحَدٍّ مَرَاراً ضاحِكٍ مِنْ تَزَاحُمِ الْأَضْدَادِ
 وَدَفِينٍ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
 فَاسْأَلِ الْفَرَقْدِينَ عَنْ أَحْسَأَ مِنْ قَبِيلٍ وَأَنْسَأَ مِنْ بِلَادِ
 (١) في الأصول * بلى أمر ذى المال * محرفاً عما ائثرناه عن ابن قتيبة

كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ وَأَنَارَا لِإِسْدِجٍ فِي سَوَادٍ
تَسْبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ وَمَا أَغْسَجِبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي إِزْدِيَادٍ
إِنْ حُرُنَاتِي سَاعَةَ الْمَوْتِ أَضْعَا فِي سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
خَلَقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمُ لِلنَّفْسَادِ
إِنَّمَا يَنْقُلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا لِي إِلَى دَارِ شَرِّقَوْهٍ أَوْ رَشَادٍ
وهي طويلة ، ومنها :

بَانَ أَمْرُ الْإِلَهِ وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فَنَدَّعَ إِلَى ضَلَالٍ وَهَادَى
وبعد البيت ، وبعده :

فَاللَّيْبُ اللَّيْبُ مَنْ لَيْسَ يَنْتَسِرُ يَكُونُ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ
يقول : تحيرت البرية في المعاد الجسماني والنشر الذي ليس بنفساني ، وفي
أن أبدان الأموات كيف تحيا من الرقاب ، وبعضهم يقول به ، وبعضهم ينكره ،
وبهذا تبين أن المراد بالحيوان المستحدث من الجهاد ليس آدم عليه السلام ، ولا
ناقة صالح ، ولا ثعبان موسى ، عليهما السلام ، إذ لا يناسب السياق ، وقال الامام
أبو محمد بن السيد البطليوسي حين شرح سقط الزند في هذا البيت : يريد أن
الجسم مَوَاتٌ بطبعه ، وإنما يصير حَيًّا متحركا باتصال النفس به ، فإذا فارقه
عند الموت عاد إلى طبعه ، فالحياة للنفس جوهرية ، وللجسم عرضية ، فلذلك
يعدم الجسم الحياة إذا فارقه النفس ولا تعدها النفس .

والشاهد فيه : تقديم المسند إليه على المسند لتمكن الخبر في ذهن السامع
لأن في المبتدأ تشويقاً إليه .

ترجمة إلى المعرى
المعرى

وأبو العلاء : هو أحمد^(١) بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي ، من أهل

(١) نجد لأبي العلاء المعري ترجمة في ابن خلكان (١-٥٨هـ) وفي ذلك
الهميان في نسكت العميان لصلاح الدين الصفدي «

مَعْرِةُ النِّهَانِ ، العالم المشهور ، صاحب التصانيف المشهورة ، ولد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة بالمرقة وجندِر (١) في السنة الثالثة من عمره فمضى منه ، وكان يقول : لا أهرق من الألوان إلا الأحمر ، لأنى ألبست فى الجدى ثوبا مصبوغاً بالصفر ، لا أغفل غير ذلك .

وعن ابن غريب الايدى أنه دخل مع عمه على أبى العلا يزوره ، فوجده قائماً على سجادة لبد وهو شيخ قَانٍ ، قال : فدعنا لى ومسح على رأسى ، قال : وكأننى أنظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداها نادرة والأخرى غائرة جداً (٢) وهو مجذور الوجه ، نحيف الجسم .

وعن المصيعى الشاعر قال : لقيت بمعة النيهان عجيباً من العجب ، رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشرطي والترد ، ويدخل فى كل فن من الهزل والجحد ، يكتئب أبا العلا ، وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيرى على البصر وهو من بيت علم وفضل ورياسة ، له جماعة من أقاته قضاء وعلماء وشعراء قال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ، أو اثنتى عشرة سنة ، ورحل إلى بغداد ، ثم رجع إلى المعرة ، وكان رجليه إليها سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ودخل على المرتضى أبى القاسم فمثر برجله فقال : من هذا الكلب ؟ فقال أبو العلا : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً ، وسممه المرتضى وأذناه واختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفتنة والذكاء ، فأقبل عليه إقبالاً كثيراً ، وله معه نكتة تآتى فى التلخيص إن شان الله تعالى .

(١) جدر - بالبناء لهجول - أصيب بمرض الجدري

(٢) نادرة : بارزة ، وغائرة : منخلفة داخلية

ولما رجع المعري إلى بلده لزم بيته وسمى نفسه رَهينَ الحبسين^(١) يعني حبس نفسه في منزله ، وحبس بصره بالعمى .

وكان عجبياً في الذكاء المفرط والحافظة . ذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي أنه كان قاعداً في مسجده بمرة النعمان بين يدي أبي العلاء يقرأ شيئاً من تصانيفه ، قال : وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحداً من أهل بلدي ، فدخل المسجد بعضُ حيرائنا للصلاة ، فرأيتُه ففرقته وتغيرت من الفرح ، فقال لي أبو العلاء : أي شيء أصابك ؟ فحكيت له أنني رأيتُ جاراً لي بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي سنين ، فقال لي : قم فكلمه ، فقلت : حتى أتمم النسق ، فقال لي : قم وأنا انتظر لك ، فممت وكنته بلسان الأذربيجانية شيئاً كثيراً ، إلى أن سألت عن كل ما أردت ، فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لي : أي لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أذربيجان ، فقال لي : ما عرفت اللسان ولا فهمته ، غير أنني حفظت ما قلتما ، ثم أعاد عليَّ اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه ، بل جميع ما قلت وما قال جاري ، فتعجبت غاية العجب من كونه حفظ ما لم يفهمه .

ولناس حكايات يصفون بها في عجائب ذكائه ، وهي مشهورة ، وغالبها مستحيل ، وكان قد رحل أولاً إلى طرابلس ، وكان بها خزائن كتب موقوفة ، فأخذ منها ما أخذ من العلم ، واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقوال الفلاسفة ، فسمع كلامه ، فحصل له شكوك ، وكان إطلاعه على اللغة وشواهدا أمراً باهراً .

والناس مختلفون في أمره ، والأكثر على إحصاءه وإكفاره ، وأورد له اختلاف الناس
الرازي في الأربعين قوله [من مخلع البسيط] :

قُلْتُمْ لَنَا صَانِعٌ قَدِيمٌ قُلْنَا صَدَقْتُمْ كَذّاً نَقُولُ
نَحْنُ زَعَمْنَا بِلَا مَسْكَانٍ وَلَا زَمَانٍ ، أَلَا قَوْلُوا

(١) في المطبوعتين « رهين الحبسين » ناقص الميم

هَذَا كَلَامٌ لَهُ خَبِيرٌ مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَنَا عَقُولُ

ثم قال الرازي : وقد هذى هذا في شعره . وقال ياقوت : كان متبها في دينه يرى رأى البراهمة ، لا يرى إفساد الصورة ، ولا يأكل لحما ، ولا يؤمن بالرسول ولا البعث ولا النشور . انتهى

ومسك مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تدبنا ولا ماتولد من الحيوان رحمة له وخوفا من إزهاق النفوس ، وإلى ذلك أشار على بن همام حين رثاه فقال من قصيدة طويلة [من الكامل] :

إِنْ كُنْتُ لَمْ تُرَقِّ الدَّمَاءَ زَهَادَةً فَلَقَدْ أُرْقَتْ الْيَوْمَ مِنْ عَيْنِي دَمَا
سَبَرْتُ ذِكْرَكَ فِي الْبِلَادِ كَأَنَّهُ مِسْكٌ فَسَامِعَةٌ يُضْمَخُ أَوْ فَمَا (١)
وَأَرَى الْحَجِيجَ إِذَا أَرَادُوا لَيْلَةَ ذِكْرَكَ أَوْجَبَ فِدْيَةٍ مِنْ أَحْرَمَا (٢)

ولقيه رجل فقال له : لم تأكل اللحم ؟ فقال : أرحم الحيوان ، قال : فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان ، فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه ، وإن كانت الطبائع الحديثة لذلك فما أنت بأحقق منها ولا أتقن ، فسكت وقال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني : قال لي المعري : لم أهج أحدا قط ، قلت له : صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام ! فتغير لونه ، أو قال وجهه

ودخل عليه القاضي المنازى ، فذكر له ما يسمعه عن الناس من الطعن عليه ثم قال : مالي وللناس وقد تركت دنياهم ؟ فقال له القاضي : وأخراهم ، فقال :

(١) في الأصول وفي ابن خلكان « فسامعه » بدون نقط الهاء ، واضطر مصحح نسخة ابن خلكان أن يكتب على هامشها ما صورته « قوله مسك إلحـ في بعض النسخ * مسك يضمخ منه سمعا أو فـ * ولعل ذلك أوفق ، تأمل » وما قرأنا عليه ما هنا صحيح مستقيم
(٢) في ابن خلكان « أخرج فدية من أحرم »

ياقاضي وأخراهم ، وجعل يكررها
وعن أبي زكريا الرازي قال : قال لي المعري : ما الذي تعتقد ؟ فقلت في نفسي :
اليوم يتبين لي اعتقاده ، فقلت له : ما أنا إلا شاك ، فقال لي : وهكذا شيخك
وحكي عن الشيخ كمال الدين الزملي أني أنه قال في حقه : هو جوهرة جاءت
إلى الوجود وذهبت

وعن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد
كان يقول في حقه : هو في حيرة
قال الصلاح الصفدي : وهذا أحسن ما يقال في أمره ، لأنه قال [من الخفيف] :
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمُ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ أَعْمَا لِي إِلَى دَارٍ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ
ثم قال [من الطويل] :

صَحَّحْنَا وَكَانَ الضَّعْفُ مَنَاسِفَةً وَحَقٌّ لِسَكَانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَكُونُوا
تُحْطَمُنَا الْإِلَامُ حَتَّى كَأَنَّنَا رُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لِنَاسِكٍ
وهذه الأشياء كثيرة في كلامه ، وهو تناقض منه ، وإلى الله ترجع الأمور
قال السُّلَفي : وما يدل على صحة عقيدته ما سمعت الحافظ الخطيب حامد
ابن بختيار القيرى يحدث بالسمرقانية - مدينة بالخابور - قال : سمعت القاضي
أبا المهذب عبد المنعم بن أحمد السروجي يقول : سمعت أخى القاضي أبا الفتح يقول :
دخلت على أبي العلاء التَّنُوخِي بالمرعة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه ،
وكنت أنردد إليه وأقرأ عليه ، فسمعتة ينشد من قبيله [من مخلم البسيط] :
كَمْ بُودِرَتْ غَادَةٌ كَعَابٌ وَعُمِّرَتْ أُمُّهَا الْعَجُوزُ (١)

(١) بودرت : أعجبت ، يريد أنها ماتت في استقبال عمرها وميعة شبابها .
والكعاب : الجارية حين يبكع بئديها ، بزنة سحاب ، وفي المطبوعتين
» كموب « وأحسبه محرفاً

أَحْرَزَهَا الْوَالِدَانِ حَقَوًا وَالْقَبْرُ حَرَّزَ لَهَا حَرِيرًا
يَجُوزُ أَنْ تُبْطِئَ الْمَنَايَا وَالْخُلْدُ فِي الدَّهْرِ لَا يَجُوزُ
ثم تأوّه مرات ، وتلا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ، ذَلِكَ
يَوْمٌ مُجْمَعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ، وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ ، يَوْمٌ يَأْتِي
لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِأَذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ) ثم صاح ، وبكى بكاء شديداً ، وطرح
وجهه ، وقال : سبحان من تكلم بهذا في القدم ! سبحان من هذا كلامه ! فصبرت
ساعة ثم سلمت عليه ، فرد على وقال : متى أتيت ؟ فقلت : الساعة ، ثم قلت :
يا سيدي أرى في وجهك أثر غيظ ، فقال : لا يا أبا الفتح ، بل أنشدت شيئاً من
كلام الخلق وتلوت شيئاً من كلام الخالق ، فلحقني ماترى ، فتحققت صحة دينه
وقوة يقينه

وقال السلفي أيضاً : سمعت أبا المكارم بأبهر - وكان من أفراد الزمان ثقة
مالكي المذهب - قال : لما توفي أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعراً ، وحنّ
عند قبره في أسبوع واحد مائتا حنّمة
وعن أبي اليسر المعري أن أبا العلاء كان يرُمِي من أهل الحسد له بالتعطيل ،
ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعارَ يضمنونها أقوال الملاحنة قصداً لهلاكه
وإثارةً لاتلاف نفسه ، وفي ذلك يقول [من السريع] :

حَاوَلَ إِهْوَائِي قَوْمٌ فَمَا وَاجَهْتُهُمْ إِلَّا بِأَهْوَانِ
يَجْرَشُونِي بِسَعَايَاتِهِمْ فَغَيَّرُوا نِيَّةَ إِخْوَانِي
كَوْاسِطَاعُوا الْوَشْوَإِي إِلَى الْمَرْجِي وَالشُّبْهِ وَكِيَوَانِي

قال الصلاح الصفدي : أما الموضوع على لسانه ، فلعله لا يخفى على ذي لب
وأما الأشياء التي دَوَّنَهَا وَقَالَهَا فِي «لُزُومِ مَا يَلْزَمُ» وفي «استغفر واستغفري» فما فيه
حيلة ، وهو كثير من القول بالتعطيل واستخفافه بالنبوات ، ويحتمل أنه ارعوى

وتلب بعد ذلك كله ، وكان أكله المقدس ، وحلاوته التين ، ولباسه القطن ،
وفراشه اللباد ، وحصيره برديه ، وتصانيفه كثيرة جداً ، وشعره كثير إلى الغاية ،
وأحسنه « سقط الزند »

ومن نظمه في الغزل [من البسيط] :
من غزل أبي
العلاء

يا ضبية علفتنى فى تصيدها أشرا كهاوى لم تعلق بأشراكى
رعىت قلبى وما راعيت حرمتى فلم رعىت وما راعيت مرعاكى
اتحرقين فؤاداً قد حلت به بنار حبك عمداً وهو مأواكى
أسكنته حيث لم يسكن به سكنى وليس يحسن أن تسحى بسكنائك
مابل داعى غرامى حين يامرئى بأن أكابد حرّ الوجد ينهاك
وكم غداً القلب ذائبس وذاطمع يرجوك أن ترحمه وهو يخشاك
ومن شعره قوله [من الطويل] :

إلى الله أشكو أننى كل ليلة إذا نمت لم أعدم خواطر أو هام
فإن كان شراً فهو لا شك واقع وإن كان خيراً فهو أضفأ أحلام
ومنه قوله [من البسيط] :

اضرب وليدك تاديباً على رشد ولا تتل هو طفل غير محتلم
قرب شق برأس جر منفعة وقس على شق رأس السهم والقلم
ومن شعره وقد أهدى كتاباً من تصانيفه [من الطويل] :

قبول الهدايا سنة مستحبة إذا هى لم تسلك طريق تجاى
وما أنا إلا قطرة من سحابة ولو أننى صنت ألف كتاب

ومن شعره المؤاخذ به قوله [من الطويل] :

إذا ما ذكرنا آدماء وفصاله ونزويجه بنتيه لابنيه فى الخنا

ما أخذ على
أبي العلاء

عَلَّمَنَا بَأْنَ اِتَّخَلَّقَ مِنْ نَسْلِ فَاجِرٍ وَأَنَّ جَمِيعَ اِتَّخَلَّقَ مِنْ عُنْصُرِ الزُّرْقَى
فَأُجَابَهُ الْقَاضِي أَبُو مَحْمَدِ الْحَسَنِ الْبُنَيِّ بِقَوْلِهِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
لَعَمْرِي أَمَّا فِيكَ فَالْقَوْلُ صَادِقٌ وَتَكْذِبُ فِي الْبَاقِينَ مِنْ شَطِّ أَوْدُنَا
كَذَلِكَ إِقْرَارُ الْفَتَى لَا زِمَ لَهُ وَفِي غَيْرِهِ لَفَوٌّ، كَذَا جَاءَ شَرْعُنَا
وَمِنْهُ قَوْلُهُ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

يَدَّ بِخَمْسِ مِثْقَالِينَ عَسَجِدُ وَدَيْتُ مَا بَالَهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ
تَحْكُمُ مَا لَنَا إِلَّا السَّكُوتُ لَهُ وَأَنَّ لَعَوْدَ يَمُولَانَا مِنَ النَّارِ
فَأُجَابَهُ عِلْمُ الدِّينِ السَّخَاوِيُّ بِقَوْلِهِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا، وَأَرْخَصَهَا ذُلُّ الْخِيَانَةِ، فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي
وَمِنْهُ قَوْلُهُ [مِنْ الْكَامِلِ] :

هَذِهِ الْحَنِيفَةُ، وَالنَّصَارَى مَا اهْتَمَّتْ، وَبَحْجُوسُ حَارَتِ، وَالْيَهُودُ مُضَلَّلَةٌ
اِثْنَانِ أَهْلُ الْأَرْضِ : ذُو عَقْلٍ بِلَا دِينٍ ، وَآخَرُ دِينٍ لَا عَقْلَ لَهُ

فَقَالَ ذُو الْفَضَائِلِ الْأَخْشِكِيُّ رَادًّا عَلَيْهِ [مِنْ الْكَامِلِ] :

الدِّينَ آخِذُهُ وَتَارِكُهُ لَمْ يَخْفَ رُشْدُهَا وَغَيْبُهَا
اِثْنَانِ أَهْلُ الْأَرْضِ قُلْتَ، فَقُلْ يَا شَيْخَ سُوءِ أَنْتَ أَثْبَتَ أُيُّهُمَا

وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُهُ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

دِينٌ وَكَفَرٌ وَأَنْبَاءُ تُتَالُ وَفُرُ قَانُ يُنْصُ وَتَوْرَاةُ وَإِنْجِيلُ
فِي كُلِّ جِيلٍ أَبَاطِيلُ يُدَانُ بِهَا فَمَلُ تَقَرَّدَ يَوْمًا بِالْهَدَى جِيلُ

فَأُجَابَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ بِقَوْلِهِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

نَعَمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْهَادِي وَأَمَّتْهُ فَرَادَكَ اللَّهُ ذُلًّا يَادُ جَيْحِيلُ

ومنه أيضا قوله ، وهو الطامة الكبرى [من الوافر] :

قِرَانُ الْمُشْتَرَى زُحْلًا رُجِيَّ لَا يَاقُظُ النَّوَظِرُ مِنْ كَرَاهَا
تَقَفَّى النَّاسُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ وَخَلَفَتْ النُّجُومُ كَمَا تَرَاهَا
تَقَدَّمَ صَاحِبُ التَّوْرَةِ مُوسَى وَأَوَقَعَ فِي الْخُسَارِ مِنْ افْتَرَاهَا
قَالَ رِجَالُهُ وَحَى أَنَا وَقَالَ الْآخَرُونَ بَلْ افْتَرَاهَا
وَمَا حَجَّيْ إِلَى أَحْجَارِ بَيْتٍ كُؤُوسُ الْحَرِّ تُشْرِبُ فِي ذَرَاهَا
إِذَا رَجَعَ الْحَكِيمُ إِلَى حِجَاهُ تَهَاوَنَ بِالشَّرَائِعِ وَازْدَرَاهَا

لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! اللهم إني أستغفرك من نظير هذه
الأباطيل التي تشتمز منها القلوب ، وتنفر عنها الخواطر ، وأسألك التوفيق لى
ولسائر المسلمين

ومن جيد شعره قوله [من الوافر] :

رَدَدْتُ إِلَى مَلِكِ الْخَلْقِ أَمْرِي فَلَمْ أَسْأَلْ مَتَى يَقَعُ الْكُفُوفُ
وَكَمْ سَلَّمَ الْجَهْلُ مِنَ الْمُنَايَا وَعُوجِلَ بِالْحِمَامِ الْفِيلُوسُوفُ
وهو أخذه من قول أبي الطيب المتنبي [من السريع] :

يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جِهْلِهِ مَيَّةَ جَالِينُوسَ فِي طِبِّهِ
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُمرِهِ وَزَادَ فِي الْأَمْرِ عَلَى سِرِّهِ

وقد تلاعب الشعراء بهجائه ، ومن هجاء أبو جعفر البجائي الزوزني
بقصيدة أولها [من الكامل] :

كَلَبُ عَوَى بِمَعَرَّةِ النُّعْمَانِ لَمَّا خَلَا عَنْ رِبْقَةِ الْإِيمَانِ
أَمْعَرَةَ النُّعْمَانِ مَا انْجَبَتْ إِذْ أَخْرَجَتْ مِنْكَ مَعَرَةَ الْعُيُومَانِ
وقصصه وزير محمود بن صالح صاحب حلب شهيرة فلاحا إلى التطويل بذكرها

من جيد شعر
أبي العلاء

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثالث ، وقيل : ثانی شهر ربيع الأول ، وقيل : ثالث عشره ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة

قال ابن غرس النعمة : وأذكر عند ورود الخبر بموته وقد تذكرنا إلهامه ومعنا غلام يعرف بأبي غالب بن نبهان من أهل الخير والعمه ، فلما كان من الغد حكى لنا قال : رأيت في منامي البارحة شيخاً ضريراً وعلى عاتقه أقبیان متدليان إلى تخديه ، وكل منهما يرفع فمه إلى وجهه فيقطع منه لحماً يزدرده ، وهو يستغيث فقلت وقد هالني : مَنْ هذا ؟ فقيل لي : هذا المعري الملقب

وقال القفطي : أتيت قبره سنة خمسين وستمائة ، فإذا هو في ساحة من دور أهله وعليه باب ، فدخلت فإذا القبر لا احتفال به ، ورأيت عليه خبازي يابسة والموضع على غاية ما يكون من الشعث والاهمال قال الذهبي : وقد رأيت أنا قبره بعد مائة سنة من رؤية القفطي فرأيت نحو مما حكى ، انتهى

ويقال : إنه أوصى أن يكتب على قبره [من مجزوء الكامل] :

هذا جنّاهُ أبى علسيٍّ وما جَنَيْتُ على أحدٍ

وهو أيضاً متعلق باعتقاد المسكاه ، فإنهم يقولون : إيجاد الولد وإخراجه إلى العالم جنابة عليه ، لأنه يعرض للحوادث والآفات ، والله تعالى أعلم بأمره

شاهد
تأخرت
من أدا

٢٤ — ما كُلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكُهُ

قائله المنتهي ، من قصيدة من البسيط يمدح بها كافورا الاخشيدى صاحب مصر ولم ينشدها له ، وكان اتصل به أن قوما نعوه في مجلس سيف الدولة ، وأولها (١)
يَمُ التعلُّ لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنٌ

(١) انظرها في الديوان (٤ - ٢٣٣)

أريدُ من زَمَنِي ذَا أَنْ يَبْلُغَنِي
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مَكْتَرٍ
فَيَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سِرَّتْ بِهِ
مِمَّا أَضَرَّ بِأَهْلِ الْعَشِقِ أَتَمُّ
تَفَنَّى عِيُونُهُمْ دَمْعًا وَأَنْفُسُهُمْ
تَحْمَلُوا حَمْلَتَكُمْ كُلَّ نَاجِيَةٍ
مَا فِي هَوَاذِكُمْ مِنْ مُهْجَتِي عَوَضَ
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بَعْدِ بِمَجْلِسِهِ
كَمْ قَدْ قَتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مِتُّ عِنْدَكُمْ
قَدْ كَانَ شَاهِدًا دَفَنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ
مَا كُلُّ مَا يَمْنَى الْمَرْءُ يَدْرِكُهُ
وَمَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فِي نَفْسِهِ الزَّمَنُ
مَادَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ
هَوَاؤَا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فِطْنُهَا
فِي إِنْ كَلَّ قَبِيحٌ وَجْهَهُ حَسَنُ
فَكُلُّ يَتَنٍّ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْمِنُ
إِنْ مِتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا ثَمَنُ
كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مَرَّيْنُ
ثُمَّ انْتَفَضَتْ فَرَالِ الْقَبْرِ وَالْكَفَنِ
جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا
تَجْرَى الرِّيَّاحُ بِمَا لَا تَشْتَبِي السَّفَنُ

وهي طويلة بديدة

والشاهد في البيت : أن « كل » إذا تأخرت عن أداة النفي سواء كانت معمولة لها أولا ، وسواء كان الخبر فعلا كما في البيت أو غير فعل ، توجه النفي إلى الشمول خاصة ، لا إلى أصل الفعل ، وأفاد الكلام ثبوت الفعل أو الوصف لبعض ما أضيف إليه « كل » إن كانت في المعنى فاعلا للفعل أو الوصف الذي حمل عليها ، أو عمل فيها أو تعلق الفعل أو الوصف ببعض إن كانت « كل » في المعنى مفعولا للفعل أو الوصف المحمول عليها أو العامل فيها

ومعنى شطر البيت مأخوذ من قول طرفة بن العبد البكري [من الطويل] :
فِيَالِكَ مَنْ ذِي حَاجَةٍ حِيلَ دُونَهَا وَمَا كُلُّ مَا يَهْوَى أَمْرُوهُ نَائِلُهُ
وقد أخذه بعضهم وضمته في قصيدة مدح بها يزيد بن حاتم فخرج إليه وهو بمصر ليأخذ جائزته فوجده قد مات ، فقال [من الطويل] :

لَأَنْ مِصْرُ فَاتَنِي بِمَا كُنْتُ أُرْتَجِي وَأَخْلَفَنِي مِنْهَا الَّذِي كُنْتُ أَمَلُ
فِيَاكَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ حِيلَ دُونَهَا وَمَا كُلُّ مَا يَهْوَى أَمْرُهُ هُوَ نَائِلٌ
وَمَا كَانَ يَنْبَى لَوْ لَقَيْتُكَ سَالماً وَبَيْنَ الْغِنَى إِلَّا لِبَالٍ قَلَائِلُ
وهذا البيت بعينه للحطيطية في علقمة بن علاثة ^(١) والظاهر أنه ضمنه أيضاً
وقد تقدم ذكر أبي الطيب المتنبي في شواهد المقدمة ^(٢)

* * *

٢٥ - قد أصبحت أم الخيار تدعى * على ذنباك لم أصنع شاهد ما !
البيت لأبي النجم المعلى المتقدم ذكره ، وهو أول أرجوزته السابقة ^(٣) وأم
الخيار هذه زوجته

والشاهد فيه أن « كل » إذا تقدمت على النفي لفظاً ولم تقع معمولة للفعل
المنفي عم النفي كل فرد عما أضيف إليه كل ، وأفاد نفي أصل الفعل عن كل فرد ،
ومن ثم أتى بكل مرفوعة عادلاً عن نصبها الغير المحتاج إلى تقدير ضمير ، لأنه
لا يفيد نفي عموم ما ادعته أم الخيار عليه ، والله أعلم

* * *

٢٦ - كم عاقل عاقل أعيت مذهب * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا شاهد و
هذا الذي ترك الأوهام حائرة * وصبر العالم النحرير زنديقا المظهر هو
البيتان لابن الراوندي ، من البسيط ، وقبلهما

(١) البيت الذي يشير إليه هو قول الحطيطية :

فما كان بين الخير لو جاء سالماً أبو حنجر إلا ليال فلال
أراد فاما كان بين الخير وبينى ، خذف الواو وما عطف بها .

(٢) انظر شرح الشاهد (رقم ٤)

(٣) انظر شرح الشاهد (رقم ٣)

سُبْحَانَ مَنْ وَضَعَ الْأَشْيَاءَ مَوْضِعَهَا وَفَرَّقَ الْعَزَّ وَالْإِذْلَالَ تَفْرِيقًا
وعاقل الثاني صفة لعاقل الأول بمعنى كامل العقل مُتَنَاهٍ فيه ، كما يقال مررت
برجل رجل ، أى كامل فى الرجولية ، ومعنى « أُعْيِبَ مَذَاهِبُهُ » أَعْجَزَتْهُ وَصَعِبَتْ
عليه طرق معاشته ، والنحر ير - بكسر النون - الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن
الغضن البصير بكل شئ ، لأنه ينحر العلم نَحْرًا ، والزنديق - بكسر الزاى - من
الثنوية أو القائل بالنور والظلمة ، أو مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ وَبِالْبُيُوتِ ، أو مَنْ يُبْطِنُ
الكفر ويظهر الإيمان ، أو هو مغرب « زَنَ دِينَ » أى دين المرأة
والشاهد فيه : وضع المظهر الذى هو اسم الإشارة موضع المضمحل لكمال العناية
بتمييز المسند إليه لاختصاصه بحكم بديع عجيب الشأن ، وهو هنا جعل الأوهام
حائرة والعالم المتقن زنديقا

وما أحسن قول الغزى فى معنى البيتين [من البسيط] :
كَمْ عَالَمٍ لَمْ يَلْجِ بِالْقِرْعِ بَابَ مِثْنٍ وَجَاهِلٍ قَبْلَ قِرْعِ الْبَابِ قَدْ وَجَلَا
وما أحسن قول الحكيم أبى بكر الخسروى السرخسى ، وهو كالرد على قول
ابن الراوندى [من السريع] :

عَجِبْتُ مِنْ رَبِّى وَرَبِّى حَكِيمٌ أَنْ يَحْرِمَ الْعَاقِلَ فَضْلَ النِّعَمِ
مَا ظَلَمَ الْبَارِى وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ عِجْزَ الْحَكِيمِ
وقول أبى الطيب غاية فى هذا الباب ، وهو [من الطويل] :

وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدٍ بِأَضْعَفَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا
وهو ينظر إلى قول أبى تمام [من الطويل] :

وَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ امْرِئٍ وَالدَّرَاهِمُ
وما أحسن قول أبى تمام أيضا [من الطويل] :

يُنَالُ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيُكْدَى الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ

ولو كانت الأرزاق تأتي على الحِجَا إِذَنْ هَلَكْتَ مِنْ جِهَلِنَ الْبَهَامِ
ومثله قول أبي الخير المروزي الضرير [من الهزج]:

تَنَافَى الْعَقْلُ وَالْمَالُ فَمَا بَيْنَهُمَا شَكْلُ
هَـمَا كَالرَّوْدِ وَالتَّرْجَسِ لَا يَجُوبُهُمَا فَصْلُ
فَعَقِلُ حَيْثُ لَا مَالٌ وَمَالٌ حَيْثُ لَا عَقْلُ

ومثله قول أبي إسحاق الصابي [من الطويل]:

إِذَا جَمَعْتُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ صِنَاعَةً فَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْرِيَ الَّذِي هُوَ أَحَدُكُمَا
فَلَا تَتَفَقَّدَ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَبَرْتُ بِهِ لَهُمَا الْأَرْزَاقَ حِينَ تَفَرَّقُ
فَإِذَا يَكُونُ الْجَهْلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يَكُونُ الْعِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ

ومثله قول عبد الجليل بن وهب المرسى [من الطويل]:

يَعِزُّ عَلَى الْعَلِيَاءِ أَيْ خَامِلٌ وَأَنْ أَبْصَرْتُ مَنِي خُودَ شَيْهَابِي
وَحَيْثُ تَرَى زَنْدَ النِّجَابَةِ وَارِيَا فَمَنْ تَرَى زَنْدَ السَّعَادَةِ كَابِي

ولطيف قول بعضهم أيضاً [من المجتث]:

كَمْ مِنْ غَبِيٍّ غَنِيَ وَمِنْ فَقِيرٍ فَقِيرٍ

وبديع قول أبي بكر بن محمد المازني [من الكامل]:

ثَمَنَانٍ مِنْ سَبْرِ الزَّمَانِ تَحِيرْتُ لَهُمَا عُقُولُ ذَوِي التَّمَلُّفِ وَالنَّهْيِ
مُنِيرٍ مِنَ الْأَمْوَالِ مَبْخُوسِ الْحِجَا وَمُؤَفِّرِ الْأَدَابِ مَنْقُوصِ الْغَنَى

وما أحسن قول ابن لنكك [من المنسرح]:

فَعَاقِلٌ مَا تَبَايَأَ أَثْمَلُهُ وَجَاهِلٌ بِالْيَدَيْنِ يَغْتَفِرُ

وقول الآخر [من المتقارب]:

زَمانَ تَحَبَّرْتُ فِي أَمْرِهِ كَثِيرُ التَّعَدَى عَلَى حُرِّهِ
فَلَوْ غَدِ مَاشَتْ مِنْ نَفْعِهِ وَلِلْحَرِّ مَا شَتَّ مِنْ ضَرِّهِ
وَأَعْجِبْ مَا فِي تَصَارِيفِهِ صَيَالُ الْبَعُوضِ عَلَى صَقَرِهِ
وقول الآخر [من المنسرح]:

وَعَدْتُ لَهُ نِعْمَةً مُؤَثَّلَةً وَسَيِّدُ لِأَيَّالٍ يَقْتَرِضُ
وَمَدَّارَ ذَلِكَ جَمِيعَهُ عَلَى الْخَطِّ وَعَدِيهِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ الْخَلِيطِ الدَّمَشَقِيِّ
فِيهِ أَيْضًا [من الطويل]:

وَمَا زَالَ سُؤْمُ الْخَطِّ مِنْ كُلِّ طَالِبٍ كَفَيَّا لِمَنْ يَبْعِدُ الْمَطْلَبِ الْمُتَدَانِي
وَقَدْ يَحْرَمُ الْجِلْدُ الْحَرِيصُ مَرَامَهُ وَيُعْطَى مُنَاهُ الْعَاجِزُ الْمُتَوَانِي
وقول الآخر [من البسيط]:

قَدْ بَرَزَ الْمَرْبِلُ مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ وَيُصْرَفُ الْمَالُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الدَّاهِي
وقول الآخر أيضًا [من السريع]:

إِنَّ الْمَقَادِيرَ إِذَا سَاعَدَتْ أَلْفَقَتِ الْعَاجِزَ بِالْقَادِرِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ [من المجتث]:
يَا مَخْنَةَ الدَّهْرِ كَهَيِّ إِنْ لَمْ تَكُنْ فِخْفِي
مَا أَنْ أَنْ تَرْحَمِينَا مِنْ طَوْلِ هَذَا التَّشْفِي؟
فَلَا عَلَومِي تَجِدِي وَلَا صِنَاعَةَ كَفِي
ثَوْرٌ يَنْالُ الثَّرِيًّا وَعَالِمٌ مَتَحْفِي
ذَهَبْتُ أَطْلُبُ بَحْتِي فَقِيلَ لِي قَدْ تَوَفِي

وَمِنَ الْعَايِلَاتِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى [مِنَ الْكَامِلِ]:

لَوْ أَنَّ بِالْخَلِيلِ الْغَنَى لَوَجَدْتَنِي بِنُجُومِ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ تَعْلُقِي
لَكِنْ مِنْ رَزَقِ الْحَاجِزِ الْغَنَى ضِدَّانِ مَفْتَرِقَانِ أَيْ تَفْرُقُ

فاذا سمعتَ بَنَ محروماً أنى ماءً ليشربه ففاضَ فصدَّق
أو أنَ محفوظاً غداً في كفه عودٌ فأورقَ في يديه فحفَّق
ومنَ الدليل على القضاء وكونه بُوسُ الالباب وطيبُ عيش الأحمق
ولبعضهم في معناه [من الخفيف] :

لو وردتُ البحارَ أطلبُ ماء جفَّ عند الورود ماء البحار
أو رمى باسمي النجومُ الدراي لانزوى ضوءها عن الأبصار
أو لمستُ العودَ النضيرَ بكفى لذوى بعدَ نعمةٍ واخضرار
ولو آتى بعثُ القتاديلَ يوماً أذغمَ الليلُ في بياضِ النهار
ومثله قولُ بعضهم [من الطويل] :

ولما استُ الرزقُ فأنجذ حبله ولم يصفُلى من يجره العذب مشربُ
خطبتُ إلى الاعدام إحدى بناته فزَجنِيها الفقرُ إذ جئتُ أخطبُ
فأولدتها الحزنَ الشقي فماله على الأرضِ غيرى والدَّحين ينسبُ
فلوتبتُ في البيداء والليلُ مسبلُ على جناحيه لما لاح كوكبُ
ولو خفتُ شيراً فاستترتُ بظلمةٍ لأقبلَ ضوءَ الشمس من حيث تغربُ
ولو جادَ إنسانٌ على بدرهمٍ لرحلُ إلى رحلى وفي السكف عقربُ
ولو يُعذَّرُ الناسُ الدنانير لم يكن بشيء سوى الحصباء رأسي يُخصَّبُ
وإن يُقترَفَ ذنباً ببرقةٍ مذنبُ فان برأسي ذلك الذنبُ يُعصَّبُ
وإن أرَ خيراً في المنام فنازحُ وإن أرَ شراً فهوَ مِنِّي مقربُ
أمامي من الحرمان جيشُ عمرمُ ومنه ورأى جحفل حينَ أر كَبُ
وقول الآخر [من الخفيف] :

لوركبتُ البحارَ صارت فجاجاً لا ترى في متونها أمواجاً
ولو آتى وضعتُ ياقوتةً حمراء في راحتي لصارت زجاجاً

ولو آتى وردتُ عذباً فراتاً عاد لا شكّ فيه ملحقاً أجاباً
وما أحسن قول أبي الأسود الدؤلى [من الكامل] :

المرء بمحمد سعيه من جده حتى يُزيّن بالذى لم يعمل
وترى الشقي إذا تكامل جده يرمى ويقذف بالذى لم يفعل

وبديع قول أبي العلاء المعرى [من الطويل] :
سيطلبنى رزقى الذى لو طلبته لَمَّا زادَ والدنيّا حظوظ وإقبالُ
إذا صدق الجِدُّ افترى العمُّ للفتى مكارم لا تكرى وإن كذب الخلالُ
الجِدُّ هنا : الحظ ، والعمُّ : الجماعة ، وتكرى : من كرى الزاد إذا نقص ،
افترى : كذب ، والخال : الحيلة .

وظريف هنا قول ابن شرف القيروانى [من الوافر] :
إذا صحبَ الفتى سعدةً وجدَّ تحامته المكاره والخطوبُ
ووافاه الحبيب بغير وعدٍ طفلياً وقادَ له الرقيبُ
وعدَّ الناسَ شرطته غناء وقالوا إن فسا قد فاح طيب
وقد أخذه ابن النقيب فقال [من السريع] :

لو لَحَنَ الموسرُ فى مجلسٍ لَقيلَ عنه إنه يُعربُ
ولو فسا يوماً لقالوا له من أين هذا النَّفسُ الطَّيبُ
وقول أبي العلاء المعرى غاية هنا ، وهو [من الكامل] :

لا تطلبنَ بآلةٍ لك رتبةً قلم البليغ بغيرِ حظٍّ مغزَلٍ
سكن السماءَ كالسَّماءِ كلاهما هذا له رمحٌ وهذا أعزلُ

وقد أخذ أبو إسحاق الغزى هذا المعنى ، فقال [من البسيط] :
الحس والقبيح . قد تحويهما صفةٌ شان البياض وزان الشيب والشبا

ظُبَا الْمُحَارَفِ أَقْلَامٌ مَكْسَرَةٌ رُؤُوسُهُنَّ وَأَقْلَامُ السَّيْفِ ظُبَا^(١)
وله أيضاً [من المنسرح] :

لا تَعْتَبِنِ الزَّمَانَ إِن ذَهَبَتْ نِيُوبُ لَيْثِ الْعَرَبِينَ مِنْ نُوبِهِ
فَالْحَوْلُ لَوْلَا الْجُدُودُ مَا قَصُرَتْ أَيْدِي جُمَادَاهُ عَنْ غُلَا رَجَبِهِ

وقد أخذ هذا المعنى الصلاح الصفدى ، فقال [من الطويل] :

لَنْ رُحْتُ مَعَ فَضْلِي مِنَ الْخَطِّ خَالِيًا وَغَيْرِي عَلَى نَقْصٍ بِهِ قَدْ غَدَا حَالِي
فَإِنِّي كَشْهَرِ الصُّومِ أَصْبَحَ عَاطِلًا وَطَوَّقُ هَلَالِ الْعِيدِ فِي جِيدِ شَوَالِ
بَلْ رِمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ قَلَاقِسَ فَانْهَ أَصْرَحَ مِنْهُ حَيْثُ قَالَ [من الخفيف] :
إِنْ تَأَخَّرْتُ فَالْحَرَمُ عَطِلَ مِنْ حُلِيِّ الْعِيدِ وَهِيَ فِي شَوَالِ
وَقَالَ ابْنُ قَلَاقِسَ أَيْضًا [من الكامل] :

لَوْلَا الْجُدُودُ لَمَا نَمَتَ لِمَسَافِرِ كَفُّ الْغَنَى وَتَمَلَّقَتْ بِمَقْمِرِ
وَالْحِظُّ حَتَّى فِي الْحُرُوفِ مُؤَثِّرِ يُخْتَصُّ بِالْتَرْقِيقِ وَالتَّغْنِيمِ

وقال مهباز الديلمى [من البسيط] :

لَا تَحْسَبِ الْهَمَّةَ الْعَلِيَاءَ مَوْجِبَةً رِزْقًا عَلَى قِسْمَةِ الْأَرَاذِقِ لَمْ يَجِبْ
لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ أَسْعَدَهُمْ مَا انْحَطَّتِ الشَّمْسُ عَنْ عَالِمٍ مِنَ الشَّهْبِ
أَوْ كَانَ أَيْسَرُ مَا فِي الْأَفَاقِ أَسْلَمَهُ دَامَ الْهَلَالُ فَلَمْ يُمَحَقْ وَلَمْ يَنْقَبْ
وَقَالَ الطُّغْرَائِيُّ [من الطويل] :

وَأَعْظَمُ مَا بِي أَنْتَى بِفَضَائِلِي حُرْمَتُ وَمَالِي غَيْرُهُنَّ دَرَائِعِ
إِذَا لَمْ يَزِدْنِي مَوْرِدِي غَيْرَ عِلْمَةٍ فَلَا صَدَرْتُ بِالْوَارِدِينَ مَشَارِعِ

(١) الظبا : جمع ظبة - بضم الظاء وتخفيف الباء - وهي حد السيف .
والمحارف - بفتح الحاء المهملة - الذى انحرف الحظ والرزق عنه

وقال القاضي الفاضل [من مجزوء الكامل] :

مَا صَرَ جَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا انْتَفَعْتُ أَنَا بِمُحَدِّقٍ

وَزِيَادَتِي فِي الْحَدِيثِ قَهْمٌ سِيَّيَ زِيَادَةُ فِي نَقْصِ رِزْقٍ

وقال ابن دانيال [من الخفيف] :

قَدْ عَقَلْنَا وَالْقَلُّ أَيْ وَثَاقٍ وَصَبَرْنَا وَالصَّبْرُ مَرُّ الْمَذَاقِ

كُلُّ مَنْ كَانَ فَاضِلًا كَانَ مَثَلِي فَاضِلًا عِنْدَ قِسْمَةِ الْأَرْزَاقِ

وقال ابن عنين [من الوافر] :

كَأَنِّي فِي الزَّمَانِ اسْمُ صَحِيحٍ جَرَى فَتَحَكَّمتْ فِيهِ الْعَوَامِلُ

مَزِيدٌ فِي بَنِيهِ كَرَاوِ عَمْرُو وَمُلَغَى الْخَطِّ فِيهِ كَرَاءٌ وَاصِلٌ^(١)

وقال السراج الوراق [من مخلم البسيط] :

يَمْنَعُنِي بِاخِلٍّ وَصَمِيحٍ وَلَيْسَ لِي مِنْهُمَا نَصِيرٌ

وَعَايَتِي أَنْ أَلُومَ حَظِي وَحَفَلَى الْخَائِطُ الْقَصِيرُ

وقال ابن سناء الملك [من الطويل] :

وَرَبِّ مَلِيحٍ لَا يُحِبُّ وَضْدَهُ تَقْبَلُ مِنْهُ الْعَيْنُ وَالْخُلْدُ وَالْفُؤْمُ

هُوَ الْجَدُّ خَذَهُ إِنْ أَرَدْتَ مَسَلَمًا وَلَا تَطْلُبِ التَّعْلِيلَ فَلَا مَرُءَ مِنْهُمْ

وما أَرَشَقُ قَوْلَ ابْنِ رَشِيقٍ [من الكامل] :

أَشْفَى لِمَلِكٍ أَنْ تَكُونَ أَدْرِيًا أَوْ أَنْ يَرَى فِيكَ الْوَرَى تَهْذِيبًا

مَا دَمْتَ مُسْتَوِيًا فَقَدْ لَكَ كُلُّهُ عَوَجٌ وَإِنْ أَخْطَأْتَ كُنْتَ مَهْذَبًا

(١) يريد واصل بن عطاء ، أحد الاسن المقاول ، وكان أُنْعِمَ بالراء فكان

يتجنبها في كلامه

كأنه شيء ليس يصح معنى ختمه حتى يكون بنقله مقلوباً
وما ألفت قول السراج الوراق [من البسيط] :

البلاء والخلاء من يخفى قد افترنا بالبلاء والخلاء من يخفى لأنسان
واللام والثناء من هذا وذلك هما لت المسائل من أساليب جرماني
وهذا الباب واسع جداً ، والاختصار فيه أولى .

وابن الراوندى ^(٢) : هو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين من أهل ^{ترجمة} ابن الراوندى ^{الراوندى} مرو الروذ ، وراوند يفتح الراء والواو بينهما ألف وسكون النون وبمدها دال مهلة ، قرية من قرى قاسان — بالسین المهلة — بنواحى أصبهان ، وهى غير قاشان التى بالمعجة المجاورة لقم . سكن المذكور بغداد ، وكان من متكلى المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحداً زنديقاً ، وقال القاضى أبو على التنوخى : كان أبو الحسين ابن الراوندى يلزم أهل الإلحاد ، فاذا عوتب فى ذلك قال : إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ، ثم إنه كاشف وناظر ، ويقال : إن أباه كان يهودياً فأسلم ، وكان بعض اليهود يقول لبعض المسلمين : ليفسد عليكم هذا كتابكم كما أفسد أبوه التوراة علينا ، ويقال : إن أباه الحسين قال لليهود : قولوا إن موسى قال لا نبى بعدى .

وذكر أبو العباس الطبرى أن ابن الراوندى كان لا يستقر على مذهب ، ولا يثبت على حال ، حتى إنه صنف لليهود كتاب البصيرة رداً على الإسلام لأربماثة درم أخذها فيما بلغنى من يهود سامراً ، فلما قبض المال رام قضها حتى أعطوه مائة درم أخرى ، فأمسك عن النقض .

(١) فى الأصل «معنا» وهو خطأ كائى ، يريد أن من أراد أن ينقضى كلاما على ختم كتبه مقلوباً ليكون عند الختم به صحيحاً مستقيماً
(٢) تجد لابن الراوندى ترجمة فى ابن خلصان

وحكى البلخي في كتاب محاسن خراسان أن ابن الراوندي هذا كان من
 المشككين، ولم يكن في زمانه أحقق منه بالكلام، ولا أعرف بدقيقه وجليله،
 وكان في أول أمره حسن السيرة، حميد المذهب، كثير الحياء، ثم انسلخ من
 ذلك كله لأسباب عرضت له، وكان علمه أكثر من عقله، فكان مثله كما
 قال الشاعر [من البسيط] :

ومن يُطِيقُ مُزَكِّيَ عند صَبَوته ومن يَقومُ لِمُسْتَوِرٍ إذا خَلما
 قال : وقد حكى جماعة أنه تاب عند موته مما كان منه، وأظهر الندم،
 واعترف بأنه إنما صار إليه حميةً وأنفةً من جفاء أصحابه له وتنحيهم إياه من
 مجالسهم

وأكثر كتبه الكفریات ألّفها لأبي عيسى اليهودي الأهوازي، وفي منزله
 هلك، ومما ألّفه من كتبه الملعونة كتاب «التاج» يحتج فيه لقدم العالم، وكتاب
 «الزردة» ^(١) يحتج فيه على الرسل ويبرهن على إبطال الرسالة، وكتاب
 «الغريد» في الطعن على النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب اللؤلؤة في تناهي
 الحركات، وقد نقض هو أكثرها وغيره. ولأبي على الجبائي وغيره ردود عليه
 كثيرة : فما قاله في كتاب الزردة أنه إنما سماه بالزردة لأن من خاصية الزمرد أن
 الحيات إذا نظرت إليه ذابت وسالت أعينها، فكذلك هذا الكتاب إذا طالع
 الخضم ذاب، وهذا الكتاب يشتمل على إبطال الشريعة الشريفة، والازدراء على
 النبوات المنيفة، فما قاله فيه لعنه الله وأبعده «إننا نجد في كلام أكرم بن صيني شيئا
 أحسن من إننا أعطيناك السكون، وإن الأنبياء كانوا يستعبدون الناس بالطلاسم»
 وقال «قوله — يعنى نبينا عليه الصلاة والسلام — لعمار رضى الله عنه ثق لك
 الفنة الباغية، كل المنجمين يقولون مثل هذا» ولقد كذب لعنه الله وأخزاه!

(١) سماه ابن خلدون «كتاب الزمرد» بغير تاء الوحدة

وجعل النار مستقره ومثواه ، فان المنجم إن لم يسأل الانسان عن اسمه واسم أمه ،
ويعرف طالعها ، لا يقدر أن يتكلم على أحواله ، ولا يخبره بشئ من متجدداته ، وخطاه
أكثر من صوابه ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بالمفليات من غير أن
يعرف طالعاً أو يسأل عن اسم أو نسب ، ولم يهد عنه غير ما ذكر ، صلى الله عليه وسلم
فبان الفرق . وقال في كتاب الدامغ « إن الخالق سبحانه وتعالى ليس عنده من
الدواء إلا القتل ، فيل العدو الخنق الغضوب ، فما حاجته إلى كتاب ورسول »
قال « ويزعم أنه يعلم الغيب فيقول : وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ثم يقول :
وما جعلنا القبله التي كنت عليها إلا لنعلم . وقال في وصف الجنة : فيها أنهار من
لبن لم يتغير طعمه ، وهو الحليب ، ولا يكاد يشبهه إلا الجائع ، وذكر العسل ،
ولا يطلب صرفاً ، والزنجبيل وليس من لذيذ الأشربة ، والسندس يفرش
ولا يلبس ، وكذلك الاستبرق وهو الغليظ من الديباج ، ومن تخاليل أنه في
الجنة يلبس هذا الغليظ ويشرب الحليب والزنجبيل صار كمرس الأكراد
والنبط » ولعمري لقد أعمى الله بصره وبصيرته عن قوله تعالى (وفيها ما تشتهي
الأنفس وتلد الأعين) وعن قوله عز وجل (ولحم طير مما يشتهون) ومع ذلك
ففيها اللبن والعسل ، وليس هو كلبن الدنيا ولا عسلها ، وغليظ الحرير يريد به
الصفيق الملتحم النسج ، وهو أغر ما يلبس ، ولو ذهبت أورد ما ذكره هذا
الملعون وتفوه به من الكفر والزندقه والإلحاد لطال الأمر ، والاشتغال بشعبه
أولى ، والله تعالى منزّه سبحانه عما يقول الكافرون والملاحدون علواً كبيراً ،
وكذلك كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم . ولقد سرد ابن الجوزي من زندقته
أكثر من ثلاث وثلاثين ، وأنا أعوذ بالله من هذا القول ، وأستغفر مما جرى
به قلبي مما لا يرضاه ولا يليق بمجناه وجناب رسوله عليه الصلاة والسلام
وكتابه الحكيم

واجتمع ابن الراوندي هو وأبو علي الجبائي يوماً على جسر بغداد فقال له :

يَا بَاعِي لَا تَسْمَعْ شَيْئًا مِنْ مَرْضَى هَرَّانَ وَتَقْبَلْهُ ، صَلَّاهُ : أَنَا أَعْلَمُ
بِمَضَى زَمَانِكَ ، وَعَوْدُ أَهْلِ دَهْرِكَ ، وَلَكِنْ أَجَاكَ فِي عَيْنِكَ ، قُلْ يُجِدُ
فِي مَرْضَتِكَ لَهُ عُنُوبَةٌ وَهَشَّةٌ وَتَكْ كَلَا وَتَلَا زَمًا ، وَنَضًا كَنْضَهُ ، وَحَلَاوَةً
كَحَلَاوَتِهِ ؟ قَالَ لَا : وَلَهُ ، قَالَ : قَدْ كَفَيْتَنِي ، فَانصَرَفَ حَيْثُ شَتَّ .

وَمِنْ شِعْرِهِ [مِنْ لَكْسَمِ] :

يَحْنُ الزَّمَانُ كَثِيرَةً لَا تَنْقُصُ وَسُرُورُهُ يَأْتِيكَ كَالْأَعْيَادِ
مَعَكَ إِلَّا كَدُّهُ فَسُتَرْقُ رِقَابَهُمْ وَرَكَاهُ رِقَابًا فِي يَدِ الْأَوْغَادِ

وَمِنْهُ ، وَقِيلَ : أَنَّهُ لَمِيرٌ [مِنْ اِشْتِقَابِ] :

أَنْتَ عَجِيْبٌ بَنَ أَمْرًا لَطِيفَ الْخَصَامِ دَقِيقَ الْكَلَمِ
يَمُوتُ وَمَا حَصَلَتْ نَفْسُهُ سَوَى عَلَيْهِ أَنَّهُ مَا عَلِمَ

وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ الْجَيْشِيُّ أَنَّ السُّلْطَانَ طَلَبَ ابْنَ الرَّائِدِيَّ ، وَأَبَا عَيْسَى
الْوَرَقَ ؟ فَمَا أَبُو عَيْسَى فَجِسَ حَقَّ مَلِكٍ ، وَأَمَا ابْنُ الرَّائِدِيَّ فَهَرَبَ إِلَى
ابْنِ لَادِيٍّ الْيَهُودِيِّ ، وَوَضَعَ لَهُ كِتَابَ « الدَّمْعِ » ، فِي الطَّمَنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى الْهَرَّانِ الْكَبِيرِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا أَيْلَمًا يَسُورَةً ، حَتَّى
مَرَضَ وَمَلَ .

وَذَكَرَ أَبُو الْوَلَاءِ بْنُ عَقِيلٍ : أَنَّ بَعْضَ السُّلَاطِينِ طَلَبَهُ ، وَأَنَّهُ هَلَكَ وَلَهُ سِتُّ
وَعِثْرُونَ سَنَةً مَعَ مَا أَتَى إِلَيْهِ مِنْ اخْتِزَايَ .

وَذَكَرَ ابْنُ خُلَسَكَانَ أَنَّهُ هَلَكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتِينَ بِرَجَبِ مَلِكِ
ابْنِ طُوقٍ ، وَقِيلَ : بِضَادٍ ، وَقَدِيرِ عَمْرِهِ : أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ عَاشَ
أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْنِ سَنَةً ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ هَلَكَ سَنَةَ خَمْسِينَ وَمِائَتِينَ ، وَقَالَ
ابْنُ التَّجَلُّو : يُلْفَى أَنَّهُ هَلَكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتِينَ ، لَمَّا لَمَسَ اللَّهُ وَأَخْرَاهُ ابْنُ
كَافٍ مَلِكًا عَلَى اخْتِفَادِهِ هُنَا !

٢٧ - فَنَافَتِ كَيْ أَنشَجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَنَرْتُ بِذَلِكَ

من وضع اسم
للأشجرة موضع
القامر

البيت لابن الممينة ، من قصيدة من الطويل ، أولها :
فِي بَابِئِ الْقَدْرِ قَضَى لَبَانَةٌ وَتَشْكُو الْهَوَى نِمَ أَضِلُّ مَا بِبَابِكَ
سَبَى الْبَابَةِ الْغَنَاءُ بِالْأَجْرِجِ الْهَى بِهِ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ أَطْلَلُ دَارِكَ
وَهَلْ قَتَ فِي أَطْلَالِهَا عَشِيَّةً مَتَمَّ أَخِي الْبَابَةَ وَانْقَرَضَ ذِكْ
وَهَلْ كُنْتُ كُنْتُ عَيْنِي بِهَا دَعْبَةً فَوَادَى كَنَظَمِ الْهَوَى التَّسْلُوكَ
وَيُرَى أَنَّ أُولَاهُ :

فَتَى قَبْلَ وَثْنِ الْبَابَةِ مَلَاكِ وَلَا تَحْرِمُنَا نَظْرَةً مِنْ جَلَاكِ
وَبِهِ الْبَيْتُ ، وَبِهِ :

وَقَوْلِكَ لِمَوَادٍ كَيْفَ تَرَوْنَهُ صَاوُوا قِتْلًا قَلْتَ أُنَسِرُ مَلَاكِ
لَنْ سَاءَ فِي أَنْ تَلْتَقَى بِمَلَاكِ لَقَدْ سَرَّني أَنِّي خَطَرْتُ يَكَاكِ
لِيَهْنِكِ بِسَاكِ يَكْفِي عَلَى الْخِشَا وَدُقْرَاقِمْ رَحْبَةً مِنْ مَطَاكِ
ظَوَّ قَلْتَ صَافِي التَّلَا أَعْلَى أَنَّهُ رِضَاكِ أَوْ مَدْنٍ لَنَا مِنْ وَصَاكِ
لَقَدْ مَتَّ رَجُلِي نَحْوَهَا قَوْمَتَهَا هَدَى مِنْكَ لِي أَوْصَةً مِنْ ضَلَاكِ
أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرِّبِيْعَ وَبِأَمَّا رَجُلِي الْهَى أَرْجُوْهُ خَيْرَ نَوَاكِ
أَبْقَى أَنِّي يُعْنَى يَدِيكَ جَمَلْتِي فَفَرَحَ أَنَّمْ صَبَرْتُ فِي شَمَاكِ

ومعنى أشجى : أحزن ، من شَجَى يَشْجُو ، وما شجأ يشجو فهو متصد ،
وإنما قال : قد ظنرت بك ، وما يشق قتلي ، لادعائه أن قتله ظهر ظهور
المحسوس بالبصر الشار إليه بلم الإشارة .

والشاهد فيه : وضع اسم الإشارة موضع المنصر ، لادعائه كمال ظهوره ،
ولأن كل من غير باب المنصر إليه .

ترجمة للمدينة

وابن المدينة^(١) : اسمه عبد الله بن عبيد الله ، أحد بنى عامر بن تميم الله ، والمدينة : أمه ، وهي^(٢) سلوية ، ويكنى ابن المدينة أبا السري ، وهو شاعر مشهور ، له غزل رقيق اللفظ ، دقيق المعاني . وكان الناس في الصدر الأول يستحلون شعره ويتغنون به . حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال : كان العباس بن الأحنف إذا سمع شيئاً يستحسنه أضر فتي به ، وأنا أفعل مثل ذلك ، فجاءني يوماً فوقف بين الناس ، وأشد لابين المدينة^(٣) [من الطويل] :

ألا يا صبا نجد متى هجرت من نجد
لقد زادني مسررك وجداً على وجد
أبى هفت ورقاء في روث الضحى
على فتن غض النبات من الرند^(٤)
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن
جزواً وأبدت الذي لم تكن تبدى^(٥)
وقد زعموا أن الحب إذا ذنا
يل وأن النأي يشق من الوجد
بكل تدأوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد^(٦)
على أن قرب الدار ليس ينفع
إذا كان من تمواه ليس بنى ود
ثم نرح ساعة نرح النشوان ودبح أخرى^(٧) ، ثم قال : أطلع العمود برأسي من

(١) محمد لابين المدينة ترجمة في الأغاني (١٥-١٥١) وقد اختار له أبو تمام في باب الغزل من الحماسة ست قطع فأنظرها في الجزء الثالث من شرح التبريزي بتحقيقنا (٢٠٢ ر ٢٣١ ر ٢٥٦ ر ٣٠٥ ر ٣١٧ ر ٣٢٠)

(٢) هي المدينة بنت حنيفة السلوية

(٣) هي من غنار أبي تمام في الحماسة (٣-٢٥٦ من شرح التبريزي) وفي الأغاني (١٥-١٥٦) بزيادة بيت

(٤) في المطبوعتين «لئن هفت» محرفاً وما أثبتناه عن الحماسة والأغاني

(٥) في المطبوعتين «ولم أكن جزوا» وأثبتنا ما يلتزم مع سابقه ولاحقه من الحماسة والأغاني

(٦) في الحماسة وحده «على ذاك قرب الدار خير من البعد»

(٧) دبج تديجاً . طاماً رأسه وذل

حسن هنا ، قلت : لا ، ارفق نفسك .
 وحدث ابن زبيح^(١) راوية ابن هرمة قال : لقي ابن هرمة بعض أصحابه
 بالبلاط ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من المسجد ، قال : فأى شيء صنعت
 هناك ؟ قال : كنت جالساً مع إبراهيم بن الوليد الخزومي ، قال : فأى شيء قال ؟
 قال : امرئ أن أطلق امرأتى ، قال : فأى شيء قلت له ؟ قال : ما قلتُ
 شيئاً ، قال : فوافقه ما قال لك هذا إلا لأمر أضرته عليه وكسنته ، أفأريت
 لو أمرته بطلاق امرأته أكلن يطلقها ؟ قال : لا والله ، قال : فأين العينة كلن
 أنصف منك ، كلن يهوى امرأة من قومه ، فأرسلت إليه بن أهلك قد تهوى
 عن لقاك ومراسلتك ، فأرسل إليها يقول [من الوافر] :

أَرَبْتَ الْآمِرِيكَ بِقَطْعِ حَبْلِي مُرِيهِمْ فِي أَحْيَتِهِمْ بِنَاكَ^(٢)
 فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِهِمْ وَإِنْ عَصَوْكَ فَاعَصِ مِنْ عَصَاكَ
 أَمَا وَالْإِصْصَاتِ بِكُلِّ فَيْجٍ وَمَنْ صَلَّى بِنَمْلِكَ الْآرَاكَ
 لَقَدْ أَضْمَرْتُ حَبْكَ فِي فَوَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حَبًّا مِنْ مَوَالِكِ
 ومثل هذا الخبر ما حكاه الأصمعي قال : مررت بالكوفة وإذا أنا ببجارية
 تطلع من جدار إلى الطريق وفتي واقف وظهره إلى ، وهو يقول : أسهر فيك
 وتسلمين عني ، وتضحكين مني وأبكي ، وتستريحين وأتعب ، وأمحضك المحبة
 وتمنقنيها^(٣) وأصدقك وتناقصيني^(٤) ، ويأمرك عدوى بهجرى فتطيعينه ويأمرني

(١) في الأغاني « ابن زبيح » محرراً

(٢) في الأغاني « ضعت الأمر بك »

(٣) أمحضك المحبة : يريد أحبك حباً لا أخطئه بشئ من الصدود والمجران

والتدلل وغير ذلك من عوارض الحب

(٤) كذا يحذف نون الرفع ، وهو أحد ثلاث لغات في كل فعل مضارع
 مرفوع بثبوت النون وقد اتصلت به نون الواو ، وثانيها إثبات النون من
 غير إدغام ، وثالثها إثباتها مع إدغام إحداهما في الأخرى ، ووردت الألف
 الثلاث في التنزيل الكريم

فصيحى بذلك فأعصيه ، ثم تنفس وأجش باكياً ، فقالت له : إن أهل يمنونى منك^(١) وينهونى عنك ، فكيف أصنع ؟ قال لها [من الوافر] :

أريتَ الأمريكِ قطعَ حَبْلِي مَرِيحَةٍ فِي أَرَحِيهِمْ بِذَلِكَ
ظَنُّهُمْ طُلُوعُكَ ضُلُوعِهِمْ وَإِنْ عَصَوْكَ فَأَعصِ مِنْ عَصَاكَ

ثم التفت فرآنى ، قال : يلقى ما تقول أنت فيما قلت ؟ قلت له : والله لو عشت ابن أبى ليلى^(٢) ما حكم إلا بمنزل حكمك

وحث ابن أبى البرى عن هشام قال : هَوَى ابن الهمينة امرأة من قومه يقال لها أمية فهاج بهامدة ، فلما وصلته نجى عليها ، وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعابها طويلا ، ثم أقبلت عليه فقالت والشر لها^(٣) [من الطويل] :

وَأَنْتِ أَقْبَى أَخْلَفْتِنِى مَا وَعَدْتِنِى وَأَشْمَتَّ بِي مِنْ كَانَ فِيكَ يَوْمُ
وَأَبْرَزْتِنِى لِلنَّاسِ نِمَ تَرَكْتِنِى لَمْ غَرَضًا أُرْمَى وَأَنْتِ سَلِيمُ
ظَوْنًا قَوْلًا يَكْلُمُ الْجِسْمَ قَدِيدًا بِجِسْمٍ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّومُ
قال : فأجابها ابن الهمينة قال [من الطويل] :^(٤)

وَأَنْتِ الَّتِى كَلَّفْتِنِى دَلَجَ الشَّرِّ وَجُودَ الْقَطَا بِالْجَلْهَيْنِ جُنُومُ

(١) فى المطبوعتين « يمنونى » محذوف نون الرفع كما ذكرناه فى الكلمة السابقة ، وأثبتنا هنا ما جاء فى الأغاني ، إذ كانت القصة بطولها منقولة عنه

(٢) ابن أبى ليلى : فقيه عالم قاض وروى فى العصر العباسى الأول

(٣) ثلاثة الأبيات فى الحاسة (١٨٣-٣١٨ من شرح التبريزى) وفى الأغاني

(١٥-١٥٤) منسوبة إلى أمامة فى الحاسة وإلى أمية فى الأغاني

(٤) الأبيات فى الحاسة على ترتيبها هنا ، وهى فى الأغاني بتقديم الثانى على الأول

وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَرَارَةً وَزَقْتَ جِرَاحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمٌ^(١)
وَأَنْتِ الَّتِي أَحْفَظْتَ قَوْمِي فَكَأَنَّمْ بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصُّدُورِ كَلِيمٌ
قال : ثم تزوجها بعد ذلك ، وقتل وهي عنده كما سيأتي .

وحدث أبو الحسن الينبي قال : بينا أنا وصديق لي من قریش عشي بالبلاط
ليلاً فاذا بطل نوسة في القمر ، فالتقينا فاذا بجماعة نوسة ، فسمعت واحدة منهن
تقول : أهو هو ؟^(٢) ، فقالت الأخرى : نعم والله إنه لهو هو ، فدنيت مني ثم
قالت : يا كهل ، قل لهذا الذي معك [من البسيط] :

لَيْسَتْ لِيَالِيكَ فِي خَائِجٍ بِمَأْتِدَةٍ كَمَا عَهَدْتَ وَلَا أَيْلَمٌ ذِي سَلِيمٍ
قُلْتُ لَهُ : أَجِبْ فَقَدْ صَحَّحْتَ ، فَقَالَ : قَسَدَ وَاللَّهِ قَطَعَ بِي وَأَرْجَحَ عَلَى فَأَجِبْ
عني ، فالتفت إليهما ثم قلت [من الطويل] :

قُلْتُ لَهَا يَا عَزْ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطُنْتُ يَوْمَ لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
قالت المرأة : أواه ، ثم مضت ومضينا ، حتى إذا كنا بمفرق طريقتين مضى
النفي إلى منزله ومضيت إلى منزلي ، فاذا ببجارية تهذب طرف ردائي ، فالتفت إليها
قالت : المرأة التي كلكتك تدعوك ، فضيت معها حتى دخلت داراً ثم صرت إلى
بيت فيه حصير ، وثنيت لي وسادة فجلس ، ثم جاءت جارية بوسادة مننية فطرحتها ،
ثم جاءت المرأة فجلست عليها وقالت لي : أنت الحبيب ؟ قلت : نعم ، قالت :
ما كان أظنَّ جوابك وأغلظه ! قلت : والله ما حضرني غيره ، فبككت ثم قالت لي :
والله ما خلق الله خلقاً أحب إلي من إنسان كان معك ، قلت : وأنا الضامن عنه ،

(١) في الحماسة «قطعت قلبي حزازة» وفي الأغاني «وزقت قرح القلب»
وفي الحماسة «وقرفت قرح القلب» وقرفت : قشرت ولم يكن قد برأ
(٢) في المطبوعتين «أهو أهو» وأثبتنا ما في الأغاني .

لك ماتحين، قالت : أوفعل ؟ قلت : نعم ، فوعدها أن آتيها به في الليلة القابلة ، وانصرفت فإذا القى بياني ، فقلت : ماجاء بك ؟ قال : علمت أنها سترسل إليك وسألت عنك فلم أجذك ، فعملت أنك عندها ، فجلست أنتظرُك ، فقلت له : قد كان كل ماظننت ، ووعدها أن آتيها بك في الليلة القابلة ، ففسي ، ثم أصحنا فنهينا وأورحنا فإذا الجارية تنتظرنا ، فضت أماننا حتى دخلنا الدار ، فإذا برائحة الطيب ، وجاءت فجلست ملكياً ، ثم أقبلت عليه فعاتبته طويلاً ثم ذكرت الآيات التي أنشدتها امرأة ابن الدمينه ، ثم سكنت ، فسكت القى هنيهة ثم قال [من الطويل] :

غَدَرْتِ ولم أَغْدِرْ وَخُنْتِ ولم أُخِنْ وفي دورِ هذا المُحِبِّ عزاء
جَزَيْتُكَ ضِيفَ الْوُدِّ ثم صَرَمْتِنِي فحَبِّكَ في قلبي إِلَيْكَ أذاه^(١)
فالتفتت إلى وقالت : ألا تسمع ما يقول ، قد أخبرتك ، قال : فغمرته ، فكف ، ثم قالت [من الطويل] :

تَجَاهَلْتِ وَصَلِي حِينَ لَجْتُ تَحِيَّتِي فها صَرَمْتَ الْحَبْلَ إِذْ أَنَا مُبْصِرُ
وَلِي مِنْ قُوَى الْحَبْلِ الَّذِي قَدْ قَطَعْتُهُ نَصِيبٌ وَإِذْ رَأَيْتُ جَمِيعَ مُوقُرُ
وَلَكِنَّمَا أَكَدْتُ بِالصَّبْرِ بَقْعَةً وَلَسْتُ عَلَى مِثْلِ الَّذِي جِثْتُ أَقْدِرُ

فقال القى مجيئاً لها [من الطويل] :

لَقَدْ جَعَلْتَ نَفْسِي وَأَنْتِ اجْتَرَمْتِهِ وَكُنْتِ أَحَبَّ النَّاسِ عِنْدَ تَطْيِبُ
فَبَكَتِ ثم قالت : أو قد طابت نفسك ؟ لا والله ما فيك خير بعدها ، فعليك السلام ، ثم التفتت إلى وقالت : قد علمت أنك لا تقي بضمانك عنه ، وانصرفنا وكان السبب في قتل ابن الدمينه أن رجلاً من سلول يقال له مزاحم بن عمرو كان يرمي بالمرأة ابن الدمينه ، وكان اسمها حماء — وقيل حمادة — فكان

مقتل ابن الدمينه

(١) في المطبوعتين «أذاه» محرفاً ، وما أثبتناه عن الأغاني

يأتينا ويتحدث إليها ، حتى اشتهر ذلك ، فنبه ابن الدمينية من إتيانها ، واشتد عليها ، فقال مزاحم يذكر ذلك [من البسيط] :

يا ابن الدمينية والأخبار يرفعها وَخَدَ النَّجَائِبِ وَالْخُفُورُ يَخْفِيهَا
يا ابن الدمينية إن تغضب لما فمكت فَطَالَ خَزْيُكَ أَوْ تَغْضَبُ مَوَالِيهَا
أَوْ تُغْضُوْنِي فَمِنْ طَعْنَةٍ نَفَذْتُ يَغْدُو خِلَالَ الْجُوفِ غَازِيهَا^(١)
جَاهَدْتُ فِيهَا لَكُمْ إِنْ لَكُمْ أَبَدًا أَبْقَى مَعَايِكُمْ عَمْدًا فَاتِيهَا
فَذَلِكَ عِنْدِي لَكُمْ حَتَّى تُغَيِّبَنِي غَيْرَاهُ مَظْلَمَةٌ هَارٍ نَوَاحِيهَا
أَغْشَى نِسَاءَ بَنِي تَمِيمٍ إِذَا هَجَعْتُ عَنَى الْعَيُونُ وَلَا أَبْقَى مَقَارِيهَا
كَمْ كَاغِبٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَعَدْتُ لَهَا وَعَانَسِي حِينَ ذَاقَ النُّومَ حَامِيهَا
كَقَعْدَةِ الْأَعْسَرِ الْعُفُوفِ مَنْتَحِيًا مَتِينَةٍ مِنْ مَتِينِ النَّبْلِ يَرْمِيهَا^(٢)
عَلَامَةٌ كَيْفَهُ مَا بَيْنَ عَاتِيهَا وَبَيْنَ سُبُتَيْهَا لِاشْلَ كُلِيهَا^(٣)
وَشَهَقَةٌ عِنْدَ حَسَنِ الْمَاءِ تَشْهَقُهَا وَقَوْلُ رُكْبَتَيْهَا قِضْ حِينَ تَنْتَبِهَا^(٤)

(١) في المطبوعتين « يغدو . . . غاديا » باهمال الدال ، وهو تحريف .
وتقول : غذا الماء ، أى سال ، وغذا العرق يغذو غذا ، أى سال منه الدم .
(٢) في المطبوعتين « الحلصوق » وكتب مصحح الأميرية يقول « هكذا
في بعض النسخ ، وفي بعضها الأعسر العلصوف ، وفي بعضها الأعسر القلصوف ،
ولم يظهر لى معناه بعد المراجعة ، وليحرج اهـ » وما أثبتناه عن الأغاني ،
والعلفوف : الضخم الكثير اللحم والشعر ، وشيخ علفوف : أى كبير السن ،
ومنه قول الشاعر

مأوى اليتيم ومأوى كل نهيلة تأوى إلى نهيل كالنسر علفوف

(٣) السبة - بضم السين وتشديد الباء - الدبر

(٤) قِضْ - بكسر القاف وسكون الضاد - اسم صوت يحكى به
صوت الركبة

وَتَعْدُلُ الْأَيْرَانُ زَاغَتْ فَنَبِعْنَهُ
 حَتَّى يَقِيمَ بِرَفَقٍ صَدْرُهُ فِيهَا
 بَيْنَ الصُّفُوفَيْنِ فِي مُسْتَهْدِفٍ وَمِيدٍ
 ذِي حَرَّةٍ ذَا قَطْعٍ الْمَوْتِ صَالِيهَا^(١)
 مَاذَا تَرَى يَا عَيْدُ اللَّهِ فِي امْرَأَةٍ
 لَيْسَتْ بِمُحَصَّنَةٍ عَذْرَاءٍ حَاوِيهَا
 أَيَّامَ أَنْتَ طَرِيدٌ لَا تُتَارِبُهَا
 وَصَادَفَ الْقَوْسَ فِي الْغَرَاتِ يَارِيهَا
 تَرَى مَجْجُورَ بَنَى تَيْمٍ مُلْفَعَةٍ
 تُحْمَطُ عَوَارِضُهَا رُبْدًا ذَوَاهِيهَا
 إِذْ تَجْمَلُ الدَّفْنَسُ الْوَرَهَاءُ عَذْرَتَهَا
 قَشَارَةٌ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ تَفْرِيهَا
 حَتَّى يَظْلُ هَذَانُ الْقَوْمُ يَحْسِبُهَا
 بِكَرًا وَقَبْلَ هَوَى فِي الدَّارِ هَاوِيهَا

ولما بلغ ابن الدمينية شعر مزاجهم أتى امرأته فقال لها: قد قال فيك هذا الرجل ما قال، وقد بلغك، قالت: والله ما رأى منى ذلك قط، قال: فمن أين له العلامات؟ قالت: وصحتن له النساء، قال: هيها والله أن يكون ذلك كذلك، ثم أمسك مدة وصبر حتى ظن أن مزاجها قد نسي القصة، ثم أعاد عليها القول، وأعادت الحلف أن ذلك مما وصفه له النساء، فقال لها: والله لئن لم تمكنيني منه لأقتلنك فعلمت أنه سيفعل ذلك، فبعثت إليه وواعدته ليلا، وقعد له ابن الدمينية وصاحب له، فجاءها الموعد، فجعل يكلمها وهي مكانها فلم تكلمه، فقال لها: يا حماء، ماهذا الجفاء الليلة؟ قال: فتقول له هي بصوت ضعيف: ادخل، فدخل، فأهوى بيده ليضعها عليها، فوضعا على ابن الدمينية، فوثب عليه هو وصاحبه وقد جعل له حصا في ثوب، فضرب به كبده حتى قتله، وأخرجه فطرحة ميتا، فجاء أهله فاحتلموه، ولم يجدوا به أثر السلاح، فعملوا أن ابن الدمينية قتله، وقد قال ابن الدمينية في تحقيق ذلك [من البسيط]:

(١) «الصفوفين» كذا في الأصول جميعا، وفي الأغاني «الصفوفين» والمستهدف: المرتفع، والومد - بفتح فكسر - الشديد الحر

قالوا هَجَّتْكَ سَلُولُ الْيَوْمِ مُخْفِيَةً فالْيَوْمِ أَهْجَوْ سَلُولًا لَا أَخَافُهَا (١)
 قالوا هَجَّكَ سَلُولِي قَتَلْتُ لَهُمْ قد أَنْصَفَ الصَّخْرَةَ الصَّاهِ رَامِيهَا
 رَجَلَهُمْ شَرُّ مَنْ يَمْشِي وَنَسُوهُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ اسْتَأْذَلَ حَامِيهَا (٢)
 يَحْكُمُ كَنْ بِالصَّخْرَةِ اسْتَأْذَلَهَا دَبَّ كما يَحْكُمُ نَقَابُ الْجَرْبِ طَالِيهَا (٣)
 وقال أيضا يذكر دخول مزاحم ووضع يده عليه [من الطويل] :

لَا الْخَيْرُ إِنْ وَاَعَدْتُ حَمَاءَ فَالْقَهَا نَهَارًا وَلَا تُدْخِلْ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
 فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَيْفَاءَ طِفْلَةٍ تُعَانِقُ أُمَّ لَيْثًا مِنْ الْقَوْمِ قُشِمَا
 فَلَمَّا سَرَى عَنْ سَاعِدِيَّ وَلِحْيَتِي وَأَيُّنَ أَنَّى لَسْتُ حَمَاءَ جَنْجَمَا
 ثم أتى ابن الدمينه امرأته فطرح على وجهها قطعة ثم جلس عليها حتى قتلها ،
 فلما مات قال [من البسيط] :

إِذَا قَعَدْتُ عَلَى عَرْنَيْنٍ جَارِيَةٍ فَوْقَ الْقَطِيعَةِ فَادْعُوا لِي بِجَفَارِ
 فَبَكَتْ بَنَتْ لَهُ مِنْهَا ، فَضْرَبَ بِهَا الْأَرْضَ قَتَلَهَا أَيْضًا ، وَقَالَ مِمَثْلًا :

* لَا تَقْدُوا مِنْ كَلْبٍ سَوْءٍ جَرَّوَا * (٤)

فخرج جناح أخو المقتول إلى أحمد بن إسماعيل ، فاستعدها على ابن الدمينه
 فبعث إليه نجسه ، وقالت أم أبان والدته مزاحم المقتول ، وهي من بني خثعم
 ترى ابنها وتحرض (٥) مصعبا وجناحا أخويه [من الطويل] :

-
- (١) في الأغاني « هجَّتْكَ سَلُولُ الْيَوْمِ » وهي خير مما هنا
 (٢) في الأغاني « شَرُّ الْبَرِيَّةِ وَاسْتَأْذَلَ حَامِيهَا »
 (٣) في الأغاني « بِهَا نَقَبَ »
 (٤) في الأغاني « لَا تَتَخَذَنَّ مِنْ كَلْبٍ سَوْءٍ جَرَّوَا »
 (٥) في الأغاني « وَتَحَضُّضَ » وما بمعنى

بأهلى ومالى بل بجُلّ عَشِيرِي قَتِيلُ بَنِي تَيْمٍ يَنْغِيرُ رِسَالِحُ (١)
 فَهَلَّا قَتَلْتُمُ بِالسَّلَاحِ ابْنَ أَخِيكُمْ فَتَظَهَّرَ فِيهِ لِلشُّهُدِ جِرَاحُ
 فَلَا تَطْعَمُوا فِي الصَّلَاحِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا دَامَ حَيًّا مُصْعَبُ وَجَنَاحُ
 أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الدَّوَايِرَ بَيْنَنَا تَدُورُ ، وَأَنَّ الطَّالِينَ شَحَاحُ

ولما طال حبس ابن الدمينية ولم يجد عليه أحد بن إسماعيل سبيلا ولا حجة خلاه ، وقتلت بنو سلول من خثعم (٢) رجلا مكان المقتول ، وقتلت خثعم بعد ذلك نفرا من سلول ، ولهم قصص وأخبار كثيرة ، ثم إن ابن الدمينية أقبل حاجا بعد مدة فززل بتبالة فعدا عليه مصعب أخو المقتول لما رآه ، وكانت أمه حرضته وقالت له : اقتل ابن الدمينية فإنه قتل أخاك وهجا قومك وذم أختك ، وقد كنت أعذر لك قبل هذا لأنك كنت صغيرا ، والآن قد كبرت ، فلما أكررت عليه خرج من عندها وبصر بابن الدمينية واقفا ينشد الناس ، فعدا إلى جزار فأخذ شفرته وعدا على ابن الدمينية فجرحه بها جراحتين ، فقيل : إنه مات لوقته ، وقيل : بل سلم من تلك الدفعة ومصر به مصعب بعد ذلك وهو في سوق البلاء ينشد أيضا فعلاه بسيفه حتى قتله ، وعدا ، وتبعه الناس حتى اقتحم دارا وأغلقها عليه ، فجاءه رجل من قومه فصاح به : يا مصعب ، إن لم تضع يدك في يد السلطان قتلتك الصامة ، فاخرج ، فلما عرفه قال له : أنا في ذمتك حتى تسلمني إلى السلطان ، فقتله السلطان في سجن تبالة ، قال : ومكث ابن الدمينية جريحاً ليلة ثم مات في غد ، وقال في تلك الليلة بحرض قومه ويوبخهم [من الوافر] :

- (١) هكذا في جميع أصول الكتاب وفي نسخ الأغاني بكسر روى هذا البيت ورفع ما بعده ، وهو عيب من عيوب القافية
 (٢) هكذا في الأصول والأغاني ، ولعله محرف عن تيم ، وكذلك قوله وقتلت خثعم لعل صوابه تيم كما يؤخذ من سياق القصة

هنتَ بأكلبٍ ودعوتَ قيساً فلا خذلاً دعوتَ ولا قليلاً^(١)
 نازتَ مزاجها وسررتَ قيساً وكنتَ لما همتَ به ضولاً
 فلا تملِكْ يدالك ولا تزالا تُفيدانِ القنائمَ والجزلا
 فلو كان ابن عبد الله حياً لصبحَ في منازلها سولاً
 وبلغ مصعباً أبا المقتول أن قوم ابن الدمينه يريدون أن يقتحموا عليه سجن

تباة فيقتلوه ، فقال يحرض قومه [من الوافر] :

لقيتُ أبا السرى وقد تكلا له حقُّ العداوة في فؤادي
 فكادَ الغيظُ يفرطني إليه بطمنٍ دونه طمنُ الشدا^(٢)
 إذ انبحتْ كلابُ السجن حولى طمعت هشاشة وهفا فؤادي
 طامعا أن يدقَّ السجن قومي وخوفاً أن تُبَيِّنني الأعادي^(٣)
 فما ظني بقومي شرَّ ظنٍّ ولا أن يُسلوني في البلادِ
 وقد جدلتُ قاتلهم فأسى يمحُج دَمَ الوتين على الوساد
 فجاءت بنو عقيل إليه ليلا فكسروا السجن وأخرجوه منه ، فهرب إلى صنماء
 ومن شعر ابن الدمينه الأبيات المشهورة^(٤) [من الطويل] :

(١) في المطبوعتين «ولا قنبلا» محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ،
 وأكلب : جد من جدود ابن الدمينه
 (٢) يفرطني : يتقدمني ويسبقني ، وبابه ضرب ، وفي الأغاني «دونه طمن
 السداد» بالسین المهمله

(٣) في الأغاني «طامعا أن يدق»

(٤) نسب أبو الفرج هذه الأبيات الثلاثة إلى ابن الدمينه ، وعنه نقل
 المؤلف كل ما هنا في ترجمة ابن الدمينه ، وقد روى ثلاثها أبو علي القالي في
 الإمالى (٢- ٣١٤ دار الكتب) ضمن قصيدة طويلة نسبها لقيس بن ذريح ؟
 وروى هذه القصيدة وفيها أول هذه الأبيات وثانيها في تزيين الاسواق
 (١- ٦٠) منسوبة إلى قيس أيضاً

أقصى نهارى بالحديث وبلمنى وَيَجْمَعُنِي وَالْهَمَّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
 نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لَيْلِي شَاقَتْنِي إِلَيْكَ الْمُضَاجِعُ (١)
 لَقَدْ نَبَتَتْ فِي الْقَلْبِ مِنْكَ حَبَّةٌ كَمَا نَبَتَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَارِعُ (٢)
 وهي من قصيدة طويلة يخطها الناس كثيراً بقصيدة لمجنون ليلي ، لأنها
 توافقها في الوزن والقافية .

٢٨ - * إِلَهِي عَبْدُكَ الْعَاصِي أَتَاكَ *

من وضع المظهر
 موضع المضمير

هو من الوافر ، ولا أعلم قائله ، وتسماه :

* مَقْرًا بِالذُّنُوبِ وَقَدْ دَعَاكَ *

فَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ لِذَلِكَ أَهْلٌ وَإِنْ تَطْرُدْ فَنَبْرَحِمُ سِوَاكَ
 والطرد : الإبعاد .

والشاهد فيه : وضع المظهر - وهو « عبدك » - موضع المضمير ، وهو أنا
 للاستعطاف ، وهو : طلب العطف والرحمة ، إذ ليس فيه ما في المظهر من
 استحقاق الرحمة وترقب الرأفة ، وإن كان من غير باب المسند إليه أيضاً .

٢٩ - * تَطَاوَلَ لَيْلِكَ بِالْأَمْتَرِ *

شاهد الالتفات

قائله امرؤ القيس الكندي (٣) الصحابي رضى الله تعالى عنه ، وهو أول

- (١) حفظي * هزئتني إليك المضاجع * وهو كذلك في رواية الأمامي
- (٢) يروى * لقد نبتت ... كما نبتت * بالنون في الموضوعين مكان اللام
- (٣) يختلف الرواة في نسبة هذا الشعر ، فالأصمعي وأبو عمرو وأبو عبيدة
 وابن الأعرابي ينسبونه إلى امرئ القيس بن حجر الكندي ، وابن دريد
 ينسبه إلى امرئ القيس بن عابس ، وهو كندي أيضاً ، يمت بالنسب إلى امرئ
 القيس الأول ، وقد استشهد صاحب الكشف بثلاثة الأبيات الأولى

قصيدة من المتقارب، وتامه :

* ونام الخليلي ولم ترقد *

وبعده :

وَبَاتَ وَبَاتَ لَهُ لَيْلَةٌ كَأَيْلَةِ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ
وَذَلِكَ مِنْ نَبَأِ جَاءَ فِي وَأَنْبَشُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ
وَلَوْ عَنْ نَسَا غَيْرِهِ جَاءَ فِي وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ
لَقُلْتُ مِنَ الْقَوْلِ مَالًا يَزَا لُ يُؤْثِرُ عَنِي يَدُ الْمُسْنَدِ^(١)
بَأَى عَلاَقَتَنَا تَرْغَبُونَ أَعَنَ دَمٍ عَمِرٍ وَعَلَى مَرْتَدٍ
فَإِنْ تَذَنُّوْا الدَّاءَ لَا تُخَفِّهِ وَإِنْ تَبَغُّوْا الدَّاءَ لَا تَقْعُدِ
وَإِنْ تَقْتُلُوْنَا نُقَاتِلْكُمْ وَإِنْ تَقْصِدُوا الدِّمَّ نَقْصِدِ
مَتَى عَهْدُنَا بِطَعَانِ الْكُفَاةِ وَالْمَجْدِ وَالْحَمْدِ وَالسُّودِ
وَبَنَى الْقِيَابِ وَمَلَأَ الْجِفَاةِ نِ وَالنَّارِ وَالْحَطَبِ الْمُوقَدِ^(٢)

والأئمة - بفتح الهمزة وضم الميم ، وروى بكسرهما - اسم موضع . والعائر - بالمهمله - هو القذى يقع في العين ، وقيل : هو نفس الرمد .

والشاهد فيه : الالتفات ، وهو في قوله « ليلك » لأنه خطاب لنفسه ، ومقتضى الظاهر « ليلي » بالنكلم .

(١) في الأصول « لعلبت في القول » محرفا ، ولا يستقيم معه الوزن ، وما أثبتناه عن شرح ديوان امرئ القيس للسندوبني ، وبد المسند : يد الدهر يريد طول الدهر

(٢) في الديوان (٩٢) « والحطب المفأد »

وامرؤ القيس هو ابن عانس - بنون^(١) وسين مهله - ابن المنذر، ابن
 امرؤ القيس بن السمط بن عمرو بن معاوية بن الحرث، ينتهي نسبه
 لكندة، الكندي الشاعر، له صحبة، وشهد رضى الله عنه فتح النجيب باليمن،
 وهو حصن قرب حضرموت، ثم حضر الكنديين حين ارتدوا، فثبت على
 إسلامه، ولم يكن فيمن ارتد، ثم نزل الكوفة، ولما خرجوا ليقْتلوا وثب على
 عمه فقال له: ويحك يا امرؤ القيس! أتقتل عمك؟ فقال له: أنت عمي، والله عز
 وجل ربي، وهو الذي خاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيعة بن عیدان
 - بكر العین والباء التحتية، ويقال فيه: عیدان، بالباء الموحدة مكسورة مع
 تشديد الدال، ويقال: بفتح العین وسكون الباء - وكانت الخاصة في أرض،
 فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «يَبْتَكَ» قال: ليس لي بيته، فقال
 صلى الله عليه وسلم «بمينه» وهو القائل رضى الله عنه [من مجزوء الكامل]:

قَفَّ بِالْدِيَارِ وَوُفَّ حَاسِيسٌ وَتَأَنُّ إِنَّكَ غَيْرُ آيسِ^(٢)
 لَعَبْتُ بِهِنَ الْعَاصِفَا تِ الرَّائِحَاتِ إِلَى الرِّوَامِسِ^(٣)
 مَا ذَا عَلَيْكَ مِنَ الْوَقُو فِي بَهَامِدِ الطَّلِينِ دَارِسُ
 يَا رَبُّ بَاكِئٍ عَلَى وَمُنْشِدٍ لِي فِي الْمَجَالِسِ
 أَوْ قَائِلٍ يَا فَارِسًا مَاذَا رُزِئْتَ مِنَ الْفَوَارِسِ
 لَا تَعْجَبُوا أَنْ تَسْمَعُوا هَلَاكَ أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ عَاسِ^(٤)

(١) ويقال «عابس» بالباء في مكان النون

(٢) في الأصول «غير آنس» بالنون، وما أثبتناه موافق لما في الديوان

(٣) في الديوان «الغاديات الرائحات من الروامس»

(٤) في الديوان «بن عابس»

وفي الصحابة أيضاً امرؤ القيس بن أبي الأصبح الكلبي ، و امرؤ القيس
ابن الفاخر بن الطماح الخولاني .

٣٠ - طَحَا بِكَ قَلْبُ فِي الْحَسَنِ طَرُوبُ
بَعْدَ الشَّبَابِ عَصْرَحَانَ مَشِيبُ
يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا
وَعَادَتْ عَوَادِرَ بَيْنَتَا وَخُطُوبُ

من شواهد
الالفاظ

البيتان لعلمة بن عبدة الفحل ، من قصيدة (١) من الطويل ، يمدح بها
الحارث بن جبلة بن أبي شمر ، الغساني ، وكان أسراً أخاه شاساً ، فرحل إليه يطلب
فسكه ، وبعد البيتين :

مَنْعَةٌ لَا يَسْتَطَاعُ كَلَامَهَا عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تَرَارَ رَقِيبُ
إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تَنْفَسْ سِرَهُ وَتَرْضَى إِيَابَ الْبَعْلِ حِينَ يُؤْبُ
فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مَغَمٍّ سَقَتِكَ رَوَايَا الْمَزْنِ حِينَ تَصُوبُ (٢)
سَفَاكُ يَمَانِ ذَوْحَيْنِ وَعَارِضِ تَرُوحُ بِهِ جَنَحَ الْعَشَى جَنُوبُ (٣)
وَمَا أَنْتَ أَمْ مَا ذَكَرُهَا رَبْعِيَّةَ يَخْطُ لَهَا مِنْ تَرْمَدَاءَ قَلِيبُ (٤)
فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَأَنَّى خَبِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

- (١) عدتها في الديوان تسعة وعشرون بيتاً ، فانظرها ثمة (ص ١٧ - ٣٩ طبع باريس) وانظرها في المفضليات
- (٢) في الديوان « حيث تصوب »
- (٣) في الديوان « ذوحبي » وقال الأعلام في شرحه « والحبي : سحاب اتصل بعضه ببعض »
- (٤) القليب : البئر ، وخطه : حفرة ، وكفى بذلك عن إقامتها في ترمداء ، وروى صدر هذا البيت * أبي القلب إلا ذكرها ربعية *

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدَّهِنِ نَصِيبٌ
يَرِدْنَ تَرَاهُ الْمَالَ حَيْثُ عَلَنَهُ وَشَرَحَ شَبَابٌ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ
وهي طويلة ، يقول في غرضه منها :

وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتُ بِنِعْمَةٍ فَتَقِ لَشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنْبٌ
فَلَمَّا سَمِعَ الْحَارِثُ هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ « نَعَمْ وَأَذْنَبِي » ، وَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ فِي وَصْفِ
النِّسَاءِ ، قَالَ : صَدَقَ فَوْكُ ، اللَّهُ أَفْوَكَ ، أَنْتَ طَيِّبُهُنَّ ، وَالْخَبِيرُ بِأَدْوَاهِهِنَّ . وَقَدْ أَخْبَرَنِي
مِنْ قَوْلِ امْرَأَةٍ الْقَيْسِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَرَاهُنَّ لَا يَجِيبُنَّ مِنْ قَلِّ مَالِهِ وَلَا مِنْ رَأْيِنِ الشَّيْبِ فِيهِ وَقَوْمًا
وَمِنْ لَطِيفٍ مَا يَذْكُرُ مِنْ كِرَاهَةِ النِّسَاءِ لِلشَّيْبِ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى الْخَزْرَوِيِّ
[مِنَ الْكَامِلِ] :

قَالَتْ أَحْبَبْتُ قَلْتُ كَاذِبَةٌ غُرِي بَذَا مِنْ لَيْسَ يَنْتَقِدُ
لَوْ قُلْتُ لِي أَشْنَاكَ قُلْتُ نَعَمْ الشَّيْبُ لَيْسَ يَجِبُهُ أَحَدٌ
وَمَعْنَى « طَحَابِكُ » أَيْ اتَّعَ وَذَهَبَ بِكَ كُلُّ مَذْهَبٍ ، وَ« طَرُوبُ » :
مَأْخُوذٌ مِنَ الطَّرْبِ ، وَهُوَ اسْتِخْفَافُ الْقَلْبِ فِي الْفَرْحِ ، أَيْ لَهُ طَرِبٌ فِي طَلَبِ
الْحَسَنِ وَنَشَاطٍ فِي مِرَاوَدَتَيْنِ ، وَمَعْنَى « بَعِيدُ الشَّبَابِ » حِينَ وَلِيَ وَكَادَ يَنْصَرِمُ ،
وَمَعْنَى « عَصْرُ حَانَ شَيْبٍ » أَيْ زَمَانُ قَرْبِ الشَّيْبِ وَإِقْبَالُهُ عَلَى الْمَحْجُومِ ، وَمَعْنَى
« شَطُ » بَعْدُ ، وَالْوَلِيُّ : الْقَرَبُ ، وَالْعَوَادِي : الصَّوَارِفُ ، وَعَوَادِي الدَّهْرِ :
عَوَاقِمُهُ ، وَالْخَطُوبُ : جَمْعُ خُطْبٍ ، وَهُوَ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ .

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : الْإِلْتِنَاتُ مِنَ الْخُطَابِ فِي « طَحَابِكُ » إِلَى التَّكَلُّمِ فِي « يَكْلَفُنِي »
وَفَاعِلُهُ ضَمِيرُ الْقَلْبِ ، وَ« لَيْلِي » مَفْعُولُهُ الثَّانِي ، وَرَوَى بِالنَّاءِ الْفَوْقَايَةَ عَلَى أَنَّهُ
مُسْتَدٌّ إِلَى لَيْلَى ، وَالْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ ، أَيْ تَكَلَّفُنِي شِدَائِدَ فِرَاقِهَا ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ خُطَابٌ
لِلْقَلْبِ فِيهِ التَّنَاتُ آخَرُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ ، وَفِي « طَحَابِكُ » التَّنَاتُ آخِرُ
هَنْدِ السَّكَاكِيِّ ، لَا عِنْدَ الْجُمْهُورِ .

وَأُشَارَ عُلْمَةً بِصَدْرِ الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَ الْآخِرِ هُنَا إِلَى أَنَّ الْمَالَ يَسْتَرِ شَيْئًا
الشَّيْبَ وَيَحْسُنُ قَبِيحَهُ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :

وَحُدُودٌ دَعَتْنِي إِلَى وَصْلِهَا وَعَصْرُ الشَّيْبَةِ مِنِّي ذَهَبٌ
فَقُلْتُ مَشِيئًا مَا يَنْطَلِي فَقَالَتْ بَلَى يَنْطَلِي بِالذَّهَبِ

وَذَكَرْتُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَاقِصَّةَ ظَرِيفَةٍ ، وَهِيَ أَنَّهُمَا أَنْشَدَا فِي مَجْلَسٍ كُلُّهُ فِيهِ
بَعْضُ ظَرْفَاءِ الْأَدْبَاءِ قَالُ : مَا أَعْرَفُ الْقَافِيَةَ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ إِلَّا بِمَجْرِفِ الرَّاءِ ،
قَالَ لَهُ الْمُنْشِدُ : كَيْفَ ؟ فَقَالَ « وَعَصْرُ الشَّيْبَةِ مِنِّي سَرَى » قَالَ : وَكَيْفَ تَصْنَعُ
فِي الْبَيْتِ الثَّانِي ؟ قَالَ « قَالَتْ بَلَى يَنْطَلِي بِالنَّحْوِ » فَاسْتَحَى الْمُنْشِدُ وَانْصَرَفَ مِنَ
الْمَجْلَسِ خَجَلًا

ترجمة علقمة
للفعل

وعلقمة بن عبيدة^(١) بن عبد المنعم النعماني^(٢) ينتهي نسبه إلى نزار ،
وكان يقال له الفعل ، لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له عليه بأنه
أشعر منه ، وكان من خبر ذلك ما حكاه أبو عبيدة قال : كان تحت امرئ القيس
امرأة من طي تزوجها حين جاور فيهم ، فنزل بهم علقمة الفعل التميمي ، فقال
كل واحد منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ، فتحاكما إليها ، فأنشدها
امرؤ القيس قوله [من الطويل] :

(١) نجد ترجمة علقمة في خزنة الأدب (١-٥٦٥) وفي الأغاني (٢١-١٧٢)
الساسي) وفي الاشتقاق لابن دريد (١٣٣) وفي الإصابة لابن حجر (٣-١١١)
وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة (١٠٧)

(٢) في الخزانة نقلا عن الجهرة لابن الكلبي والمؤتلف والمختلف للأمدى:
علقمة بن عبيدة بن ناضرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة
ابن تميم . وفي الأغاني : علقمة بن عبيدة بن النعمان بن قيس أحد بني عبيد
ابن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم «

خَلِيلِي مُرًّا بِى عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لِنَقْضِ لِبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمَعْدَبِ (١)
حتى مر بقوله منها :

فَلَسُوْطُ الْهُوْبِ وَالسَّاقِ دَرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ أَهْوَجُ مِثْعَبِ (٢)
وَأَنْشَدَهَا عِلْقَمَةُ قَوْلَهُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

* ذَهَبَتْ مِنْ الْمَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَهَّابٍ *

حتى انتهى إلى قوله :

فَأَدْرَكَنِّي ثَانِيًا مِنْ عِشَانِهِ يَمُرُّ كَغَيْثٍ رَائِحِ مُثْعَبِ
فَقَالَتْ لَهُ : عِلْقَمَةُ أَشْعَرُ مِنْكَ ، قَالَ : وَكَيْفَ ؟ قَالَتْ : لِأَنَّكَ زَجَرْتَ فَرْسَكَ
وَحَرَكْتَهُ بِسَاقِكَ وَضَرَبْتَهُ بِسُوطِكَ ، وَإِنَّهُ جَاءَ هَذَا لِلصَّيْدِ ثَانِيًا مِنْ عِشَانِهِ ،
فَنُضِبَ أَمْرُ الْقَيْسِ وَقَالَ : لَيْسَ كَمَا قُلْتَ ، وَلَكِنَّكَ هَوَيْتَهُ ، فَطَلَقَهَا ، فَتَزَوَّجَهَا
عِلْقَمَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَسَمِيَ عِلْقَمَةُ الْفَعْلُ ، وَمَا زَالَتْ الْعَرَبُ تَسْمِيهِ بِذَلِكَ ، قَالَ
الْفَرَزْدَقُ [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَالْفَعْلُ عِلْقَمَةُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ حُلُّ الْمُلُوكِ كَلَامُهُ يُتَنَحَّلُ (٣)

وعن حماد الراوية قال : كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرُضُ أَشْعَارَهَا عَلَى قَرِيْشٍ ، فَمَا قَبِلُوا

(١) يروى « لنقضى حاجات الفؤاد » ويروى « نقض لبانات الفؤاد »
وكلاهما خير مما هنا ، والظاهر أنهما هنا تلفيق من الروايتين ويروى « لنقضى
لبانات » ببناء نقضى للمجهول

(٢) فى الأصول « أهوج متعب » بالتاء ، وهو تحريف ، وما أثبتناه عن
اللسان (ن ع ب) وعن ديوان امرئ القيس ، وعن الخزانة ، والمنعب - بزنة
المنبر - الأحمق المصوت . وفى الشعراء « وقع أخرج مهذب » والأخرج :
ذكر النعام ، والمهذب كاللمرع وإنما ومعنى

(٣) يروى « كلامه يتنحل » برفع كلامه وبناء يتنحل للمجهول

منه كان مقبولا وما ردوا منه كان ردودا ، قدم عليهم علقمة بن عبدة ، فأنشدهم قصيدته التي أولها [من البسيط] :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلى إذ نأثك اليوم مصروم
قالوا : هذا سمط الدهر . ثم عاد إليهم في العام القابل فأنشدهم قوله

[من الطويل] :

طعنا بك قلب في الحسان طروب بُعيد الشباب عصر حان مشيب

قالوا : هذان سمط الدهر

وعن حماد بن إسحاق قال : سمعت أبي يقول : سرق ذوارمة قوله [من البسيط] :

* يطفو إذا ما تلقتُهُ الجرائيم ^(١) *

من قول المعجاج [من الرجز] :

* إذا تلقتُهُ العقاقيل طفا *

وسرقه المعجاج أيضا من علقمة بن عبدة حيث يقول [من البسيط] :

* يطفو إذا ما تلقتُهُ العرائين ^(٢) *

وحدث العمرى عن لقيط قال : تحاكم علقمة بن عبدة التميمي والزبرقان ابن بدر السعدي والمخبل وعمرو بن الأهتم إلى ربيعة بن جذان الأسدي فقال : أما أنت يا زبرقان فشعرك كالجم لا أنضج فيؤكل ولا ترك فينتفع به ، وأما أنت يا عمرو فشعرك كبرد حيرة ينال إلا فيه البصر فكلما أعدته نقص ، وأما أنت

(١) يطفو : يعدو ويسرع ، وأراد بالجرائم أصول الرمل والتراب المجتمعمة ، يصف ثورا وحشيا ، وصدر البيت قوله :

* ذو سفعة كشهاب القذف منصلت *

(٢) الذي في ديوان عاقمة وفي عدة مصادر رواية هذا المعجز هكذا :
* يطفو إذا ما تلقتُهُ العقاقيل * والعقاقيل : جمع عقتل ، وهو ما عظم وأنعم من الأودية

يلغبل فأنك قصرت عن الجاهلية ولم تترك الاسلام ، وأما أنت يا علقمة فان شعوك كمرادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء .

٣١ — وَمَهْمَ مَهْمَةٍ أَرْجُلُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ مَهْمَاؤُهُ

هامد القلب

البيت لرؤبة بن الحجاج ، من الرجز .

والمهمه : المغارة البعيدة والبلد المغفر ، والجمع مهمامه . والمنفرة : المتلونة بالغبرة .
والأرجاء : الأطراف والنواحي ، جمع رجاً مقصوراً .

والشاهد فيه : القلب ، وهو أن يجمل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر
والآخر مكانه ، وهو هنا في المصراع الثاني ، ومعناه كأن لون سمائه لغبرتها لون
أرضه ، وفيه من الاستعارة ما ليس في تركه ، لاشعاره بأن لون السماء قد بلغ من
الغبرة إلى حيث يشبه به لون الأرض فيها .

ومن القلب قول الشاعر [من الكامل] : (١)

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزُّنَاهُ فَرِيضَةً الرَّجْمِ

ومنه قول أبي تمام يصف قلم الممنوح [من الطويل] :

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أُيْدُ عَوَاسِلُ

وقول الآخر [من الوافر] :

* فَدَيْتَ بِنَفْسِهِ نَفْسِي وَمَالِي *

وقول الآخر [من الكامل] :

* بِمَشَى فَيُقْعَسُ أَوْ يُكَبُّ فَيَعْتَرُ *

ورؤبة بن الحجاج تقدم ذكره في شواهد المقدمة .

(١) نسبه في اللسان (زن أ) للجمدى

٣٣ - • كَاطِنَتَ الْفَدَنِ السَّيَا •

قائله التطاي من قصيدة^(١)، من الوافر، يمدح بها زفر بن الحارث الكلبي
 حين أحاطت به قيس بنواحي الجزيرة وأرادوا قتله لخال زفر بينه وبينهم وحام
 ومنه، وكساه وأعطاه مائة ناقة وخلّ سبيله، فقال يمدحه، وأول القصيدة:
 فقي قَلِيلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعُ وَلَا يَكُ مَوْقِفُ مَنْكَ الْوَدَاعُ
 فقي فافدى أسيرك إن قومي وقومك لا أرى لهم اجتماعاً^(٢)
 إلى أن قال يمدح زفر بن الحارث:

وَمِنْ يَسْكُنِ اسْتَلَامَ إِلَى ثَوِيٍّ قَدْ أَحْسَنْتَ يَا زُفَرُ الْمَنَاعِ^(٣)
 أَكْفَرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمَائَةِ الرَّبَاعِ^(٤)
 فَلَمَّا أَنْ جَرَى سِمٌّ عَلَيْهَا كَمَا طِينَتْ بِالْفَدَنِ السَّيَا^(٥)
 أَمَرْتُ بِهَا الرِّجَالَ لِيَأْخُذُوهَا وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنْ لَنْ تَسْتَطَاعَا
 فَلَأَيَّامًا بَعْدَ لَأَيٍّ أَدْرَكُوهَا عَلَى مَا كَانَ إِذْ طَرَحُوا الرِّقَاعَا
 فَلَوْ بِيَدَيَّ سِوَاكَ غَدَاةٌ زَلَّتْ بَيْنَ الْقَدَمَانِ لَمْ أَرَجُ أَطْلَاعَا^(٦)

(١) انظرها في الديوان (٣٧ ليدن)

(٢) في الديوان « فقي فادى »

(٣) استلام: فعل ما يوجب اللوم، والثوى: الضعيف، والمناع: الزاد

(٤) الرباع: التي ترتع وترعى، ويروى « الرباعا » وهي التي تنتج في زمن الربيع. وبين هذا البيت وما ذكره المؤلف بعده ثمانية عشر بيتا

(٥) في الديوان « كما بطنت »

(٦) في الديوان « فلو بيدى سواك وجهوها » وهذا البيت والثلاثة بعده تقع في الديوان تالية لقوله « أكفرا »

إِنْ لَمْ تَكُنْ لَوْ كَانَتْ صَغَارًا مِنْ الْأَخْلَاقِ تَبْتَدِعُ ابْتِدَاعًا^(١)
 فَلَمْ أَرِ مُنْعِمِينَ أَقْلًا مِنَّا وَأَكْرَمَ عِنْدَنَا صُطْنَعُوا صُطْنَعَانَا
 مِنْ الْبَيْضِ الْوَجُودِ بَنَى نَفِيلِي أَبَتَ أَخْلَاقَهُمْ إِلَّا انْسَاعًا
 وَهِيَ طَوِيلَةٌ .

والفدن محرّكة : القَصْرُ المشيد ، والسياع بفتح السين المهملة : الطين .
 بالتين ، يُطِينُ بِهِ .

والشاهد فيه : القلب أيضاً ، ومعناه كما طينت الفدن بالسياع ، وهذا من
 قبيل القلب المردود ، لأن المدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة تقتضيه
 خروجٌ عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال .

والقطامي^(٢) بفتح القاف وضما — اسمه عمير بن شَيْمٍ ، والقطامي : لقب
 غلب عليه ، وكان نصرانياً وأسلم ، قاله ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وهو
 شاعر إسلامي مقل فحل مجيد .

وعن الشعبي رحمه الله قال : قال عبد الملك وأنا حاضر للأخطل : يا أبا
 مالك ، أتحب أن لك بشعرك شعر شاعر من العرب ؟ قال : اللهم لا إلا شاعراً
 مثلاً ، مغدق الفناع ، خامل الذكر ، حديث السن ، إن يكن في أحد خير فسيكون
 فيه ، ولو ددت أنى سبقته إلى قوله^(٣) [من البسيط] :

(١) في الأصول « من الأخلاف » مكان « من الأخلاق » وما أثبتناه عن
 الديوان والأغاني ، وفي الأغاني « تنزع انتراما » وأحسبه محرفاً عما هنا ،
 مماثلاً لما في الديوان

(٢) تحمد ترجمة القطامي في الأغاني (٢٠ - ١١٨) وفي خزانة الأدب
 (١ - ٣٩٢)

(٣) انظرهما في الديوان (٨)

يقتلني بجديث ليس يعلمه مَنْ يَتَقِينُ وَلَا مَكُونُهُ بَادِي^(١)
 فَنَنْبِذَنَّ مِنْ قَوْلِ يُصْنَبُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعَلَّةِ الصَّادِي
 وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ النُّطَاحِ قَالَ : الْقَطَامِيُّ أَوَّلُ مَنْ لَقِبَ صَرِيحَ
 الْفَوَائِي بِقَوْلِهِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 صَرِيحُ غَوَانٍ رَاقٍ وَرَقْنَهُ لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الذَّوَاتِبِ
 وَنَزَلَ الْقَطَامِيُّ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ بِامْرَأَةٍ مِنْ مُحَارِبٍ قَيْسٍ فَنَسَبَهَا ، فَقَالَتْ :
 أَنَا مِنْ قَوْمٍ يَشْتَوُونَ الْقَدَمَ مِنَ الْجُوعِ ، قَالَ : وَمَنْ هَؤُلَاءِ وَيَحْكُ ؟ قَالَتْ : مُحَارِبٌ
 وَلَمْ تَقْرَهُ ، فَبَاتَ عِنْدَهَا بِأَسْوَى لَيْلَةٍ ، فَقَالَ فِيهَا قَصِيدَةً ، أَوَّلُهَا^(٢) [مِنْ الطَّوِيلِ] :
 تَأَنَّنْتُ بَلِيلِي نِيَّةً لَمْ تَقَارِبِ وَمَا حُبُّ لَيْلِي مِنْ فُؤَادِي بِذَاهِبِ
 إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا :

وَلَا بَدَأَ أَنْ الضَّيْفَ يُخْبِرُ مَا رَأَى مُخْبِرُ أَهْلِي أَوْ مُخْبِرُ صَاحِبِ^(٣)
 سَأَخْبِرُكَ الْأَنْبَاءَ عَنْ أُمِّ مَنْزِلٍ تَضَيَّفَتْهَا بَيْنَ الْعَذِيبِ فَرَأْسِيبِ^(٤)
 تَلَفَّعْتُ فِي طَلٍّ وَرَمَحَ تَلَفَنِي وَفِي طَرَفِ مَسَاءٍ غَيْرِ ذَاتِ كَوَاكِيبِ^(٥)
 إِلَى حَبَرٍ بَوْنٍ تَوَقَّعْتُ النَّارَ بَعْدَ مَا تَلَفَّعْتُ الظُّلَمَاءَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
 تَصَلَّى بِهَا بَرْدَ الْعِشَاءِ وَلَمْ تَكُنْ تَخَالُ وَمِضُّ النَّارِ يَبْدُو لَهَا كَبِ^(٦)

(١) فِي الدِّيَوَانِ « يَقْتُلُنَنِي »

(٢) انْظُرْهَا فِي الدِّيَوَانِ (٤٩)

(٣) فِي الدِّيَوَانِ « مُخْبِرُ رَأْيِي »

(٤) فِي الدِّيَوَانِ « سَأَخْبِرُكَ بِالْأَنْبَاءِ »

(٥) فِي الدِّيَوَانِ « تَلَفَّعْتُ فِي طَلٍّ » وَالطَّرَفُ مَسَاءٌ : اللَّيْلَةُ الْمَظْلَمَةُ

(٦) فِي الدِّيَوَانِ « وَبِصِ النَّارِ » وَوَبِصُ النَّارِ : ضَوْؤُهَا

فَمَا رَاعِيَا إِلَّا بُقَامَ مَطْبِئَةٍ تَرْجِيحُ مَحْذُومٍ مِنَ الصَّوْتِ لَاغِبٍ
تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتُ كُودِي وَنَاقِي إِلَيْكَ فَلَا تَذَعُرْ عَلَى رِكَائِي
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ سَأَلْتُمَا مِنَ الْحَيِّ قَالَتْ «مَشَرَّ مِنْ مَحَارِبِ
مِنْ الْمُشْتَوِينَ الْقِدْءُ مَا تَرَاهُمْ رَجِيحًا وَرَيْفُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَازِبِ»^(١)
فَلَمَّا بَدَأَ حَرَمَانُهَا الضَّيْفَ لَمْ يَكُنْ عَلَى «مَنَاحِ السَّوْءِ» ضَرْبَةً لِأَزْبِ
أَلَا إِنَّمَا نَبْرَانُ قَيْسٍ إِذَا اشْتَرَوْا لِطَارِقِ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْجَبَابِغِ^(٢)
وَلِي هَذِهِ الْمَجُوزُ ، أَشَارَ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْنَلِ فِي هِجَاؤِ أَخِيهِ أَحْمَدَ ،
إِذْ يَقُولُ [مِنْ مَجْزُوءِ الْخَلِيفِ] :

لَيْتَ لِي مِنْكَ يَا أَخِي جَارَةً مِنْ مَحَارِبِ
نَارُهَا كُلُّ شَتْوَةٍ مِثْلُ نَارِ الْجَبَابِغِ

وَسَيَأْتِي ذِكْرَ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْنَلِ وَأَخِيهِ عِنْدَ تَرْجَمَةِ أُبَيِّهِمَا الْمَعْنَلِ فِي
شَوَاهِدِ الْأَطْنَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ أَبُو عَمْرٍو رَحِمَهُ اللَّهُ : أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنَ الْقَطْلِيِّ فَرَفَعَ ذِكْرَهُ ، أَنَّهُ قَدِمَ
فِي خِلَافَةِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ لِيَمْسَحَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يَخْجَلُ لَا يَعْطَى
الشُّعْرَاءُ ، وَقِيلَ : بَلْ قَدِمَ فِي خِلَافَةِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ الشُّعْرَاءَ
لَا يَنْفَقُ عِنْدَ هَذَا وَلَا يَعْطَى عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَهَذَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَا مَسَحَهُ ،

(١) طَازِبٌ : بَعِيدٌ ، يَعْنِي أَنَّهُمْ مَعْدُومُونَ لَيْسَ عِنْدَهُمْ خَيْرٌ ، وَإِنْ يَكُنْ
الرَّيْفُ قَرِيبًا مِنْهُمْ . وَفِي الدِّيَوَانِ « وَرَيْفُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَازِبٍ »
(٢) فِي الدِّيَوَانِ « إِذَا شَتَّوَا » أَيْ صَارُوا فِي الشِّتَاءِ ، وَهُوَ أَوْفَقُ بِمَا قَالَهُ
ابْنُ الْمَعْنَلِ

فدحه قصيدته التي أولها^(١) [من البسيط] :

إنا محبوك فاسلم أيها الطللُ وإن بايت وإن طالت بك الطيلُ

فقال له : كم أملت من أمير المؤمنين ؟ قال : أملت أن يطحن ثلاثين
فاقه ، قال : قد أمرت لك ثلاثين فاقه موقودة بآ وتبراً وثياباً ، ثم أمر بدفع
ذلك إليه .

وقال أبو عمرو الشيباني : لو قال القطامي بيته [من البسيط] :

بشبن زهواً فلا الأعجاز خالقة ولا الصبور على الأعجاز تتكل^(٢)

في صفة النساء^(٣) لكان أشعر الناس ، ولو قال كثير عزة [من الطويل] :

فقات لها بأعز كل مصيبة إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت

في مراثية أو صفة حزن لكان أشعر الناس .

وقال رجل كان يديم الأسفار : سافرت مرة إلى الشام على طريق البر ،

فجملت أنتمثل بقول القطامي [من البسيط] :

قد يدرك الثاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومى أعرابي قد استأجرت منه مركبي ، فقال : ما زاد قاتل هذا لشعر
على أن يبط الناس عن الحزم ، فهلا قال بعد قوله هذا :

وربما ضرب بعض الناس حزمهم وكان خيراً لهم لو أنهم عجلوا

(١) انظرها في مطلع ديوانه ، وفي جهرة أشعار العرب (١٥١)

(٢) في الديوان والجمهرة « عيشين رهوا » بالراء المهملة ، ومعناه أنهن
يعيشن في سكون يتبع بعضهن بعضاً . ويروى « عيشين هونا » وهو بمعناه ، ولما
هنا وجه صحيح

(٣) البيت في وصف النوق

والقطامي أخذ معنى بيته هذا من قول عدى بن زيد العبّادي
[من السريع] :

قد يدركُ المبطلُ من حُطّهِ والخيرُ قد يسبقُ جهدَ الحريصِ (١)
وعدىّ نظر إلى قول جمانة الجعفيّ [من الطويل] :

ومستمجل والمكثُ أدنى لرشدهِ ولم يدِرْ في استعجاله ما يبادرُ
وما أحسن قولَ ابن هند [و] رحمه الله [من مَخْلَع البسيط] :

تأنَّ فالمرءُ إنْ تأنَّى أَدْرَكَ لاشكَّ ما تمنى
وما لمستوفزٍ عَجُولٍ حَظَّ سوى أنه تمنى

ومن أحسن ما قيل في عيب الأناة قولُ ابن أرومي [من البسيط] :

عيبُ الأناة وإن سرّت عواقبُها أن لا خلودَ وأن ليس الفتي حَجراً

وللقطامي عدة قصائد في مدح زفر بن الحرث الكلّابي ، سيأتي منها شيء
في أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى .

(١) هكذا ورد في أصول الكتاب ، وفي الشعراء لابن قتيبة (١١٦) .

والذي أحفظه « والحين قد يسبق جهد الحريص »

شواهد المسند

٣٣ - * فاني وقيارٌ بها لغريبٌ *

شاهد ترك
المسند

قائله ضاني. بن الحارث البرنجي، وهو من قصيدة من الطويل، قالها وهو
محبوس في المدينة المنورة، في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهي (١):
ومن يك أمني بالمدينة رحلهُ فاني وقيارٌ بها لغريبُ
وربُّ أمورٍ لا تضيرُكَ ضيرةٌ والقلب من مخشاهن ورجيب
وما عاجلاتُ الطير تُدنى من الفتى نجاحاً، ولا عن ريشين يخيب
ولا خيرَ فيمن لا يُوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم فترةٌ ويخطئ في الحُدس الفتى ويصيب (٢)
ولست بمسبقتي صديقاً ولا أخاً إذا لم تُعدَّ الشيء وهو مُريب (٣)
ومعنى البيت: التحسر على الغربة. والرحل: السكن وما يستصعبه من
الآثاث. وقيار: جل ضاني أو فرسه.

والشاهد فيه: ترك المسند وهو «غريب» - والمعنى: إني لغريب وقيار
أيضاً - لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث في الظاهر مع ضيق المقام بسبب
التحسر ومحافظة الوزن.

ولا يجوز أن يكون «غريب» خبراً عنهما بانفراده، لامتناع العطف على

(١) روى هذه الآيات كلها البغدادى في الخزانة (٤ - ٢٢٧) والبيت
الاول منها وهو بيت الشاهد من شواهد سيويه، وروى الثلاثة بعده
بمقدم ثانياً المبرد في السكامل، وروى ابن قتيبة في الشعراء ماعدا الاخيرين
(٢) في الخزانة نقلاً عن الشعراء «وفي الحزم قوة» و «يخطئ الفتى
في حدسه»

(٣) في الخزانة نقلاً عن أبي تمام في مختار أشعار القبائل «وهو يريب»

حمل اسم إن قبل مضى الخبر ، وقيار : مرفوع إما عطفاً على محل اسم (١) ، إن ، أو بالابتداء والخضوف خبره ، والسر في تقديم « قيار » على خبر إن قصد التسوية بينهما في التحسر على الاغتراب ، كأنه أثر في غير ذوى العقول أيضاً ، إذ لو أخر لجاز أن يتوهم مزيته عليه في التأثر عن الغربة ، لأن ثبوت الحكم أولاً أقوى وضائياً - بالضاد المعجمة ، وبعد الألف باء موحدة ثم همزة - ابن الحرث

البرجى (٢) ينتهى نسبه إلى عيم ، وذكر فيمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إنه جنى جناية في زمن عثمان رضى الله عنه ، فحبسه ، فجاء ابنه عمير وأراد الفتك بعثمان رضى الله عنه ، ثم جبن عنه ، وفى ذلك يقول [من الطويل] :

هَمَّتْ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ (٣)
ويقول فيها أيضاً :

وَقَائِلُهُ لَا يُعَدِّدُ اللَّهُ ضَائِبًا وَلَا تَبَعِدُنْ أَخْلَاقَهُ وَشَمَائِلَهُ (٤)
إلى أن يقول فيها أيضاً :

(١) هذا هو الذى قرر امتناعه من قبل ، وخلاصة القول فى تخريج هذا البيت عربية ، أن الفراء والكسائى جمعا « وقيار » معطوفا على اسم إن ، وأجازا أن يعطف المرفوع على المنصوب بأن باعتبار أن أصله مبتدأ ، وأطلق هذا الجواز فلم يبقده ، وأن سيبويه والمبرد أجازا أن تعطف المرفوع على المنصوب بأن بشرط أن تكون إن قد استكملت خبرها قبل العطف ، وروى هذا البيت بنصب قيار ، ويخرج على مذهبهما فى رواية الرفع بأنه مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر إن الآتى بعده

(٢) روى له الأصمعى قصيدة لامية فى الأصمعيات (ص ٥٦) وسمها ضائياً بن الحارث بن أرطاة البرجى

(٣) هكذا فى الأصول وكامل المبرد (١-٢٢٩) وفى حماسة البحرى (١١ بيروت) « فعلت فكان المعولات لحلاله » وسيذكر المؤلف هذا البيت مرة أخرى فى شرح الشاهد (رقم ٦٣)

(٤) فى الكامل للمبرد « وقائلة لا يبعدن ذلك الفتى »

ولا تَقَرَّبَنَّ أَمْرَ الصَّيِّمَةِ بِأَمْرِي * إِذَا رَأَى أَمْرًا عَوَّقَتْهُ عَوَاقِلُهُ (١)
 فَلَا فَتْكَ مَا أَمَرْتُ فِيهِ وَلَا الَّذِي تَحَدَّثُ مِنْ لَاقِيَتِ أَنْكَ قَاتِلُهُ
 وَمَا فَتَكَ إِلَّا لَأَمْرِي ذِي حَفِيطَةٍ إِذَا هُمْ لَمْ تُرْعَدْ عَلَيْهِ مَفَاصِلُهُ
 ثُمَّ لَمَّا قَتَلَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَثَبَ عَلَيْهِ عِمْرُ الْمَذْكُورِ فَكَسَّرَ ضُلْعَيْنِ
 مِنْ أَضْلَاعِهِ ، ثُمَّ إِنْ الْحِجَابَ قَتَلَهُ كَمَا سَأَلْتِي مَشْرُوحًا فِي شَوَاهِدِ الْإِبْجَازِ عِنْدَ قَوْلِهِ
 « أَنَا ابْنُ جَلَا » إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وكان السبب في حبس عثمان لضائي أنه كان استعمار من بعض بني حنظلة
 كلبا يصيده به ، فطالبوه به ، فامتنع من إعطائه ، فأخذوه منه قهراً ، ففضض
 ورمى أمهم بالكلب وهجاهم بقوله [من الطويل] : (٢)

تَجَسَّمْ نَحْوِي وَفَدُّ قُرْحَانَ شَقَّةٍ تَظَلُّ بِهِ الْوَجَنَاءُ وَهِيَ حَسْبُ (٣)
 فَأَرَدْتَهُمْ كَلْبًا فَرَاخُوا كَأَنَّمَا حَبَاهُمْ بَنَاجُ الْهَرُمِزَانِ أَمِيرُ
 وَقَلَّدْتَهُمْ مَا لَوْ رَمَيْتَ مُثَالِمًا بِهِ وَهَوَّ مُغِيرَ لِكَادٍ يَطِيرُ
 فَيَارَا كَبًّا إِمَّا عَرَضَتْ فَبَلَعْنَ أَسَامَةَ عَنَى وَالْأُمُورُ تَدُورُ
 فَأَمْكُمُ لَا تَنْتَرُكُوهَا وَكَلْبَكُمْ فَانْكَ كَابٌ قَدْ صَرِيَتْ بِمَا تَرَى
 إِذَا عَبَقْتَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنُهُ فَإِنَّ عَقُوقَ الْوَالِدَيْنِ كَبِيرُ (٤)
 تَسْمِعُ بِمَا فَوْقَ الْفِرَاشِ بِصِيرُ
 يَبِيتُ لَهُ فَوْقَ الْفِرَاشِ هَرِيرُ

فاستمدوا عليه أمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه فخبسه ، وقال :
 والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حيًّا لزلت فيك آية ، وما رأيت
 أحدا رمى قوماً بكلب قبلك .

- (١) في حسانة البحتری «فا القتل ما شاورت فيه ولا الذي * تخبر - الخ»
- (٢) أنشد هذه الأبيات ابن قتيبة في الشعراء (٢٠٣)
- (٣) في الأصول «سرخا» مكان «شقة» وما أثبتناه موافق لما في الشعراء
- (٤) روى هذا البيت المبرد في الكامل (١ - ٢٣٨)

وحدث أبو بكر بن عياش قال : كان عثمان رضى الله عنه يجلس في الهجاء
فهبأ ضابئاً قوماً فحبسه عثمان رضى الله عنه ، ثم استعرضه ، فأخذ سكيناً فجعلها
في أسفل نعله ، فأعلم عثمان بذلك فضربه ورده إلى الحبس .

٣٤ — تَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ
من شواهد ترك السند

البيت لقيس بن الخطيم ، من قصيدة (١) من المنسرح ، أولها :
رَدَّ الخَلِيطُ الجَلَالَ فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وَقَفُوا
لو وَقَفُوا سَاعَةً نُسَائِلُهُمْ رَيْثَ يُضْحِي جِجَالَهُ السَّلَفُ
فيهم لَعُوبٌ لَعَسَاهُ آكَسَةُ السِّدْلِ عَرُوبٌ يَسُوءُهَا آخِلْفُ (٢)
بين شُكُولِ النساءِ خَلَقَتْهَا قَصْدٌ فَلَا جُنَّةُ وَلَا قَصْفُ (٣)
تَنَامُ عَنْ كُذْبٍ شَأْنَهَا فَاذَا قَامَتْ رُويْدًا تَكَادُ تَمْعَطُ (٤)

(١) قد خلط المؤلف في هذه الآيات بين ثلاث كلمات على هذا الروى :
إحداها المالك بن العجلان ، وثانيتهما درهم بن زيد الأرمي ، وثالثتها لقيس بن
الخطيم ، وهذه الكلمات قيلت في حادث واحد وإن يكن قيس قال كلمته بعد
الحادث بزمان ولم يكن حاضره ، فانظر الأغاني (٢ - ١٦٨) يظهر لك هذا الخلط
وقد روى أبو زيد في جهرة أشعار العرب (ص ١٢٧) قصيدة فيها بيت الشاهد
وكثير من الآيات التي رواها المؤلف هاهنا ونسبها إلى عمرو بن أمريء
القيس . وخمسة الآيات الأولى من مطلع قصيدة في ديوان لقيس بن الخطيم
برواية وشرح ابن السكيت (١٦) وهي الأول والثاني والثالث والرابع والسابع
منها ، وفيها من الآيات التي بعدها الثلاثة الأول منها على غير ترتيبها هنا ،
وأخى ناسره من الآيات الأخيرة زيادات الديوان على نحو ما يروى هنا
(٢) في الأغاني « فيهم لعوب العشاء »

(٣) شكول النساء : ضروبها ، وفي الأصول « خلقها خدوا » محرفا ، وما
أنتنائه من الأغاني والديوان واللسان ، والجثلة - بالمثلثة - الصخمة الغليظة ، وفي
الأغاني « فلاجيلة » بالباء الموحدة - وهي الغليظة . والقصف : الدقة وقلة اللحم
(٤) حفطى « تكاد تنقص » وفي الأغاني والديوان « تكاد تنفر »

إلى أن قال منها أيضاً :

أَبْلَغُ بَنِي مَذْحِجٍ وَقَوْمُهُمْ خَطِيمٌ أَنَا وَرَأَاهُمْ أَتَفُ^(١)
 إِنَا وَإِنْ قَلُّ نَصْرُنَا لَهُمْ أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَحِفُ^(٢)
 وَإِنَّا دُونَ مَا يَسُومُهُمْ أَلْ أَعْدَاءُهُ مِنْ ضَمِيمِ خُطَلَى نَكْفُ^(٣)
 الْحَافِظُو عَوْرَةَ الْعَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِنَا وَكَفُ^(٤)
 يَامَالِ وَالسَّيِّدِ الْمَعْمَمِ قَدْ يَطْرَأُ فِي بَعْضِ رَأْيِهِ السَّرَفُ^(٥)
 نَحْنُ الْمَكِيثُونَ حَيْثُ يُحَمَّدُ بِالْمُكْثِ وَنَحْنُ الْمَصَالِتُ الْأَفُ^(٦)
 يَامَالِ وَالْحَقُّ إِنِّ قَنَعْتُ بِهِ فَطَلَقَ فِيهِ لِأَمْرِنَا نَصَفُ^(٧)
 خَالَفْتُ فِي الرَّأْيِ كُلَّ ذِي فَخْرٍ وَالْبَغْيُ يَا مَالٍ غَيْرَ مَا تَصِفُ^(٨)
 إِنْ بُجِيرًا مَوْتِي لِقَوْمِكُمْ وَالْحَقُّ نَوْفِي بِهِ وَلَنَعْتَرِفُ^(٩)
 وَالرَّأْيُ : الاعتقاد ، ويجمع على آراء وأراء.

والشاهد فيه : ترك المسند — وهو راضون — فقوله « راض » خبر المبتدأ
 الثاني ، وخبر الأول محذوف ، على عكس البيت السابق.

ومثله قول الشاعر [من الطويل] :

رَمَانِي بِأَمْرِكُنْتَ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيًّا ، وَمِنْ أَجْلِ الْغَوَى رَمَانِي

وقول المتنبي [من الكامل] :

قَالَتِ وَقَدْ رَأَتْ أَصْفَرَارِي مَنْ بِهِ وَتَنَهَيْتِ ، فَأَجَبَتْهَا الْمُتَنَهِّدُ

- (١) في الأغاني « بني جحجحي وإخوتهم زيد » وفي الخزانة (٢-١٩٢)
 « أبلغ بني جحجحي وقومهم خطمة » وكذلك هو في الديوان
 (٢) صدر هذا البيت في الديوان * إنا ولو قدموا التي علموا *
 (٣) في الأغاني « إن بغير أعباء نخذثنا » وفيه في عجزه « يوفى به ويعترف »
 على البناء للجھول ، والبيت فيه من كلمة درهم بن زيد

أى : المتنهد هو المطالب به .

وقيس بن الخطيم ^(١) بانخاء المعجزة شاعر جاهلي ، وابنه ثابت رضى الله عنه مذكور في الصحابة رضى الله عنهم ، وشهد مع على كرم الله وجهه صفين والجل والنهروان .

وقيس هذا قتل أبوه وهو صغير ، فلما بلغ قتل قاتل أبيه ، ونشأت بسبب ذلك حروب بين قومه وبين الخزرج ، في خبر يطول ذكره .

وكان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، أهر الشفتين ، يراق الشيا كالن بينهما برقاً ، ما رأته حليلة رجل قط إلا ذهب عقلها .

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه للخنساء : اهجمي قيس بن الخطيم ، فقلت : لا أهجمو أحداً حتى أراه ، فجاءته يوماً فرأته في مشربة ملتقاً بكساء له فنخسته برجلها ، وقالت : قم ، فقام ، فقلت : أقبل ، فأقبل ، ثم قالت : أدبر ، فأدبر ، ثم قالت : أقبل ، فأقبل ، قال : والله لسكأنها والية تعترض عبداً تشتره ، ثم عاد إلى حاله ناعماً ، فقلت ، وقالت : والله لا أهجمو هذا أبداً

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه : قدم النابغة السوق ، فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه واعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول [من الوافر] :

عرَفْتُ منازلًا بعُرَيْتَنَتِ فَأَعْلَى الْجَزَعِ لِلْحَيِّ الْمَيِّتِ ^(٢)

فقلت : هلك الشيخ ، ورأيت به تبع فافية منكورة ، قال : ويقال : إنه

(١) اقرأ ترجمة قيس بن الخطيم في الأغاني (٢ - ١٥٩)

(٢) وقع في الأصول « بمرننتات » محرفاً ، ووقع فيها « للحي الميتين » محرفاً أيضاً ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني (٢ - ١٦٢) وديوان النابغة ، وعريتنت : موضع ، والمبتن : المقيم ، وفله ابن على مثال أكرم ، والبيت مطلع قصيدة رواها الطوسي ولم يروها الأصمعي في شعر النابغة

أسفاره ، وكانوا يواصلونه وَيَصِلُونَهُ . قال : وأنشدني دعبل انفسه في
بعد أسفاره [من الطويل] :

حللتُ محلاً يَقْصُرُ البرقُ دُونَهُ ويعجز عنه الطيفُ أن يتجسَّأ
وحدث محمد بن عمر الجرجاني قال: دخل دعبلُ الرى في أيام الربيع ، فجاءهم
ثلج لم ير مثله في الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم ، فقال شعراً ، وكتبه في رقعة
وهو [من الخفيف]

جاءنا دِعْبِلٌ بثَلجٍ من الشَّعْـرِ فجاءت سَمَاوُنَا بالثلوج
نزل الرى بعد ما سَكَنَ البر دُوقْدُ أَيْنَعْتُ رِياضُ المَـرُوجِ
فكسانا ببردِه لا كساه الله ثوباً من كَرَسَفٍ مَحْلُوجِ
وَأَتَى الرَقْعَةَ في دهليز دَعْبِلِ ، فلما قرأها ارتجَل عن الرى .

وحدث أحمد بن خالد ، قال : كنا يوماً عند دار رجل ، يقال له صالح
[ابن على] ^(١) ابن عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنيسة
في سطحها ديك طار من بيت دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيد ، فأخذناه ، فقال
صالح : ما نضغ به ؟ قلنا : نذبجه ، فذبجناه وشويناه يومنا ، وخرج دعبل فسأل عن
الديك ، فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا فجحدناه ، وشربنا يومنا ،
فلما كان من الغد خرج دعبل ، فصلى الغداة ، ثم جلس على باب المسجد ،
وكان ذلك المسجد مجمع الناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ونهباء الناس ،
فجلس دعبل على باب المسجد ، وقال [من الكامل] :

أَسْرَ المؤذِنَ صالحٌ وضيؤُهُ أَسْرَ الكميَّ هفاً خلالَ المآطِ

(١) زيادة عن الأغاني (١٨ - ٣٣) وقال في رواية أخرى لهذا الخبر :
وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدى

بَعَثُوا عَلَيْهِ بَنَاتِهِمْ وَبَنِيَهُمْ مَا بَيْنَ نَاتِفَةٍ وَآخِرِ سَامِطٍ
يَتَنَازَعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدْ أَوْتَقُوا خَافَانِ أَوْ هَزَمُوا كَتَاتِبَ نَاعِطٍ
نَهْشَوْهُ فَأَنْتَزَعَتْ لَهُ أَسْنَانَهُمْ وَتَهَشَّمَتْ أَقْفَاهُ بِالْحَائِطِ

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لى أبى ، وقد رجع إلى البيت :
وبحكم ! ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل
ثم أنشدنا الشعر ، وقال لى : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليها إلا اشتريت
ذلك لدعبل وبعثت به إليه ، وإلا أوقعتنا فى لسانه ، ففعلت ذلك .

قال : وناعط : قبيلة من همدان ، وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه .

وقال دعبل : كنا يوما عند سهل بن هارون الكاتب البليغ ، وكان :
شديد البخل ، فأطلنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بقداء له ، فأتى
بقصعة فيها ديك جاسر هريم ، لا تحرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرر ، فأخذ كسرة
خبز ، فخاض بها مرقته وقلب جميع مافى القصعة ففقد الرأس ، فبقى مطرقا ساعة
ثم رفع رأسه ، وقال للطباخ : أين الرأس ؟ فقال : رميت به ، فقال : ولم ؟ قال :
ظننتك لا تأكله ، قال : بتس ما ظننت ! والله إنى لأممت من يرى برجليه ،
فكيف من يرى برأسه ، والرأس رئيس ، وفيه الخواص الأربع ، ومنه يصيح
ولولا صوته لما فضل ، وفيه فرقه الذى يتبرك به ، وفيه عيناه اللتان يضرب
بهما المثل ، فيقال : شراب كمين الديك ، ودماغه عجب لوجع الكلوتين ،
ولم ير عظم قط أهدس من عظم رأسه ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن
الساق ، ومن العنق ، فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله [فانا تأكله]^(١) ،
فانظر أين هو ؟ قال : لا أدري والله أين هو ، رميت به ، قال : لكنى أدري أين
هو ، رميت به فى بطنك فوالله حسيبك .

وحدث إبراهيم بن المدبر ، قال : لقيت دعبل بن على ، فقلت له : أنت

(١) زيادة لا بد منها .

غناه النفس ما عمرت غناها وفقر النفس ما عمرت شقاها
 وليس ينافع ذا البخل مال ولا مزرٍ بصاحبه السخاها
 وبعض القول ليس له عناج كمخض الماء ليس له إناه (١)
 وبعض الداء ملتمس شفاها وداء التوكر ليس له دواها

٣٥ - * إن محلاً وإن مراً محلاً *

شامد حذف
السند

قائله الأعشى الأكبر ، من قصيدة من المنسرح (٢) يمدح بها سلامة ذا
 فايش ، واسمه : سلامة بن يزيد اليحصبي ، وكان يظهر للناس في العام
 مرة مبرقما (٣)

حدث سماك بن حرب قال : قال الأعشى : أتيت سلامة ذا فايش ،
 فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه بعد مدة طويلة ، فأنشده :

إن محلاً وإن مراً محلاً وإن في شعر من مضى مثلاً (٤)

(١) في المطبوعتين «ليس له عياج» وأثبتنا ما أنشده في اللسان عن الليث
 ويقال : ليس لهذا القول عناج ، والمراد أنه أرسل على غير روية ، ويقال :
 ليس لمهد هؤلاء القوم عناج ، والمعنى أنه لا وفاء لمهدم ، والأصل في هذا
 عناج الدلو - بكسر العين - وهو عروة تجمل في أسفل الدلو من باطن تشد
 بوثاق إلى أعلى الكرب فإذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع في البئر
 وفي اللسان مرة «كسبل الماء» ومرة كما هنا ، والمراد بالاء الزبد

(٢) انظرها في ديوان الأعشى (ص ١٥٥ طبع بيانه)

(٣) في شرح ديوان الأعشى لثعلب «وكان يظهر لقومه في كل سنة
 مترقما ، وأحسبه محرقا عما هنا

(٤) رواية سيبويه «وإن في السفر إذ مضوا مهلا» ورواية الديوان
 «وإن في السفر إذ مضى مهلا»

استأثرَ اللهُ بالوفاء وبالعسلِ وأولى الملامةَ الرجلَ (١)
والأرضُ حاملة لما حملَ اللهُ وما إن يُردُّ ما فعلا (٢)
يوماً تراها كسبه أودية السَّصبِ ويوماً أدبها تغلا (٣)
الشعرُ قلدهُ سلامة ذاً فائشَ والشئ حينما جعلاً (٤)

فقال : صدقت الشئ حينما جعل ، وأمرَ لى بمائة من الابل ، وكسائى
حللا ، وأعطائى كرشا مدبوعة مملوءة عنبراً ، وقال لى : إياك أن تخدع عما فيها ،
قال : فأتيتُ الحيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء .

والحل - بفتح الحاء المهملة : المنزل (٥) ، والمرتحل - بالفتح أيضاً : المكان
المرتحلُ عنه .

والشاهد فيه : حذف المسند الذى هو هنا ظرف .

والمعنى : إن لنا فى الدنيا حلولاً ، ولنا عنها إلى الآخرة ارتحالاً .

وقد اختلف فى حذف خبر إن ، فأجازه سديويه إذا علم ، سواء كان
الاسم معرفة أو نسكرة ، وهو الصحيح ، وأجازه الكوفيون إن كان الاسم
نسكرة . وقال الفراء : لا يجوز ، معرفة كان أو نسكرة ، إلا إذا كان بالنسكير
كهذا البيت .

(١) فى الديوان « وولى الملامة »

(٢) فى الديوان « وما إن ترد »

(٣) فى الديوان « أودية الخس » وذ كرفى شرحه عن أبى عبيدة « القصب »

(٤) بين هذا البيت والذى قبله فى الديوان ثلاثة عشر بيتاً ، ورواية هذا
البيت هناك :

قلدتك الشعر بإسلامة ذا التـ...فضال والشئ حينما جعلاً

(٥) لا يتفق هذا مع ما يذكره فى بيان معنى البيت ، والصواب أن المحل
مصدر ميمي بمعنى الحلول والمرتحل مصدر بمعنى الارتحال

ولأعشى (١) سمع ميمون بن قيس بن جندب بن شرحبيل ، يقضى به
 حرم ، وكان يقول فيه قبح الخمر ، سمى بذلك لأنه دخل عراً ليستظل
 فيه من الحر ، فوضت صخرة من جبال فست ففقدت فيه جوعاً .
 وبه يقول جده ، وصحبه عمرو ، وكان يهجو هو ولأعشى [من الضويل] :
 نيك قبح البغواء قبح بن جندب . وذلك عهد من خلافة رافع
 وكان الأعشى يكنى بأب بصير ، وهو : أحد الأعلام من شعراء
 الجاهلية وقبائلها .

وسئل يونس (٢) التحي : من أشعر الناس ؟ قال : لا أقوى إلى
 رجل بينه ، ولكني أقول : امرؤ القيس إذا ركب (٣) ، والناطقة إذا ركب ،
 وزهير إذا ركب ، والأعشى إذا طرب .

وقال أبو عبيدة : من قلم الأعشى احتج بكثرة طوله الجياد ، وتصرفه في
 المديح والمجمل ، وستر قرون الشعر ، وليس ذلك لغيره ، ويقول (٤) : هو أول
 من سأل بشعره ، واتبع به أغنى البلاد ، وكان يفتي بشعره ، فكانت العرب
 تسميه صناجة العرب (٥) .

(١) نجد ترجمة الأعشى ميمون في الأغاني (٨ - ٧٧) وفي الشعراء لابن
 قتيبة (١٣٥) وخزانة الأدب (١ - ٨٣)

(٢) يونس بن حبيب شيخ سيوفه

(٣) « في الأغاني » امرؤ القيس إذا غضب » والمفرد هو ما هنا . ويروى
 بهذا الكلام أن امرأ القيس أجود الشعراء شعراً في وصف الخيل والعبيد ،
 وأن الناقة أشعرهم في الاعتذار ، وأن زهيراً أجودهم شعراً في المديح ، وأن
 الأعشى أقدمهم في وصف الخمر

(٤) في الأغاني « وقال »

(٥) في اللسان : « وكان أعشى بكر يسمى صناجة العرب لجودة شعره »

وحث يحيى بن سليم الكاتب قال: بشى أبو جعفر المنصور بالكوفة
 بن حـد الزاوية أنه من أشعر الناس؟ قال: فأنتيت حلالاً، فاستأذنت وقلت:
 بخلاء، فاجابني إنسان من أقصى بيتي في الدار، قال: من أنت؟ قلت: يحيى
 بن سليم رسول أمير المؤمنين، قال: ادخل رحلك الله، فدخلت أستمعت الصوت
 حتى وقفت على باب البيت، فإذا حماد عريان وعلى سوء تبه شاهسفرم^(١) - قلت:
 وهو تزيحان - قلت له: إن أمير المؤمنين يأتك من أشعر الناس، قال: فسم
 ذلك لأعشو صجها.

وحث رجل من أهل البصرة أنه حجَّ قال: إني لأسير في ليلة أضحانية
 إذ فخرت إني رجل شلب راكب على ظليم^(٢) قد زمه وخطمه^(٣)، وهو يذهب
 عبه ويحيى، قال: وهو مع ذلك يرميز ويقول [من الرجز]:

هل يُلغَمُّهم إلى الصَّباحِ هُقل^(٤) كأن رأسه جُلجُل

قلت أنه ليس بانسى، فاستوحشت منه، فتردد على ذاهباً وراجباً حتى
 أت به، هلت: من أشعر الناس؟ قال: ألقى يقول^(٥) [من الطويل]:

= اه، وذلك مأخوذ من الصنج - بفتح الصاد وسكون النون - وهو
 آلة من آلات القهوط ذات قطعتين تتخذان من صفر تضرب إحداهما بالأخرى
 (١) في الأغاني (على فرجه دستجة شاهسفره «

(٢) الظليم: ذكر النعام

(٣) في الأغاني «قد زمه بخطامه «

(٤) البيت في اللسان (ج م ح) وفيه «هبق» مكان «هقل» والمهقل
 - بكسر الهاء وسكون القاف - التقي من النعام، وقيل: هو الظليم، والجباح
 بضم الجيم وتشديد الميم - سهم صغير بلا فصل، مدور الرأس، يتعلم به
 الصياد الرمي. ويقال له جباح أيضاً. والمهيق - بفتح الهاء - الظلم أيضاً
 حتى بذلك لطوله

(٥) البيت لامرئ القيس بن حجر، من قصيدته المطلقة

وما ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبَ بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْيَارِ قَلْبِي مُقْتَلٍ
 قُلْتُ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَمْرُؤُ الْقَيْسِ ، قُلْتُ : وَمَنِ الثَّانِي ؟ قَالَ : الَّذِي
 يَقُولُ [مِنْ الرَّمْلِ] :

تَعَزَّدُ الْقَرْبُ بِحَجَرٍ سَاخِنٍ وَعَمَّكَ الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ يَقْرُ^(١)
 قُلْتُ : وَمَنْ يَقُولُهُ ؟ قَالَ [طَرَفَةٌ ، قُلْتُ : وَمَنِ الثَّالِثُ ؟ قَالَ الَّذِي يَقُولُ
 [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :

وَتَبْرُدُ بَرْدَ زِدَاءِ الْعُرُو سِ بِالصَّيْفِ رَقَرَقَتْ فِيهِ الْعَبِيرَا
 قُلْتُ : وَمَنْ يَقُولُهُ ؟ قَالَ [(٢) : الْأَعْشَى ، ثُمَّ ذَهَبَ .

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْأَعْشَى أَغْزَلَ النَّاسَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَأَخْنَثَ
 النَّاسَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَأَشْجَعَ النَّاسَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ : فَأَمَّا أَغْزَلَ بَيْتَ قَوْلِهِ
 [مِنَ الْبَسِيطِ] :

غَرَاهُ قَرْعَاهُ مَصْقُولٌ عَوَارِضَهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَجَلُ^(٣)
 وَأَمَّا أَخْنَثَ بَيْتَ قَوْلِهِ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا رَجَعْتُ زَائِرَهَا وَيْلَى عَلَيْكَ وَيْلَى مِنْكَ يَارَجُلُ
 وَأَمَّا أَشْجَعَ بَيْتَ قَوْلِهِ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

قَالُوا الطَّرَادُ قَتَلْنَا تِلْكَ عَادَتْنَا أَوْ تَنْزُلُونَ فَنَا مَمَّشِرُ نَزْلُ

(١) الْقَيْظُ : شِدَّةُ الْحَرِّ ، وَيُقَالُ : حَرَّكَكَ ، أَيْ شَدِيدٌ ، وَالْبَيْتُ فِي
 الْأَسَانِ (عَلَيْكَ) مَنُودِيًا إِلَى طَارِفَةِ بْنِ الْعَبْدِ

(٢) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنَ الْأَغْنَى الَّتِي تَقْلُ عَنْهُ الْمُؤَافَ هُنَا كُلُّ مَا ذَكَرَهُ عَنْ
 الْأَعْشَى ، وَلَا يَسْتَعِيمُ الْكَلَامُ إِلَّا بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ

(٣) فِي تَرْحِيقِ الْمُتَصَائِدِ الْمَشْرِ لِلتَّبْرِيزِيِّ « كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَجَلُ » بِالْحَاءِ
 الْمُهْمَلَةِ فِي « الْوَجَلِ » وَقَالَ التَّبْرِيزِيُّ فِي تَرْحِيقِهِ « وَالْوَجِي : الَّذِي يَشْتَكِي حَافِرَهُ
 وَلَمْ يَحْفَ وَهُوَ — عَلَى ذَلِكَ — وَحَلَّ فَبُهِدَ عَلَيْهِ » اهـ .

وهذه الأبيات من قصيدة للأعشى طنانة مطلعها :

وَدُعْ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرِّجُلُ
وقد ذكرت بها ما أنشده السراج الوراق (١) مداعبًا لشخص يدعى النجم
وكان اشترى جارية اسمها زبيدة من سيد لها جميل الوجه يسمى فخر الدين بن
عثمان، فحملت سيدها النجم على أن أزارها بيت سيدها الأول [من البسيط] :

ذَابَتْ رُبَيْدَةً مِنْ شَوْقٍ لِسَيِّدِهَا عِثْمَانَ وَالنَّجْمَ بِالنِّيرَانِ مُشْتَعِلٌ
وَمَا تَلَامُ وَتَيْلُ الْفَخْرِ يُعْجِبُهَا وَبِالزِّيَارَةِ لَمْ يَبْرَحْ لَهَا شَفْلُ
قَتْلُ لَطَائِرٍ عَقَلَ قَدْ أَتَاهُ بِهَا وَبِلى عَلَيْكَ وَوَيْلى مِنْكَ يَارْجُلُ
لَوْ كُنْتُ يَاسَطُلُ ذَا أُذُنٍ تُصَيِّخُ إِلَى عَدَلٍ عَدْلُكَ لَوْ يَجِدُ لَكَ الْعَدْلُ
تَقُودُ ظَلِيمَةَ آرَامَ إِلَى أَسَدٍ لَوِ التَّقَى لَمْضَتْ أَنْيَابُهُ الْعُصْلُ
وَمَنْ يَرَى ذَلِكَ الْوَجْهَ الْجَمِيلَ وَلَا يَوَدُّ مِنْ قُبْحِكَ الْمَشْهُورُ يَنْفَعْلُ
هَذِي بُنَيْنَةً وَالْجَنُونَ قَائِدُهَا إِلَى الْجَمِيلِ أَجَادَ الْمَحْ يَجْمَلُ
وَهُبْهُ عَفًّا أَمَا تَبْقَى مَحَاسِنُهَا فِي قَلْبِهِ يَا لِسَكَاعِ الْوَقْتِ يَارْجُلُ
أَفَى لِعَقْلِكَ يَا مَتَبَوُّعُ إِنَّكَ ذُو رَأْسٍ خَفِيفٍ وَذَاكَ الطَّوْدُ وَالْجَبَلُ
وَالْوَيْلُ وَيْلَكَ إِنْ ذَاقْتَ عُسَيْلَتَهُ وَبَاتَ يَجْتَمِعَانِ الزَّبْدُ وَالْعَسَلُ
لَأَنْشِدُكَ إِنْ وَدَعْتَهَا سَفَهًا وَدُعْ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلُ
وَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ أَعْشَى كُنْتُ أَنْتَ إِذَا أَعْمَى فَلَا أَتَضَحَّتْ يَوْمَئِذٍ السُّبُلُ
رجع إلى أخبار الأعشى :

قدم الأخطل الكوفة، فأثاه الشعبي يسمع من شعره، قال : فوجدته يتغدى

(١) لسراج الدين الوراق ترجمة في فوات الوفيات (٢-١٤٥) وصف فيها ديوان شعره بأنه في سبعة أجزاء كبار ضخمة .

فدعاني إلى الفداء فأبيت ، فقال : ما حاجتك ؟ قلت : أحب أن أسمع من شعرك
فأنشدني [من الكامل] :

• صرمت أمانة جبلها ورعوم • (١) .

فلما انتهى إلى قوله :

وإذا تَماوَرَتِ الأكفُ خِناهُما نفحت فَنالَ رِياحُها المَركومَ (٢)
قال لي : يا شعبي ، ناك الأخطلُ أمهاتِ الشعراء بهذا البيت ، فقلت : الأعشى
في هذا أشعر منك يا أبا مالك ، قال : وكيف ؟ قلت : لأنه قال [من الكامل] :
من حَرَّ عانةَ قد أتى لختامِهِ حَوَلٌ تَسُلُ غمامَةَ المَركومِ (٣)
فقال ، وضرب بالكأس الأرض : هو والمسيح أشعر مني ، ناك والله
أمهات الشعراء إلا أنا .

وحدث هشام بن القاسم الغزلي (٤) ، وكان علامة بأمر الأعشى ، أنه وفد

(١) هذا صدر مطلع قصيدة للأخطل (الديوان - ٨٢) وعجزه قوله :

• وبدا المجمع منها المكتوم •

ويروى الصدر :

• صرمت حبالك زنب ورعوم •

و « رعوم » - بالراء المهملة - كما في الديوان ، ويروى بإزاي - وهو
اسم امرأة .

(٢) أنشد في الأغاني هذا البيت :

فاذا تعاوَرَتِ الأكفُ زجاجها نفحت فشم رِياحها المَركوم
وكذلك هو في الديوان . وقد أخذ ابن الفسار من معنى هذا البيت
في قوله :

ولو عُبقت في الشرق أنفاس طيها وفي الغرب مَركوم لمادله الشم
(٣) في الأغاني وشرح ديوان الأخطل « قد أتى لختامها » والبيت ثاني
ببيتين في فائت شعر الأعشى (٢٥٨) .

(٤) في الأغاني « هشام بن القاسم الغزوي » .

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها [من الطويل] :
 أَلَمْ تَكُنْ عَيْنَاكَ لَيْلَةً أَرَمَدَا وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّيِّمُ الْمَهْدَا
 وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَا
 وفيها أيضا يقول لناقته :

فَأَلَيْتُ لَا أَرَى لَهَا مِنْ كِلَالَةٍ وَلَا مِنْ حَقٍّ حَتَّى نَزُورَ عَمَلَا
 نَبِيٌّ بَرَى مَا لَا تَزُونُ وَذَكَرُهُ أَغَارَ لِعَمْرَى فِي الْبِلَادِ وَاقْتَحَمَا
 مَقَى مَا تُتَاخَى عِنْدَ بَابِ بْنِ هَاشِمٍ تَرَا حِيٍّ وَتَلْقَى مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَى^(١)

فبلغ خبره قريشاً فرصدوه على طريقه ، وقالوا : هذا صناجة العرب ، ما يمدح
 أحداً قط إلا رفع من قدره^(٢) فلما ورد عليهم قالوا : أين أردت يا أبا بصير ؟
 قال : أردت صاحبكم هذا لأسلم على يديه ، قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويمحرمها
 عليك ، وكلها بك رافق^(٣) ولك موافق ، قال : وما هن ؟ قال أبو سفيان بن
 حرب : الزنى ، قال : لقد تركنى الزنى وما تركته ، قال : ثم ماذا ؟ قال : القمار ،
 قال : لعل إن لقيته أصبت منه عوضاً من القمار ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الربا ،
 قال : ما دنت وما أدنت قط ، قال : ثم ماذا ؟ قال : الخمر ، قال : أوه أرجع إلى
 صُباة بقيت لي في المهراس فأشربها ، فقال له أبو سفيان : فهل لك في شيء خير
 لك مما هممت به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآن في هُدنة ، فتأخذ مائة من
 الأبل وترجع إلى بلدك سننك هنه حتى تنظر ما يصير إليه أمرنا ، فان ظهرنا عليه
 كنت قد أخذت خلناً ، وإن ظهر علينا أتيت ، قال : ما أكره ذاك ، قال :

(١) رواية الأغاني « تراحي وتلقى من فواضله بدا » ورواية الديوان
 (١٠٣) « تريحي وتلقى » .

(٢) في الأغاني « إلا رفع في قدره »

(٣) في الأغاني « وكلها بك رفق » .

أبو سفيان : يامعشر قریش ، هذا الأعشى ، فوالله لئن أتى مجداً واتبعه ليُضْرَمَنَّ
عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الابل ، فاعملوا ، فأخذها وانطلق
إلى بلده ، فلما كن بجاع منفوحة رماه بعمره فقتله .

وحدث محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال : قبر الأعشى بمنفوحة
وأنا رأيته ، فإذا أراد القتيان أن يشرىوا خرجوا إلى قبره فشرىوا عنده وصبروا
عليه فضلات الأقدام ، انتهى والله أعلم .

٣٦ - * لِيَيْكَ يَزِيدُ ضَارِعُ خُصُومَةٍ *

قائله ضِرَار بن نَهْشَل ^(١) يرى أخاه يزيد ، من قصيدة من الطويل ، أولها :
لَعَمْرِي لَنْ أَمْسَى يَزِيدُ بْنُ نَهْشَلٍ حَسَا أَجَدْتُ نَسْفِي عَلَيْهِ الرَوَائِحُ
لَدَنْ كَلَنْ مِمَّنْ يَبْسُطُ الْكَفَّ بِالْأَنْدَى إِذَا حَصَّنَ بِالْطَّيْرِ الْأَكْفُ الشُّعَائِحُ
فَبَعْدَكَ أَبْدَى ذُو الضَّغِينَةِ ضِفْنَهُ وَسَدَّ لِلْطَّرْفِ الْعَيُونَ الْكُوشَحُ ^(٢)
ذَكَرْتُ الَّذِي مَاتَ الْأَنْدَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِعَاقِبَةٍ إِذْ صَالِحُ الْقَوْمِ صَالِحُ ^(٣)

شاهد حذف
المند لوقوف
الكلام بعد
استقام

(١) نسبت بعض هذه الأبيات إلى الحارث بن نهيك ، وإلى لبيد بن
ربيعة ، وإلى مزرد بن ضرار ، وإلى الحارث بن ضرار ، وإلى نهشل بن حري ،
وانظر شرحنا على الأشموني (٢ - ١٥٥)
وسنة الأبيات الأولى في الخزانة (١ - ١٥٠) بترتيبها هنا ، وهناك سابع
غير سابع هذه الأبيات ونسبه إلى نهشل بن حري

(٢) في الخزانة « وسد » بدال واحدة ، وفي مطبوعتي هذا الكتاب
« وسد » بالشين معجمة ، وما أثبتناه أدق ، وهو رواية ذكرها صاحب
الخزانة .

(٣) في الخزانة « بعاقبة » بضم الصادح العيش طالع »

إِذَا أَرَقَى أَقَى مِنَ اللَّيْلِ مَا مَضَى تَمَطَّى بِهِ نَتْنٌ مِنَ اللَّيْلِ رَاحِحٌ^(١)
 لَيْبِكَ بَرِيدُ ضَارِعٌ مُلْصُومَةٌ وَخُتْبُطٌ مِمَّا تُطْبِخُ الطَّوَائِحُ
 عَرَى بَدَدَ مَا جَفَّ التَّرَى عَنْ نِقَابِهِ بِعَصَاءٍ تَدْرَى كَيْفَ تَمَشَّى الْمَتْنَحُ

والضارع : الخاضع المستكن^(٢) من الضراعة وهي الخضوع والتذلل، والجار
 والمجرور متعلق بضارع ، وإن لم يعتمد على شيء لأن الجار والمجرور تكفيه راحة
 الفعل^(٣) أي يبيكه من ينل لأجل خصومة لأنه كان ملجأ وظهيراً للأذلاء والضعفاء ،
 وتعليقه بيبكى ليس بقوى . والختبط : الذي يأتيك للمعروف من غير وسيلة ،
 وأصله من الخبط ، وهو ضرب الشجر ليسقط ورقها للابل . والطوائح : جمع
 مطيحة^(٤) وهي القوافذ^(٥) على غير قياس كلوا قح جمع مُلْقِحَةٍ ، يقال : طوحته
 الطوائح : أي نزلت به المهالك ، ولا يقال المطوحات وهو نادر .

والشاهد فيه : وقوع الكلام جواباً لسؤال مقدر مشتمل على المسند ، وعدل
 عن بنائه للمفعول لتكرير الاسناد إجمالاً وتفصيلاً ، إذ هو أوكب وأقوى في
 النفس ، والله أعلم .

(١) في الخزانة « إذا أرق » بدون ياء المتكلم

(٢) هكذا في المطبوعتين ، وأحسبه « المستكن »

(٣) إنما يشترط اعتماد اسم الفاعل على نفي أو استفهام عند جمهور النحاة
 لأجل نصبه المفعول به ، أما رفعه الفاعل وتعليق الجار والمجرور والظرف به
 فلا يشترط له شيء من ذلك باجماع النحاة ، وهذا ما يشير إليه المؤلف

(٤) هذا قول أبي علي الفارسي . ونقل ابن خلف عن الأصمعي أنه يقال :
 طاح الشيء ، وطاحه غيره ، وعلى هذا يكون الطوائح جمع طائحة من المتمدى
 ويكون الوصف والجمع جاريتين على القياس ولا شذوذ فيهما .

(٥) في المطبوعتين « وهي القوافذ »

شاهد محو
المسند صلا
ليفيد التحد

٣٧ - أَوْكَمَا وَرَدَتْ عَسْكَطَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَى غَرِيفَتِهِمْ يَتَوَرَّعُونَ

البيت لطريف بن تميم العنبري^(١) من أبيات من الكامل ، وبمعناه :

وَتَوَرَّعُونِي إِنِّي أَنَا ذَلِكُمْ شَأْنِي سَلَّاحِي فِي الْحَوَادِثِ مَعْلَمٌ
تَحْتِي الْأَغَرُ وَفَوْقَ جَنْبِي نَثْرَةٌ رَغْفٌ تَرْدُ السَّيْفَ وَهُوَ مُثْلَمٌ^(٢)
حَوْلِي أَسِيدٌ وَالْهَجِيمُ وَمَازَنٌ وَإِذَا حَلَّتْ خَوْلَ بَيْتِي خَضَمٌ^(٣)

وعسكاط : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة
وتستمر عشرين يوما تجتمع فيها قبائل العرب ، فيتماكطون : أى يتفاخرون
ويتشادون ، ومنه الأديم العسكاطي . والقبيلة : بنو أب واحد ، والعريف :
رئيس القوم ، لأنه عرف بذلك ، أو القريب وهو دون الرئيس ، والتوسم :
التخيل والتفريس .

والمنعنى : إن لى على كل قبيلة جناية ، فتمى وردوا عسكاط طلبنى التميم بأمرهم .
وكانت فرسان العرب إذا كان أيام عسكاط فى الشهر الحرام وأمين بعضهم

(١) سماء فى اللسان عن ابن بوى (خ ض م) طريف بن مالك العنبري
وقال مرة أخرى (ع رف) : « وقال طريف بن مالك العنبري ، وقيل : طريف
ابن عمرو * أوكما وردت عسكاط ... البيت » وقد روى الأصمعي هذه الآيات
الأربعة وزاد خامسا (أنظر الأصمعيات ٦٧) .

(٢) الأغر : اسم فرس له ، والنثرة : الدرع ، وزغف : لينة واسعة محكة ،
أو دفيقة حسنة الملاسل .

(٣) يروى صدر هذا البيت :

* حولي فوارس من أسيد شجعة *

ويروى فى عجزه « وإذا غضبت » كما يروى « وإذا نزلت » ويروى البيت

حولى فوارس من أسيد جة وبني الهجيم حول بيتي خضم
وأنظر لسان العرب (خ ض م) .

بعضاً تَنَمَّعُوا ، حتى لا يعرفوا ، وذكر عن طريق هذا - وكان من الشجعان أنه كان لا يتنعم كما يتنعمون ، فوافي عكاظ سنة ، وقد حشدت بكر بن وائل ، وكان طريق هذا قبل ذلك قد قتل شراحيل الشيباني ، فقال حمصبة^(١) بن شراحيل : أروني طريقاً ، فأروه إياه ، فجعل كلما مر به طريق تأمله ونظر إليه ، حتى فطن له طريق ، فقال له : مالك تنظر إلى مرة بعد مرة ؟ فقال : أتوسمك لأعرفك فله على ابن لقينك في حرب لأقتلك أو لتقاني ، فقتل طريق عند ذلك الأبيات المارة والشاهد فيه : بجى المسند فعلا ليفيد حدوث التجدد حالا بعد حل ، وهو هنا « يتوسم » أى يتفرس الوجوه ويتصفحها ، يحدث منه ذلك شيئا فشيئا ولباطة فلحظة .

ثم ابن بنى عائنة خلفاء بنى ربيعة من ذهل بن شيبان ، خرج منها رجلان يصيدان ، فعرض لهما رجل من بنى شيبان فدَّعَر عليهما صيدهما ، فوجبا عليه قتلاه فارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلها ، فأبت بنو ربيعة عليهم ذلك فقال هاني بن مسعود وهو رئيسهم : يا بنى ربيعة ، إن إخوانكم قد أراحوا ظلمكم فأنحازوا عنهم ، ففارقوهم ، فساروا حتى نزلوا بمبايض^(٢) ماء لهم ، فأبى عبدلرجل من بنى ربيعة وسار إلى بلاد تميم فأخبرهم أن حيا جريدا من بنى بكر بن وائل نزل على مبايض وهم بنو ربيعة ، والحى الجريد : المنتقى من قومه ، فقال طريق بن

مقتل طريق
للنخري

(١) في معجم البكرى « حمصبة » بزيادة ميم بعد الحاء .

(٢) مبايض : ماء من مياه بنى تميم ، وانظر حديثه في كامل ابن الأثير (٣١٨-١) وفي العقد الفريد وفي معجم البكرى ومعجم ياقوت وكان في الأصول « مبايض » محرفة عما ذكرناه ، قال يلقوت في ترجمة « مبايض » مانعه « مبايض بالضم وآخره معجمة : موضع كان فيه يوم للمرب قتل فيه طريق بن تميم فارس بنى تميم ، قتله حمصبة بن جندل ، وقتل فيه أبو جدعاء الطهوى وكان من فرسان تميم » اهـ

المنبري : هؤلاء ثرى يأكل نعيم ، إنما هم أكلة رأس ، وأقبل في بنى عمرو بن نعيم
فأنذرت بهم بنو ربيعة ، فأنحاز بهم هانيء بن مسعود رئيسهم إلى علم مبايض ،
وأقاموا عليه وسرحوا بالأموال والدمرح وصحبهم نعيم ، فقال لهم طريف : افرغوا
من هؤلاء الأكاب يصف لكم ما وراءهم ، فقال له بعض رؤساء قومه : أقاتل
أكلبا أحرزوا أنفسهم وتركوا أموالهم ؟ ما هذا برأى ، وأبوا عليه ، وقال هانيء
لأصحابه : لا يقاتل رجل منكم ، فليحت نعيم بالنم والعيال فأغاروا عليهما ، فلما
ملأوا أيديهم من الغنيمة ، قال هانيء لأصحابه : احملوا = أيهم ، فهزمهم ، وقتل
يومئذ طريف بن المنبري ، قتله حصيصة الشيباني بن شراحيل ، وقال
في ذلك (١)

وَلَقَدْ دَعَوْتَ طَرِيفٌ دُعَاةَ جَاهِلٍ سَمِعَهَا وَأَنْتَ بَعْلَمٌ قَدْ تَلَمَّ
وَأَتَيْتَ حَيًّا فِي الْحُرُوبِ مَحْلَمٌ وَالْجَيْشُ بِاسْمِ أَبِيهِمْ يُسْتَهْزَمُ (١)
فَوَجِئْتَ قَوْمًا يَنْمُونُ ذِمَارَهُمْ بُلًّا إِذَا هَابَ الْفَوَارِسُ أَقْدَمُوا
وَإِذَا دَعَا بَنِي رَبِيعَةَ شَمَرُوا بِكَتَائِبِ دُونَ النَّسَاءِ تَلَمَّ (٢)
حَسَدُوا عَلَيْكَ وَمَجَلُّوا بِقِرَامٍ وَحَمُوا ذِمَارَ أَبِيهِمْ أَنْ يُشْتَمُوا
مَكْبُوكَ دِرْعَكَ وَالْأَغْرَ كُلَيْهَا وَبَنُو أَسِيدٍ أَسْلَمُوكَ وَخَصِمُوا

(١) نسبها الأصمعي في الأصمعيات (٦٨) إلى عمرو بن حبي التغلبي ورواها
خمس آيات تنفق في أربعة من هذه الستة .

(٢) في الأصمعيات « ولقيت حيا في الحروب »

(٣) في الأصمعيات « وإذا دعوا بأبي ربيعة » وفي أصول هذا الكتاب
« دور السماء تللم » وهو محرف عما أثبتناه موافقا لما في الأصمعيات
وأصل تللم تللم لحذف إحدى التاء بن تخفيفا

شاهد محي
المنذ
لفيد للثبوت

٣٨ - لَا يَأْتُ الدَّرْهُمُ الْمَضْرُوبُ صُرْتَنَا
لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْنَا وَهُوَ مُنْطَلِقٌ

البيت للنضر بن جؤية [أوجؤية] ^(١) بن النضر، من أبيات من البسيط، وقوله:
قَالَتْ طَرِيقَةُ مَا تَبَقِيَ ذَرَاهِمَنَا وَمَا بِنَا سَرَفُ فِيهَا وَلَا خُرْقُ
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتُ يَوْمًا ذَرَاهِمَنَا ظَلَمْتُ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
وبعدهما البيت، وبعده:

حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلٍ يُخْلِدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرْوِ إِلَيْهِ يَنْتَرِقُ
ونسبه صاحب المغرب للملك إفريقية يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي
والشاهد فيه: محي المسد اسمًا لأفاعة الثبوت والدوام لا التقييد والتجديد،
يعنى أن الانطلاق ^(٢) ثابت له من غير اعتبار بمجدد.

وفي معنى البيت قول المتنبي ^(٣) [من البسيط]:
وَكَلَّا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مَلِكِهِ افْتِرَاقًا مِنْ قَبْلِ يَصْطَفِجَا
مَالٌ كَانَ غَرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكَلِمًا قِيلَ هَذَا مَجْتَدٍ نَعْبَا
وما أحسن قول ابن النقيب في معناه [من الطويل]:

وَمَا بَيْنَ كُنَى وَالْدِرْهَمِ عَامِرٌ وَلَسْتُ لَهَا دُونَ الْوَرَى بِخَلِيلٍ
وَمَا اسْتَوْطَنْتَهَا قَطُّ يَوْمًا وَإِنَّمَا تَمُرُّ عَلَيْهَا عَابِرَاتُ سَبِيلٍ

(١) هذه الزيادة في اوحدها وقد دخلت منها جميع النسخ، ويؤيد هذه
الزيادة أن المعكبري روى في شرح ديوان المتنبي قوله «إنا إذا اجتمعنا —
البيت» ونسبه إلى جؤية بن النضر! وذكر بيت الشاهد غير منسوب
انظره «١١٦-١».

(٢) في المطبوعتين «يعنى أن الانطلاق» وليس بشيء، إنما الانطلاق
الذي أخذ منه قول الشاعر «منطلق»

(٣) من قصيدة له يمدح فيها المغيث بن علي بن بشر المعجل (الديوان ١-
١٠٩ - بشر المعكبري).

وما ألفت قول السراج الوراق [من مجزوء الكامل] :

من الدرام مسها ألم يشق على الكرام
الضرب أول أمرها والحبس في أيدي اللثام
ماذا على شؤم الدراهم من مقاساة الأنام
وتلونها من ذأ وذأ لكفر من أيدي الكرام

ولطيف قول بعضهم [من المتقارب] :

رأيت الدراهم أبتضني كأي قتلت أبا الدرهم

٣٩ - * له هيم لا منتهى لكبارها *

شاهد خديم
للشد

قائله حسان بن ثابت الأنصاري^(١) رضي الله عنه ، يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، من قصيدة من الطويل ، ونعناه :

* ومهته الصغرى أجل من الدهر *

وذكر بعضهم أنه لبكر بن النطاح في أبي دلف المعجل ، ولعل الحامل له على هذا ما حكى أن أبا دلف لحق أكرادا قطعوا الطريق في عمله ، وقد أردف فارس منهم رقيقاً له خلفه ، فطعنهما جميعاً ، فأنفذهما ، فتحدث الناس أنه أنفذ بطئته واحدة فارسين ، فلما قدم من وجهه دخل عليه ابن النطاح ، فأشبهه قوله فيه^(٢) [من الكامل] :

قالوا وينظم فارسين بطئته يوم اللقاء ولا يراه جليلاً
لا تمجّبوا فلو أن طول قتاته ميل إذن نظم الفوارس ميلاً

(١) لا يوجد في ديوان حسان ، ولعله كلمة على هذا الروي .

(٢) انظر هذه القصة والآيات التي رواها المؤلف في الأغاني

فأمر له أبو دلفٍ بمشرة آلاف درهم، فقال بكر فيه أيضاً [من الطويل]:
 له راحة لو أن معشارَ جودِها على البر كان البرُّ أُنْدَى من البحر
 ولو أن خاقَ الله في جسمه فارسٍ وبارزَهُ كان الخليلُ من الغُمرِ
 أباً دلفٍ بوركتَ في كل بلدةٍ كما بوركتَ في شهرها ليلةَ القدرِ
 فلما كانت هذه الآيات موافقةً لذلك البيت في الوزن والقافية، نسب
 لبكر بن النطاح المذكور، والذي يقوى أنه ليس لبكر بن النطاح أنه لم يوجد
 في أخباره إلا الآيات الثلاثة المذكورة، وهذا البيت جليل بالنسبة إليها،
 فلا كان منها نص عليه بالذکر. وقل بعضهم أن أعرابياً دخل على أمير
 فقال يمدحه [من الطويل]:

ففي تَرْبُ الأَموالِ من جودِ كَفِّهِ كما يَرْبُ الشَّيْطَانُ من لَبْلَةِ القَدْرِ
 لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصَّغَرَى أَجْلُ من الدَّهْرِ
 له راحة لو أن معشار جودها على البر كان البرُّ أُنْدَى من البحرِ
 فقال له الأمير: احتكم، أو فوض إلى الحكم، فقال الأعرابي: بل
 أحتكم بكل بيت ألف درهم، فقال الممدوح: لو فوضت إلينا الحكم لكان
 خيراً لك، فقال: لم يكن في الدنيا ما يسع حكمك، فقال: أنت في كلامك
 أشعر من شعرك، وأمر مكان كل ألف بأربعة آلاف.
 وألهم: واحدها همة، بالكسر وتفتح، وهي مأم به من أمر ليفعل.

والشاهد فيه: تقديم المسند، وهو «له» للتنبيه من أول وهلة على أنه
 خبر لهم، لانت له، إذ لو تأخر لتوهم أنه نمت له لاخبره.

وخهان^(١) بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي رضى الله عنه، وأمه

ترجمة حسان
ابن اناجيه

(١) نسخة ترجمة حسان بن ثابت في الأغاني (٢: ١٧) وفي تاريخ دمشق (٤: ١٢٥).

الفريرة (١). ويكنى أبا الوليد ، وهو من فحول الشعراء ، وقد قيل : إنه أشعر أهل المدن (٢) ، وكان أحد المعمرين الخضرين ، عُمُرُ مائة وعشرين سنة : منها ستون في الجاهلية ، وستون في الاسلام .

وعن سليمان بن يسار قال : رأيت حسان بن ثابت رضى الله عنه ، وله ناصية قد سدّها بين عينيه .

وعن محمد بن النوفلي رحمه الله قال : كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنقته بالحناء ، ولا يخضب سائر لجنته ، فقال له ابنه عبد الرحمن : يا أبت لم تفعل هذا ؟ قال : لا كون كاثي أسد ولع في دم .

وعن أبي عبادة قال : فضل حسان بن ثابت الشعراء بثلاثة : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام .

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله قال : جاء حسان رضى الله عنه إلى نفر فيهم أبو هريرة ، فقال : أنشدك الله أمتعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أجب عني ، ثم قال : اللهم أيده بروح القدس ! قال أبو هريرة : اللهم نعم .

وحدث سماك بن حرب قال : قام حسان فقال : يا رسول الله ، أين لي فيه ، يعني أبا سفيان بن حرب (٣) . وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم . وأخرج له لساناً أسود ، وقال : يا رسول الله ؛ لو شئت لفريت به المزداد ؛

(١) هي الفريرة بنت خالد بن قيس بن لؤذان ، خزرجية أيضاً .
(٢) في الأغاني « وقد قيل إنه أشعر أهل المدر » . وما هنا في جملة مفعول عنه .

(٣) الذي كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبي صلوات الله وسلامه عليه

أينذ لي فيه ، قال : اذهب إلى أبي بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم ، وأحسابهم ، ثم اهجهم وجبريل معك ، فأتى أبا بكر ، فأعلمه بما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كف عن فلانة ، واذكر فلانة ، وكف عن فلان ، واذكر فلانا ، فقال [من الوافر] :

هجوتُ هجلاً فَأُجِبتُ عنهُ وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض عهدي منكم وقاه^(١)

أنهجهُ ولست لهُ بند فشر كما لخير كما الفداء

وحدث جويرية بن أسماء قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرتُ عبد الله بن رواحةَ فقال وأحسن ، وأمرتُ كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرتُ حسان بن ثابت فشقي وأشقى .

وعن جابر رضى الله عنه قال : لما كان عام الأحزاب ورد اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَخْمي أغراضَ المسلمين ؟ فقال كعب رضى الله عنه : أنا يا رسول الله ، وقال عبد الله ابن رواحةَ : أنا يا رسول الله ، وقال حسان بن ثابت : أنا يا رسول الله ، قال عليه السلام : نعم اهجهم أنت فانه سيعينك الله بروح القدس .

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال : قد جاء اللعينُ حسانُ من الشام ، فقال ابن عباس : ما هو بلعين ، لقد نَصَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ونفسه .

وعن مسروق قال : دخلت على عائشة وعندها حسان ، وهو يقول [من الطويل] :

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لَحْمِ النَّوَافِلِ

(١) في الأغاني والديوان وتاريخ دمشق « فإن أبي ووالده » .

فقلت له عائشة رضي الله عنها : لكن أنت لست كذلك ، فقلت لها :
أيدخل هذا عليك وقد قال الله عز وجل (والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم)
فقلت : أما تراه فى عذاب عظيم وقد ذهب بصره .

وحدث مالك بن عامر قال : بينا نحن جلوس عند حسان بن ثابت وحسان
مضطجع مسند رجله إلى قارع^(١) قد رفعهما عليه إذ قال : مه ، ما رأيتم ؟ ما مر
بكم الساعة ؟ قال مالك : قلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسان : فاختة^(٢)
مرت بكم الساعة بينى وبين قارع ، فصدمتنى ، أو قال فرحتنى ، قال : قلنا
وما هى ؟ قال^(٣) [من الطويل] :

ستأتيكم غداً أجاديثُ جهّةٍ فأصفوا لها آذانكم وتسمّوا
قال مالك بن عامر : فصبّحنا من الغد حديثُ صفين .

وحدث العلاء بن جزء العنبري قال : بينا حسان بن ثابت بالخيف ، وهو
مكفوف إذ زفر زفرةً ، ثم قال [من الكامل] :

وكان حافرها بكل خميلة صاع يكيل به شحيج معدم
عارى الأشاجع من ثقيف أصله عبدٌ ويزعم أنه من يقدم
قال : والمغيرة بن شعبة الثقفي جالس قريباً ، فسمع ما يقول ، فبعث إليه

(١) قارع : حصن حسان .

(٢) الفاختة : طائر .

(٣) وقع هذا فى المطبوعتين كأنه كلام منشور ، وهو بيت من الشعر من
الطويل . وفي الأغاني « ستأتيكم غدواً » وهو الأصل فى غد ، ومنه
قول الراجز :

* إن مع اليوم أخاه غدوا *

وقول لبيد بن ربيعة العامري :

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

بجئة آلاف درهم ، فقال : من بعث إلى يهذه ؟ فقالوا : المغيرة بن شعبه مع ماقلت ، فقال : واسوأناه ، وقبلها .

وحدث الأصمعي قال : جاء الحارث بن عوف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخرجني من شعر حسان ، فلو مزج البحر بشعره لمزجه ، وكان السبب في ذلك أن الحارث بن عوف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ابعث معي من يدعو إلى دينك فأني له جار ، فأرسل صلى الله عليه وسلم معه رجلا من الأنصار فندرت بالحارث عشيرته ، فقتلوا الأنصار ، فقدم الحارث على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان صلى الله عليه وسلم لا يؤنب أحدا في وجهه ، فقال : ادعوا لي حسان ، فلما رأى الحارث أنشه [من الكابل] :

يَا حَارِثَ مَنْ يَغْدِرُ بِنَمَّةٍ جَارِهِ مِنْكُمْ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَغْدِرْ
إِنْ تَغْدِرُوا فَالْغَدْرُ مِنْكُمْ شَيْعَةٌ وَالْغَدْرُ يَنْبِتُ فِي أَصُولِ الشَّجَرِ

فقال الحارث : اكف عني يا محمد وأودى إليك دية الخفارة ، فأدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم سبعين عسرا ، وكذلك كانت دية الخفارة ، وقال : يا محمد إني عائد بك من شعره فلو مزج البحر بشعره لمزجه .

وحدث يوسف بن ماهك عن أمه قالت : كنت أطوف مع عائشة رضي الله عنها ، فذكرت حسان فسيبته ، فقالت : بغس ما قلت تسبيته وهو الذي يقول [من الوافر] :

فَأَبَى وَالَّذِي وَعَرَضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَغَاةُ
فَقَالَتْ : أَلَيْسَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمَا قَالَ فِيكَ ؟ قَالَتْ : لِمَ قُلْ
شَيْئًا وَلَكِنَّهُ الَّذِي قَالَ [من الطويل] :

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ . وَتَصْبَحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
فَإِنْ كَانَ مَا قَدْ جَاءَ عَنِّي قَلْتُهُ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى أَنَامِلِ
وكان حسان رضي الله عنه جبانا ، حدث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

قال: كانت صفة بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت يوم الخندق
 قالت: وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان، فربنا رجل من اليهود، فجعل
 يطوف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله
 صلى الله عليه وسلم، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله صلى الله
 عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا، إن أنا
 آت، قالت قتل: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن، وإني
 والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم، فانزل إليه فاقتله، فقال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب
 لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئا اعتجرت
 ثم أخذت عمودا ونزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتله، فلما فرغت
 منه رجعت إلى الحصن، قتل: يا حسان انزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه
 إلا أنه رجل، قال: مالى إلى سلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب.

وروى أن حسان أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم [من البسيط]:
 لَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ الْقَوْمِ مُنْتَطِقًا بِصَارِمٍ مِثْلُ لَوْنِ الْمِلْحِ قِطَاعٍ (١)
 تَحْفَظُ عَنْ نَجَادِ السِّيفِ سَابِقَةً فَضْفَاضَةً مِثْلُ لَوْنِ النَّهْيِ بِالقَاعِ (٢)
 فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فظن حسان أنه ضحك من صفته
 نفسه مع جبته.

(١) «منتطقا بصارم» أراد أنه شد سيفه إلى وسطه مكان النطاق وأراد
 أنه أيضا كلون الملح
 (٢) تحفز: تدفع، ونجاد السيف: جمائله، وأراد بالسابقة الدرع،
 والفضفاضة: الواسعة، والنهي - بكسر النون وسكون الهاء - الغدير، ووقع
 في المطبوعتين «مثل لون النهر» وأثبتنا ما في الديوان والأغاني، وفي تاريخ
 دمشق «مثل لون الهى» محرفا

وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة أربع وخمسين من الهجرة، رضى الله عنه ١

٤٠ — ثَلَاثَةُ تَشْرِيقٍ الدُّنْيَا بِيَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ شَامِدٌ قَدِيمُ السِّنْدِ قَتَشَوِي

البيتُ لمحمد بن وهيب ، من البسيط يمدح المعتصم ، وأبو إسحاق :
كنيته ، واسمه محمد .

حدث أبو محمّل قال : اجتمع الشعراء على باب المعتصم ، فبعث إليهم محمد ابن عبد الملك الزيات ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين يقول لكم : من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول النخیری في الرشيد [من البسيط] :

خليفة الله إن الجود أودية أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بنى العباس معتصما فليس بالصاوات الحسن ينفع (١)
إن أخلف القطر لم تخاف مخايله أو ضاق أمر ذكرته فيتسع
فليدخل وإلا فليصرف ، ققام محمد بن وهيب ، فقال : فينا من يقول
مثله ، قال : وأى شيء قلت ؟ فقال [من البسيط] :

ثَلَاثَةُ تَشْرِيقٍ الدُّنْيَا بِيَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
فَالشَّمْسُ تَحْكِيهِ فِي الْأَشْرَاقِ طَالِمَةً إِذَا تَقَطَّعَ عَنْ إِدْرَاكِهَا النَّظَرُ
وَالْبَدْرُ يَحْكِيهِ فِي الظُّلُمَاءِ مَبْلَجًا إِذَا اسْتَنَارَتْ لِيَالِيهِ بِهِ الْغُرُ
يَحْكِي أَفَاعِيلُهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمَلَةُ الدَّكْرُ
فَالغَيْثُ يَحْكِي نَدَى كَفَيْهِ مِنْهُمَرًا إِذَا اسْتَبَلَّ بِصَوْبِ الدِّيمَةِ الْمَطَرُ
وَرَبَّمَا صَالَ أَحْيَانًا عَلَى حَقٍّ شَبِيهُ صَوْلَتِهِ الضَّرْغَامَةُ الْهَصْرُ
وَالْهُندُؤَانُ يَحْكِي مِنْ عَزَائِمِهِ صَرِيحَةُ الرَّأْيِ مِنْهُ النَقْضُ وَالْمَرُورُ

(١) في الأغاني (١٧ - ١٤٢) « من لم يكن بأمين الله معتصما »

وكلها مشبه شيتاً على حدة
وأنت جامع ما فيهن من حسن
فأخلق جسم له رأس يدبره
وأنت جارحاه السمع والبصر
فأمر بادخاله وأحسن جائزته .

ومما يشبه ذلك قول القاسم بن هاني، يمدح جعفرًا صاحب (١) المسيلة
[من الكامل] :

المدنفان من البرية كلها
والمشركات النيرات ثلاثة
ومثله في الحسن قول محمد بن شمس الخليفة [من الكامل] :
شيتان حدث بالقساوة عنهما
وثلاثة بالجود حدث عنهم
ويقرب منه قول ابن مطروح في الناصر داود [من السريع] :
ثلاثة ليس لهم رابع
الغيث والبحر وعززهما
وقول أبي محمد الباقى [من المنسرح] :

ثلاثة ما اجتمعن في رجل
ذاك اغتراب وفاقة وهوى
إلا وأسلمنه إلى الأجل
وكلها سائق على عجل

(١) ذكرنا في الديوان (٦١ بولاق) وذكر أنها في وصف سيف يحيى بن علي
ولا يظهر ذلك فيها ، وقد أنشدها ابن خلكان في ترجمة أبي علي جعفر بن علي
ابن أحمد بن حمدان الأندلسي صاحب المسيلة وأمر الزاب من أعمال إفريقية
(١٩٩ - النيل)

يا عاذِلَ العاشِقِينَ إِنَّكَ لَوْ عَذَرْتَهُمْ كُنْتَ تَبْتَ مِنْ عَدَلٍ
وقول ابن سكرة [من المنسرح] :

فِي وَجْهِ إِنْسَانَةٍ كَلِّفْتُ بِهَا أَرْبَعَةً مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَحَدٍ
الْوَجْهُ بِدَرِّ الصَّدْعِ غَالِيَةً وَالرُّيُّ خَمْرٌ وَالشَّرُّ مِنْ بَرٍّ

وما أصدق قول السراج الوراق [من الرجز] :

ثَلَاثَةٌ إِنْ صَحَّيْتُ ثَلَاثَةً أَعَيْتُ عِلَاجَ يَدَوِّهَا وَالْحَصْرَ
عِدَاوَةً مَعَ حَسَدٍ ، وَفَاقَةً مَعَ كَسَلٍ ، وَعِلَةً مَعَ كِبَرٍ

وبديع قول ابن نباتة المصري [من السريع] :

تَنَاسَبَتْ فِيمَنْ تَعَشَّقَتْهُ ثَلَاثَةٌ تُعْجِبُ كُلَّ الْبَشَرِ
مِنْ مُقَلِّدِهِمْ وَمِنْ حَاجِبِهِ قَوْسٌ وَمِنْ نَعْمَةِ صَوْتِهِ وَزَرْ

وما يناسب هذا المقام ما حكاه المدايني قال : بينا سكيئة بنت الحسين
رضي الله عنهما تسير ذات ليلة إذ سمعت حاديا يحذو ويقول [من الرجز] :

* لَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ عَيْشُ الدَّهْرِ *

فكانت لقائد قطارها (١) : الحق بنا هذا الرجل حتى نسمع منه ما هذه
الثلاثة ، فطالبه لذلك حتى أتمعها ، فقالت لغلام لها : سر أنت حتى تسمع
منه ، فرجع إليها فقال : سمعته يقول :

* الْمَاءُ وَالنَّوْمُ وَأُمُّ عَمْرُو *

فكانت : قبحه الله ! أتعبنى منذ الليلة .

(١) القطار - بكسر القاف - الجماعة من الابل على نسق واحد ، ويجمع
على قطر ، بزنة كتاب وكتب ، وقد تجمع القطر على قطرات

وما يجري من ذلك مجرى الملح ما أنشده الخليل في كتاب المين ، وهو
[من الخفيف] :

إن في دارنا ثلاث حَبَالِي فَوَدِدْنَا لَوْ قَدْ وَضَعْنَ جَمِيعَا
جَارَتِي ، نِمَ هِرَّتِي ، نِمَ شَاتِي فَإِذَا مَا وَلَدَتْ كُنْ رَبِيعَا
جَارَتِي لِلرَّضَاعِ ، وَالْهِرُّ لِلْفَا رِ ، وَشَاتِي إِذَا اسْتَهْنَيْنَا تَجْمِيعَا^(١)
ومن هذا الباب قول جرجيس يهجو طبيباً [من السريع] :

عَلَيْهِ الْمُسْكِينُ مِنْ شُؤْمِهِ فِي بَحْرِ هُلْكَ مَا لَهُ سَاحِلُ
ثَلَاثَةٌ تَدْخُلُ فِي دَفْعَةٍ طَلَعَتْهُ وَالنَّعْشُ وَالْفَاسِلُ
وقول الآخر [من السريع] :

ثَلَاثَةٌ طَابَ بِهَا الْمَجْلِسُ الْوَرْدُ وَالتَّفَاحُ وَالتَّرْجِسُ
وقول الآخر [من السريع] :

ثَلَاثَةٌ طَابَ بِهَا الْعَمْرُ وَجْهُكَ وَالْبَسْتَانُ وَالْخَرُ
وقول الآخر [من السريع] :

ثَلَاثَةٌ مِنْ غَيْرِهَا كَافِيَةٌ هِيَ الْمُنَا وَالْأَمْنُ وَالْعَافِيَةُ^(٢)
وقول أبي بكر البلخي [من مخلم البسيط] :

ثَلَاثَةٌ فَقَدْهَا كَبِيرُ الْخُبْزِ وَاللَّخْمُ وَالشَّعِيرُ
وَالْبَيْتُ مِنْ كُلِّهَا خَلَا فَجَدَّ بِهَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ

(١) الجميع : الترميজন بالابن ، أو الابن يشرب على التمر
(٢) في هامش مطبوعة بولاق ما نصه « قوله هي المنى إلخ هكذا في النسخ
والمحفوظ • الأمن والسلام والعافية • » ١٥

وقول الآخر [من الرجز]:

ثلاثة ليسَ بها اشتراكُ المشطِ والمرأةِ والسَّوَاكِ

وقول أبي الحسن الهلوى [من الرجز]:

ثلاثة مَوْصُوفَةٌ تجلو البَصَرَ الماءُ والوجهُ الجميلُ والخُفَرُ

وقول الآخر [من الرجز]:

ثلاثة تَذْهَبُ عن قَافِي الحَزَنِ الماءُ والخُفَرُ والوجهُ الحَسَنُ

وقول ابن لنكك بديع هنا [من الطويل]:

أعد الأورى للبردِ جُنداً من الصَّلَا ولا قِيَتُهُ من يَنْبَنُمُ بِمَجْنُونِ

ثلاثة نيرانٍ فَنَارُ مُدَامَةٍ ونَارُ صَبَابَاتٍ ونَارُ وَقُودِ

وفي مِمنَاهُ قول الصنوبري [من الخفيف]:

نار رَاحٍ ونار خَدَةٍ ونار لَحْشَا الصَّبِّ يَنْبَنُمُ اسْتِعَارُ

مَا أَبْلَى مَا كَلَّذَا الصَّيْفُ عِنْدِي كَيْفَ كُنَ الشَّنَاءُ وَالْأَمَطَارُ

وظريف قول بعضهم [من مخلم البسيط]:

ثلاثة يَمْنَةٌ تَدُورُ الطَّاسُ وَالكَأْسُ وَالْبَحْخُورُ

وقول غانم المالكى [من السريع]:

ثلاثة يُجَبَّلُ مَقْدَارُهَا الْأَمْنُ وَالصَّحَّةُ وَالْقُوَّةُ

فَلَا تَتَّقِ بِالْمَالِ مِنْ غَيْرِهَا لَوْ أَنَّهُ دَرٌّ وَيَا قُوَّةُ

وظريف قول عبد الرحمن بن محمد الواسطي [من الكامل]:

مَا الْعِيشُ إِلَّا خَمْسَةٌ لَا سَادَسَ لَهُمْ وَإِنْ قَصُرَتْ بِهَا الْأَعْمَارُ

زَيْنُ الرَّبِيعِ وَشَرْخُ أَيَّامِ الصَّبَا وَالكَأْسُ وَالْمَعشُوقُ وَالدينَارُ

وَأَنشَدَ مُعَلِّبُ النُّحُوى [من الطويل]:

ثلاث خلال للصدى جمعتها مضارعة للصوم والصلوات
مواساته والصفح عن كل زلة وترك ابتذال السرفى الخلووات
والشاهد فى البيت : تقديم المسند وهو « ثلاثة » للتشويق إلى ذكر المسند
إليه ، وهو « شمس الضحى » وما عطف عليه .

ومثله قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

وكالنار الحياءُ فمن رَمادٍ أواخرها وأولها دُخانُ

فتقديم « كالنار » و « من رَمادٍ » كلاهما للتشويق .

ومجد بن وهيب ^(١) حميرى شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية
وأصله من البصرة ، وكان يستمتع الناس بشعره ويتكسب بالمديح ، ثم توصل
إلى الحسن بن سهل برجاه بن أبى الضحاك ومدحه فأوصله إليه وسمع شعره فأعجب
به واقطعه إليه ، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسنى جائزته ، ثم لم يزل
منقطعاً إليه حتى مات ، وكان يتشيع ، وله مراثى فى أهل البيت رضوان الله عليهم
وهو متوسط بين شعراء طبقة .

ترجمة مجد بن
وهيب الحميرى

حدث عن نفسه قال : لما تولى الحسن بن رجاه بن أبى الضحاك الجبل قلت
فيه شعرا وأنشدته أصحابنا دعبل بن على الخزاعى وأبا سعيد الخزومى وأبى تمام الطائى
فاستحسنوا الشعر ، وقالوا : هذا لعمرى من الأشعار التى تلقى بها الملوك ، فخرجت
إلى الجبل فلما صرت إلى همدان أخبره الحاجب بمكانى فأذن لى فأنشدته الشعر
فاستحسن منه قولى [من الطويل] :

أجارتنا إنَّ التعفَّ بالباسِ وصبراً على استندارِ دُنيايا بئس ^(٢)

(١) له ترجمة فى الآفانى (١٧ - ١٤٢)

(٢) فى المطبوعتين « وصبراً على استندار دُنيايا بالباس » وقد أثبتنا ما فى
الآفانى إذ كان لا يتجه لما فى الأصل معنى مستقيم ، والابساس : أن تدهو
الناقة للحلب

حَرَيَاتٍ أَنْ لَا يَنْدَفِعَ بِمَنْلَةٍ كَرِيمًا وَأَنْ لَا يُجَوَّاهُ إِلَى النَّاسِ (١)
 أَجَارَتَنَا إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَازِبُ وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِرِ
 فَأَمْرٌ حَاجِبُهُ بِإِضَافَتِي ، فَأَقْبَتُ بِمُضَرَّتِهِ ، كُلَّمَا دَخَلْتُ إِلَيْهِ لَمْ أَنْصَرِفْ إِلَّا
 بِجَمَلَانِ وَخَلْمَةٍ وَجَائِزَةٍ حَتَّى أَنْصَرِمَ الصَّيْفُ فَقَالَ لِي : يَا عَمِدُ ، إِنَّ الشَّيْءَ عِنْدَنَا
 عَلِيجٌ فَأَعِدْ يَوْمًا لِلْوَدَاعِ ، فَقُلْتُ : خِدْمَةُ الْأَمِيرِ أَحَبُّ إِلَيَّ ، فَلَمَّا كَادَ الشَّيْءُ أَنْ
 يَشْتَدَّ قَالَ لِي : هَذَا يَوْمُ الْوَدَاعِ ، فَأَنْشَدَنِي الثَّلَاثَةَ الْآيَاتِ فَلَقَدْ فَهَمْتُ الشَّرْعَ كُلَّهُ
 فَلَمَّا أَنْشَدْتُهُ :

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَازِبُ وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِرِ
 قَالَ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ قَالَ : عَدُوا آيَاتِ الْقَصِيدَةِ وَأَعْطُوهُ بِكُلِّ بَيْتِ أَلْفِ
 دَرَمٍ ، فَمِيتَ فَكَانَتْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ بَيْتًا فَأَمَرَنِي بِاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ أَلْفَ دَرَمٍ ،
 وَكَانَ فِيمَا أَنْشَدْتُهُ فِي مَقَامِي وَاسْتَحْسَنَهُ قَوْلِي [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :

دِمَاهُ الْحَيِّينَ مَا تَقَلُّلُ أَمَا فِي الْهَوَى حِكْمٌ يَمْدِلُ
 تَعَبْدُنِي حَوْرُ الْغَانِيَاتِ وَدَانَ الشَّبَابُ لَهُ الْأَخْضَلُ
 وَلِنَظَرَةٍ عَيْنٍ تَمَلَّتْهَا غِرَارًا كَمَا يَنْظُرُ الْأَحْوَلُ
 مُقَسَّمَةً بَيْنَ وَجْهِ الْحَبِيبِ وَطَرَفِ الرَّقِيبِ مَتَى يَنْفَلُ

وَحَدَّثَ خَالُ أَبِي هَفَانٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي دَلْفٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمْدُ بْنُ وَهَّابٍ
 الشَّاعِرُ فَأَعْظَمَهُ جِدًّا ، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ قَالَ مَقْلُ أَخُوهِ : يَا أَخِي ، فَعَلْتَ بِهَذَا مَا لَمْ
 يَسْتَأْذِنْهُ ، مَا هُوَ فِي بَيْتٍ مِنَ الشَّرَفِ وَلَا فِي كَمَالٍ مِنَ الْأَدَبِ وَلَا بِمَوْضِعٍ مِنَ
 السُّلْطَانِ ، فَقَالَ : بَلَى يَا أَخِي إِنَّهُ لَخَلِيقٌ بِذَلِكَ ، أَوْ لَا يَسْتَحِقُّهُ وَهُوَ الْقَائِلُ
 [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :

(١) فِي الْأَغَانِي «حَرَيَاتٍ لَا يَقْدِرُ»

يَذُنُّ عَلَى أَنَّهُ عَاشِقُ مِنْ الدَّمْعِ مُسْتَشْهَدُ نَاطِقُ
 وَلِيَّ مَالِكٍ أَنَا عَبْدٌ لَهُ مُقَرَّرٌ بَأَنِّي لَهُ وَأَمَقُ
 إِذَا مَا سَمِعْتُ إِلَى وَصْلِهِ تَعَرَّضَ لِي دُونَهُ عَاقِقُ
 وَحَارِبِي فِيهِ رَيْبُ الزَّمَانِ كَانَ الزَّمَانُ لَهُ عَاشِقُ

وحدث الحسن بن رجاء قال : كان محمد بن وهيب الحميري لما قدم المأمون من خراسان مضاعفا مطرعا إنما يتصدى للعامة وأوساط الكتاب والقواد بالمديح ويسترفهم ويحظى باليسير ، فلما هدأت الأمور واستقرت واستوتقت جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصته وذوى مودته ومن يقرب من أنه ، فنولس إليه محمد بن وهيب بأبي حتى أوصله إليه مع الشعراء ، فلما انتهى إليه القول استأذنه في الانشاد ، فأذن له ، فأنشد قصيدته التي أولها [من الطويل] :

وَدَاعُ أَسْرَارِ طَوْتِهَا السَّرَائِرُ وَبَاحَتْ بِمَكْتُومَاتِهَا النَّوَاطِرُ
 تَمَكَّنَ فِي طَيِّ الضَّمِيرِ وَنَحْنَهُ شَبَابُ لَوْعَةِ عَضْبِ الْفِرَارِ بْنِ بَازٍ^(١)
 فَانْجَمَ عَنْهَا نَاطِقٌ وَهُوَ مُعَرَّبٌ وَأَعْرَبَتِ الْعَجَمُ الْجَفُونُ النَّوَاطِرُ

إلى أن قال فيها :

تُعْطُهُ الْآوَاهَامُ قَبْلَ عِيَانِهِ وَيَصْدُرُ عَنْهُ الطَّرْفُ وَالطَّرْفُ حَاسِرُ^(٢)
 بِهِ تَجِدُنِي الثَّمَا وَيَسْتَدْرِكُ الْمُنَى وَتَسْتَكِلُّ الْحُسْنَى وَتُرْعَى الْآوَاصِرُ
 أَصَاتُ بِنَا دَاعَى نَوَالِكَ مُؤَذِّنَا بِجُودِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُجَاوِرُ^(٣)

(١) في الأغاني «ملكته لها طي الضمير»

(٢) في الأغاني «تعطفه الآواهام» وما هنا أتم معنى

(٣) في الأغاني «أهاب بنا» وفيه «بدونك» مكان «بجودك» وهو محرف

قَسَمْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَأْسًا وَنَائِلًا فَأَلَيْكَ مَوْتُورٌ وَسَيْفُكَ وَاتَرُ
إلى أن قال في آخرها :

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بِنَفْسِكَ فَآخِرًا لَمَا انْتَسَبْتُ إِلَّا إِلَيْكَ الْمَفَاخِرُ
قال : فطرب أبو محمد حتى نزل عن سريره إلى الأرض ، وقال أحسنت : والله
أأجلت ، ولو لم تغل قط ولا قلت في باقي دهرك غير هذا لما احتجت إلى القول
وأمر له بخمسة آلاف دينار ، فأحضرت ، واقتطعه إلى نفسه ، فلم يزل في كنفه
أيام ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدى لغيره .

وحدث ميمون بن هارون قال : كان محمد بن وهيب الشاعر قد مدح
على بن هشام وتردد إلى بابه دفعات ، فحجبه ، ولقيه يوماً في طريق فلم عليه فلم
يرجع إليه طرفه ، وكان فيه تيه شديد ، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها ، فلما وصلت
إليه مزقها وقال : أى شئ يزيد هذا الثقيل السبيء الأدب ، فقيل له ذلك ،
فأنصرف مغضباً وقال : والله ما أردت ماله ، وإنما أردت التوسل بجاهه وسيفنى
الله عنه ، والله لينمّن مغبة فعله ، وقال يرحوه [من البسيط] :

أُزِرْتُ عَلَيْهِ لَجُودُ خَيْفَةِ الْعَدَمِ فَصَدٌّ مَنَزَمًا عَنْ شَأْوِ ذِي الْمَهْمِ (١)
لو كان من فارس في بيت مكرمة أو كان من ولد الأملاك والعجم
أو كان أوله أهل البطاح أو السركب الملبين إهلالاً إلى الحرم
أيام تتخذ الأضنام آلهة فلا ترى عاكفاً إلا على صنم
لشجته على فعل الملوك لهم طابع لم ترعها خيفة العدم
لم تند كفاك من بنلي التوال كما لم يند سيفك منذ قلده بدم
كنت امرأة رفعت فتنة فعلاً أيامها غادراً بالعهد والقيم

(١) في الاغانى «أزرت مجود على»

حتى إذا انكشفت عنا عمايتها ورتب الناس بالأحساب والقدم (١)
 مات التخلق وارتادتك مرتجماً طبيعة نذلة الأخلاق والشيم (٢)
 كذلك من كان لا رأساً ولا ذنباً كدّ اليدين حديث العهد بالنعم (٣)
 هيبت ليس بحمال الديار ولا معطى الجزيل ولا المرهوب ذى النعم (٤)
 فلما بلغت الآيات على بن هشام ندم على ما كان منه فوجزع لها ، وقال :
 لمن الله اللجاج فانه شر خلق تخلفه الناس ، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام
 وقال : الله يعلم إنى لأدخل على الخليفة وعلى السيف وأنا مستحى منه أذكر
 قول محمد بن وهيب في :

لم تندكفك من بذل النوال كما لم يند سيفك مذ قلدته بدم
 وسمع ابن الأعرابي وهو يقول : أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد
 ابن وهيب ، وأنشد البيت .

وحدث الحسن بن رجاء عن أبيه قال : لما قدم المؤمن ، ولقيه أبو محمد
 الحسن [ابن سهل ^(٥)] دخلاً جيماً فإرضهما ابن وهيب فقال [من البسيط] :
 اليوم جددت النعما والمين فالحمد لله حلّ المقدة الزمن ^(٦)

-
- (١) في الأغاني «حتى إذا انكشفت عنا غيايتها»
 (٢) في الأغاني «وارتادتك مرتجماً» وهو خير مما هنا
 (٣) في المطبوعتين «لا رأس ولا ذنب» وأثبتنا الصواب والموافق لما
 في الأغاني
 (٤) في المطبوعتين «ولا المرهوب ذى النعم» محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما
 في الأغاني
 (٥) زيادة عن الأغاني ، والخبر منقول عنه
 (٦) في الأغاني «اليوم جددت النعما»

اليومَ أظهرت الدنيا محاسنها للناس لما التقى المؤمن والحسن
قال : فلما جلسا سأله المؤمن عنه ، فقال : هذا رجل من خير شاعر طبع
اتصل بي متوسلا إلى أمير المؤمنين وطالبا الوصول مع نظرائه ، فأمر المؤمن
بإيصاله مع الشعراء ، فلما وقف بين يديه وأذن له في الانشاد أنشد قوله
[من الكامل] :

طللان طال عليهما الأمدُ دُفرا فلا علم ولا نضدُ
لبسا البلى فكأنما وجدا بعد الأجرة مثل ما أجدُ
حيثما طالين حالهما بعد الأجرة غير ما عهدوا
إما طواك سلو غانية فهو ك لا ملل ولا فند^(١)
إن كنت صادقة الهوى فردى في الحب منبهل الذي أردُ
أدعى أرقرت وأنت آمنة أن ليس لي عقل ولا قود^(٢)
إن كنت فت وخاني نشب فلربما لم يحظ مجتهد^(٣)
حتى انتهى إلى مدح المؤمن ، فقال :

يا خير منتجب لكرمة في المجد حيث تنجح العدد^(٤)
في كل أتملة لراحته نوء يسح وعارض حشدُ

(١) في الأصول « إن ما طواك » محرفا ، وما أثبتناه موافقا لما في الأغاني
(٢) في الأغاني « أدعى هرقت » ببدال الهمزة هاء ، والمقل هاهنا : الدية
وهي الابل التي يأخذها أهل القتيل ، سميت بذلك لأنهم كانوا يعلقون الابل
بساحة أهل القتيل

(٣) في الأغاني « وخاني سبب » وفيه « فلربما يخطئ » مجتهد.

(٤) في الأغاني « حتى تنتج العدد »

وَإِذَا الْقَنَا رَعَفَتْ أَسْنَتُهَا عَلَقًا وَصَمَّ كُوبَهَا قِمَدًا^(١)
فَكَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ قَرُّ وَكَأَنَّهُ فِي صَوْلَةِ أَسَدٍ
وَكَأَنَّهُ رُوحٌ مُدْبِرُنَا حَرَكَاتُهُ وَكَأَنَّنَا جَدُّ

طَنَحْنَهَا الْمُؤْمِنَ ، وَقَالَ لِأَبِي مُحَمَّدٍ : احْكَمْ لَهُ ، قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
أَوَّلُ بِالْحُكْمِ ، وَلَكِنْ إِنْ أُنْزِلَ لِي فِي الْمَسْأَلَةِ سَأَلْتُ ، فَأَمَّا الْحُكْمُ فَلَا ، قَالَ :
سَلْ ، قَالَ : تَلَحُّقُهُ بِجَوَازِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ ، قَالَ : ذَلِكَ وَاللَّهِ أَرْضَتْ ،
وَأَمَرَ أَنْ تَدَ الْآيَاتِ ، فَكَانَتْ خَمِينَ ، فَأَعْطَاهُ خَمِينَ أَلْفَ دَرَمٍ .

وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي كَامِلٍ ، قَالَ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ تِيَاهًا شَدِيدَ الْإِهَاءِ
بِنَفْسِهِ ، فَلَمَّا قَامَ الْآفَتَيْنِ ، وَقَدْ قُتِلَ بِأَبْلَكٍ ، مَدَحَهُ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَاهَا ،
[مِنْ الْمَزَجِ] :

طَلُولٌ وَمِفَانِيهَا تَنَاجِيهَا وَتَبْكِيهَا

يَقُولُ فِيهَا :

بَعَثْتُ الْخَلِيلَ وَالْخَيْرَ عَقِيدُ بِنَوَاصِيهَا^(٢)

وَحَى مِنْ جِيدِ شَعْرِهِ ، فَأَنْشَدَنَا إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ : مَا بِهَا عَيْبٌ سِوَى أَنَّهَُا
لَا أُخْتُ لَهَا ، قَالَ : وَأَمَرَ الْمُتَعَمِّقَ لِلشُّعْرَاءِ الَّذِينَ مَدَحُوا الْآفَتَيْنِ بِثَلَاثَةِ أَلْفِ
دَرَمٍ جَرَتْ فَرَقَتْهَا عَلَى يَدِ ابْنِ أَبِي دَوَّادٍ ، فَأَعْطَى مِنْهَا مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ ثَلَاثِينَ
أَلْفًا ، وَأَعْطَى أَبَا تَمَامٍ عَشْرَةَ أَلْفٍ ، قَالَ ابْنُ أَبِي كَامِلٍ : قُلْتُ لِمَ بَنِي بِمُحَمَّدٍ
ابْنِ الْمُتَعَمِّقِ : أَوْ لَا تَعْجِبْ مِنْ هَذَا الْخَطِّ ، يُعْطَى أَبُو تَمَامٍ عَشْرَةَ أَلْفٍ دَرَمٍ
وَإِبْنُ وَهَبٍ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَيُنْبَغِي كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، قَالَ : لِذَلِكَ عِلَّةٌ .

(١) فِي الْإِفَانِي «رَعَفَتْ أَسْنَتُهُ» وَفِيهِ «وَصَمَّ كُوبَهَا»

(٢) مَاخُذٌ مِنَ الْحَدِيثِ «الْخَلِيلَ مَعْقُودَ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرَ»

لا تعرفها . كانت ابن وهيب مؤدب الفتح بن خاقان ، فالتك وصل إلى هذا الحال .

وحدث أحمد بن أبي كامل أيضاً قال : كنا في مجلس ومعا أبو يوسف الكندي ، وأحمد بن أبي قنن ، فتذاكرنا شعر محمد بن وهيب ، فطن عليه ابن أبي قنن وقال : هو متكلف حسود ، إذا أنشد شعراً لنفسه قرأه ووصفه في نصف يوم ، وشكا أنه مظلوم منحوس الحظ ، وأنه لا يقصر به عن مراتب القدماء حال ، وإذا أنشد شعر غيره حسد ، وإن كان على نبذ عربد عليه ، وإن كان صاحباً عاداه واعتقد فيه كل مكروه ، فقلت له : كلا كما لي صديق ، وما أمتنع من وصفكما جميعاً بالتقدم وحسن الشعر ، فأخبرني عما أسألك عنه إخباراً منصف ، أيعد متكلفاً من يقول [من الطويل] :

أبي لي إغضاء الجفون على القدى يقيني أن لا عمر إلا مفرج
الآ رباً ضاق القضاء بأهله فيظهر ما بين الأسنة مخرج

أويعد متكلفاً من يقول [من الطويل] :

رأت واضحا في فراق الرأس راعها شريجين مبيض به وبهم
فأمسك ابن أبي قنن ، واندفع الكندي فقال : كان ابن وهيب ثورياً ، فقلت له : من أين علمت ذلك ؟ أكلك على منذهب التنويه قط ؟ قال : لا ، ولكني استدلت من شعره على مذهبه ، فقلت : ما ذا ؟ قال : حيث يقول :

* طللان طال عليهما الأمد *

وحيث يقول :

* تفر عن خطين من ذهب *

إلى غير ذلك مما يستعمله في شعره ، من ذكر الاثنين ، فشغلي والله

الضحك عن جوابه ، وقلت له : يا أبا يوسف مثلك لا ينبغي أن يتكلم فيما لم ينفذ فيه علمه .

ورتل محمد بن وهيب على أحمد بن هشام يوما وقد مدحه ، فرأى بين يديه غلمانا روقه مرذا ، وخدميا يضا فرها ، في غاية الحسن والجمال والنظافة ، فدعش لما رأى وبقي متحيرا متبلا لا ينطق حرفا واحدا ، فضحك أحمد منه ، وقال له : ويحك ! مالك ؟ تكلم بما تريد ، فقال [من الكامل] :

قد كانت الأصنامُ وهي قديمةٌ كسرتُ وجَدَعْنِ إبراهيمُ
ولديكَ أصنامٌ سَلَمْنَ مِنَ الْأَذَى وَصَفَتْ لَهْنَنَ نَصَارَةٍ وَنَعِيمُ
وَبَنَّا إِلَى ضَمِيرِ نَلُودُ بِرُكْنِهِ قَفَرُ وَأَنْتَ إِذَا هُرُزْتَ كَرِيمُ

فقال له : اختر من شئت ، فاختر واحدا منهم ، فأعطاه إياه ، وقال بمدحه [من الكامل] :

فَضَلْتُ مَكَارِمَهُ عَلَى الْأَقْوَامِ وَعَلَا فَخَارَ مَكَارِمِ الْأَيَّامِ
وَعَلْتُهُ أُمَّهُ الْجَمَالَ كَأَنَّهُ قَرُبْدَا لَكَ مِنْ خِلَالِ غَمَامِ
إِنَّ الْأَمِيرَ عَلَى الْبَرِيَةِ كُلِّهَا بَعْدَ الْخَلِيفَةِ أَحَدُ بْنُ هِشَامِ

وحدث محمد بن وهيب ، قال : جلستُ بالبصرة إلى عطار ، فاذا أعراية سوداء قد جاءت ، فاشتريتُ من العطار^(١) خلوقا ، فقلت له : تبيحها اشتريته لابنتها ، وما ابنتها إلا خنفساء ، فالتفتت إلى متضاحكة وقالت : لا ، والله إلا مهة جيدة ، إن قامت فَنَنَاةٌ ، وإن قَدَمَتْ فَحَصَاةٌ ،

(١) الخلق - بفتح الخاء بوزن صبور - ضرب من الطيب

وإنْ مَثَتْ قَطَطَةً ، أَسْفَلَهَا كَثِيبٌ ، وَأَعْلَاهَا قَضِيبٌ ، لَا كَفْتِيَانِكُمُ الْوَأَوِي
تَسْمُونُونَ بِالْقَتُوتِ^(١) ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَهِيَ تَقُولُ [مِنْ الرِّجْزِ] :

إِنَّ الْقَتُوتَ لِلْفَتَاةِ مَضْرُطَةٌ يَكْرَهُهَا فِي الْبَطْنِ حَتَّى تُثْلِطَهُ^(٢)
فَلَا أَعْلَمُ أَنِّي ذَكَرْتُهَا إِلَّا أَضْحَكُنِي ذِكْرُهَا .

وَبَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ أَنَّ دَعْبِلَا الْخَزَاعِيَّ قَالَ : أَنَا ابْنُ قَوْلِي [مِنْ الْكَامِلِ] :
لَا تَعَجَّبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَتِ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
وَأَنْ أَبَا تَمَامٍ قَالَ : أَنَا ابْنُ قَوْلِي [مِنْ الْكَامِلِ] :

قَمَلُ فَوَادِكْ حَيْثُ شُئْتُ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٌ فِي الْأَرْضِ يَا لَفَهُ الْفَتَى وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
فَقَالَ ابْنُ وَهَبٍ : وَأَنَا ابْنُ قَوْلِي [مِنَ الْمَدِيدِ] :

مَا لِمَنْ تَمَّتْ مُحَاسَنُهُ أَنْ يَعَادِيَ طَرْفَ مَنْ رَمَقَا
لَكَ أَنْ تُبْذَى لَنَا حُسْنًا وَلَنَا أَنْ نَعْمَلَ الْحَدَقَا

وَحَدَّثَ أَبُو ذَكْوَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ دَخَلَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ وَهَيْبٍ يَعُودُهُ وَهُوَ
عَلِيلٌ ، قَالَ : فَسَأَلْتُهُ عَنْ خَبْرِهِ ، فَتَشَكَّى مَا بِهِ ثُمَّ قَالَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

نَفُوسُ الْمَنَائِيَا بِالْأَنْفُوسِ تَشَعَّبَتْ وَكُلٌّ لِمَنْ مَذْهَبِ الْمَوْتِ مَذْهَبُ
نُزَاعٍ لِذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةً ذَكَرَهُ وَتَعْتَرِضُ الدُّنْيَا فَنَلْهُو وَنَلْعَبُ
وَأَجَالُنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْنَا عَلَى غَرَاتِنَا تَتَقَرَّبُ

(١) القتوت : الأفاويه

(٢) في الأغانى « يكرهها بالليل »

أَتَقِنَ أَنَّ الشَّيْبَ يَنْقَى حَيَاتِهِ وَهُوَ لِأَخْلَاقِ الْخَطِيئَةِ يَنْهَبُ (١)
يَقِينُ كَأَنَّ الشُّكَّ أَغْلَبَ أَمْرَهُ عَلَيْهِ وَعِرْفَانٌ إِلَى الْجَهْلِ يُنْسُبُ
وَقَدْ ذَمَّتِ الدُّنْيَا إِلَى نَعِيمِهَا وَخَاطَبُنِي بِعِجَامِهَا وَهُوَ مُعْرِبُ
وَلَكِنِّي مِنْهَا خُلِقْتُ لِغَيْرِهَا وَمَا كُنْتُ مِنْهُ فَهُوَ عِنْدِي مُحِبُّ
وَسَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ حَاجَةً فَأَبْطَأَ فِيهَا ، فَوَقَفَ
عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ [مِنْ الْكَامِلِ] :

طُبِعَ الْكَرِيمُ عَلَى وَفَائِهِ وَعَلَى التَّفَضُّلِ فِي إِحَائِهِ
تَفَنَّى عَنَائَتُهُ الصَّدِيقَ عَنِ التَّعَرُّضِ لِاقْتِضَائِهِ
حَسَبُ الْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ فَكَيْلُ الْكَرِيمِ إِلَى حَيَاتِهِ
فَقَالَ لَهُ : حَسْبُكَ فَقَدْ بَلَغْتَ إِلَى مَا أُحِبُّبْتُ وَالْحَاجَةُ تَسْبِقُكَ إِلَى مِثْلِكَ .
وَمِنْ شِعْرِهِ الْجَيِّدِ قَوْلُهُ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

أَيُّ خَيْرٍ يَرْجُو بَنُو الدَّهْرِ فِي الدَّهْسِ وَمَا زَالَ قَاتِلًا لِبَنِيهِ
مَنْ يُعْمَرُ يُنْجِعُ بِفَقْدِ الْأَحْبَا وَمَنْ مَاتَ فَالْمُصِيبَةُ فِيهِ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْآخَرِ [مِنَ السَّرِيعِ] :
مَنْ يَتَمَنَّى الْعُمَرَ فَلْيَدْرَعْ صَبْرًا عَلَى . فَقَدْ أَحْبَابُهُ
وَمَنْ يُعْمَرُ يَلْقَى فِي نَفْسِهِ مَا يَتَمَنَّاهُ لِأَعْدَائِهِ

(١) أَتَى بِالْوَاوِ مِنْ « هُوَ » مُشَدَّدَةً كَمَا جَاءَ بِهَا الَّذِي يَقُولُ :
وَإِنْ لَمَانِي شَهِدَةٌ يَشْتَفِي بِهَا . وَهُوَ عَلَى مَنْ صَبَّهَ اللَّهُ عَلَقِمَ
وَهُوَ مِمَّا يَجِيءُ فِي ضَرُورَاتِ الشَّعْرِ .

شواهد أحوال متعلقات الفعل

شاهد نزيل
الفعل المتعدي
منزلة اللازم

٤١ - شَجَوْ حُسَّادَهُ وَغَيِظُ عِدَّاهُ أَنْ يَرْتَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعِي

البيت للبحترى ، من قصيدة^(١) من الخفيف ، بمدح بها المعتز بالله بن المتوكل على الله ، ويعرض بالمستعين بالله أحمد بن المعتصم ، أولها [من الخفيف] :

لَكَ عَهْدٌ لَدَى غَيْرِ مُضَاعَ بَاتَ شَوْقِي طَوْعاً لَهُ وَنَزَاعِي^(٢)
وَهَوًى كَلَّا جَرَى مِنْهُ دَمْعٌ أَيْسَ الْعَاذِلُونَ مِنْ إِقْلَاعِي^(٣)
لَوْ تَوَلَّيْتُ عَنْهُ خَيْفَ رُجُوعِي أَوْ تَجَوَّزْتُ فِيهِ خَيْفَ ارْتِجَاعِي
إِلَى أَنْ يَقُولَ فِي مَدِيحِهَا :

يهت الوفدُ في أسرةٍ وَجْهِ ساطع الضوء مُسْتَنِيرَ الشَّعَاعِ
من جَبَرِ الخطابِ يُضَعِفُ فَضْلاً عِنْدَ حَالِي تَأْمَلِي وَاسْتِمَاعِ
وبعد البيت ، وهي طويلة .

والشاهد فيه : جمل الفعل مطلقاً كناية عنه متعلقاً بمفعول مخصوص ، وهو هنا « يرى ويسمع » فانه كما قال التفتازاني رحمه الله تعالى نزلها منزلة اللازم : أى تصدر منه الرؤية والسماع من غير تعلق بمفعول مخصوص ، ثم جعلهما كنايةتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص ، هو محاسنه وأخباره ، بادعاء الملازمة بين مطلق الرؤية ورؤية آثاره ومحاسنه ، وكذلك بين مطلق السماع وسماع أخباره ، للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار إلى حيث يتمتع خفاؤها فيبصرها كل راء ويسمعا كل واع ، بل لا يبصر الراى

(١) انظرها في الديوان (٢ : ٨٠ - ٨٢ طبع هندية)

(٢) في الأصول « بات شوقي طوعاً له ويراعى » وما أثبتناه موافق لما في الديوان

(٣) في الديوان « جرى عنه دمع آيس العاذلين »

إلا آثاره ، ولا يسمع الواعى إلا أخباره ، فذكر المزموم وأراد اللازم ، على ما هو طريق الكناية ، ولا يخفى فوات هذا المعنى عند ذكر المفعول وتقديره ، لما في التغافل عن ذكره والاعراض عنه من الانبان بأن فضائله يكفى فيها أن يكون ذو بصير وسمع حتى يعلم أنه المستفود بالفضل .

ومثله قول عمرو بن معدى كرب الزبيدي (١) [من الطويل] :
فلو أن قومي أنطقني رماحهم نطقتُ ولكن الرماح أجرت
يريد أن يثبت أنه كان من الرماح إجماع وجس للألسن عن النطق بمدحهم
والافتخار بهم ، حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه ، وهي أنها أجرت أي
شقت لسانه .

ومثله قول طفيل الغنوي (٢) [من الطويل] :
جزى الله خير أجره حين أزلت بنا نعلنا في الواطنين فزكت (٣)
أبوا أن يملؤنا ولو أن أمنا تلاقى الذي يلقون منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وأجأوا إلى حجرات أدفات وأظلمت (٤)

(١) استشهد بهذا البيت الشيخ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز (١٢٢) ونسبه أيضا إلى عمرو بن معدى كرب ، ومثل هذا البيت والآيات التي بعده قول جرير بن عطية بن الخطمي :

أمنيت المنى وخلصت حتى تركت ضمير قلبي مستهما

(٢) في الأصول « المعزى » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما في دلائل الإعجاز والآيات لطفيل الغنوي يقولها في بني جعفر بن كلاب

(٣) في دلائل الإعجاز « جزى الله عنا جعفرأ حين أزلت » وهو الموافق للغرض الذي قيلت فيه الآيات

(٤) بروي « أدفات وأكنت »

أراد ملتنا وأدثتنا وأظلتنا ، إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مصلوبه بضريق السكتانية .

ترجمة البحري والبحري (١) هو الوليد بن عبيد (٢) بن يحيى ، ينتهى نسبه إلى طيىء ، ويكنى أبا عبادة ، وهو شاعر فصيح فاضل ، حسن المشرب والمذهب ، نقى الكلام مطبوع ، وله تصرف في ضروب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزرة ، وجيده منه قليل . وكان ابنه أبو الفوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن ، أنه لما حضره الموت دعا به وقال له : اجمع كل شئ قلته في الهجاء ، ففعل ، فأمر بحرقه . (٣)

وكان البحري يقتشه بأبى تمام في شعره ، ويحذو حذو مذهبه ، وينحرو نحوه في البدائع التي كان أبو تمام يستعملها ، ويراه صاحباً وإماماً ، ويقدمه على نفسه ، ويقول في الفرق بينه وبينه قول منصف : إن جيد أبى تمام خير من جيده ووسطه ورديته خير من وسط أبى تمام ورديته ، وكذا هو حكم لنفسه .
وسئل أبو العلاء الممرى : أى الثلاثة أشعر : أبو تمام أم البحري أم المتنبي ؟
فقال : هما حكيمان ، والشاعر البحري .

(١) البحري ترجمة في الأغاني (١٨ - ١٦٧ - ١٧٥) وفي تاريخ ابن خلكان (٣ - ١٦)

(٢) في الأغاني «بن عبيد الله»

(٣) في الأغاني زيادة على ذلك ومم قال له : يابنى ، هذا شئ قلته في وقت فشيت به غيظي ، وكافأت به فيبجا فعل بى ، وقد انقضى أربى في ذلك ، وإن بقى وروى وللناس أعقاب يؤرثونهم العداوة والمودة ، وأخشى أن يعود عليك من هذا شئ في نفسك أو معاشك ، لا قائد لك ولا لى فيه . قال : فعلت أنه قد نصحتنى واشفق على ، فأحرقته»

وقد شرح المعرى^(١) دواوين الثلاثة ، فسمى شرح ديوان أبي تمام «ذكر»^(٢) حبيب ، وشرح ديوان البحتري «عبث الوليد» وشرح ديوان المتنبي «معجز أحمد» وحدث محمد بن يحيى قال : سمعت عبد الله بن الحسين يقول للبحتري — وقد اجتمعا في دار عبد الله بالخلد ، وعنده المبرد ، وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين ، وقد أشد شعراً نفسه قد كان أبو تمام قال في مثله — : أنت والله أشعر من أبي تمام في هذا الشعر ، قال : كلا والله ، إن أبا تمام الرئيس والاستاذ ، والله ما أكلت الخبز إلا به ، فقال له المبرد : لله درك يا أبا الحسن — وكان يكنى به أيضاً — فانك تأتي إلا شرفاً من جميع جوانبك .

وحدث البحتري قال : كان أول أمرى في الشعر ونباهتى أن صرت إلى أبي تمام ، وهو بمحصر ، ففرضت عليه شعري ، وكان الشعراء يمرضون عليه أشعارهم ، فأقبل على وترك سائر من حضر ، فلما تفرقوا قال لي : أنت أشعر من أنشدني ، فكيف حالك ؟ فشكوت إليه خلّة ، فكتبني إلى أهل معرفة النعمان ، وشهد لي بالخلق في الشعر ، وشفع لي إليهم ، وقال : امتدحهم ، ففرت إليهم ، فأكرموني بكتابه ، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم ، فكانت أول مال أصبته .

وحدث البحتري قال : أول ما رأيت أبا تمام أتى دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف ، وقد مدحته بقصيدتي التي مطلعها^(٣)

(١) لم يشرح أبو العلاء ثلاثة الدواوين ، وإنما اختار من كل ديوان منها كليات أو أبياتاً من كليات وتكلم عنها ، وقد ينقدها ، وقد طبع من هذه الكتب الثلاثة بكتابه عن البحتري المسمى «عبث الوليد»

(٢) المعروف أن اسم الكتاب «ذكرى حبيب»

(٣) انظرها في الديوان (٢ - ١٤٥) ثم انظر هذه القصّة في الأغاني أثناء ترجمته وفي الموازنة (٦ بتحقيقنا) وفي ابن خلكان (٣ - ٩٧)

أَفَاقَ صَبٍّ مِنْ هَوَى فَأَفِيقَا أَوْخَانَ عَهْدًا أَوْ أَطَاعَ شَفِيقًا

فَسَرَّ بِهَا أَبُو سَعِيدٍ ، وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا فَتَى ! وَكَانَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ
نَبِيلٌ رَفِيعُ الْمَجْلِسِ مِنْهُ فَوْقَ كُلِّ مَنْ حَضَرَ فِي مَجْلِسِهِ ، تَكَادَ تَمَسُّ رُكْبَتَهُ رُكْبَتُهُ ،
فَأَقْبَلَ عَلَى وَقَال : يَا فَتَى ، أَمَا تَسْتَحْيِي مِنِّي ؟ هَذَا شَعْرِي وَتَتَحَلَّهُ وَتَتَشَدُّ
بِحَضْرَتِي ، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : أَحَقًّا مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنَّمَا عَلِقَهُ مِنِّي فَسَبَقَنِي بِهِ
إِلَيْكَ وَزَادَ فِيهِ ، ثُمَّ انْدَفَعَ فَأَنْشَدَ أَكْثَرَ الْقَصِيدَةِ حَتَّى شَكَّكِي عِلْمَ اللَّهِ فِي نَفْسِي
وَوَقَّيْتُ مَتَحِيرًا ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ فَقَالَ لِي : يَا فَتَى لَقَدْ كَانَ فِي قَرَابَتِكَ مِنَّا
وَوُدُّكَ لَنَا مَا يَفْنِيكَ عَنْ هَذَا ، فَجَعَلْتُ أَحْلِفُ بِكُلِّ مُحَرَّجَةٍ مِنَ الْإِيمَانِ ، أَنْ
الشَّعْرَ لِي ، وَمَا سَبَقَنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَلَا سَمِعْتُهُ ، وَلَا اتَّحَلَّيْتُ ، فَلَمْ يَنْفَعْ ذَلِكَ شَيْئًا
وَأَطْرَقَ أَبُو سَعِيدٍ ، وَقَطَعَ بِي حَتَّى تَمْنَيْتُ أُنِّي سَخْتُ فِي الْأَرْضِ ، فَجَعَلْتُ مَنْكُوسَ
الْبَالِ أَجْرَ رَجُلِي ، فَخَرَجْتُ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ بَلَغْتُ بَابَ الدَّارِ ، حَتَّى خَرَجَ
الْعُلَمَاءُ فَرَدُونِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ ، فَقَالَ : الشَّعْرُ لَكَ يَا بَنِي ، وَاللَّهِ مَا لَقِيتُهُ قَطُّ ،
وَلَا سَمِعْتُ بِهِ إِلَّا مِنْكَ ، وَلَكِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَهَاجَرْتَ بِمَوْضِعِي ، فَأَقْدَمْتُ عَلَى
الْإِنْشَادِ بِحَضْرَتِي مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ كَانَتْ بَيْنَنَا تَرِيدُ بِذَلِكَ مِزَاجِي وَمِزَاجِي ، وَجَعَلْتُ
حَتَّى عَرَفَنِي الْأَمِيرُ نَسْبِيكَ وَمَوْضِعَكَ ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ لَاتِلِدَ طَائِفَةً إِلَّا مِنْكَ ، وَجَعَلْتُ
أَبُو سَعِيدٍ يَضْحَكُ ، فَدَعَانِي أَبُو تَمَامٍ فَضَمَّنِي إِلَيْهِ وَعَاقَبَنِي ، وَأَقْبَلَ يَقْرَظُنِي ، وَلَزِمْتُهُ
بَعْدَ ذَلِكَ ، وَأَخَذْتُ عَنْهُ ، وَاقْتَدَيْتُ بِهِ .

ثُمَّ إِنَّ الْبَحْثَرِيَّ اخْتَصَّ بِأَبِي سَعِيدٍ ، وَكَانَ مَدَاحًا لَهُ طَوْلُ أَيَّامِهِ وَلَا بَنِيهِ مِنْ
بَعْدِهِ ، وَرَثَاتُهَا بَعْدَ مَقْتُلِهَا وَأَجَادَ ، وَمِرَاثِيهِ فِيهَا أَجُودُ مِنْ مَدَاحِهِ . وَرَوَى أَنَّهُ
قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَنْ تَمَامُ الْوَفَاءِ أَنْ تَفْضَلَ الْمِرَاثِي الْمَدَاحُ ، لَا كَمَا قَالَ
الْآخَرُ . وَقَدْ سَأَلَ عَنْ ضَمْنِ مِرَاثِيهِ . فَقَالَ : كُنَّا نَعْمَلُ لِلرَّجَاءِ ، وَنَحْنُ الْآنَ نَعْمَلُ

لوفاء ، وبينهما بعد ^(١) .

وكان البحرى من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة ، وأبخلهم على كل شيء .
وكان له أخ و غلام معه فى داره ، فكان يقتلها جوعاً ، فاذا بلغ منهما الجوع
أتياه يبيكان ، فيرى إليهما بشمن أقواتهما مضيقاً مقترأ ، ويقول : كُلاً ،
أجاع الله أكبادكما ، وأعزى أجلاذكما ، وأطال اجتبادكما .

وحدث محمد بن بحر الأصهبانى الكاتب ، قال : دخلت على البحرى يوماً
فاختبسى عنده ، ودعا بطعام له ، ودعأى إليه ، فامتنعت من أكله ، وعنده شيخ
شامى لا أعرفه ، فدعاه إلى الطعام . فتقدم ، فأكل معه أكلاً عنيفاً ، فغاضه
ذلك ، ثم إنه التفث إلى ، فقال لى : أتعرف هذا الشيخ ؟ قلت : لا ، قال : هذا
شيخ من بنى الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر [من الكامل] :

وبنو الهجيم قبيلةٌ ملعونةٌ حُرُّ اللحي متناسبو الألوان ^(٢)
لو يسمعون بأكلةٍ أو شربةٍ بمان أضحى جمعهم بمان
قال : فجعل الشيخ يشتمه ونحن نضحك .

ومن شعره يهجو إنساناً فى لسانه حبسة [من المنسرح] :

أنت كما قد علمت مضطرب السهبة والقدر ظاهر الخلف ^(٣)

(١) روى أن محمد بن يوسف سأل الحرى أنا يعقوب الشاعر : ما بال
مدائحك فى منصور بن زياد خيراً من مرانيه ؟ فقال الحرى : لأن المدح للرجاء
والمرأى للوفاء ، وبينهما بون بعيد (انظر الوزراء والكتاب للجهمي ٢٦٨)
وستأتى هذه القصة فى ترجمة الحرى صاحب الشاهد رقم ٤٢ الذى بلى هذا

(٢) فى الأغاني « حص اللحي »

(٣) فى الديوان (٢ - ١١٩) « ظاهر الجلف »

ورنة تحت غنة قدرتُ من هالك الزاء ذامر الألفِ
 كأن في فيه لقمة عقلتُ لسانه فالتوى على حنفِ
 بحرك رأسه توهمه قد قام من عطية على شرفِ
 وهو بليغ التشبيه في معناه .

وأشدد البحترى شيئاً من شعر أبي سهل بن نوبخت ، فجعل يحرك رأسه ،
 فقيل له : ما تقول فيه ؟ فقال : هو يشبه مضغ الماء ليس بطعم ولا معنى .

وقد نظمت هذا لغرض عرض لى فقلت [من المديد] :

رب خذ للشعر من زمرِ أسمعونا منه ما أضى

مثل طعم الماء ليس له في فم طعم ولا معنى

ورأيت بعد ذلك بيتاً آخر في المعنى ، وهو [من الوافر] :

حديث مثل لعق الماء بحثاً وليس للعق بحت الماء طعمُ

والبحتُ - بالثناة فوق - الصُرفُ .

وذكرت بأبيات البحترى في الحبسة ما نظمته قديماً ، وهو [من الرجز] :

إن قال شعراً خلته علكاً قوياً يعلك

وإن شدا فصوته صوت دجاج يمكُ

واجتازت جاريةً بالمتوكل معها كوز ماء ، وهي أحسن من القمر ، فقال :

ما اسمك ؟ قالت : برهان ، قال : ولن هذا الماء ؟ قالت : لستى قبيحة ، قال : صبيه

في حلقي ، فشربه عن آخره ، ثم قال للبحترى : قل في هذا شيئاً ، فقال

[من البسيط] .

ماتورة من رحيق كأسها ذهبُ جاءت بها الخور من جنات رضوان

يوماً بأطيب من ماء بلا عطش شربته عبثاً من كف برهان

وحدث أبو الفوث ابن البحرى قال : كتبت إلى أبي يوما أطلب منه نبأً ، فبعت إلى بنصف قنينة دردى وكتب إلى : دونكها يا بنى فاتها تكشف القحط وتقوت الرهط .

وحدث جحظة قال : سمعت البحرى يقول : كنت أتمشق غلاماً من أهل منبج ، يقال له شقران ، فاتفق لى سفر فخرجت فيه وأطلت الغيبة ثم عدت وقد التحى ، فقلت فيه - وكان أول شعر قلته- [من مجزوء الرهل] :

نبئت لحية شقرًا ن شقيق النفس بعدى

حللت كيف أته قبل أن ينجز وعدى

وحدث جحظة قال : كان نسيمٌ غلامٌ البحرى الذى يقول فيه :
[من الطويل] :

دعا عذبرني تجرى على الجور والقصد اظنُّ نسبا فارقَ الهجر من بعدى

خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه فوا عجباً للدهر فقداً على قد (١)

غلاماً رومياً (٢) ليس بحسن الوجه ، وكان قد جعله ياباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه ويعتمد أن يصير إلى ملك بعض أهل المروءات ومن ينفق عنده الأدب ، فاذا حصل فى ملكه شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم فكنى الناس أمره .

وقد قال ابن نباتة المصرى مشيراً إلى ذلك [من الوافر] :

وغانيةٍ توافقتى إذا ما صَبَّوتُ لها بهذا العقلِ السليمِ

وأعذرُ إن بسكيتُ على رياضٍ بكاءَ البحرى على نسيمِ

(١) فى الأغاني « فقد على فقد »

(٢) « غلاماً رومياً » هذا خبر كان فى قوله « كان نسيم الخ »

وحدث الأفش قال : كتب البحرى إلى محمد بن القاسم (١) القمى يستهيه
 نبينا ، فبعث إليه مع غلام له أمرد ، فحمله البحرى ، فغضب الغلام غضبا شديدا
 فزن البحرى أنه سيخبر مولاه بما جرى ، فكتب إليه [من المنقارب] :

أبا جعفر كن تخميشنا غلامك إحدى الهنات الدنية
 بمئت إلينا بشمس المدام تضي لنا مع شمس البرية
 فذيت الهدية كن الرسول وليت الرسول إلينا الهدية

فبعث محمد بن القاسم بالغلام إليه هدية ، فاقطع البحرى بعد ذلك عنه مدة
 خجلا مما جرى ، فكتب إليه محمد بن القاسم [من الطويل] :

هجرت كأن البرأعقب حشمة ولم أر يرأ قبل ذا أعقب الهجرا
 فقال فيه قصيدة بمدحه [من الكامل] :

إني هجرتك إذ هجرتك حشمة لا المؤذ يذهبها ولا الإبداء
 أنجلتني بندق يدك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
 وقطعتنى بالبر حتى إلتنى متوهم أن لا يكون لقاه
 صيلة غدت في الناس وهي قطعة عجب وبر راح وهو جناه (٢)
 ليواصلنك ركب شعري سائر يزويه فيك لحسنه الأعداء (٣)

(١) في المطبوعتين « البقى » وكتب بهامش مطبوعة بولاق « في نسخة
 القمرى » وكلاهما تحريف ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني ، وهو فيه
 « محمد بن علي القمى » وهو الموافق لما في الديوان (١-٦)
 (٢) في الأغاني « عجبا » وهي في الديوان بالرفع كما هنا ، وكلاهما صحيح
 في العربية

(٣) في المطبوعتين « يرويك فيه » وأثبتنا ما يوافق الديوان ، ووقع في
 الأغاني رواية البيت هكذا :

لاوصينك ركب شعري سائر نهذى به في مدحك الأعداء

حتى يتم لك الشئاء مُخْلِداً أبداً كما كنت لك النماء (١)
 فضل محمدك الملوكة الصيدي وأغل محمدني من الشعراء
 وحدث البحري قال : أنشئت أباً علم شيئاً من شعري فمثل بيت أوس
 ابن حجر [من الطويل] :

إذا مَقْرِمٌ منا ذَرَى حَدَّ نَابِهِ نَحْطُ منا نَلْبُ آخِرُ مَقْرِمٍ (٢)
 ثم قال لي : نمت وأهله إلى قُصَى ، قلت : أعينك الله من هذا القول ،
 قال : إن عري لن يطول ، وقد نشأ في طيِّ منلك ، أما علمت أن خالد بن
 عفوان رأى شبيب بن شيبة وهو بين رهطه يتكلم ، فقال : يا بني لقد نمت إلى قُصَى
 إحسانك في كلامك ، لأننا أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قط إلا ملت القى من
 قبله ، قلت : بل يبيك الله ويحسني فذاك قال : وملت أبو علم رجلاً فهدته
 وحدث أبو عنبس (٣) الصيمري قال : كنت عند المتوكل والبخري
 ينشد قوله [من مجزوء الكامل] :

عن أي ثغر تَبَنَسِمِ وبأي طرف تَحْنَمِ
 حتى بلغ إلى قوله فيه :

قل للخليفة جعفر المتوكل بن المنصور
 والمجتدي ابن المجتدي والمنعم ابن المنعم
 اسلم لدين محمد فإذا سلمت قد سلم

(١) في الديوان « كما كنت لي النماء »

(٢) وقع هذا البيت في المطبوعتين :

إذا مقدم منا ذوى حد نابه نَحْطُ منا ناب آخر مقدم
 وهو تحريف في عدة مواضع ، وفي الأغاني « مقدم » في الموضعين
 (٣) في الأغاني « أبو المنيس » بالآلف واللام

قال : ولكن السحري من أبغض الناس إنشاداً ، يتشادق ويتزاور في شينته
مرة جاثياً ، ومرة القهقري ، وجرز رأسه مرة ، ومنكبه أخرى ، ويشير بكمه
ويقف عند كل بيت ، ويقول : أحسنتُ والله ، ثم يقبل على المستمعين فيقول :
مالك لا تقولون لي أحسنت ؟ هذا والله مما لا يحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر
المتوكل من ذلك ، وأقبل على فقال : أما تسمع ما يقول يا صيمري ؟ قلت :
بلى يا سيدي ، فرنى فيه بما أحببت ، فقال : بحياى أهجه على هذا الروى الذى
أنشدنيه ، قلت : تأمر ابن حدون أن يكتب ما أقول ، فدعا بدواة وقرطاس
وحضرنى على البديهة [من مجزوه الكامل] :

أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الرَّحِمِ وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَنْهَزِمُ (١)
يَا بَحْرِيَّ حَنَارَ وَيَحْمُكَ مِنْ قَضَاقِضَةٍ ضَغَمَ
فَلَقَدْ أَسْلَمْتَ بِوَالِدَيْكَ مِنَ الْمِجَاجِ سَيْلِ الْعَرَمِ
فَبَأَى عَرِضِي تَقْتَصِمَ وَبِهِنَّكَ جَفَّ الْقَلَمُ
وَاللَّهُ حَلْفَةَ صَادِقٍ وَبَقِيرِ أَحْمَدَ وَالْحَرَمِ
وَبِحَقِّ جَعْفَرٍ الْأَمَامِ ابْنِ الْأَنَامِ الْمُعْتَصِمِ
لَأَصِيرَنَّكَ شَهْرَةَ بَيْنِ الْمَسِيلِ إِلَى الْعَلَمِ

في أبيات آخر من هذا النقط (٢) ، قال : فخرج مغضباً يعدو ، وجعلت
أصبح به :

أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الرَّحِمِ وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَنْهَزِمُ

(١) في المطبوعتين «أدخلت رأسك في الرحم» محروفاً ، وما أثبتناه موافق
لما في الأغاني

(٢) اقرأ تمامها في الأغاني (١٨ - ١٧٣)

والمثوكل يضحك ويصفق بيديه حتى غاب عنه ، وأمر لى بالصلاة التى أعنت

البحترى .

وقال أحمد بن يزيد ^(١) : حدثنى أبى ، قال : جاءنى البحترى فقال لى :
يا أبا خالد ، أنت عشيرى وابن عمى وصديقى ، وقد رأيت ما جرى على ، أفترى
أنى أخرج الى منبج بغير إذن فقد ضاع العلم وهلك الأدب ، قلت له : لا تفعل
من هذا شيئاً فان لى علماً بأن الملوك تمنح بأكثر من هذا ، ووضيت معه إلى
الفتح بن خاقان فشكا إليه ذلك ، فقال له نمحو من قولى ، ووصله وخلع عليه ،
وسكن منه ، فسكن إلى ذلك .

وقد ذكرت بحال البحترى فى إنشاده فصلاً ذكره صاحب بن عباد فى
وصف أبى الحسن المنجم الشاعر فأحببت إثباته وهو ^(٢) .

لما قتل المثوكل قال أبو العنبس الصيمرى يرثيه [من السريع] :
يا وَحْشَةَ الدنيا على جعفر على الحمام الملك الأزهر
على قاتل من بنى هاشم بين سرير الملك والمنبر
والله رب البيت والشعر والله لو أن قتل البحترى
لثار بالشم له ثائر فى ألف بقل من بنى عضر خرى ^(٣)
يقدمهم كل أخى ذلة على حمار دبر أعور

(١) فى الأغانى «أحمد بن زياد»

(٢) سقط هذا الفصل من أصول هذا الكتاب كلها

(٣) فى المطبوعتين « من بنى عصخر » وقال مصحح مطبوعة بولاق فى
هامش النسخة : « قوله عصخر كذا فى النسخ التى بأيدينا ولم أقف عليه »
وقد أثبتنا ما فى الأغانى

سنة ثلاث - وقيل : سنة أربع ، وقيل : خمس - وثمانين ومائتين ، رحمه الله تعالى ! .

٤٢ - ولوشئتُ أن أبكى دماً لبكيتهُ عليه ولكن ساحة الصبر أوسعُ
البيت للخريجي^(١) من قصيدة من الطويل يرى بها أبا الهيثم ، وأولها :
قضى وطراً منك الحبيب المودعُ وحلٌ الذي لا يستطاع فيُدفعُ
إلى أن قال فيها :

عامد ذكر
مفعول فعل
الشبهة

وأعددتُهُ ذخراً لكل ملّةٍ وسهمُ الرزايا بالذخائر مؤلّمٌ^(٢)
وإنّ أظهرتُ منى جلادةٍ وصانمتُ أعدائى عليه لموجعُ
ملككتُ دموع العين حتى رددتها إلى ناظرى إذ أعينُ القلب تدمعُ
وبعد البيت .

والساحة : الفضاء بين الدور .

والشاهد فيه : ذكرُ المفعول - وهو « دماً » - لكون تعلق فعل المشينة به غريباً .

وقد تقنّن الشعراء في بكاء الدم ، وتشعبت مسالكهم في إيراد ، فن
ذلك قول أبى القاسم بن كيكس [من الطويل] :
بكيتُ دماً حتى بقيتُ بلا دمٍ بكاءً فتى فردٍ على سكنٍ فردٍ

أشار في بكاء
الدم

(١) وهو من شواهد دلائل الاعجاز (ص ١٢٦) وفي الأصول « الخريجي »

بالزاي محرفاً

(٢) هذا البيت وحده في الأغاني (١٨ - ١١٤) منسوباً للخريجي في رثاء أبى الهيثم

أبكي الذي أهواه بالدمع وحدهُ لقد جَلَّ قدرالدمع فيه إذا عني
وقول الشريف الرضى [من الطويل] :
ويوم وقفنا للوداع فكلُّنا يَمُدُّ مطيحَ الشوق من كلِّ أحرماً
فصرتُ بقلب لا ينفُ في الهوى وعينٍ متى استمطرها أمطرت كما
ومثله قول مهباز الديلمي [من الطويل] :
بكيتُ على الوادى غرمتُ ماهه وكيف يعلُّ الماء أكره دمُ
وقولُ أبي الحسين الباخري [من مغلغ البسيط] :
عجبتُ من دَمْعِي وعيني من قبل بَيْنٍ وبعد بَيْنٍ
قد كان عيني بغير دمع فصار دمي بغير عين
ومثله قول مؤلفه في مطلع قصيدة [من السريع] :
أواهُ من دمع بلا عينٍ يجري على الخدين من عيني
وما أحسن قول بعضهم [من الطويل] :
ولما التقينا للوداع عشية وقدرأعاصيرى لدى موقف البينِ
أنت بصِحاحِ الجوهرى دموعها نمارضُ من دمعى مختصر العين^(١)
ولأبى الفتح البكتمى [من مجزوء الكامل] :
قالوا بكيتَ دماً فقللت مسحت من خدى خلوقاً
أبصرتُ لؤلؤ ثغره فنثرتُ من جنى عقيقاً
لولا التمسك بالهوى لملتُ من دمعى غريقاً
ولأبن حمديس [من الخفيف] :

(١) صحاح الجوهرى: فيه تشبيه الدمع باللؤلؤ، والتورية بكتاب الصحاح الذى ألّفه الجوهرى، كما أن فى قوله «مختصر العين» تورية أخرى بمؤلف يزيدى اختصر فيه كتاب العين للخليل بن أحمد

غَشِيَتْ جِجَرَها دُمُوعِي حُمُرًا وَهِيَ مِنْ لُوعَةِ الهَوَى تَتَحَدَّرُ
فَاتَزَوَتْ بِالشَّمِيقِ خَوْفًا وَظَنَتْ حُبًّا رَمَانِ صَدْرِها قَدْ تَنَثَّرُ
قَلْتُ عِنْدَ اخْتِبَارِها بِيَدِها نَمْرًا صَانِعَتْ جِيبَ مَهْدَرُ
لَمْ يَكُنْ مَا ظَنَنْتُ حَقًّا وَلَكِنْ صِبْغَةَ الْوَجْدِ صَبِغَ دُمُوعِي أَحْمَرُ
وهو ينظر إلى قول المنازى يصف وادياً [من الوافر]:

وَقَانَا لَفْحَةَ الرِّمَاضِ وَادٍ سَقَاهُ مُضَاعَفُ الْغَيْثِ الْعَمِيمِ
نَزَلْنَا دَوْحَهُ فَخُنَا عَلَيْنَا حَنُوءُ الْمَرْضَعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
وَأَرْشَفْنَا عَلَى ظِلِّ زَلَالٍ أَرْقَى مِنَ الْمَدَامَةِ لِلنَّدِيمِ
يَصَدُّ الشَّمْسَ أَتَى وَاجِهَتُنَا فَيَحْجِبُهَا وَيَأْذُنُ لِلنَّسِيمِ
يُرْوِعُ حَصَاةَ حَالِيَةِ الْعَذَارَى فَتَلْمَسُ جَانِبَ الْعَقْدِ النُّظُمِ
أَرَدْتُ الْبَيْتَ الْآخِرَ .

وقد قلب الشيخ بدر الدين بن الصاحب غالب هذه الأبيات هجواً في حمام
هَلَّا [من الوافر]:

وَحَمَامٌ قَلِيلُ الْمَاءِ دَاجٍ وَفِيهِ أَلْفُ شَيْطَانٍ رَجِيمِ
وَلَا غَيْرَ الْمَرْأَحِمِ مِنْ رَفِيقٍ وَلَا غَيْرَ الْمُدَافِعِ مِنْ حَجِيمِ
طَلَبْنَا مَاءَهُ فَخُنَا عَلَيْنَا حَنُوءُ الْمَرْضَعَاتِ عَلَى الْفَطِيمِ
وَنَقَطْنَا بِرَشْشٍ بَعْدَ رَشْحٍ كَمَصٍّ مِنْ أَبَارِيقِ النَّدِيمِ
يَصَدُّ الْحَرَّ عَنَّا فِي شَتَاءٍ فَيَحْجِبُهَا وَيَأْذُنُ لِلنَّسِيمِ
يُرْوِعُ بُولَهُ مَنْ حَلَّ فِيهِ فَيَحْسِبُ أَنَّهُ هَوْلُ الْجَحِيمِ
رجع إلى وصف النعم .

ولأبي بكر الخالدي فيه [من البسيط]:

بكى إلى غداةَ البين حين رأى دمعى يفيض وحالى حالُ مبهوت
فدمعتى دَوْبُ ياقوت على ذهب ودمعه دَوْبُ دُرٌّ فوق ياقوتِ
وللأواءِ الدمشقى فى معناه [من الخفيف] :

كلُّ دمع فبالتكافِ يَجْزَى غيرُ دمع الحبِّ والمهجور
وَرَدَ البينُ دمع عيني فأضحى كعميق أذيب فى بلور
وله أيضاً فى مثل ذلك [من الكامل] :
فأخرج بمائك ناركاً سَكَّ وأسقى فلقد مزجتُ دماعى بدمائى
ولابن نباتةَ المصرى [من الخفيف] :

يا غزالاً رثاً وغصناً تنى وهلالاً سماً وصباحاً أناثاً
كان دمعى على هواك جليئاً فأحالتُهُ نارُ قلبى نُضاراً

وما أبدع قوله بعده مع حسن التضمين :

حليّةٌ لا أُعيرُها لحبٍّ شغلَ الحلى أهله أن يعارا
ولابن قلاقس [من الطويل] :

مضى مهم قلبى فله دَرُّهُ لقد سَرَّنى إذ مر مع من يَسْرُهُ
وأطولُ من هجر الحبيبِ وصَبَوَى ويوم النوى لىلى وهمى وشعرُهُ
وليس دماً ماء الجفونِ وإنما فوادى بماء الدمع قد ذابَ جمرُهُ
وما أحسن قول أسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة [من المنسرح] :

ظَلْتُ به والدموعُ جاريةً أقبلُ اخذُ منه والليثا
تقطرُ ذراً حتى إذا وَرَدَتْ روضةً خديه عُدْنَ ياقوتا
وقوله أيضاً [من السريع] :

ليس ليوم البينِ عندى سوى دماعى تجميعها سَكْبُ

كأَنَّمَا فَصَّ بِأَجْنَاتِهَا رُمَانَةً فَأَنْتَرَّ الْحَبَّ
 وَلِطَعُوهُ أَيْضًا [من البسيط] :
 لَمَّا اسْتَقَلَّتْ بِهِمْ عَيْرُ النَّوَى أَصْلًا وَشَقَّتْهُمْ صُرُوفُ الْبَيْنِ تَشْتِيْنَا
 جَعَلْتُ أَنْظِيقَ وَصْفَ النَّوَى دُرًّا وَالْعَيْنُ تَنْتَرُ مِنْ دَمْعِي يَوَاقِيْنَا
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْمَسْعُودِيِّ [من المجث] :

قَالَتْ عَهْدَتِكَ تَبْكِي دَمًّا حِذَارَ التَّنَائِي
 فَالْعَيْنُ جَلَدَتْ بَعْدَ السَّمَاءِ بِمَاءِ
 قَلَّتْ : مَا ذَاكَ مِنِّي لَسَاوَةٍ وَعَزَاءِ
 لَكِنْ دَمْعِي شَابَتْ مِنْ طَوْلِ عُمْرِ بَكَائِي
 وَهُوَ يَشَبُّ قَوْلَ الْقَائِلِ أَيْضًا [من الكامل] :

قَالُوا وَدَمْعِي قَدْ صَفَا لِفِرَاقِهِمْ إِنَّا عَيْدَنَا مِنْكَ دَمًّا أَحْمَرًا
 فَاجِبْتِهِمْ إِنْ الصَّبَابَةُ عُمُرَتْ فَيَكُمُ وَشَابَ السَّمْعُ لَمَّا عُمُرًا
 وَأَحْسَنَ مِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ [من الطويل] :
 وَقَائِلَةٍ مَا بَالُ دَمْعِكَ أَيْضًا قَلَّتْ لَهَا يَامِي هَذَا الَّذِي بَقِيَ
 أَلَمْ تَهْلِي أَنْ النَّوَى طَالَ عُمُرُهُ فَشَابَتْ دَمْعِي مِثْلَ مَا شَابَ مَقَرِّي
 وَمِثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُ ابْنِ الْغَوِيَّةِ [من البسيط] :

كَانَتْ دَمْعِي حَرًّا قَبْلَ بَيْنِهِمْ فَذَنَّاؤًا قَصَّرَتْهَا لَوْعَةُ الْحَرِّ
 قَطَفْتُ لِلْحَظِّ وَرَدًّا مِنْ خُدُودِهِ فَاسْتَقَطَرَ الْبَعْدُ مَاءَ الْوَرْدِ مِنْ حَدَقِي
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ الشَّهْرِزَائِيِّ دَلْفُ الْكَاتِبِ وَيُرْوَى لِعَبْدِ الْكَافِي
 الْبَهْدِيِّ الْهَارُونِيِّ [من البسيط] :

يَا مَنْ يَرُبُّ وَصَلِيٍّ مِنْهُ مَوْعِدُهُ لَوْلَا عَوَائِقُ مِنْ خُلْفٍ تَبَاعَدُهُ

لأنهم بن دموى البيض غير دمي وإنما نفسي الحامي يصعده
وقول أبي القاسم بن المطار بديع ، وهو [من الكامل] :
ما أدمى تنبل سحاً إنما هي مهبتي سالت من الآماق
وهذا الباب واسع جداً ، وفيما أوردناه مقتع .

وأبو الهيثم (١) المرقئ هنا : هو عامر بن عمار بن خريم ، وهو والد المحدث ترجمة أبي الهيثم
موسى بن عامر صاحب الوليد بن مسلم وراوى كنيته ، وكان أمير عرب الشام وزعم
قيس وفارسها المشهور ، وهو قائد العرب المضرية في الفتنة العظمى الكائنة بدمشق
بين القيسية والجمالية في دولة الرشيد ، وهي التي من أجلها قاتل الرشيد لجمفر بن
يحيى البرمكي : ليس لهذا الأمر إلا أنا وأنت ، فإما أن تتوجه أو أتوجه أنا ، ففضى
جعفر إلى الشام ، وأخذ القتلى ، وكان قد خرج على الرشيد لكونه قتل أخاه ،
فظفر به وحمل إليه مقيداً ، فلما مثل بين يديه أنشده أبياتاً يستعطفه بها ، منها
[من الطويل] :

فأحسن أمير المؤمنين فأنه أنى الله إلا أن يكون لك الفضل
فن عليه وعفا عنه .

ومن شعره في أخيه [من الطويل] :

سأبكى بالبيض الرقاق وبالقنا فان بها ما يطلب الماجد الوترا (٢)
ولست كمن يبكى أخاً بعيرة يعصرها في جفن مقلته عصراً (٣)

(١) لأبي الهيثم عامر بن عمار بن خريم الناعم ترجمة في تاريخ دمشق (٧-١٧٦) وفيها الآيات التي يذكرها المؤلف هنا ، وفيه حديث الفتنة مفصلاً

(٢) في تاريخ دمشق * فان بها ما يدرك الطالب الوترا *

(٣) في تاريخ دمشق * يعصرها من ماء مقلته عصراً * وذكر بيتا بين
هذا والذي بعده ، وهو :

ولكنني أشفي القواد بغارة ألهب في فطري كتابها جراً

وإنا أناسٌ ما تفيضُ دموعنا على هالكٍ منا وإن قصم الظهرا
وقيل : إنه توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة .

ترجمة الخريبي لناعم
وانخريبي هو إسحاق بن حسان ، ويكنى بذي يعقوب ، وهو من المعجم ، وكان
مولى ابن خريم^(١) ، الذى يقال لأبيه خريم الناعم ، وهو خريم بن عمرو بن بني
مرة بن عوف بن سعيد بن ذبيان ، وكان لخريم ابن يقال له عمارة ، ولعمارة ابنان
يقال لهما عثمان وأبو الهيثام ، وفى عثمان هذا يقول الخريبي [من الطويل] :
جزى الله عثمان الخريبي خريماً جزى صاحباً جزل المواهب مفضلاً
كفى جوة الإخوان طول حياته وأورث مما كان أعطى وأخولا
وكان عظيم القدر ، وأحد القواد . وعى الخريبي بعدما أسن ، وكان يقول فى
ذلك ، فنه قوله [من المتقارب] :

فإن تك عيني خبا نورها فكم قبلها نور عيني خبا^(٢)
فلم يتم قلبي ولكنا أرى نور عيني إليه سرى
فأشرج فيه إلى نوره مراحاً من العلم يشفى القمى
وأخذ هذا من قول جبر الأمة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان
عى فقال [من البسيط] :

إن يأخذ الله من عيني نورها ففى لسانى وقلبي منها نور
قلبي ذكى وعقلي غير ذى دخل وفى فى صام كالسيف مأنور

(١) ابن خريم هذا هو عمارة والد أبى الهيثام ، وخريم الناعم جد أبى
الهيثام المرئى ، والخريبي منسوب إليه . وفى الأصول «خريم» بالزاي فى جميع
المواطن ، وهو تحريف

(٢) فى الأصول «نور عيني خبا» محرفاً بزيادة الياء

وكان أبو يعقوب الخرمي متصلاً بمحمد بن منصور بن زيد كاتب البرامكة ،
وله فيه مدائح جيدة ، ثم رثاه بعد موته ، فقيل له : يا أبا يعقوب ، مرأيتك لآل
منصور بن زيد أحسن من مدائحك وأجود ، فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجل^(١)
ونحن الآن نعمل على الوفاء ، وبينهما يوم بعيد .

وهو القائل في عمى عينيه [من المنسرح] :

أضنى إلى قَائِدِي لِخَيْرِي إِذَا التَّقِينَا عَنْ يُحْيِي
أُرِيدُ أَنْ أَعْدِلَ السَّلَامَ وَأَنْ أَفْضِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالْهَوْنِ
أَسْمِعْ مَا لَا أَرَى فَافْكَرْ أَنْ أَخْطِئَ وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ
لِلَّهِ عَيْنِي الَّتِي جُمِعَتْ بِهَا لَوْ كُنْتُ تُخْبِرْتُ مَا اخْنَعْتُ بِهَا
تَعْمِيرُ نَوْحٍ فِي مَلِكٍ قَادِرٍ وَأَنْ يُعْزُوا عَيْنِي وَيَكُونِي
حَقٌّ أَخْلَى أَنْ يَعُودُونِي وَهُوَ الْقَائِلُ أَيْضاً [من الوافر] :

إِذَا مَا مَاتَ بَعْضُكَ فَأَبْكَ بَعْضاً فَإِنَّ الْبَعْضَ مِنْ بَعْضٍ قَرِيبُ
يَعْنِي الطَّبِيبُ شَفَاءُ عَيْنِي وَهَلْ غَيْرُ الْإِلَهِ لَهَا طَبِيبُ
وَمِنْ جِدِّ شِعْرِهِ قَوْلُهُ [من البسيط] :

النَّاسُ أَحْلَامُهُمْ شَتَّى وَإِنْ جِيلُوا
لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلُ وَكُلُّوْا بِهِمَا
مِنْهُمْ خَلِيلُ صَفَاءُ ذُو مُحَافَظَةٍ
وَمُشْمَرُ الْغَدْرِ مَحْنَى أَصَالَهُ
مُشَاكِسٌ خَدَعُ جَمٌّ غَوَاثِلُهُ
يَأْتِيكَ بِالْبَغْيِ فِي أَهْلِ الصَّفَاءِ وَلَا
عَلَى تَشَابِهِ أَرْوَاحٍ وَأَجَادِ
كُلُّ لُهُ مِنْ دَوَاعِي نَفْسِهِ هَادِي
أَرْسَى الْوَفَاءِ أَوَاخِيهِ بِأَوْتَادِ
عَلَى سَرِيرَةٍ غَمَرُ غُلْهَا بِلَادِي
يَبْدِي الصَّفَاءَ وَيُخْفِي ضَرَبَةَ الْهَادِي
يَنْفَكُ يَسْمَى بِاصْلَاحٍ لِافْسَادِ

(١) أحسب في العبارة قلباً

ومن جِدِّ شعره أيضاً قوله [من الطويل] :

أضاحكُ ضيفي قبل إنزالِ رَحلهِ وَيُخَصِّبُ عِنْدِي وَالْحُلَّ جَدِيبِ
وَمَا لَخَصْبٍ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ اقْرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبِ
وهو القائل [من الطويل] :

وَلِنْ أَشَدُّ الدُّلَسِ فِي الْحَشْرِ حَمْرَةً لِمُورِثٍ مَالٍ غَيْرُهُ وَهُوَ كَاسِبُهُ
كَفَى سَعَاءً بِالْكَهْلِ أَنْ يَتَّبِعَ الصَّبَا وَأَنْ يَأْتِيَ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ عَائِبُهُ
وهو القائل أيضاً [من السريع] :

مَا أَحْسَنَ الْغَيْرَةَ فِي حِينِهَا وَأَقْبَحَ الْغَيْرَةَ فِي كُلِّ حِينِ
مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا عَرْسُهُ مَنَاصِبًا فِيهَا لِرَيْبِ الظُّنُونِ
أَوْشَكَ أَنْ يُغْرِبَهَا بِالَّذِي يَخَافُ أَنْ يُبْرِزَهَا لِلْعِيُونِ
حَسِبَكَ مِنْ تَحْصِينِهَا وَضَعُهَا مِنْكَ إِلَى عَرَضٍ صَحِيحٍ وَدِينِ
لَا تَطْلُعُ مِنْكَ عَلَى رَيْبَةٍ فَيَتَّبِعَ الْقُرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ

٤٣ — وَلَمْ يَبْقَ مِثْلُ الشَّوْقِ غَيْرَ تَفَكُّرِي

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُبْكِي بَكَيتُ تَفَكُّرًا

مد فذكر
ال المتبنة
ال القرينة

البيت لأبي الحسن علي بن أحمد الجوهري ، من قصيدة من الطويل .

والشوق : نزاع النفس وحركة الهوى

والشاهد فيه : أن عدم حذف المفعول فيه لانتفاء القرينة لا لغرابة المفعول ،

لأن المراد بالبكاء الأول في البيت البكاء الحقيقي ، لا الفكري ، فكأنه يقول :

أفنانى الشوق فلم يبق منى غير التفكير ، فلو شئت البكاء وعصرت عيني لئسيل

دمعها لم يخرج منها دمع وخرج بدله التفكير ، فالبكاء الذى أراد إيقاع المشينة عليه

بكاء مطلق مبهم غير مُعَدَّى إلى الفكر البتة ، والبكاء الثانى مقيد مُعَدَّى إلى

التفكير فلا يصاح تفسير الأول وبياناً ، كذا قاله التفازاني نقلاً عن
دلائل الإعجاز ^(١) .
والجوهري هو ^(٢) .

شاهد حذف
المفعول لدفع
توهم غير المراد

٤٤ - وَكَمْ ذُذَّتْ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَدِيثٍ
وَسُورَةٍ أَيَّامٍ حَزَزَنْ إِلَى الْعَظَمِ

البيت للبحرئى ، من قصيدة من الطويل ، مدح أبا الصقر ^(٣) ، وأولها :

أَعْنِ سَفْعَ يَوْمِ الْإِبْرِيقِ أَمْ حَلِمَ وَ مَا يُتَذَرُ الْمَوْسُومُ بِالسَّيْبِ أَنْ بُرَى
وَقُوفٌ بِرَيْعٍ أَوْ بَكَلَاءٍ عَلَى رَسْمِ مُعَارَ لِبَاسٍ لِلتَّصَانِي وَلَا وَسْمِ
تُخْبِرُ أَيَّامِي الْحَدِيثَاتُ أَنِّي تَرَكْتُ السَّرُورَ عِنْدَ أَيَّامِي الْقُدُمِ ^(٤)
وَأَوَلَمْتُ بِالْكَتَائِنِ حَتَّى كَأَنِّي طُوِيتُ عَلَى ضِعْفٍ مِنَ الدِّينِ أَوْ وُغِمَ
فَأَنْ تَلْقَى نِضْوَ الْعِظَامِ فَانْهَا جَرِيرَةَ قَلْبِي مِنْذُ كُنْتُ عَلَى جَسْمِي
وهي طويلة ، فمنها في المديح :

كَأَنَّكَ مِنْ جِذْمٍ مِنَ النَّاسِ مُفْرَدٍ وَسَائِرُ مَنْ يَأْتِي الدَّنِيَّاتِ مِنْ جِذْمِ
كَأَنَّكَ عَدُوٌّ مُلْتَقٍ مَا تَقَارَبَتْ بِنَا الدَّارُ إِلَّا زَادَ غَرَمَكَ فِي غُنْمِي

وبعد البيت ، وبعده :

أَحَارِبُ قَوْمًا لَا أَسْرُ بِسُوءِهِمْ وَلَكِنِّي أَرْمِي مِنَ النَّاسِ مَنْ تَرْمِي

(١) اقرأ عبارة الشيخ في دلائل الإعجاز (١٢٨) عن بيت الشاهد

(٢) سقطت ترجمة الجوهري من أصول هذا الكتاب كلها

(٣) ارجع إليها في الديوان (٢ - ٣٣٦ مصر)

(٤) في الديوان * تخبرني أيامي الحداث *

والذود : الطرد والدفع . والتحامل : تكليف الأمر المشق^(١) ، يقال :
تحمال على فلان ، إذا كلفه مالا يطاق . وسورة الأيام : شدتها وصولتها
واعتداؤها . والحز : القطع
، الشاهد فيه : حنف المفعول لدفع توهم إرادة غير المراد من الكلام ابتداء
وهو هنا « اللحم » إذ لو ذكر لتوهم قبل ذكر العظم أن الحز لم ينته إليه ،
فترك دفعا لهذا التوهم .
وتقدم ذكر البحترى قريباً .

٤٥ — قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْكَ فِي السُّؤِّ دَدٍ وَالْحَمْدُ وَالْمَكَارِمُ مِثْلًا
البيت للبحترى ، من قصيدة من الخفيف ، يمدح بها المعتز لدين الله^(٢) وأولها:
إِنْ سِيرَ الْخَلِيطُ حِينَ اسْتَقْلًا كَانَ عَوْنًا لِلدَّمْعِ لَمَّا اسْتَهَلَا
فَالنَّوَى خُطَّةً مِنَ الْهَجْرِ مَا يَنْسِفُكَ يَشْجَى بِهَا الْحُبُّ وَيَبْلَى^(٣)
فَأَقْلًا فِي غُلُوةِ الْيَوْمِ إِنِّي زَائِدٌ فِي الْغَرَامِ إِنْ لَمْ تُقِلَّا
وهي طويلة ، فمنها في المديح :
لَمْ يَزَلْ حَقُّكَ الْمُقَدَّمُ يَمْحُو بِاطِلَ الْمُسْتَعَارِ حَتَّى اضْمَحَلَا
وبعد البيت ، وبعده :
أَنْتَ أَنْدَى كَفَاءً وَأَشْرَفُ أَخْلَا قَا ، وَأَزْكَى قَوْلَا ، وَأَكْرَمُ فِعْلَا
يعرض بدم المستعين .

(١) الصواب أن يقول « تكليف الأمر الشاق »

(٢) أقرأها في الديوان (٢- ١٧٩ مصر)

(٣) في الديوان « والنوى خطة »

والسودد، بالهمز : السيادة . والمجد : نيل الشرف والكرم ، ألا يكون إلا بالآباء ، والمكارم : فعل الكرم ، والمثل : الشبه .
والشاهد فيه : حذف المفعول لإرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظ المفعول ، إظهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل عاياه وترفعاً عن إيقاعه على ضميره ، وإن كان كناية عنه ، لأنه لو قال « قد طلبنا لك مثلاً » لناسب أن يقول فلم نجده ، وفيه تفويت غرض إيقاع نفي الوجدان على صريح لفظ المثل ، لكمال العناية بعدم وجدانه ، ولهذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة في قوله [من الوافر] :

ولم أمدح لأرضيهُ بشعري لئلا أن يكون أصاب مالا
فانه أعمل الفعل الأول الذي هو « أمدح » في صريح لفظ اللثيم ، لا الثاني الذي هو « أرضى » ، إذ كان غرضه إيقاع نفي المدح على اللثيم صريحاً ، دون الارضاء

ويجوز أن يكون سبب حذف المفعول : ترك مواجهة الممدوح بطلب مثل له بمالقة في التأدب ، إذ التصريح بطلب المثل يُجَوِّز وجوده ، لأن طاب العاقل معنى عليه .



شواهد القصر

٤٥ — أَنَا الَّذِ أَتَدُّ الْحَامِي الذُّمَّارَ وَإِنَّمَا يَدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي

البيت للفردق ، من قصيدة من الطويل ، وسببها أن نساء بني مجاشع بلغن حُشْ جريير بن ، فَأَتَيْنَ الفردق وهو مقيد ، وقد تقدم في ترجمته أنه قيد نفسه لحفظ القرآن ، فقلن : قبح الله قيدك ، وقد هتك جريير عورات نسائك فلجبت شاعر قوم ، فأحفظنه ، فك القيد ، وقال ^(١) :

أَلَا اسْتَهْزَأْتُ مِنِّي سُوَيْدَةَ إِذْ رَأَتْ أُسِيرًا يَدَانِي خُطُوهُ حَلَقُ الْجَهْلِ ^(٢)
 وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ الْوُثَاقَ أَشَدُّهُ إِلَى النَّارِ قَالَتْ لِي مَقَالَةٌ ذِي عَقْلِ
 لَعَمْرِي لَنْ قَيَّدْتُ نَفْسِي لِطَالِمَا سَعَيْتُ وَأَوْضَعْتُ الْمِطْيَةَ فِي الْجَهْلِ ^(٣)
 ثَلَاثِينَ عَامًا مَا أَرَى مِنْ عِمَايَةِ إِذَا بَرَقَتْ إِلَّا أَشَدُّ لَهَا رَحْلِي ^(٤)
 أَتَنَى أَحَادِيثُ الْبَيْثِ وَدُونَهُ زُرُودَ فَشَامَاتِ الْعَقِيقِ مِنَ الرَّمْلِ ^(٥)
 قُلْتُ : أَظُنُّ ابْنَ الْخَبِيثَةِ أَتْنَى غَفَلْتُ عَنِ الرَّامِي الْكِنَانَةَ بِالنَّبْلِ ^(٦)
 فَإِنَّ يَكُ قَيْدِي كَانَ نَذْرًا نَذَرْتُهُ فَمَا لِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي مِنْ شَغْلٍ ^(٧)
 وبعده البيت ، وبعده :

(١) اقرأها في الديوان (٧١١ مصر)

(٢) يروى «ألا هزئت مني هنيذة» وهنيذة : اسم امرأة ، وفي الديوان « أن رأته »

(٣) في الديوان « وأوضعت المِطْيَةَ للجهل »

(٤) في الديوان « إلا شددت لها رحلي »

(٥) في الديوان « فشامات الشقيق إلى الرمل »

(٦) في الديوان « شغلت عن الرامي »

(٧) في الديوان « فما لي عن أحساب قومي »

ولو ضاع ما قالوا ازرع مثا وجدتهم شحاحاً على الغالى من الحسب الجزل
وهى طويلة .

والذمار - بكسر المعجمة - ما يلزمك حفظه وحمايته . والأحساب : جمع
حَسَب ، وهو ما يُعد من مفاخر الآباء ، أو هو المال أو الدين ، أو الكرم أو الشرف
فى الفعل ، أو الشرف الثابت فى الآباء ، وقد يكون الحسب والكرم لمن لا آباء
له شرفاء ، بخلاف المجد كما تقدم .

ومثل قول الفرزدق قول عمرو بن معدى كرب [من السريع] :

قد علمت سلمى وجاراتها ما قَطَرَ الفارس إلا أنا

والشاهد فيه : صحة انفصال الضمير مع « إنما » إلا أنه لما كان غرضه
أن يخص المدافع لا المدافع عنه فصل الضمير ، وهو « أنا » ، وأخره إذ لو قال
وإنما أذاع عن أحسابهم ، لصارت المدافعة مقصورة على أحسابهم دون غيرها ،
وليس هذا معناه ، بل معناه أن المدافع عن أحسابهم هو لا غيره .

وجري^(١) هو ابن: عطية بن الخطافي، وهو لقبه، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة^(٢) بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مرة، ينتهي نسبه لزار، ويكنى أبا حزرّة بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الراء وبمدها هاء ساكنة، وهي المرة الواحدة من الحزر وهو والفزرق والأخطل المقدمون على شعراء الاسلام الذين لم يدرّكوا الجاهلية جميعاً، ومختلف في أيهم المقدم، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فاقضح وسقط

وكان أبو عمرو يشبه جرياً بالأعشى، والفزرق بزهير، والأخطل بالنابغة وقد حكم مروان بن أبي حفصة بين الثلاثة بقوله [من الكامل] :
 ذهب الفزرقُ بالفخار، وإنما حلّو الكلام ومروه لجري
 ولقد هجافاً ضاً أخطلُ تغلبِ وحوى اللهى بمدحه المشهور^(١)
 كلُّ الثلاثة قد أبرّ بمدحه وهجاؤه قد سارَ كلٌّ مسيرٍ
 فهو كما نراه حكم للفزرق بالفخار، وللأخطل بالمدح والهجاء، وبجميع فنون الشعر لجري.

وقال أبو العلاء بن جرير العنبري، وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يحمي الأخطل سابقاً فهر سُكِّتُ، والفزرق لا يحمي سابقاً ولا سكيناً، وجري يحمي سابقاً ومصلياً وسكيناً
 وحدث مولى لبني هاشم قال: امترى أهل المجلس في جرير والفزرق أيهما

(١) نجد ترجمة جرير في الأغاني (٧ : ٣٨ - ٧٧) وفي الشعراء لابن قتيبة (٢٨٣)

(٢) في الأصل « بن سلم » وأثبتنا ما في الأغاني
 (٣) اللهبي : المطايا.

أشعر ، فدخلت على الفرزدق فما سألتني عن شيء حتى نادى : يا نَوَّار ، أدركت برينتك يا نوار ؟ قالت : قد فعلت أوكدت ، قال : فابغى بدمهم فاشترى لهما ، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل ، ثم قال : هات برينتك ، فشرب قدحاً ثم ناولني ، وشرب آخر ثم ناولني ، ثم قال : هات حاجتك يا ابن أخي ، فأخبرته ، فقال : أعز ابن الخطيئ تسألني ؟ ثم تنفس حتى انشقت حيازيمه ، ثم قال : قتله الله فما أحسن نأجيته ^(١) ، وأشرد قافيته ، والله لو تركوه لأبكي العجوز على شبابه ، والشابة على أحبابها ، ولكنهم هرَّوه فوجدوه عند الهراش نأجيا ، وعند الجد قادحا ، ولقد قال بيتا لأن أكون قلته أحبُّ إلى مما طلعت عليه الشمس ، وهو [من الوافر] :

إذا غضبت عليك بنو تميم لقيت القوم كلهم غضابا ^(٢)
وقال إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدم علينا جرير المدينة ، فحشدنا له ، فبينما نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته ، فجاء الأصوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام آبنا ، ما تريد منه ؟ قال : أخزيه ، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف ، فأقبل جرير علينا ، وقال : من الرجل ؟ قلنا : الأصوص بن محمد بن عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ، قال : هذا الخبيث بن الغليب ، ثم أقبل عليه فقال : قد قلت [من الطويل] :

يقر بعني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرَّت
فانه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر ، أفقر ذلك بعينك ؟ قال :
وكان الأصوص يرمي بالأبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكة

(١) في الأغاني « فأأخشن نأجيته » ولعله محرف عما هنا ، ونأجيته :
مناجاته يريد أن غزله عذب مستحسن
(٢) المحفوظ * رأيت القوم كلهم غضابا *

٤٦ - * أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِي *

قائله امرؤ القيس بن حجرٍ السكندی ، من قصيدته المشهورة السابقة في شواهد المقدمة ، وقيله :

وليل كوج البحر أرخى سدوله على بأنواع المومر ليتلى
قتلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً وناه بكلكل
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِي بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يذبُل
والاصباح : الصبح ، وهو الفجر أو أول النهار . والانجلاء : الانكشاف ،
ومعناه أنه تمى زوال ظلام الليل بضياء الصبح ، ثم قال : وليس الصبح بأمثل
منك عندى ، لاستوائهما في مقاساة المومر ، أو لأن نهاره يُظلم في عينه لتوارد
المومر ، فليس الغرض طلب الانجلاء من الليل ، لأنه لا يقدر عليه ، لكنه
يتمناه تخلصاً مما يعرض له فيه ولا استطالته تلك الليلة كأنه لا يرتقب انجلاءها
ولا يتوقها ، فلها يحمل على التمنى دون الترجى .
والشاهد فيه : استعمال صيغة الأمر للتمنى .

وقد أخذ الطرمح هذا البيت وغير قافيته ، فقال [من الطويل] :
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَصْبِحْ بيوم وما الاصباح منك بأزوح
وما أحسن قول أبي العلاء المعرى في طول الليل [من الطويل] :
وليئين حال بالكواكب جوزه وآخر من حلى الكواكب عاطل
كأن دجاء الهجر والفجر موعده بوصل وضوء الصبح حب مامل
دطت به بجرأ يعب عبابه وليس له إلا التبليج ساحل
والوآء الدمشقي فيه أيضاً [من مخلع البسيط] :

بارى طول
الليل

أَطَالَ لَيْلُ الصُّدُودِ حَتَّى أَتَيْتُ مِنْ غُرَّةِ الصَّبَاحِ
كَأَنَّهُ إِذْ دَجَا غَرَابٌ قَدْ حَصَّنَ الْأَرْضَ بِالْجَنَاحِ

وما أحسن قول الخطيرى [من البسيط]:

شَابَتْ ذَوَائِبُ صَبْرِي يَا مُعَذِّبِي فِي لَيْلَتِي وَعِذَارُ الْأَيْلِ لَمْ يَشْبِرْ
وَدُونَ صُبْحِي سِتْرٌ مِنْ زُمُرَةٍ مُسْمَرٌ بِمَسَامِيرٍ مِنَ الذَّهَبِ

ولبعضهم فيه من قصيدة وأحسن ما شاء [من الطويل]:

تَرَاهُ كَلَّكَ الزَّيْجُ مِنْ فَرْطِ كُفْرِهِ إِذَا رَامَ مَشْيًا فِي تَبَخُّرِهِ أَنْطَا
مُطْلَأًا عَلَى الْأَفَاقِ وَالْبَدْرِ تَاجُهُ وَقَدْ عُلِقَ الْجُزَاءُ فِي أَذُنِهِ قُرْطَا

ولشرف الدين بن منقذ فيه أيضاً [من الكامل]:

وَلَرُبَّ لَيْلٍ تَاهَ فِيهِ نَجْمُهُ فَقَطَعْتُهُ سَهْرًا فَطَالَ وَعَسَمَا
وَسَالَتْهُ عَنْ صُبْحِهِ فَأَجَابَنِي لَوْ كَانَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ تَنْفَسَا

ومثله قول الآخر [من المجث]:

مَاتَ الصَّبَاحُ بِلَيْلٍ أَحْبَبْتُهُ حِينَ عَسَمَسَ
لَوْ كَانَ لِلَّيْلِ صُبْحٌ يَمِيشُ كَانَ تَنْفَسُ

ولابن منقذ أيضاً [من الكامل]:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّجْمَ سَاهٍ طَرَفُهُ وَالْقَطْبُ قَدْ أَلْقَى عَلَيْهِ سُبَاتَا
وَبَنَاتُ نَفْسِي فِي الْحَدَادِ سَرَاوِرًا أَيْقَنْتُ أَنَّ صَبَاحَهُمْ قَدْ مَاتَا

وللواواء الدمشقي [من الوافر]:

وَلَيْلٌ مِثْلُ يَوْمِ الْبَيْنِ طَوْلًا إِذَا أَوَّلَتْ كَوَاكِبَهُ تَمُودُ
بِدَائِعِ نَوْمِهَا فِيهِ اتِّبَاهُ فَأَعْيُهَا مُنْتَحَةً رُقُودُ

وله أيضاً [من الوافر]:

وليل مثل يوم الحشر طويلاً كأنَّ غلامَهُ لَوْ أَنَّ الصَّدُودِ
 بياضُ هلاله فَبِو سَوَادُ كَثُرَ الظُّلُمُ فِي يَمَقِّ الخُفُودِ
 وما أحسن اعتذار الأَرَجَانِي عن طول الليل [من الكامل] :

لَا أَدْعِي جُورَ الزَّمانِ وَلَا أَرَى لِيلى يَزِيدُ عَلَى اليَسَالِ طُولاً
 لَكِنَّ مَرَاةَ الصَّبَاحِ تَنْفُسِي لَهُمْ أَصْداً وَجَنِّهاً المَصْغُولاً
 وقد أخذته من قول علي بن هشام [من السريع] :

لَا أَظْلُمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي أَنَّ نَجْمَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَقُورُ
 لَيْلى كَمَا شامتُ ، فَانْ لَمْ تَجُدْ طَالاً ، وَإِنْ جادتْ فَلَيْلى قَصِيرُ
 وهو من قول علي بن الخليل [من السريع] :

لَا أَظْلُمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي أَنَّ نَجْمَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَزُولُ
 لَيْلى كَمَا شامتُ قَصِيرُ إِذَا جادتْ ، فَانْ صَدَّتْ فَلَيْلى يَطُولُ
 وأورد ابن الصولي لابن الخليل أيضاً قوله [من الطويل] :

يَقُولُونَ طَالَ اللَّيْلُ وَاللَّيْلُ لَمْ يَطْلُ وَلَكِنْ مَنْ يَهْوَى مِنَ الشُّوقِ يَسْهُرُ
 أَفْأَمْ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَهَّدَ مَضْجِي وَأَقْبَدَ نَوْمِي حِينَ أَجْعَى وَأَهْجُرُ
 فَكَمْ لَيْلَةٍ طَالَتْ عَلَى لِسْداها وَأُخْرَى الْأَقْبَا بِوَصْلِ فَتَقْصُرُ

وفي معناه قول الأديب الحراني [من البسيط] :

جاءتْ تُسألُ عَنْ لَيْلى فَقلتُ لها وَسُورَةُ المِمْ تَمَحُو سِيرَةَ الجَلْدِ
 لَيْلى بِكَيْفِكَ فَأَغْنِي عَنْ سُؤالي إِنَّ بِنْتَ طالٍ وَإِنْ وَأَصْلَتْ لَمْ يَطْلُ

وقول بعض المتأخرين [من البسيط] :

لَيْلى وَلَيْلى نَفَى نَوْمِي خِلَافَها حَتَّى لَقَدْ صَيَّرَ آتِي فِي المَوْى مَثَلاً
 يَجُودُ بِالطَّوْلِ لَيْلى كَلَّما بَحَلَتْ بِالطَّوْلِ لَيْلى وَإِنْ جادتْ بِهِ بَحَلَتْ

وقول ابن أبي حنينة [من البسيط] :

يَا لَيْلُ مَا طَلَّتْ عَمَّا كُنْتُ أَغْرِفُهُ وَتَمَا طَلَّ بَنِي فَيْكَ الْيَرَى أَجْرُهُ

وما أحسن قول بعضهم فيه [من البسيط] :

سَهْرَتُ لَيْلَاتٍ وَصَلَى فَرَحَهُ يَتِيمُ وَلَيْلَةُ الْمُهْجِرِ كَمَا قَضَيْنَاهَا سَهْرًا

إِذَا تَقَفَّتْ زَمَانِي كُلُّهُ سَهْرًا فَأَبَالِي أَطْلَالَ الْقِيلُ أَمْ قَصْرًا

ومثله قول الآخر [من المنسرح] :

فِي الْمُهْجِرِ وَالْوَصْلِ مَا تَذُوقُ كَرْزِي عَيْنِي فَا يَنْقُضُ تَشَهُدَهَا

فَلَيْلَةُ الْمُهْجِرِ لَا رُقَادَ بِهَا وَلَيْلَةُ الْوَصْلِ كَيْفَ أَرْضُهَا

وقول أبي الحسن البصري [من المتقارب] :

وَلَا تَمَرَّضَ لِي زَائِرًا وَمَا كَانَ عِنْدِي لَهُ مَوْعِدُ

سَهْرَتِ اغْتِنَمًا لِقِيلِ الْوَصْلِ لِيْلِي بِهِ أَنَّهُ يَنْفَدُ

صَلَاً وَقَدْ رَقَّ لِي قَلْبُهُ وَأَيْقَنَ أَنِّي بِهِ مَكْدُ

إِذَا كُنْتُ تَسْهَرُ لَيْلَ الْوَصْلِ وَلَيْلَ النَّوَى فَتَى تَرْقُدُ

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى ، وفيها أوردته مقنن.

قال : فوثب إلى أبي ليضر بنى ، وعدّوت من بين يديه ، فجعل يشتمني وأصحابه يضحكون

رجع إلى بقية أخبار جرير

حدث أبو العراف قال : قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بهجرين البصرة : اثقباني بلباس أيبكا في الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج وانظر وقعد في قبة ، وشاور جرير دُهّة بنى يربوع ، فقالوا له : ما لاسر أبائنا إلا الحديد فلبس جرير درعا وتقلد سيفا وأخذ رمحا وركب فرسا لبنا بن الحصين يقال له المنحاز ، وأقبل في أربعين فارساً من بنى يربوع ، وجاء الفرزدق في هيئته ، فقال جرير [من الطويل] :

ليست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كُرُجٍ وجلجلة^(١)

أعدّ مع الحلى المَلَّابَ فأنمنا جرير لكم بعل وأنتم حلائله^(٢)

ثم رجعا ، فوقف جرير في مقبرة بنى حصن ، ووقف الفرزدق في المربد

وأمي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده ، فقال [من الكامل] :

مات الفرزدق بعدما جدعته ليت الفرزدق كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئس لعمر الله ما قلت في ابن عمك ! أنهجو ميتاً أما والله

لو دئبته لكنت أكرم العرب وأشعرها ، فقال : إن رأى الأمير أن يكتنمها على

فاتها سوءة ، ثم قال من وقته البيتين السابقين في ترجمة الفرزدق في شواهد

المقدمة ، ثم بكى ، وقال : أما والله إنى لأعلم أنى قليل البقاء بعده ، ولقد كان

نجبنا واحداً ، وكل واحد منا مشغول بصاحبه ، وقلما مات ضد أو صديق إلا

تبعة صاحبه ، فكان كذلك ، مات بعد سنة

(١) كرج - بزنة سكر - لعبة كهيئة المهر ، ووقع في الأصل « كرجى

وخلاخله » وأثبتنا ما في النقائض واللسان (كرج)

(٢) في النقائض « اعدوا مع الحلى »

قال ابن الجوزي : مات سنة إحدى عشرة ومائة ، وكانت وفاته بالجملة ،
وعمرُ نيفا وثمانين سنة ، وقال ابن قتيبة في المعارف : إن أمه حملت به
سبعة أشهر .



من شواهد
الاستخدام

١٢٣ — فَسَى الْفَضَا وَالسَّكِينَةِ وَإِنْ مُ

شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ

البيت للبحتري ، وهكذا هو في ديوانه — وإن كان في كثير من نسخ
التلخيص ، بل وفي كثير من كتب هذا الفن بلفظ (١) « بين جوانحي
وضلوعي » — وهو من قصيدة من الكامل أولها (٢)

كم بالسكينة من اعتراض كئيب وقوام غصن في الثياب رطيب
تأبى المنازل أن تجيب ومن جوى يوم الديار دعوت غير مجيب
وبعد البيت ، وهي طويلة

والفضا : شجر معروف ، واحده غصاة ، وأرض غصيانة : كثيرته
والشاهد فيه : الاستخدام أيضاً ، فإنه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى
الفضا وهو المجرور في الساكنية المكان وهو أرض لبني كلاب وواد بنجد ،
وبالآخر وهو المنسوب في شبهه النار أى أوقدوا في جوانحي نار الفضاء يعنى نار
الهمى التى تشبه نار الفضاء ، وخص الفضاء دون غيره لأن جره بطل الانطفاء
وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الفضاء فقال ابن أبي حصينة [من الطويل]:

(١) وكذلك هو في خزنة الأدب لابن حجة [٦٦]

(٢) اقرأها في ديوان البحتري (١ - ٥٧) وبين البيتين اللذين أنفسهما
المؤلف من أولها في الديوان بيتان آخران ، وبعدهما قبل البيت الممتنع
بيتان أيضاً ، ورواية بيت الشاهد في الديوان * فسى الفضاء والنارلية . . .

ما أخذ على أبي تمام

٤٧ - لا والذي هو عالم أن النوى مرُّ وأن أبا الحسين كرمُ البيت يُدعى تمام^(١) الطائي، من قصيدة من السكامل، يمدح بها أبا الحسين محمد بن المهيم، وأولها^(٢) :

أَسْتَقِي طُلُوعَهُمْ أَجْسُؤُ هَزِيمُ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَلَقِيمُ
جَادَتْ مَعَادَهُمْ عَهَادُ سَحَابَةٍ مَا عَهْدُهَا عِنْدَ الدِّيَارِ دَمِيمُ
سَعَى الْفِرَاقُ عَلَيْكَ يَوْمَ تَحَمَّلُوا رُبَّمَا أَرَاهُ وَهُوَ عَمَنِكَ حَلِيمُ^(٣)
ظَلَمْتُكَ ظِلْمَ الْبَرِيءِ ظُلُومُ وَالظَّلْمُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ مَنْمُومُ
رَزَعَتْ هَوَاكَ عَنَا الْغَدَاةَ كَمَا عَفَا مِنْهَا طُلُوعُ بِاللَّوَى وَرِسُومُ^(٤)
لا والذي هو عالم البيت ، وبعده :

مَا حَلَّتْ عَنْ سِنَنِ الْوَفَاءِ لَا غَتَ نَفْسِي عَلَى إِلْفٍ سَوَاكِ تَعُومُ^(٥)
والنوى : الفراق .

والشاهد فيه : أن شرط عطف جملة على جملة أن يكون بينهما جهة خاصة^(٦) ولا كذلك في هذا البيت ، إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى ، سواء كان نواه أو نوى غيره ، فهذا العطف غير مقبول ، سواء جعل عطف مفرد على مفرد كما هو الظاهر ، أو عطف جملة على جملة باعتبار وقوعه موضع مفعولى العلم لأن وجود الجامع شرط فيهما ، ولهذا عيب على أبي تمام كما سيأتى في حسن التلخيص إن شاء الله تعالى .

(١) وهو من شواهد الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز (ص ١٧٣)

(٢) اقرأها في الديوان (٢٩٩)

(٣) في الديوان « يوم رحيلهم » في مكان « يوم تحملوا »

(٤) في الديوان « كما عفت »

(٥) في الديوان « ما زلت عن سنن الوداد »

(٦) كذا في الأصول ، ولعل الأحدثين « جهة جامعة »

٤٨ — * وَقَالَ رَائِدُهُمْ أَرْسُوا نَزَاوِلَهَا *

حامد لمتناع
الطبيب لاختلف
المجتهد خبراً
وإنشاء

هو من البسيط ، وقائله الأخطل ، كذا ذكره سيبويه ، وليس هو في (١) ديوانه ، وتماثله :

* وَكَلَى حَتَفٍ أَمْرِي دِيحْرِي بِمَقْدَارِ *

وبعده :

إما نموت كراماً أو نفوز بها فواحد الدهر من كدٍ وأسفار
والرائد : المرسلُ في طلب الكلاء . وأرسوا — بقطع الهزمة — من
رست السفينة ترسورسوا ورُسوا إذا وقتت على الأنجر مُرَبَّ لَنَكِرْ ، وهو مِرْسَاة
السفينة ، وهي خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب فتصير كصخرة إذا رست
رست السفينة ، أو هو من «رست أقدامهم في الحرب» فَيُثَبَّت . ونزاوها : من
الزواولة وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشيء ، والضمير للسفينة ، وقيل :
للحرب ، وقيل : للخمر وهو لا يناسب ظاهر البيت الذي بعده .
والشاهد في قوله « نزاوها » فانه فصله عن قوله « أرسوا » لأن الأول أمر
والثاني خبر ، فامتنع العطف بينهما لاختلافهما خبراً وطلباً ، لفظاً ومعنى .
ومن هذا الضرب قول الزبيدي أو إبراهيم بن المدبر (٢) [من السريع] :
ملكته حبلً ولكنهُ أَلَقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِي

- (١) بحثت ديوان الأخطل المطبوع في بيروت فلم أجد هذين البيتين فيه
(٢) في المطبوعتين « ابن المدائني » وقد نسب الشيخ عبدالقاهر في دلائل
الاعجاز (١٨٣) هذين البيتين إلى الزبيدي ، ويوجد بهامش مطبوعة بولاق
مانصه « قوله إبراهيم بن المدائني ، هكذا في بعض النسخ ، وفي بعضها
إبراهيم ابن المدبر ، وفي بعضها المدبر بن إبراهيم » اهـ ، وهما في الألفاظ
(١٩-١١٩) منسوبان إلى إبراهيم بن المدبر في قصة

وقال: إني في الهوى كاذبٌ، انتقمَ اللهُ من الكاذبِ!
وحمله الشيخ عبد القاهر على الاستئناف بتقدير قلت، قال الشيرازي:
وهو أنسب بالمقام.

والأخطل^(١) هو: غياث^(٢) بن غوث بن الصلت^(٣) بن الطارقة، ينتمي
نسبه لتغلب، ويكنى أبا مالك، والأخطل لقبه، عن أبي عبيدة أن السبب
فيه أنه هجار رجلاً من قومه، فقال له: يا غلام، إنك لأخطل، والأخطل:
السفيه، وكان نصرانياً من أهل الجزيرة، وحمله في الشعر أكبر من أن يحتاج
إلى وصف، وهو جرير والفرزدق طبقة واحدة، جعلها ابن سلام أول طبقات
الاسلام، ولم يقع إجماعٌ على أحدهم أنه أفضلهم، ولكل واحد منهم عصبية
تفضله على الجماعة.

وقال أبو عمرو: لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدّمتُ
عليه أحداً.

وقال الأصمى: إنما أدرك جرير الأخطل، وهو شيخ قد تحطم، وكان
الأخطل أسنّ من جرير، وكان أبو عبيدة يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره،
وكان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق، فقال له الفرزدق: إنما تفضله
لأنه فاسق مثلك، فقال: لو فضلته بالفسق لفضلتك، وقال الأخطل لعبد الملك
ابن مروان: يا أمير المؤمنين، زعم ابن المراغة—يعني جريراً—أنه يبلغ مدحتك
في ثلاثة أيام، وقد أفت في مدحتك:

-
- (١) تحيد ترجمة الأخطل في الأغاني (٧-١٦٩) وفي الشعراء لابن فتيبة
(٣٠١-٣١٢) وفي خزانة الأدب للبغدادى
(٢) ويقال: اسمه غويث بن غوث
(٣) قال المدائني: غياث بن غوث بن مسleme بن طارقة، وذكره في الأغاني

* خف القطين فراحوا منك أو بكرُوا (١)

سنة فدا بلغت ما أردت ، فقال عبد الملك : أضعفها يا أخطأ ، فلما أنشدها قال له عبد الملك : أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب ؟ قال : أكتفي بقول أمير المؤمنين ، وأمر له بمحنة كانت بين يديه ، فخلت له درام ، وألقيت عليه خلع ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس وهو يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرب .

وأنشد لعبد الملك قول كثير فيه [من الطويل] :

فما تركوها عنوة عن مودة ولكن بمجد المشرقي استقالها (٢)

فأنجب به ، فقال له الأخطأ : ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن

منه ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت [من الطويل] :

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالى لك لا طريف ولا غضب (٣)

جعله لك حقا ، وجعله لك غضبا ، قال : صدقت .

وأصبح عبد الملك يوماً في غداة باردة ، فتمثل بقول الأخطأ ،

[من الوافر] :

(١) هذا صدر المطمع ، وعجزه قوله : * وأزعجتهم نوى في صرفها غير

وعدها أربعة وثمانون بيتا ، وقرأها ابن شئت في الديوان (٩٨)

(٢) هكذا وقع هذا البيت في أصول الكتاب وفي الأغاني ، ووقع في الديوان (٢ - ٥٣) « فما أسلموها عنوة » عنوة ههنا بمعنى الطوعية ، قال ابن السكيت : العنوة بلغة أهل الحجاز وهم خزاعة وهذا : الطوع . اهـ .

(٣) أهلوا من الشهر الحرام : معناه أنهم خرجوا في استهلاله ، ومسوا ملك : يريد به أنهم يوالونه ، ولا طريف : ليس بمستحدث ولكنه موروث عن الآباء ، ولا غضب : معناه أنه لم يأخذ الخلافة اغتصابا ، وإنما أخذها بالاستحقاق . وانظر هذا البيت في الديوان (٢٤) أثناء قصيدة عدتها أربعة وخمسون بيتا ، ومطلعها قوله :

لمعري لقد أسريت لاليل عاجز بساهمة الخدين طاوية القرب

إذا اصْطَبَحَ الفَتَى منها ثلاثاً بغير الماء حاولَ أن يطولاً
مشى قرشيّة لا شكّ فيها وأرْخى من مآزِرِهِ فُضُولاً
ثم قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ السَّاعَةَ محلل الأزار ، مستقبلاً للشمس في حانوت
من حوانيت دمشق ، ثم بعث رجلاً يطلبه ، فوجده كذلك .

وقدم الأخطل مرة على عبد الملك بن مروان ، فنزل على سرجون^(١) كاتبه ،
فقال له : على من نزلت ؟ فأخبره ، فقال له : قاتلك الله ! ما أخبرك بصالح
المنازل ، فما تريد أن تنزلك ؟ قال : في درمك من درمكم هذا ، ولحم وخمر
من بيت رأس ، فضحك عبد الملك وقال : ويلك ! وعلى أي شيء اقتتلنا إلا على
هذا ؟ ثم قال له : ألا تسلم فنغرض لك ألفين في عطائك وتوصل بعشرة آلاف
درهم ؟ قال : فكيف بالخر ؟ قال : وما تصنع بها وإن أولاً لمْ وإن آخرها لسكر ،
قال : أما إن قلت ذاك فإن بينهما لمزلة ما ملّكك فيها إلا كلمعة من ماء الفرات
بالاصبع ، فضحك عبد الملك ، ثم قال : ألا تزور الحجاج فانه كتب يستزيرك ؟
فقال : أطاع أم كاره ؟ قال : بل طائع ، قال : ما كنت لأختار نواله على نواك ،
ولا قوبه على قربك ، إني إذاً لكما قال الشاعر [من الوافر] :

كَبُتَّاعٍ لِمُرْكَبِهِ حِمَارًا يَغْيِرُهُ مِنَ الْفَرَسِ الْكَرِيمِ^(٢)
فَأَمَرَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَمٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْلِحَ الْحِجَاجَ ، فَلَمَحَ قَبْلَهُ
[من الكامل] :

(١) في الأصول «ابن سرجون» وفي الأغاني «ابن سرجون» بالهاء المهملة
والذين عدم الجهمياري من كتاب عبد الملك : روح بن زنباع ، وربيعة الجرشي ،
وسرجون بن منصور النصراني ، وهذا هو المقصود في القصة ، لا جدم
أسقطنا كلمة «ابن»

(٢) روى هذا البيت في الأغاني :
كَبُتَّاعٍ لِمُرْكَبِهِ حِمَارًا تَخْيِرُهُ عَنِ الْفَرَسِ الْكَرِيمِ

صَرَمْتُ حَيْالَكَ ذَيْنَبَ وَرَعُومُ وَبَدَأَ الْجَمْجَمُ مِنْهَا الْمَكْنُومُ
وَوَجَّهَ بِالقَصِيْدَةِ مع ابنه إليه .

ودخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعي الشاعر ، فقال له بشر :
أأنت أشعر أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم ، فقال للراعي : ما تقول ؟ فقال :
أما أشعر مني فمسي ، وأما أكرم مني فإن كان في أمهاته من ولدت مثل الأمير فتم ،
فلما خرج الأخطل قال له رجل : أقول لخال الأمير أنا أكرم منك ؟ فقال :
وبحك ! إن أبا نسطوس قد وضع في رأسي أكوساً ثلاثاً ، والله لأأقلل معها .
وحدث قحافة المروئي^(١) قال : دخل الأخطل على عبد الملك ، فاستنشه ،
فقال : قد ببس حلقي فر من يسقيني ، فقال : اسقوه ماء ، فقال : هو شراب
الحار ، وهو عندنا كثير ، قال : فاسقوه لبناً ، قال : عن اللبن فطمت ، قال :
فاسقوه عسلاً ، قال : شراب المريض ، قال : فتريد ماذا ؟ قال : خراً يا أمير
المؤمنين ، قال : أو عهدتني أسقى الخمر ؟ لا أم لك ! لولا حرمتك بنا لفعلت
وفعلت ، فخرج فلقى فراشاً لعبد الملك ، فقال : ويلك ! إن أمير المؤمنين
استنشدني وقد صحل^(٢) صوتي فاسقني شربة خمر ، فسقاه رطلاً ، فقال : اعدله
بآخر ، فسقاه رطلاً آخر ، فقال : تركتهما يعتركان في بطي ، فاسقني ثالثاً ،
فسقاه ثالثاً ، فقال : تركتني أمشي على واحدة ، اعدل ميلي برابع ، فسقاه رابعاً ،
فسخل على عبد الملك فأنشده :

* خَفَّ الْقَطِينُ فَرَا حُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا *

فقال : لا ، بل منك ، وَطَيَّرَ من قوله ، قال : ومرو في القصيدة حتى بلغ
إلى قوله [من البسيط] :

(١) في الأغاني « أبو قحافة المروئي »

(٢) صحل : يصحل — من باب طرب — أي يح

تُخَمْسُ العِدَاةَ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسَ أَحْلَامًا إِذَا قَدَّرُوا

قَتَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ: خَذَ بِيَدَيْهِ يَا غُلَامَ فَأَخْرَجَهُ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِ مِنَ الخَلْعِ مَا يَنْصُرُهُ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ شَاعِرًا، وَإِنَّ شَاعِرَ بَنِي أُمَيَّةِ الْأَخْطَلِ وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الْمَلِكِ: كَانَتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ إِذَا تَشَاجَرَتْ فِي شَيْءٍ رَضِيَتْ بِالْأَخْطَلِ، وَكَانَ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَقُومُونَ إِلَيْهِ، وَرَأَيْتُهُ بِالْجَزِيرَةِ وَقَدْ شَكَى إِلَى الْقَسِ وَقَدْ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ وَهُوَ يَصِيءُ كَمَا يَصِيءُ الْفَرَخُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ هَذَا مِمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ بِالْكُوفَةِ؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِذَا جَاءَ الدِّينَ ذَلَّلْنَا

وَحَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَطْلَبِي^(١) قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌّ مَعَ أَبِي فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كُنَائِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا، فَدَخَلْتُ كَنِيسَةً دِمَشْقَ فَإِذَا الْأَخْطَلُ فِيهَا مَحْبُوسٌ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَأَخْبَرَ بِنَسَبِي، فَقَالَ: يَافَتَى إِنَّكَ رَجُلٌ شَرِيفٌ وَأَنَا أَسْأَلُكَ حَاجَةً، فَقُلْتُ: حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ، فَقَالَ: إِنَّ الْقَسَّ قَدِجَسَنِي هُنَا فَتَكَلِّمُهُ لِيَخْلِيَ عَنِّي، فَأَتَيْتُ الْقَسَّ فَانْتَسَبْتُ لَهُ فَرَحَّبَ بِي وَعَظَّمُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ فَقُلْتُ: الْأَخْطَلُ تَخْلِي عَنْهُ، فَقَالَ: أَعَيْنَكَ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا، فَإِنْ مَثَلَكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ فَانْهَ فَاثِقُ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ وَيَهْجُوهُمْ، فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَتَكْنًا عَلَى عَصَاهُ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ لَهُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَتَعُدُّ تَشْتُمُ النَّاسَ وَتَهْجُوهُمْ وَتَقْنِفُ الْمُحْصَنَاتِ؟ وَهُوَ يَقُولُ: لَسْتُ بِعَائِدٍ، وَلَا أَفْعَلُ، وَیَسْتَحْزِي لِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مَالِكٍ، النَّاسُ يَهْجُونَكَ، وَالْخَلِيفَةُ يَكْرَهُكَ، وَقَدْرُكَ فِي النَّاسِ رَفِيعٌ، وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا الْخُضُوعِ وَتَسْتَحْزِي لِي قَالَ: لِفَعْلٍ يَقُولُ لِي: إِنَّهُ الدِّينُ.

وَحَدَّثَ الْهَيْثَمُ قَالَ: كَانَتْ امْرَأَةُ الْأَخْطَلِ حَامِلًا، وَكَانَ مَتَمَسِّكًا بِدِينِهِ، فَمَرَّ

(١) ذَكَرَ فِي الْأَغَانِي نَسَبَهُ وَأَنَّهُ: إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ

به الأسقف يوما فقال لها: الحقية تفسحى به ، فعدت وراءه فلم تلتحق إلا ذنب حماره فتمسحت به ، ورجعت فأخبرته ، فقال لها : هو وذنب حماره سواء .

وسمع هشام الأخطل ، وهو يقول [من الكامل] .

وإذا افترت إلى الذخائر لم تجد ذخرًا يكون كصالح الأعمال

فقال له : هنيا لك يا أبا مالك ، هذا الاسلام ، فقال له : يا أمير المؤمنين ،

ما زلت مسلما في ديني .

وحدث أبو عبد العزيز قال : خرج الفرزدق يوما يؤم ^(١) بعض ملوك بني

أمية ، فرفع له في طريقه بيت أحمر من آدم ، فدنا منه وسأل ، فقيل له : الأخطل ،

فاستقرى ^(٢) فقيل له : انزل ، فقام إليه الأخطل وهو لا يعرف إلا أنه ضيف ،

فجلسا يتحدثان ، فقال له الأخطل : ممن الرجل ؟ قال : من تميم ، قال : فأنت

إذن من رهط أخي الفرزدق ، فهل تحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم كثيرا ، فما

زالا يتناشدا ، وبموجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق ، إلى أن عمل فيه

الشراب ، وقد كان الأخطل قال له قبل ذلك : أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن

تشربوا من شرابنا ، فقال الفرزدق [من المجث] :

خَفَضُ عَلَيْكَ قَلِيلًا وَهَاتِ لِي مِنْ شَرَابِكَ

فلما عملت الزجاج فيه قال : والله أنا الذي أقول في جرير ، وأنشده ، فقام

الأخطل وقبل رأسه وقال : لاجزاك الله عنى خيرا ! لم كنتفى نفسك منذ اليوم ؟

وأخذا في شرايهما ، وتناشدا إلى أن قال له الأخطل : والله إنك وإياي لأشعر

من جرير ، ولكنه أوتى من سائر الشعر ما لم نُؤثَره ، قلت أنا بيتا ما أعلم أحدا

(١) في الأصول «مع بعض ملوك بني أمية» وهو تحريف ما أثبتناه عن الأغاني ، وبه تستقيم القصة

(٢) استقرى : طلب القرى ، وهو ما يقدم للضيف

قال أحمى منه ، قلت : وما هو ؟ قال الأخطل : قلت [من البسيط] :
 قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْجَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ قَالُوا الْأَمُّهُمُ بُولَى عَلَى النَّارِ (١)
 فلم يروه إلا حكياء أهل الشعر ، وقال هو [من الكامل] :
 وَالتَّغْلِيُّ إِذَا تَنَجَّحَ لِلْقَرَى حَكَ اسْنُهُ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَلَا
 فلم تبق سفة ولا أمثاله إلا رِيْؤُهُ ، قال : فقصوا له أنه أسير شعراً منهما .
 وعن محمد بن سلام قال : قيل إنه لما حضرت الأخطل الوفاة قيل له : يا أبا
 مالك ، ألا توصي ، قال : بلى ، ثم قال [من المتقارب] :

أَوْصَى الْفَرَزْدَقَ عِنْدَ الْمَحَاتِ بِأَمِّ جَرِيرٍ وَأَعْيَارِهَا
 وَزَارَ الْقَبْرَ أَبُو مَالِكٍ بِرِغْمِ الْعُدَاةِ وَأَوْتَارِهَا

٤٩ — أقول له ارحل لا تقيم عندنا وإلا فكن في السر والجهر مُسلياً
 شامد كمال الاحمال

البيت من الطويل ، ولا أعرف قائله ، وكذلك ذكر العيني في شواهد .
 ومعناه : إن لم ترحل فكن على ما يكون عليه المسلم من استواء الخالين في
 السر والجهر .

والشاهد فيه : كون الجملتين بينهما كمال الاتصال ، لكون الثانية أوفى
 بتأدية المراد من الأولى ، فنزلت منزلة بدل الاشتغال فلم تعطف عليها ، وهما هنا
 قوله « ارحل » وقوله « لا تقيم عندنا » لأن في قوله « ارحل » كمال إظهار
 الكراهة لاقامة المخاطب ، وقوله « لا تقيم عندنا » أوفى بتأدية المراد لدلالته
 على إظهار الكراهة لاقامته بالطائفة مع التأكيد الحاصل من اللفظين .

(١) في هذا البيت من أوصاف الهجاء : رميهم بالمخل ، واستصغار نارهم
 حتى إنها لتتغشى ببولة ، وامتهان أمهم حتى إنهم ليسكلفونها حقائر الأمور

شامد
مطف الليان
في المفردات

٥٥ - * أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عَمْرٌ *

هو من الرجز، قاله أعرابي^(١)، وبعده:

ما إن بها من نقبٍ ولا دبرٍ اغفر له اللهم إن كانت فجرٌ

يروى أن هذا الأعرابي جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: إن أهلى ببادية بعيدة، وإنى على ناقة دبراء عَجَفَاءَ نَقْبَاءَ، واستحمله^(٢)،

فظنه كاذبا، فلم يحمله، فانطلق الأعرابي فخل^(٣) ناقته ثم استقبل البطحاء وجعل يقول الأبيات، وعمر رضى الله عنه مقبل من أعلى الوادى، فجعل إذا قال «اغفر له اللهم إن كان فجر» قال: اللهم صدق، حتى التقيا، فأخذ بيده، وقال له: ضع عن راحلتك، فوضع فاذا هى كما وصف، فحمله على بعير، وزوده وكساه والنقب: رقة الأخفاف. والدبر: قرحة الدابة.

والشاهد فيه: جعل «عمر» بيانا وتوضيحا للأبى حفص.

شامد
الاستئناف

٥٦ - وَتَقَنَّ سَلَى أَنْنِي أَبْنَى بِهَا بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهْمٌ

البيت من السكامل، ولا أعرف قائله، وكذلك ذكر العبنى أيضا. والضلال: ضد الهدى.

(١) ذكر صاحب الخزانة (٢ - ٣٥٢) نقلا عن ابن حجر في الإصابة وعن المزيباني في معجم الشعراء أن اسم هذا الأعرابي عبد الله بن كيسبة، ويقال: اسمه عمرو بن كيسبة - بكسر الكاف وسكون الياء بعدها سين مهملة مفتوحة - وهاك الرجز بتمامه مع بعض اختلاف في ألفاظه:

أقسم بالله أبو حفص عمر ما مسها من نقب ولا دبر
حفا ولا أجهدا طول السفر وأنت لو أبصرت نضوى ياعمر

ومابها - عمرك - من سوء الأثر عددتى كابن سبيل قد حضر

(٢) استحمله: طلب منه أن يحمله، أى يعطيه دابة يركبها

(٣) في المطبوعتين «حمل ناقته» بزيادة ميم

والشاهد فيه : عدم عطف الجملة الثانية لكونه مومها له على غيرها (١) لأن
بين الجملتين الخبريتين ، وهما « وتظن سلمى » و « أراها » مناسبة ظاهرة لاتحادهما
في المسند ، لأن معنى أراها أظنها ، والمسند إليه في الأولى محبوب ، وفي الثانية
محب ، فلو عطف أراها على تظن لتوهم أنه عطف على أبغى وهو أقرب إليه ،
فيكون من مضموناته سلمى ، وليس كذلك .

قالى كيف أنتَ قلتُ عليلٌ سرُّ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ

البيت من الخفيف ، وتقدم في شواهد المسند إليه (٢) .

والشاهد فيه هنا : وقوع الجملة الثانية مستأنفة جواباً عن الجملة الأولى
المتضمنة للسؤال عن سبب مطلق : أى ما بال علتك ؟ فقال : سر ، وذلك لأن
العادة جرت بأنه إذا قيل « فلان عليل » أن يسأل عن سبب علته ، لأن
يقال هل سبب علته كذا وكذا ، لا سيما السهر والحزن ، فانه قلما يقال هل سبب
مرضه السهر والحزن ، لأنه أبعد أسبابه ، فعمل أن السؤال عن السبب المطلق
دون السبب الخاص ، وعدم التوكيد يشعر به .

ومثله قول أنى العلاء المعرى [من البسيط] :

وقد غرَضْتُ من الدنيا فهل زنى مُطحياتى لغيرِ بعدما غَرَضاً
جَرَبْتُ دهرى وأهليه فآثَرَكْتُ لى التجاربُ فى ودِّ امرئ غَرَضاً

(١) يريد أن الاتيان بواو العطف يوهم أن المعطوف عليه غير ما قصد إليه
الشاعر ، فانه لو عطفه لكان مقصوده العطف على جملة « وتظن سلمى » ولسكن
واو العطف توهم ايها ما قريباً أن المعطوف عليه هو جملة « أبغى بها » لما
ذكره المؤلف

(٢) هو الشاهد رقم ١٥ فانظره فى (ص ١٠٠ من هذا الجزء) وقد استشهد
به الشيخ عبد القاهر فى باب الفصل والوصل من دلائل الاعجاز (١٨٤) أيضاً

أى : لم تقول هذا وما ألك إليه ؟ فقال : جربت إلخ .

٥٢ - زعم العواذل أنى في غمرة صدقوا ولكن غمرنى لا تنجى البيت من الكمال ، ولا أعرف ^(١) قائله .
والعواذل : جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة ، لا امرأة عاذلة ، بدليل قوله « صدقوا » وغمرة الشيء : شدته ومُرَدَّه .
والشاهد فيه : وقوع الجملة المستأنفة جواباً للسؤال عن غير سبب مطلق أو خاص ، كأنه قيل : أصدقوا فى هذا الزعم أم كذبوا ؟ فقال : صدقوا ، وفصله عما قبله لكونه استئنافاً .

ومنه قول جندب بن عمار ^(٢) [من الكمال] :

زعم العواذل أن ناقة جندب
بجنوب خبت عريت وأجت ^(٣)
كذب العواذل لو رأين مناخنا
بالقاسية قلن ليج وذلت
ومثله قول لبید ^(٤) [من المزح] :

عرفت المنزل الخالى عفا من بعد أحوال

- (١) استشهد به الشيخ عبد القاهر فى دلائل الاعجاز (١٨٢) ولم ينسبه أيضاً
(٢) هما من شعر الحماسة غير منسوبين (انظر شرح النبريزى على ديوان الحماسة بتحقيقنا ١ - ٢٩٤) وقد أنشد الشيخ عبد القاهر البيتين فى دلائل الاعجاز (ص ١٨٢) ونسبهما إلى الحماسة من غير تعيين قائل
(٣) فى المطبوعتين «غربت» محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما فى الحماسة ودلائل الاعجاز . وخبت : موضع بالشام ، وهو المناسب هنا . وهو اسم موضع آخر بزييد ، وعريت : رفعت عنها أداها ورحلها ، وأجت - بالبناء للمجهول - طلبت لها الراحة ، وذلك كناية عن تركها بغير ركوب
(٤) أنشد هما فى دلائل الاعجاز (١٨٤)

عفاه كل هتاف عسوف الويلي هطال^(١)

وقول أبي الطيب المتنبي [من الوافر]^(٢) :

وما عفت الرياح لهم تحلا عفاه من حدا بهم وساقا

شيء مقام ٥٣ - زعنم أن إخرتكم قريش لهم ألف وليس لكم إلاف
لاستاف البيت لمساور بن هند بن قيس بن زهير^(٣) ، من الوافر بهجو بني أسد ،

ويلعه :

أولئك أومئوا جوعاً وخوفاً وقد جاءت بنو أسد وخافوا
والزعم : ادعاء العلم ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « زعموا مطية الكذب »
وعن شريح رحمه الله : لكل شيء كنية ، وكنية الكذب زعموا . لكن
سيبويه رحمه الله يكثر في كتابه من قول « زعم الخليل » لا يريد بذلك إبطال
قوله ، وقال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم [من الكامل] :

ودعوتني وزعتك أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وقريش : هي القبيلة المشهورة ، سماوا بذلك لتجمعهم في الحرم ، أو لأنهم
كانوا يتقرشون المبتاعات فيشترونها ، أو لأن النضر بن كنانة اجتمع في نوبه
فقبل تقرش ، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جل قريش : أى شديد ، أو سماوا
بمصر القرش^(٤) وهو دابة بحرية تخافها دراب البحر كلها ، والألف

(١) في دلائل الاعجاز « كل حنان »

(٢) أنشده في دلائل الاعجاز (١٨٤) أيضا

(٣) أنشده في دلائل الاعجاز (١٨٣) من غير نسبة إلى قائل

(٤) القرش - بكسر القاف - دابة تكون في البحر الملح . والذي ذكره

علماء الاشتقاق أن قريشا سميت بدابة تكون في البحر اسمها القريش على صورة =

والإيلاف : المهد ، وشبه الاجازة بالخفارة ، وأول من أخذها هاشم من ملاك الشام ، فكان هاشم يولف إلى الشام ، وعبد شمس إلى الحبشة ، والمطلب إلى اليمن ، ونوفل إلى فارس ، وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجبال هذه الإخوة فلا يتعرض لهم أحد ، وكان كل أخ منهم قد أخذ جلا من ملك فاحية سفره أماناً له .

والشاهد فيه : حذف الاستئناف وقيام شيء مقامه ، فكأنهم قالوا : أصدقنا في هذا الزعم أم كذبنا ؟ فقل : كذبتم ، فحذف هذا الاستئناف وأقيم قوله « لهم إلف وليس لكم إلاف » مقامه لدلالته عليه .

وساور^(١) بن هند بن قيس بن زهير العبدي شاعر ، وكان جده قيس مشهوراً في الجاهلية ، ولا سيما في حرب داحس والغبراء ، وذكر الأصمعي ما يدل على أن له إدراكاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان نحو أبي عرو بن العلاء رحمه الله في السن ، وقال : حدثني من رأى مساور بن هند أنه ولد في حرب داحس والغبراء قبل الاسلام بخمسين عاماً . وذكره المرزباني في معجم الشعراء وذكر له قصة مع عبد الملك بن مروان . وفي حكاية الأصمعي أنه لما عمر صغرت عيناه وكبرت أذناه ، فجملوه في بيت صغير ووكلوا به امرأة ، فرأى ذات

المصغر ، وفي اللسان « وقريش دابة في البحر لاتدع دابة إلا أكلتها ، فجميع الدواب تخافها . وقريش قبيلة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، فكل من كان من ولد النضر فهو قريشي ، دون ولد كنانة ومن فوقه ، قيل : سموا بقريش مشتق من الدابة التي ذكرناها التي تخافها جميع الدواب » اهـ وقد قال الشاعر :

وقريش هي التي تسكن البحر ربهما سميت قريشاً قريشاً

(١) انظر نسبه واشتقاق اسمه واسم أبيه في شرح التبريزي على الحماسة (٢ - ٤) وانظر شعرا له في شرح الحماسة (٣ - ٤ - ٥ و ٣٠)

ترجمة مساور بن هند

يوم غفّة فخرج فجلس في وسط البيت وكوم كومة من تراب ثم أخذ بعريتين فقال
هذه فلانة ، وهذه فلانة ، ثم أحس بالمرأة فقام وهرب . وقال الأصمعي : بلغني
أنه أتى به إلى الحجاج فقال له : ما تصنع بقولك الشعر وقد كبرت ؟ فقال : أسقى
به الماء ، وأزعي به السكلاً ، وتقضى لي به الحاجة ، فان كفتني ذلك تركته .
وقال الرزباني : كان أعور^(١) وهو من المتقدمين في الاسلام ، هو وأبوه وجده
أشراف من بني عبس شعراء فرسان ، وهو القائل [من الطويل] :

جزى الله خيراً غالباً من قبيلة إذا حدّثان الدهر نابت نوائيه^(٢)
إذا أخذت بزُل الخاض سلاحها تجرد فيهم مُتلفَ المالِ كلّبه
يقال : أخذت الأبل سلاحها ، إذا استحياها صاحبها فلم يذبحها .

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا

هد الجامع
الوهمي

هو من البسيط ، وتامه :

* شمسُ الضحى وأبو إسحاق والقمرُ *

وقد تقدم الكلام عليه في شواهد المنسند^(٣) .

والشاهد فيه هنا : بيان أن الجامع بين الثلاثة المذكورة فيه وهمي ، وهو
ما بينها من شبه التماثل حل الوهم على أن يحتال في اجتماعها في المفكرة وإبرازها
في معرض الأمثال متوهماً أنها من نوع واحد ، وإنما اختلفت بالعوارض
والمشخصات ، بخلاف العقل ، فإنه إذا خلى ونفسه حكم بأن كلا منها من نوع

(١) في شعره في الحماسة (٢ - ٣٠) ما يؤيد أنه كان أعور ، فانه يقول :

وأرى الغواني بعد ما أوجهنني أعرضن ثمت قلن شيخ أعور

(٢) يروى « جزى الله خيراً غالباً من عشيرة »

(٣) هو الشاهد رقم (٤٠) فانظره في (ص ٢١٥ من هذا الجزء)

آخر، وإنما اشتركت في عارض هو إشراق الدنيا بهجتها، على أن ذلك في أبي إسحاق مجاز.

ونظيره قول الآخر [من الطويل] :

إذا لم يكن للمرء في الخلق مطعمٌ فذو الناج والسقاء والذرُّ واحدٌ

دخول واو الحال
على المضارع
المثبت

٥٤ - فَلَمَّا خَشِيتُ أَظْفَارَهُمْ تَحَيَّوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِيكََا

البيت لعبد الله بن همام السلولي^(١)، من المتقارب، وبعده :

عريقاً مقبياً بدارِ هوا نِ أهونَ عليَّ بِه هالكَا

وهذان البيتان من جملة أبيات، منها :

فقلتُ أجزني أبا خالدٍ وإلاَّ تجدني امرأً هالكَا^(٢)

يريد بأبي خالد هنا يزيد بن معاوية، والذي خشيته عبید الله بن زياد، وكان قد توعدّه، فهرب إلى الشام، واستجار بيزيد فأمنه، وكتب إلى عبید الله يأمره بالصفح عنه، ومالك المذكور هو : عريفة. والأظافر : جمع ظفر وأظفور ويجمع أيضاً على أظفار .

والمعنى : لما خشيتُ حملته وإنشأ أظفاره فنجوت وخلّيت بينه وبين مالك. والشاهد فيه : دخول واو الحال على المضارع المثبت المتع دخولها عليه في الجملة الفعلية الواقعة حالا من ضمير صاحبها النير الخالية منه، إذ قد قيل إنه تلى حذف المبتدأ، أي وأنا أرهنهم، فتكون اسمية، فيصح دخولها، وعليه

(١) وأنشده الشيخ عبد القاهر في مبحث الجملة الحالية بالواو وغيره من دلائل الإعجاز (١٥٩)

(٢) هذا البيت من شواهد النحاة وهم يروونه « وإلا فنبني امرأً » وانظره في شرح الشواهد للعيني (٢ - ٣٧٨ بهامش الخزانة)

قوله تعالى: (لَمْ تَذَفُونِي وَقَدْ تَمْلِكُونَ أُنَى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) أُنَى: وَأَنْتُمْ قَدْ تَمْلِكُونَ، وقيل: ضرورة. وقال عبد القاهر^(١) هي فيه للعطف، والأصل ورهنتهم عدل إلى المضارع خكاية حل ماضية، ومعناه: أنه يفرض ما كان في الزمن الماضي واقعاً في هذا الزمان، فعبّر عنه بلفظ المضارع، كما في قول الشاعر [من الكامل]:
* ولقد أمر على اللثيم يسبنى^(٢) *

أُنَى: مررت. وروى «وأرهنهم». والأول رواية الأصمعي، واستحسنه ثعلب.

جعفاعة
السلولى

وعبد الله: هو أبو عبد الرحمن^(٣) السلولى الكوفى، من بنى مرة بن صعصعة

(١) قال الشيخ عبد القاهر في (دلائل الاعجاز ١٥٩): «فأما قول ابن همام السوى *... نجوت وأرهنهم مالكا* في رواية من روى وأرهنهم، وما شبهه به من قولهم: قمت وأصك وجهه - فليست الواو فيها للحال، وليس المعنى: نجوت راهنا مالكا، وقمت صاكا وجهه - ولكن أرهن وأصك حكاية حال مثل قوله:

ولقد أمر على اللثيم يسبنى فضيت نمت قلت لا يعنبنى
فكأن أمر «هاهنا في معنى مررت، كذلك أرهن وأصك هناك في معنى رهننت وصككت» اهـ. ونرى لك أن ترجع في بحث هذه المسألة إلى شرحنا على شرح الأشموني (في مباحث الحال)

(٢) هذا صدر بيت وعجزه قوله:

* فضيت نمت قلت لا يعنبنى *

وقد سمعته في عبارة دلائل الاعجاز، والنحاة ينسبون هذا البيت إلى رجل من بنى سلول ولم يعينوه (انظر الخزانة ١ - ١٧٣) وقد أثنىه الأصمعي في الأصمعيات ثالث خمسة أبيات ونسبها إلى ثمر بن عمرو الحنفى (انظر الأصمعيات ص ٧٤)

(٣) له ترجمة في شرح الحماسة للبرزى (٣ - ١٤٢) وفيها أبيات له بحمل فيها يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية بن يزيد، وله شعر في حماسة البحتري (ص ١٤٥ - ١٧٥)

من قيس عيلان ، و بنو مرة يزرقون ببني سلول ، وهي أمهم ، وهي بنت ذهل
ابن شيبان بن ثعلبة ، وهم رهط أبي مريم السلولي ، وكانت له صحبة ، وعبد الله
هو القائل في الفلاقس^(١) :

أَفْلَى عَلَى الْيَوْمِ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وَذُمِّي زَمَانًا سَادَ فِيهِ الْفَلَاقِسُ
وَسَاعَ مِنَ السُّلْطَانِ لَيْسَ بِنَاصِحٍ وَمَحْتَرِسٍ مِنْ مِثْلِهِ وَهُوَ حَارِسُ
وهو القائل^(٢) ليزيد بن معاوية لما مات أبوه رضى الله عنه [من البسيط] :
أَصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَامِقَةً وَاشْكُرْ حَبَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ رَدَا كَا^(٣)
لَا رُزْءَ أَعْظَمَ بِالْأَقْوَامِ إِذْ عُلِمُوا مِمَّا رُزِنَتْ وَلَا عُفِيَ كَقَبَا كَا^(٤)
أَصْبَحْتَ رَاعِي أَهْلِ الدِّينِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَا كَا^(٥)
وَفِي مُبَاوِيَةِ الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ إِذَا نُعِمْتَ وَلَا نَسْمَعُ بَمَنْعَا كَا^(٦)

* * *

٥٥ - * خَرَجْتُ مَعَ الْبَايَزِيِّ عَلَى سَوَادُ *

قائله بشار بن^(٧) برد ، من أبيات من الطويل ، قالها في خالد بن برمك

- (١) أصل الفلاقس جمع فلقس بزنة جعفر أو فلنقس بزنة سفرجل ، وهو
البخيل اللثيم ، وهو أيضا الذي أبوه مولى وأمه مولاة
(٢) رواهافي العقد الفريد في كتاب الدرّة في النوادر والتعازي والمراني
(٣ - ٣٠٨ الأجنّة)

- (٣) في العقد « واشكر حباء الذي بالملك حباكا »
(٤) في العقد « لارز ، أعظم في الأقوام قد علموا »
(٥) في العقد « أصبحت راعي أهل الأرض كلهم »
(٦) في العقد « إذا بقيت فلن نسمع بمنعكا كا »
(٧) أنشده الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز (١٥٧) وأنشد
الآبيات كلها في الأغاني (٣ - ٥٠) وفي خزنة الأدب (١ - ٥٤٠) وليست
في المختار من شعر بشار ، ولا واحد منها

وكان قد وفد عليه وهو بفارس ، فأنشده قوله :

أَخَذْتُ نَهْ أَهْبَطُ عَلَيْكَ بِذِمَّةٍ رَسَوَى أَنفَى عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
أَخَذْتُ بِإِلِّ الْأَجَرَ وَالْحَدَّ حَاجَتِي فَأَيُّهَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ
فَإِنْ تَعَطَّى أَفْرَغَ عَلَيْكَ مَدَائِحِي وَإِنْ تَلَبَّ لَمْ تُضْرَبْ عَلَى سَدَادُ
رَكَاعِي عَلَى حَرْفٍ وَتَلَى مُشَيِّعُ وَمَلَى بِأَرْضِ الْبَائِخِلِينَ بِلَادُ
إِذَا أَنْكَرْتَنِي بَلَدَةً أَوْ نَكْرَتَهَا خَرَجْتَ مَعَ الْبَاذِي عَلَى سَوَادُ

بشار وعاله
البرمكي

فدعا خالده بأربعة آلاف ، في أربعة أكياس ، فوضع واحدا منها عن يمينه ، وآخر عن شماله ، وآخر بين يديه ، وآخر من ورائه ، وقال : يا أبا معاذ هل استقل الداد ؟ فليس الأكياس بيديه ، ثم قل : استقل والله أيها الأمير . ومعنى البيت : إذا لم يعرف قِدرى أهل بلدة ولم أعرفهم خرجت عنهم وفارقهم متنكرا . صاحباً للبازي ؛ الذى هو أبكر الطيور ^(١) . مشتتلا على شيء من ظلة الليل ، غير منتظر لاسفار الصبح ، فقله « على سواد » أى : بقية من الليل .

والشاهد فيه : كونه حالاً ترك فيه الواو .

ومثله قول [أمية ^(٢) بن] أبى الصلت يمدح ابن ذى يزن [من البسيط] :
اشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مَرْتَقاً فِي رَأْسِ غَدَاةٍ دَاراً مِنْكَ مَحَللاً ^(٣)

(١) فى الأصول « أنكر الطيور » وأحسبه محرفاً عما أثبتناه

(٢) زيادة لا بد منها ، فالبيت لأمية بن أبى الصلت من قصيدة له مشهورة يمدح فيها ابن ذى يزن ، وأولها قوله :

لا يطلب النار إلا كبن ذى يزن فى البحر خيم للاعبداء أحوالا
والبيت قد أنشده الشيخ عبد القاهر فى دلائل الإعجاز (١٥٧) ونسبه إلى أبيه وانظر مع ذلك الأغاني (١٦ - ٧١ وما بعدها)

(٣) فى المطبوعتين « عليك التاج مرتقما » محرفاً عما أثبتناه

والشاهد في قوله « عليك التاج » . وغمدان : اسم قصر باليمن ، مبنى على أربعة أوجه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ، وفي داخله قصر مبنى بسبعة صفوف ، بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، ويرى ظله إذا طلعت عليه الشمس من ثلاثة أميال ، والحلال : بمعنى المنزل صيغة مبالغة .

ومثله قول الآخر : ^(١) « بجو خطيباً » [من الطويل] :

لَقَدْ صَبَرْتُ لِلدُّلِّ أَعْوَادُ مِنْبِرٍ تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ

و بشار ^(٢) بن برد بن ررجوخ ، ينتهي نسبه للهراسف ^(٣) . وكان ررجوخ من طخارستان ، من سبي المهلب بن أبي صفرة ، ويكنى بشاراً أبا معاذ ، ومحلّه في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يُفْتَى عن وصفه والاطالة بذلك .

وهو من شعراء مُخَضَّرِي الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد اشتهر فيهما ومدح وهجا ، وأخذ سبى الجوائز مع الشعراء .

وعن يحيى بن الجسون المبدى راوية بشار بن برد قال : [قال بشار : لما دخلت على المهدي قال لي : فيمن تعتد يا بشار ؟ فقلت : أما اللسان والزيّ فعرّبي ، وأما الأصل فمجبى ^(٤)] كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين [من المتقارب] :

وَبُنْتُ قَوْمًا بِهِمْ جِنَّةٌ يَقُولُونَ مَنْ ذَا وَكُنْتُ الْعَلَمُ

(١) انظره في دلائل الاعجاز (١٥٧) أيضاً

(٢) لبشار ترجمة في الأغاني (٣ : ١٩ - ٧٣) وفي خزانة الأدب (١ - ١٠٤) وفي ابن خلكان (١ - ١٥٦) ومرح العيون (١٦٥) والشعراء لابن قتيبة (٤٧٦)

(٣) كذا ، وآخر نسبه في الأغاني « يستاسب »

(٤) في الأصول « أما على اللسان والرأى فعرّبي وأما على الأصل فمجبى » وفيه تحريف ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني الذي أخذ عنه

(١٩ - معاهد ١)

أَلَا أَيُّهَا السَّائِلُ جَاهِلًا
لِيَعْرِفَنِي أَنَا أَنْفُ الْكَرَمِ
نَمَتْ فِي الْكَرَامِ بَنِي عَامِرٍ
فُرُوعِي وَأَصْلِي فُرَيْشُ الْعَجَمِ
وَبَنِي لَاغْنَى مَقَامُ الْفَتَى
وَأَصْبَى الْفَتَاةُ فَمَا تَعْتَصِمُ

قال : وكان أبودلامة حاضراً ، فقال : كلا ! لو جهك أقبح من ذلك ، ووجهي مع وجهك ، فقلت : كلا ! والله ما رأيت رجلاً أصدق على نفسه وأكذب على جلسيه منك ، والله إنني لطويل القامة ، عظيم الهامة ، تام الألواح ، أسجج الخدين [ولرب] ^(١) مسترخي المذروين للعين منه صرّاد مثلك ، قد جلس ^(٢) من الفتاة حُجْرَةً ، وجلس منها حيث أريد ، فأنت مثلي يامرّمان ^(٣) . قال : فسكت عني ، ثم قال لي المهدي : فمن أيّ العجم أصلك ؟ قلت : من أكثرها في الفرسان ، وأشدّها على الأقران ، أهل طخارستان ، فقال بعض القوم : أولئك الصغد ، فقلت : لا ، الصغد ^(٤) تجار ، فلم يرد ذلك المهدي ^(٥) .

وكان يلقب بالمرعّث لقوله [من مجزوء الخفيف] :

قَالَ رَيْمٌ مَرْعَثٌ سَاحِرُ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ

لَسْتُ وَاللَّهِ نَائِلِي قَلْتُ أَوْ يَغْلِبُ الْقَدَرُ

(١) زيادة عن الأغاني ، وبها يتم المعنى وأراد بمسترخي المذروين السمين العبل الاليتين ، وأراد بقوله « للعين فيه مراد » أنه موق الظاهر تتجه إليه العيون

(٢) في الأصول « ومثلك قد جلس » بزيادة الواو ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٣) كذا ، وفي الأغاني « فأنت مثلي يا مرضمان »

(٤) في الأغاني « وأولئك الصغر ، فقلت : لا الصغر تجار » وفي الأصول أولئك السند ، فقلت : لا ، السند تجار » وكلاهما تحريف ما أثبتناه

(٥) في الأصول « فلم يزل يردد ذلك المهدي » وفيه زيادة كلمة « يزل » عما في الأغاني

أَنْتَ إِنْ رَمَتْ وَصَلْنَا فَأَنْجِ هَلْ يَدْرُكُ الْقَمَرَ

وقيل: لَقَبَ به لأنه كان لقميصه جيبان، جيب عن يمينه وجيب عن شماله، فإذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه، وإذا أراد نزعه حلّ أزراره وخرج منه، فشبهت تلك الجيوب بالرعاث لاسترسالها وتدلّجها. وقال أبو عبيدة: لقب بالمرعث لأنه كانت في آذانه وهو صغير رعاث، واحدها رعثة وهي القرط، ورعته الديك: اللحم المتدلى تحت حنكه.

وقال الأصمعي: كان بشار ضخما، عظيم الخلق والوجه، مجدورا، طويلا، جاحظ الحدقتين قد تنشاهما لحم أحر، فكان أقبح الناس عى، وأفظمهم منظرا، وكان إذا أراد أن ينشد صفق يديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب.

وقال: ولد بشار أعمى، فأنظر إلى الدنيا قط، وكان يشبه الأشياء في شعره بعضهما ببعض، فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله.

وقال أبو عبيدة: قال بشار الشعر ولم يبلغ عشر سنين، ثم بلغ الحلم وهو يخشى معرّة اللسان، قال: وكان بشار يقول: هجوت جريرا فأعرض عني واستصغرنى ولو أجابني لكنت أشعر الناس.

وكان بشار وهو صغير إذا هجا قوما جلاؤا إلى أبيه فشكوه إليه، فيضربه ضربا مبرحا، فكانت أمه تقول: كم تضرب هذا الصبي الصغير الضرير؟ أما ترجمه؟ فيقول: بلى والله إني لأرحمه، ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلى، فسمعه بشار فطعم فيه، فقال: يا أبت، إن هذا الذى يشكونه إليك منى هو قولى الشعر وإني إن أتممت عليه أغنيك وسائر أهلى، فاذا شكوى فقل لهم: أليس الله عز وجل يقول (ليس على الأعمى حرج). فلما أعادوا شكواه قال لهم ذلك، طانصروا وهم يقولون: فقته برد أعظم لنا من شعر بشار.

وحكى الأصمعي أن بشارا كان من أشد الناس تبرما بالناس، وكان يقول:

الحمد لله الذي حجب بصرى ، فقيل له : ولم يا أبا معاذ ؟ قال : لئلا أرى من أبغض
 وكان بالبصرة رجل يقال له حمدان الخراط ، فأتخذه جاماً لا نسان ، وكان بشار
 عنده ، فدنه بشار أن يتخذ له جاماً فيه صورة طير يطير ، فأتخذه له وجاء به إليه
 فقال له : مافى هذا الجام ؟ قال : صورة طير يطير ، فقال له : قد كان ينبغي أن تتخذ
 فوق هذا الطير طيراً من الجوارح كأنه يريد صيده ، فإنه كان أحسن . قال :
 لم أعلم ، قال : بلى قد علمت ولكنك قد علمت أنني أعمى لا أبصر شيئاً ،
 وتهدده بالهواء ، فقال له حمدان : لاتفعل فانك تندم ، قال : أو تهددنى أيضاً ؟
 قال : نعم ، قال : وأى شئ تصنع بى إن هجوتك ؟ قال : أصورك على باب دارى
 فى صورتك هذه ، وأجعل من خلفك قرداً ينحكك حتى يمر بك الصادر والوارد ،
 فقال بشار : اللهم أخزه ، أنا أمارحه وهو يأبى إلا الجد .

وحدث محمد بن الحجاج السوادى ^(١) قال : كنا عند بشار وعنده رجل
 ينازعه فى البمانية والمضرية إذ أذن المؤذن ، فقال له بشار : رويداً نفهم قوله ،
 فلما قال المؤذن « أشهد أن محمداً رسول الله » قال له بشار : أهذا الذى نودى
 باسمه اسم الله عز وجل من مضر هو أم من صداء وعك وحمير ؟ فسكت الرجل .
 وحدث حماد عن أبيه قال : كان بشار جالساً فى دار المهدي والناس ينتظرون
 الاذن ، فقال بعض موالى المهدي لمن حضر : ما عندكم فى قول الله عز وجل :
 (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا) فقال له بشار : النحل التى
 يعرفها الناس ، قال : هيها يا أبا معاذ ! النحل بنو هاشم ، وقوله تعالى (يخرج
 من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) يعنى العلم ، فقال له بشار :
 أراى الله شرابك وطعامك [وشفاءك] ^(٢) مما يخرج من بطون بنى هاشم فقد أوسعنا

(١) فى الأغاني « محمد بن الحجاج السرادانى » .

(٢) زيادة عن الأغاني .

غشاة ، فغضب وشم بإشاراً ، فبلغ المهدي الخبر ، فدعا بهما وسألها عن القصة ، فحدثته بإشارتها ، فضحك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أجل فجعك الله طعماًك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فانك بارد غث .

ودخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور — وكانت فيه غفلة — فقال له : يا شيخ ما صناعتك ؟ فقال له : أتقب اللؤلؤ ، فضحك المهدي ، ثم قال بإشار : اعزب ويليك أنتنادر^(١) على خالي ، قال : وما أصنع به يرى شيخاً أعمى قائماً ينشد الخليفة شعراً يسأله عن صناعته .

ووقف بعض المجان على بإشار وهو ينشد شعراً ، فقال له : استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصفق بإشار بيديه وغضب وقال له : من أنت ويليك إقال : أنا أعزك الله رجل من باهلة ، وأحوالي من سلول ، وأصهارى من عنكل ، واسمى كلب ، ومولدى بأضاخ^(٢) ومنزلى بنهر بلال^(٣) ، فضحك بإشار وقال : اذهب ويليك ، فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استترت منى بمحصول من حديد .

وحدث رجل من أهل البصرة من كان يتزوج النهاريات ، قال : تزوجت امرأة

(١) في الأصول « أنتنادر على خالي » محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني .

(٢) في الأصول « بأحاح » وقال مصحح مطبوعة بولاق « قوله بأحاح ، هكذا بمهملتين ، وفي بعض النسخ بأحاج ، وكلاهما لم أقف عليه اسم مكان ، اه قال أبو رجاء : وكلاهما تحريف عما أثبتناه موافقاً لما في الأغاني ، وأضاخ — بضم الهوزة — اسم موضع ذكره المجد في القاموس .

(٣) في الأغاني « ومنزلى بظفر بلال » وفي أسماء الأماكن عدة كل منها يحمل اسم ظفر .

منهن فاجتمعت معها في علو بيت و بشار تحتنا ، أو كنا في أسفل بيت و بشار في علوه مع امرأة ، فنفق حمار في الطريق فجاء به حمار آخر في بيت الجيران وحار في الدار ، فارتجت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذي في الدار برجعه الأرض ، وجعل يدقها دقاً شديداً ، فسمعت بشاراً يقول للمرأة : نفيخ - يعلم الله في الصور وقامت القيامة ، أما تسمعين كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ، ولم تلبث أن فرغت شاة كانت في السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقاً من نحاس فيه غضارة^(١) إلى الدار فانكسرت فتطاير حمام ودجاج كان في الدار لصوت الغضارة والطبق ، وبكى من ذلك صبي في الدار ، فقال بشار : صح يعلم الله الخير ، ونشر أهل القبور من قبورهم ، أزفت - يشهد الله - الآزفة ، وزلزلت الأرض زلزالها ، فمجيبت من كلامه وغازطى ، فسألت : من المتكلم ؟ فقل لي : بشار ، فقات : قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا الكلام غيره .

ومر بشار برجل قد رمحته بفلته وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له بشار : استزده بركك .

ومر قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها ، فقال : ما لهم مسرعين ، أترام قد سرقوها فهم يخافون أن يلحقوا فتؤخذ منهم .

ورفع غلامه إليه في حساب نفقته جلاء امرأة عشرة دراهم ، فصاح به بشار وقال : والله ما في الدنيا أعجب من جلاء امرأة أعشى بعشرة دراهم ، والله لو صدأت عين الشمس حتى بقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم .

وعن خلاد قال : قلت لبشار : إنك لتجيء بالشئ المهجر المتفاوت^(٢) قال :

(١) الغضارة - بفتح الغين بزنة سحابة - ومثله الغضار : الطين اللازب الاخضر الحر .

(٢) في الأغاني « إنك لتجيء بالشئ الهجين المتفاوت » .

وما ذاك ؟ قلت له : تقول شهراً تثير به النقع وتخلع به القلوب مثل قولك [من الطويل] :

إذا ما غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضَرَّةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمَا
إذا ما أَعْرَنَّا سَيْناً مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مَنِيرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَامًا (١)
[إلى أن] (٢) تقول [من الوافر المجزوء] :

رَبَابَةٌ رَبَّةٌ الْبَيْتِ تَصُبُّ الْخَلْفَ فِي الزَّيْتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

فقال : لكل شيء وجه وموضع ، فالقول الأول جد ، وهذا قلته في جاريقي ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق ، فربابة هنه لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع البيض وتحفظه ، فهذا عندها أحسن من قول * ففانك من ذكرى حبيب ومنزل * عندك .

وقال هلال لبشار (٣) وكان صديقاً له يمازحه : إن الله عز وجل لم ينهب بصر أحد إلا عوضه منه شيئاً ، فما الذي عوضك ؟ قال : الطويل العريض ، قال : وما هو ؟ قال : لأأراك ولأأمثالك من الثقلاء ، ثم قال له : يا هلال أتطعني في نصيحة أخصك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الخمر زماناً ثم تَبَّتْ وصرت رافضياً فعدنا إلى سرقة الخمر فهي والله خير لك من الرُّفْضِ .
وعن أبي دهمان الغلاءي (٤) قال : مررت ببشار يوماً وهو جالس على باب

(١) في الأصول « إذا ما أعدنا » محرفاً عما أثبتناه ، وهو على الصحة في الأغاني (٣ - ٣١) .

(٢) هذه الزيادة ليست في الأغاني وهي في عامة أصول هذا الكتاب .

(٣) في الأغاني أنه هلال بن عطية المشهور بهلال الرأي .

(٤) في الأغاني « عن أبي دهمان الغلال » .

داره وحده وليس معه أحد وبيده مخضرة يلعب بها وقد آتته طبق فيه فتاح
وأخرج ، فلما رأيته وليس عنده أحد تآقت نفسي إلى أن أسرق مما بين يديه ،
فجئت من خلفه قليلا قليلا وهو كاف يده حتى مدت يدي لأتناول منه ، فرفع
التضيق وضرب به يدي ضربة كاد يكسرها فقلت له : قطع الله يدك يا ابن
الغافلة ! أنت الآن أعمى ، فقال : يا أحمق ، فأين الحس ؟

وقد إلى بشار رجل فاستنقه ، فصرط عليه بشار ضرطة ، فظن الرجل
أنها أفلتت منه ، ثم صرط أخرى ، فقال : أفلتت ، ثم صرط ثالثة ، فقال له :
يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ فقال : مه ، رأييت أم سمعت ؟ قال : لا ، بل سمعت صوتاً
قبيحاً ، فقال له : لا تصدق حتى ترى .

وحدث محمد بن الحجاج قال : جاءنا بشار يوما وهو مغتم ، فقلنا له : مالك
مغتم ؟ فقال : مات جاري فرأيت في النوم فقلت له : لم مت ؟ ألم أكن أحسن
إليك ؟ فقال [من مجزوء الرمل] :

سیدی خذ بی آتانا عند باب الإصبهانی (١)
تیمتی بینان ویدلّ قد شجانی
تیمتی یوم رحنا بئناهاها الحسان
وبینج ودلال سلّ جسی ویرانی
ولما خدّ أسیل مثل خدّ الشفرانی (٢)
فلذا متّ ولو رعشت إذا طال هوّانی

(١) في الأصول « خذ لي آتانا » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني (٣) -

٦٤) وقد روى صاحب تزيين الأسواق هذه القصة (٢ - ٣٤) وروى معها
الآيات وذكر أنها تنسب إلى بشار .

(٢) في الأغاني وتزيين الأسواق « مثل خد الشيفراني » .

فقلت له : ما الشفرائى ؟ قال : ما يُدْرِنى ، هذا من غريب الحمار فاذا
لقيته فأسأله عنه

وقال الجاحظ : كان بشارٌ يَدِينُ بالرجمة ، ويكفرُ جميع الأمم ، ويصوب
رأى إبليس عليه اللعنة فى تقديم عنصر النار على الطين ، وذكر ذلك فى شعره
فقال [من البسيط] :

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ
(١) وكان الشرُّ قد نشب بين بشار وحماة عَجَزَ لأمورٍ يطول ذكرها ،
فكانا يتقارضان الهجاء ، فأجمع علماء البصرة أنه ليس فى هجاء حماد عجرد لبشار
شئ جيد إلا أربعين بيتاً معدودة ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت
جيد ، وكل واحد منهما هو الذى هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا
يحبّمان عليها ، فسقط حماد عَجَزَ وتهتك ، بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ،
وبقى بشار على حاله لم يسقط ، وعُرف مذهبه فى الزندقة فقتل به

وكان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاق منهما ، ورضى
بأن ينقل إلى كل واحد منهما ما يقول الآخر من الشعر ، فدخل يوماً على بشار فقال له
بشار : إيه يا فلان ، ما قال ابن الزانية فى من الشعر ؟ فأنشده [من السريع] :

إن تاه بشارٌ عليكم فقد أمكنتُ بشاراً من التيه
فقال بشار : بأى شئ ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سميتُ باسميه ولم يكن حرٌّ يُسميه
فقال : سخّنت عينه فأبأى شئ كنت أعرف ؟ إيه . فقال :

فصار إنساناً بذكري له ما يبتغى من بعد ذكريه (٢)

(١) من هنا مأخوذ من ترجمة حماد عجرد فى الأغاني (١٣ - ٧٣ - ١٠٢)

(٢) فى الأغاني « ما يبتغى » وهو تحريف

فقال : ماصنع شيئاً . إيه وبجك ! فقال :

لم أهنجُ بشأراً ولكنني هجوتُ نفسي بِهَجَائِيهِ

فقال : على هذا المعنى دار ، وحوله حَام ، إيه أيضاً وأى شيء ؟ قال :

فأنشده [من الكامل المجرز]

أنت ابنَ بُرْدٍ مثلُ بُرْدٍ دِ فِي النَّذَالَةِ وَالرَّذَالَةِ

مَنْ كَانَ مِثْلَ أَبِيكَ يَا أَعْمَى أَبُوهُ فَلَا أَبَا لَهُ

وحدث خالد الأرقط قال : أنشد بشاراً راويته قولَ حمادٍ عَجْرِدٍ فِيهِ [مَنْ

الطويل] :

دُعِيتَ إِلَى بُرْدٍ وَأَنْتَ لَنَسِيرٍ فَهَبْكَ لِإِبْرَدٍ نَكَتَ أَمَّكَ مِنْ بُرْدٍ (١)

فقال بشار راويته : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، فقال : أحسن والله ماشاء

ابن الزانية

وقال بشار يوماً لراوية حماد : ما هجاني به اليوم حماد ؟ فأنشده [من المزهج] :

أَلَا مَنْ مَبْلُغٌ عَنِ السِّنْدِ وَالِدُهُ بُرْدُ

قال : صدق ابن الفاعلة ، فما قال بعده ؟ فأنشده :

إِذَا مَا نُسِبَ النَّاسُ فَلَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ

فقال : كذب ابن الفاعلة ، وأين هذه العريضات من عقيل ، فما قال ؟ فأنشده :

وَأَعْمَى قَلْطَبَانٌ مَا عَلَى قَاذِفِهِ حَقُّ

فقال : كذب ابن الفاعلة ، بل ثمانون جلدةً عليه ، هيه ، فقال :

وَأَعْمَى يُشْبِهُ الْقِرْدَ إِذَا مَا سَمِعِيَ الْقِرْدُ

(١) في الأغاني « فهبك ابن برد »

فقال : والله ما أخطأ ابن الزانية حين شَبَّهني بقرد ، حُبُّكَ حُبُّكَ ،
نَمْ صَقَّ يَدَيْهِ وقال : ما حيلتي ؟ يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه
وفي حمادٍ عَجْرَدٍ يقول بشار [من السريع] :

مَأْلُتُ حَمَاتًا عَلَى فَيْقِهِ يَلُومُهُ الْجَاهِلُ وَالْمَأْتِقُ
وَمَا هُمَا مِنْ أَيْرِهِ وَأَسْتِهِ مَلَكُهُ إِيَّاهُمَا الْخَالِقُ (١)
مَا بَاتَ إِلَّا قُوْقُهُ فَاسِقُ يَنْيِكُهُ أَوْ نَحْنَتُهُ فَاسِقُ

قال ابن أبي سميد : وأبلغ ما هما به حمادُ عَجْرَدٍ بشاراً قوله [من السريع] :
نَهَارُهُ أَخْبْتُ مِنْ لَيْلِهِ وَيَوْمُهُ أَخْبْتُ مِنْ أَمْنِهِ
وليس بالمُقْلِعِ عَنْ غَيْهِ حَتَّى يُوَارَى فِي تَرَى رَمْسِهِ
قال : وكان أغلظ على بشار من ذلك كله ، وأوجه له قوله فيه
[من السريع] :

لَوْ طُلِّيتُ جِلْدَتُهُ عَنَبْرًا لَأَفْسَدَتْ جِلْدَتُهُ الْعَنَبْرَا
أَوْ طُلِّيتُ مَسْكَدًا كَيْفًا إِذَا تَحَوَّلَ الْمَسْكُ عَلَيْهِ خَرَا

قال : وكان حمادُ عَجْرَدٍ قد اتصل بالربيع يؤدب ولده ، فكتب إليه بشار
رقة ، فأوصلت إلى الربيع فاذا فيها مكتوب [من مجزوء الخفيف] :

يَا أَبَا الْفَضْلِ لَا تَنْمَ وَقَعَ الذَّنْبُ فِي الْغَنَمِ
إِنَّ حَمَادَ عَجْرَدٍ إِنْ رَأَى غَفْلَةً هَجَمَ
بَيْنَ فَخْذَيْهِ حَرْبَةً فِي غِلَافٍ مِنَ الْأَدَمِ
إِنْ خَلَا لَيْتَ سَاعَةً تَجْمَعُ الْمَيِّمَ بِالْقَلَمِ

فلما قرأها الربيعُ قال : صيرني حَمَادُ دَرِيْثَةِ السَّعْرَاءِ ، أخرجوا عني
حَمَادًا ، فأخرج .

(١) في الأغاني « ومام » في مكان « وماها »

وقد فعل مثل هذا بعينه حمادُ عجرد بقطرُب حين اتخذ مؤذناً لبعض ولد المهدى وكان هو يطعم في ذلك ، فلم يتم له شهرته في الناس بما قاله فيه .
بشار ، فلما تمكن قطرب في موضعه ، صار حماد كالملقى على الرصد ، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس ، ثم أخذ رقعة فكتب فيها [من البسيط] :

قُلْ لِلإِمَامِ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً لِاتِّجَمَعَ الدَّهْرَ بَيْنَ السَّخْلِ وَالذُّبِ
السَّخْلُ غِرٌّ وَهُمُ الذُّبُ فِرْصَنُهِ وَالذُّبُ يَعْلُمُ مَا فِي السَّخْلِ مِنْ طِيبٍ
فلما قرأ المهدى هذين البيتين قال : انظروا لا يكون هذا المؤذنب لوطياً ،
ثم قال : انفوه عن الدار ، فأخرج عنها ، وجيء بمؤذنب غيره ، ووكل بولاه
تسمون خادماً بنوايباً يحفظونه ، فخرج قطرب هارباً مما شهر به إلى الكرج
فأقام هنالك إلى أن مات .

وكان بشار بلغه أن حماداً^(١) عليلٌ ، ثم نعى إليه قبل موته ، فقال بشار
[من السريع] :

لَوْ عَاشَ حَمَادٌ لَهَوْنَا بِهِ لَكِنَّهُ صَارَ إِلَى النَّارِ
فبلغ هذا البيت حماداً قبل موته ، وهو في السياق ، فقال يرد عليه
[من السريع] :

نُبِّئْتُ بِشَارًا نَمَانِي وَلِلْمَوْتِ بَرَأْنِي الْخَالِقُ الْبَارِي
يَا لَيْتَنِي مِتُّ وَلَمْ أَهْجُهُ نَعَمْ وَلَوْ صُرْتُ إِلَى النَّارِ
وَأَيُّ خِزْيٍ هُوَ أَخْزَى مِنْ أَنْ يُقَالَ لِي يَا سَيْبُ بِشَارِ
وكان حماد قد نزل بالأهواز على سليم بن سالم ، فأقام عنده مدة مستترًا من

(١) في الأصول «أن حماداً عليل المانة» وكلمة المانة لا تعيد معنى ، وليست في الأغاني وهو الذي نقل عنه جميع ما في هذه الترجمة

محمد بن سلمان ، ثم خرج من عنده يريد البصرة ، فمرّ بشيراز^(١) في طريقه ،
فرض بها ، فاضطر إلى المقام بها بسبب علته ، واشتدّ مرضه ، فمات هناك ،
ودفن على تلة .

ثم إن المهدي لما قتل بشاراً بالطبيعة اتفق أنه سَجَلَ إلى منزله ميتاً ، فدفن
مع حماد على تلك التلة ، فمرّ بهما أبو هشام الباهلي الشاعر البصري الذي كان
يهاجي بشاراً ، فوقف على قبريهما وقال [من السريع] :

قد تبع الأعمى قفّاً عَجَزَ دُفٍّ فأصبحاً جَارَيْنِ في دَارِ
قالت بَقَاعُ الْأَرْضِ لَأَمْرَجِباً بَقْرِبِ حَمَادٍ وَبِشَارِ
تَجَاوَزَا بَعْدَ تَنَائِيهِمَا مَا أَبْغَضَ الْجَارَ إِلَى الْجَارِ
صَارَا جَمِيعاً فِي يَدِي مَالِكٍ فِي النَّارِ ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ

وكان السبب في قتل المهدي بشاراً أنه كان نهّاه عن التشبيب ، فدحه
بقصيدة^(٢) ، فلم يحظ منه بشيء ، فهجاه ، فقال من قصيدة [من السريع] :
خَلِيفَةُ يَزِيدٍ بَعْمَاتِهِ يَلْعَبُ بِالْدَّبُوقِ وَالصَّوْلَجَانِ^(٣)
أَبْدَلْنَا اللَّهَ بِهِ غَيْرَهُ وَدَسَّ مُوسَى فِي حِرِّ الْخَيْرُزَانِ
وأنشدها في حلقة يونس النحوي ، فسعى به إلى يعقوب بن داود الوزير ،
وكان بشار قد هجاه بقوله [من البسيط] :

(١) في الأصول « بشيراز إذ أن في طريقه » وكتناه إذ أن « لا محل لها
هنا ، وليستافي الأغاني
(٢) ذكر في الأغاني في ترجمة بشار (٣ - ٦٩) القصائد التي مدح بها
بشار الخليفة المهدي ولم يحظ منه عليها بشيء ، فارجع إليها ثم إن شئت
(٣) في الأصول « بالدبوق » وما أثبتناه هو الصواب ، وهو الموافق لما
في الأغاني . وفي القاموس « والدبوق كتنور لعبة معروفة »

لَا تَزِدْ بُرْهَانَهُ يَرْكَبُكَ وَلَا يَنْتَوِي عَلَيْهِ لَفْرَقَةٍ أَحَدٌ
وَلَا يَنْتَوِي عَنْكَ وَلَا يَنْتَوِي عَنْكَ وَلَا يَنْتَوِي عَنْكَ
يَرْدُّ دَعْوَاهُ أَنْ أَهْلَهُ فَرَحًا لَمَّا أَتَاهُمْ خِيَةً سَجِدُوا

وكل بشر مصل أي الشفق في كل سنة ماتي حرم، فأنشد في بعض السنين
قال له: هم البغوية يا أيها الساذ، قال: ويحك بوجيزة هي أيضا؟ قال: هو ما
نسمع، قال له بشر بلزحه: أنت أضحى؟ قال: لا، قال: فلم أضحى؟ قال:
لنفس؟ قال: لا، قال: فأضحى؟ قال: لا، قال: فلم أضحى؟ قال:
بلا أضحى، قال له: إن هجوتني هجوتك، قال له أبو الشفق: أومكنا
هو؟ قال: نعم صل ما يملك، قال أبو الشفق [من الرجز]:

يَا إِذَا مَا شَهِرٌ هَجَاتُهُ وَلَجَّ فِي التَّوَلَّى لَهُ لِسَانُهُ
أُدْخَلَتْهُ فِي اسْتِ أُمِّهِ عَلَانِيَةً بِشَارُ يَا بَشَلُ.....

وأراد أن يقول «يا ابن الزانية» فوثب بشرا فأسكته، وقال: تولد ولدت
أن يشفق، ثم وضع إليه ماتي حرم، وقال: لا يسمن منك هذا الصيقل.
وحث الأسمى قال: أمر عتبة بن سلم لبشر بشرة آلاف حرم، فأخبر
أبو الشفق بذلك، فوافق بشرا قال له: يا أيها الساذ إن هجوتني هجوتك فسمعتهم
يشعرون [من مجزوء الرمل]:

عَلَيْهِ عَلَيْهِ مَلَنْ قَبْلَهُ لَيْتَهُ

إِنْ بَشَلُ بْنُ بَرْدٍ يَحْسُ أَمِي فِي سَيْنَةٍ

فخرج له بشر ماتي حرم وقال: أخذ منه ولا تكن دلوية لهيكل
يا أيها الشفق.

ولما ضرب بشار وطرح في السفينة قال : ليت عين أبي الشمق تراه
حيث يقول :

إب بشار بن برد تيس اعى في سفينة .

وكان قتله سنة ثمان وستين ومائة ، وقد بلغ نيافاً وتسعين سنة .

ومن شعره قوله [من السريع] :

طالِبْتُهَا دِينًا فَضُنْتُ بِهِ وَأَمْسَكَتْ قَلْبِي مَعَ الدِّينِ

فَرُحْتُ كَالْمَيْمِ غَدًا يَبْتَغِي قَرْنًا فَلَمْ يَرْجِعْ بِأَذْنَيْنِ

أَعْتَقْتُ مَا أَلَيْكَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَحَبُّ أَنْ أَلْصَاقُ فَالْقَيْنِ

وَاللَّهِ لَوْ نِلْتُكَ لَا أَتَقَى عَيْنًا لِقَبْلَتِكَ أَلْفَيْنِ

قوله « فرحت كالدير - البيت » مثل قول بعضهم [من الكامل] :

زَهَبَ الْحَارُ لَيْسَ فَيَدَ لِنَفْسِهِ قَرْنَا قَابَ وَمَالَهُ أَذْنَانِ

ومن شعره قوله [من الخفيف] :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمَسْرِ وَأَيُّ الشَّرِيكَ فِي الْمَرِئِنَا

الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَسَى وَإِنْ غَيْبَتْ كَانَ أَذْنًا وَعَيْنَا

مِثْلُ سُرِّيَا قَوْتِ إِنْ مَسَّ النَّارَ جَلَّاهُ الْبَلَاءُ فَازْدَادَ زَيْنَا

أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَبْتَ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنَا

وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرَايَا عَلَيْنَا

مَا أَرَى لِلْأَنْامِ وَدًّا صَحِيحًا عَادَ كُلُّ الْوِدَادِ زَوْرًا وَمَيْنَا

٥٦ - قُلْتُ عَسَى أَنْ تُبَغِّرَ بَنِي كَأَنَّمَا بَنِي حَوَالِي الْأَسْوَدُ الْحَوَارِدُ

البيت من الطويل ، قاله الفرزدق ، من جملة أبيات قالها مخاطباً لزوجته النوار

وَكُنْ قَدْ مَكَثَ زَمَانًا لَا يُولَدُ لَهُ فَعِيرَتُهُ بِذَلِكَ ، وَأَوَّلُ الْآيَاتِ (١) :
وَقَالَتْ أَرَأَيْتَ وَاحِدًا لَا أَخَاهُ لَهُ يُؤْمَلُهُ يَوْمًا وَلَا هُوَ وَالِدُهُ
وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، وَبَعْدَهُ :

فَإِنْ تَمِيمًا قَبْلَ أَنْ يُلِدَ الْخَصَا أَقَامَ زَمَانًا وَهُوَ فِي النَّاسِ وَاحِدٌ
وَالْحَوَارِدُ : مَنْ حَرَدَ إِذَا غَضِبَ .

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : تَرَكَ الْوَاوَ فِي الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ الْحَالِيَةِ لِدُخُولِ حَرْفٍ عَلَى الْمُبْتَدَأِ بِمَصْلُ
بِهِ نَوْعٍ مِنَ الْإِرْتِبَاطِ وَهُوَ هُنَا « كَأَنَّ » إِذْ لَوْ لَمْ تَدْخُلْ لِمَا حَسَنَ الْكَلَامَ إِلَّا بِالْوَاوِ ،
و « بَنَى الْإِلْحَ » جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ وَقَدِّمَتْ حَالًا مِنْ مَقُولٍ تَبَعُ مَرْنِي ، وَهِيَ « حَوَالِي »
فِي أَكْنَافِي رَجَوَانِي ، وَهُوَ حَالٌ مِنْ بَنَى لِمَا فِي حَرْفِ التَّشْبِيهِ مِنْ مَعْنَى الْفَعْلِ .

٥٧ - وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا بُرْدَاكَ تَبَجِيلٌ وَتَعْظِيمٌ
الْبَيْتُ لِابْنِ الرُّومِيِّ ، مِنْ قَصِيدَةٍ مِنَ السَّرِيعِ ، مِنْهَا قَبْلَ الْبَيْتِ :
قَلَّ لَهُ الْمَلِكُ وَلَوْ أَنَّهُ مَجْمُوعَةٌ فِيهِ الْآفَالِيمُ

وَالْتَبَجِيلُ : التَّعْظِيمُ .

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : تَرَكَ الْوَاوَ فِي الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ الْحَالِيَةِ وَهِيَ « بُرْدَاكَ الْإِلْحَ » لَوُقُوعِهَا
بَعْقِبِ حَالٍ مُفْرَدٍ وَهُوَ « سَالِمًا » إِذْ لَوْ لَمْ يَتَقَدَّمْهَا لَمْ يَحْسُنْ فِيهَا تَرَكَ الْوَاوِ ، وَالْحَالَانِ
أَعْنَى الْجُمْلَةِ وَسَالِمًا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُرَادِفَةِ ، وَهِيَ : أَنْ تَكُونَ أَحْوَالُ
مُعْتَدَةٍ وَصَاحِبِهَا وَاحِدًا كَالسَّكْفِ مِنْ يَبْقِيكَ هَاهُنَا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَحْوَالِ
الْمُتَدَاخِلَةِ ، وَهِيَ : أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْحُلِّ الْمُنْتَخِرَةِ الْاسْمِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْحَالُ
السَّابِقُ ، مِثْلُ أَنْ يَجْعَلَ قَوْلَهُ « بُرْدَاكَ تَعْظِيمٌ » حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي سَالِمًا .
وَإِنَّ الرُّومِيَّ تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ فِي شَوَاهِدِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ (٢) .

(١) اقْرَأْهَا فِي الدِّيْوَانِ

(٢) اقْرَأْ تَرْجُمَتَهُ فِي شَرْحِ الشَّاهِدِ (رَقْمُ ١٨)



شواهد الایجاز والاطناب والمساواة

٥٨ - والعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلٍّ لِ النُّوْكَ مِنْ عَاشٍ كَدًّا

البيت للحارث بن حِزَّةَ البشكري ، من الكامل المضمحل المرفل ، وقيل^(١) :

فَاشْ بِجِدٍّ لَا يَضُرُّكَ النُّوْكَ مَا أُولَيْتَ جَدًّا^(٢)

والنوك - بضم النون وفتحها - الحق ، ومعنى « كدًّا » مكدودًا متعبًا^(٣) .

والشاهد فيه : الاخلال ، لكونه غير واف بالمراد ، إذ أصل مراده أن

العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل ، ولفظه غير

واف بذلك .

وما أحسن قول ابن المعتز [من الكامل] :

وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا لِحَالِهَا وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَّلَا

ولأبي عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي المرسى [من الكامل] :

عَابُوا الْجَهْلَةَ وَازْدَرَوْا بِحَقُوقِهَا وَتَهَاوَنُوا بِمُجْدِنِهَا فِي الْمَجْلِسِ

وَهِيَ الَّتِي يَنْقَادُ فِي يَدِهَا الْغَنَى وَتَجِيئُهَا الدُّنْيَا بِرَغَمِ الْمَعْطَسِ

إِنَّ الْجَهْلَةَ لِلْغَنَى جَذَابَةٌ جَذَبَ الْحَدِيدُ جِجَارَةَ الْمَغْنِطِيسِ

ولأبي عبد الزيدى من أبيات [من الخفيف] :

عِشْ بِجِدٍّ وَلَا يَضُرُّكَ نُوْكَ إِنَّمَا عِشْ مِنْ تَرَى بِالْجُدُودِ

عش بجِدٍّ وكن هَبْنَقَةً الْعَبْسِيِّ نُوْكَاً أَوْ شَيْبَةً بِنِ الْوَلِيدِ

وما أحسن قول بعضهم [من السريع] :

(١) اقرأ الآيات التي منها الشاهد والبيت الذي ذكره المؤلف في الأغاني

(٩ - ١٨١)

(٢) في الأصول « عيش بجِدٍّ » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما في الأغاني

(٣) الصواب أن يقال « متعباً »

شاهد إخلال
اللفظ بالغنى
المراد

إن المقاديرَ إذا ساعدتْ أَلْحَقَتِ العاجزَ بالقادرِ
وبدع قول بعضهم [من مخلع البسيط] :

بالجد يُسمى القَتَى وإلَّا فليسَ يُغْنَى أبٌ وجدٌ
وليس يُجْدَى عَلَيْكَ كَدٌ مادامَ يُكْدَى عَلَيْكَ جَدٌ

وما أخذق قول ابن لُتْكَ [من البسيط] :

دنياك باتتْ على الأحرارِ غاضِبَةً وطاوعتْ كلَّ صَعْفَانٍ وَضَرَّاطٍ
وقوله أيضاً [من الكامل] :

كنى ساعياً ومُصافِعاً ومُضَارِطاً تَنَلِ الرغائبَ في الزَّمانِ وَتَنَفِّقِ
ولولفه من أبيات [من السريع] :

من يَبِغْ بِالْفَضْلِ معاشاً يَمِتْ جوعاً ولو كانَ بَدِيعَ الزَّمانِ
ومن يَقْدُ أو يَتَمَسَخَرُ يَعيشُ عيشاً رَحيماً في ظلالِ الأمانِ
تبغى الحجا ثم تروم الغنى يا قلما تجتمعُ الضَّرَّتَانِ

ولطيف قول بعضهم [من الخفيف] :

قد يُحَدُّ اللَّيْبُ عن سعة الرِّزِّ قِ وقد يَسْعُدُ الضَّعِيفُ بِجِدِهِ (١)
رُبَّ مالٍ أتى بأهونِ سَعَى وَكَدُوْدٍ لم يُغْنِهِ طولُ كَدِهِ
ولابن نباتة السمدى [من الكامل] :

ما بال طَعْمِ العيشِ عندَ مَناثِيرٍ حُلُوٍ وعندَ معاشرٍ كالعَلَقَمِ
من لى بعيشِ الأغبياءِ فانه لا عيشَ إلا عيشُ مَنْ لم يعلم

(١) في الاصول « قد يجحد » وهو تحريف ، صوابه ما أثبتناه ، ويحد
- بالحاء المهمله مبنيًا للمجهول - محرم وممنوع

والحارث^(١) بن حِلْزَة هو من بنى يَشْكُر من بكر بن وائل ، وكان أبرص ، وهو القاتل [من الخفيف] :

أَدْنَنَّا بَيْنَهُمَا أَسْمَاءَ رَبِّ ذُو الْبَلِّ مِنْهُ الثَّوَاهِ

وقال : إنه ارتجىها بين يدي عمرو بن هند ارتجالا في شيء كان بين بكر وتغلب في الصلح ، وكان ينشده من وراء السجف للبرص الذي كان به ، فأمر برفع السجف بينه وبينه استحساناً له ، وكان الحارث متوكئاً على عذرة فأثرت في جسده وهو لا يشعر ، وكان له ابن يقال له مذعور ، ولمذعور ابن يقال له شهاب ابن مذعور ، وكان ناسباً وفيه يقول مسكين الدارمي [من الوافر] :

هَلَمْ إِلَى ابْنِ مَذْعُورٍ شِهَابٍ يُنْبِئُ بِالسَّقَالِ وَالْمَعَالِ

قال الأصمعي : قد أقوى الحارث بن حِلْزَة في قصيدته التي ارتجىها :

فَلَكُنَّا بَنَازِلُكَ النَّاسَ إِذَا مَا مَلَكَ الْمُنْدُرُ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ^(٢)

قال أبو محمد : ولن يضر ذلك في هذه القصيدة ، لأنه ارتجىها فكانت كلخطبة .

٥٩ — وَأَلْنِي قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا

الخطوب

هو من الوافر ، وصدره :

(١) للحارث بن حِلْزَة ترجمة في الأغاني (٩ : ١٧٧ — ١٨١)

(٢) كتب مصحح مطبوعة بولاق على هامش النسخة ما نصه :

« قوله فَلَكُنَّا بَنَازِلُكَ ، لم أقف على هذا البيت في القصيدة بعد مراجعتها في شرح المملقات فليُنظر »

وعبارة الأصمعي ورواية البيت بصورته هنا مأخوذة عن الشعراء لابن قتيبة والتعليق عليه تعليقته (انظره ٩٦)

* وقدّدت الأديم لراهشيه (١) *

وقال له عدى بن زيد العبادى ، من قصيدة طويلة أولها :
 أَبْدَلْتُ الْمَنَازِلُ أُمَ عَيْنَا بِقَادِمِ عَهْدِهِنَّ فَقَدْ بَلَيْنَا
 يقول فيها يخاطب النعمان بن المنذر بن ماء السماء :
 أَلَا يَا أَبَا الْمُثَرَّى الْمَرْجَى أَلَمْ تَسْمَعْ بِمُخْطَبِ الْأَوَّلَيْنَا
 ومنها ويذكر غدر الزباء بمجذبة الأبرش :
 دَعَا بِالْبَقَّةِ الْأَمْرَاءُ يَوْمًا جَذِبَهُ عَصْرَ يَنْجُوهُمْ ثَيْنَا (٢)
 فطَافَ أَمْرَهُمْ وَعَصَى قَصِيرًا وَكَانَ يَقُولُ لَوْ تَبِعَ الْيَقِينَا
 وَدَسْتُ فِي صَحِيفَتِهَا إِلَيْهِ لِمَلِكٍ بَضْعَهَا وَلَآنَ تَدِينَا
 فَسَاجَاها وَقَدْ جَمَعْتَ فَيُوجَا عَلَى أَبْوَابِ حِصْنٍ مُضْلَيْنَا (٣)
 فَازْدَدْتَهُ وَرَغَبُ النَّفْسِ يُرْدِي وَيَبْدَى لَلْفَتَى الْحَيْنَ الْمُبِينَا
 وَحَدَّثْتَ الْعَصَا الْأَنْبَاءَ عَنْهُ وَلَمْ أَرْ مِثْلَ فَارِسِهَا هَجِينَا
 وبعده البيت المستشهد بعجزه ، وبعده :

(١) اقرأ هذه الأبيات فى الشعراء لابن قتيبة (١١٢-١١٣) وقد روى
 هناك « وقدّمت الأديم » وفى لسان العرب (م ي ن) كما هنا « فقددت »
 (٢) فى الأصول « ينحوم بنينا » وما أثبتناه موافق للشعراء ، وينحوم :
 من التجوى ، يريد يناجبهم ، وثيننا : جمع ثبة بمعنى الجماعة ، وهو حال من
 المفعول

(٣) هذا البيت والبيت الذى ذكر أنه المطلع لا يوجدان فى الشعراء لابن
 قتيبة . « فيجوج » : جمع فيج - بفتح وسكون - وهو رسول السلطان ، وهو
 أيضا الذى يدخل السجن ويخرج للحراسة ، فارسى معرب ، قاله فى اللسان
 (فى ج)

ومن حذر الملايم والحازي وهنّ المنديات لمن مئينا
أطفتْ لائف الموتى قصيرُ ليجدعه وكان به ضينا
فأهواءُ لما رنير فاضحي طلاب الوتر تجذوعاً مشينا
وماذت امرأ لم تحش منه غوائله وما أمنت أمينا
فلما ارتد منها ارتد صلباً بجُر المال والصدر الضفينا
أنتها العيسُ نحلُّ ما دهاها وقنع في المسوح الدارينا
ودس لها على الاتفاق عمراً بشكته وما خثيت كينا
لجأها قديم الأثر عَضبا يصكُّ به الحواجب والجبينا
فأضحت من خزائنها كأن لم تكن زباء حاملةً جنبينا
وأبرزها الحوادث والنايا وأى معمر لا يتلينا
إذا أمهلنْ ذا جدٍ عظيم عطفن عليه ولو فرطن حيناً
ولم أجد الفتى يلهو بشئ ولو أترى ولو ولد البنينا

وكان من (١) خبر جذيمة والرباء أن جذيمة كان من العرب الأولى من بنى
إياد كما ذكره ابن السكبي، وكنيته أبو مالك، وكان في أيام ملوك الطوائف،
وقال أبو عبيدة: كان جذيمة بعد عيسى صلوات الله وسلامه عليه بثلاثين سنة،
وكان قد ملك شاطيء الفرات إلى ما والى ذلك إلى السواد، ستين سنة، وكان به
برص، فهابت العرب أن تصفه بذلك فقالوا: الأبرش، والوضاح، وقيل: 'سعى
بذلك لأنه أصابه حرق نار فبقى أثره تقطاً سوداً وحمراً، وكان الملك قبله أباه،
وهو أول من ملك الحيرة، وكان جذيمة هذا يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم

خبر جذيمة
الأبرش

(١) انظر مرجح العيون (٣٩ و ٤٢) وانظر مجمع الأمثال للميداني

على كثير مما في أيديهم ، وهو أول من أوقد الشمع ونصب المجانيق للحرب ، وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق ، وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على غالب مملكه وألجأ الزباء إلى أطراف مملكتها ، وكانت عاقلة أربية فبعثت إليه تخطبه لنفسها ليتصل مملكة بمملكة ، فدعته نفسه إلى ذلك ، وقيل : هو الذي بعث إليها بخطبها ، فكتبت إليه : إني فاعلة ومثلك يُرغَب فيه ، فإذا شئت فاشخص إليّ ، فشاور وزاده فكلُّ أشار عليه أن يفعل ، إلا قصير بن سعد فانه قال له : أيها الملك لا تفعل فان هذه خديعة ومكر - فعصاه وأجابها إلى ما سألت ، فقال قصير عند ذلك : لا يُطَاع قصير رأى ، وقيل : أمر ، فأرسلها مثلاً ، ولم يكن قصيراً ، ولكن كان اسماً له ، ثم إنه قال له : أيها الملك أما إذ عصيتني فإذا رأيت جندها قد أقبلوا إليك فان رجلوا وخيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظني ، وإن رأيتهم إذا حَيَّكَ طافوا بك فاني معرض لك العصا — وهي فرس لجذيمة لا تدرك — فاركبا وانج ، فلما أقبل جيشها حيوه ثم طافوا به فقرب قصير إليه العصا فشغل عنها فركبا قصير فنجأ ، فنظر جذيمة إلى قصير على العصا وقد حال دونه السراب فقال : ما ذلَّ من جرَّت به العصا ، فأرسلها مثلاً ، وأدخل جذيمة على الزباء ، وكانت قد ربت شعر عانتها حولا ، فلما دخل تكشفت له وقالت : أمتع عروس ترى يا جذيمة ؟ فقال : بل متاع أمة بظراء ، فقالت : إنه ليس من عدم المواسي ، ولا من قلة الأواسي ، ولكنها شيمة ما أقاسي ، (١) وأمرت فأجلس على نطع ، ثم أمرت برواهشه فتقطعت ، وكان قد قيل لها : احتفظي بدمه فانه إن أصاب الأرض قطرة من دمه طُلب بشأره ، فقطرت قطرة من دمه في الأرض ، فقالت :

(١) في مجمع الأمثال « لا من عدم مواس ، ولا من قلة أواس ، ولكن شيمة من أناس »

لاتضيءوا دم الملك ، فقال جذبية : دعوا ما ضيعه أهله ، فلم يزل الدم يسيل إلى أن ملت .

ثم إن قصيراً أتى عمراً ابنَ حذيفة وأخبره الخبر ، وحرضه على أخذ النار ، واحتمل لذلك . بأن قطع أنفه وأذنيه ، ولحق بالزباء ، وزعم أن عمراً فعل به ذلك ، وأنه اتهمه بمالآته لها على خاله ، ولم يزل يخذلها حتى اطمانت له وصارت ترسله إلى العراق بمال فيأتي إلى عمرو فيأخذ منه ضعفه ويشترى به ما تطلبه ويأتي إليها به ، إلى أن تمكن منها وسلته مفاتيح الخزائن وقالت له : خذ ما أحببت فاحتمل ما أحب من مالها وأتى عمراً فانتخب من عسكره فرساناً والبسهم السلاح واتخذ غراراً وجعل أشراجها من داخل ، ثم حمل على كل بعير رجلين متهما سلاحهما وجعل يسير التبارح حتى إذا كان الليل اعتزل عن الطريق ، فلم يزل كذلك حتى شارب المدينة ، فأمرهم فلبسوا الحديد ودخلوا الغرائر ليلاً ، وعرف أنه مصيحبها فلما أصبح عندها دخل عليها وسلم ، وقال : هذه البعير تأتيك الساعة بما لم يأتك قط مثله ، فصعدت فوق قصرها وجعلت تنظر البعير وهي تدخل المدينة فأنسكت مشيها وجعلت تقول [من الرجز] :

ما للجِمالِ مشيها وثبيداً أجندلاً يحملان أم حديداً
أم صرطاناً بارداً شديداً أم الرجالِ جنماً قومداً

فلما توافت البعير المدينة حلوا أشراجهم وخرجوا في الحديد ، وأتى قصير وعمرو فأقامه على سرب كان لها إذا خشيت خرجت منه ، فأقبلت لتخرج من السرب فأتاها عمرو فجعلت تمس خاتماً وفيه سم وتقول : بيدي لا يبسد عمرو ، وفارت الدنيا ، والراهشان : عرقان في باطن الذراعين .

والشاهد فيه : التطويل ، وهو أن يكون اللفظ رائداً على أصل المراد لا لفائدة واللفظ الرائد غير متعين إذ جمعه بين الكذب والمين في البيت لا فائدة فيه

لا يترجا بمعنى واحد .

وعدى (١) هو ابن زيد بن حماد بن أيوب (٢) ينتهى نسبه إلى زار ، وكان
 أيوب هذا فيما يزعم ابن الأنبارى أول من سمي من العرب أيوب ، وكان عدى
 شاعرا فصيحاً من شعراء الجاهلية ، وكان نعرانيا ، وكذلك كان أبوه وأهله ،
 وليس ممن يعد من الفحول ، إذ هو قروى ، وقد أخذ عنه أشياء هيئ بها ، وكان
 أبو عبيدة والأصمعي يقولان : عدى بن زيد في الشعراء بمنزلة سهيل في النجوم
 يمارضها ولا يجرى معها بجراها ، وكذلك عندهم أمية بن أبي الصلت النقي ،
 ومثلها عندهم من الأسلاميين السكيت والطرماح . وقال ابن قتيبة : كان يسكن
 الحيرة ويدخل الأرياف فنقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جدا ، وعلمناؤنا
 لا يرون شعره حجة .

وله أربع قصائد غرر : إحداهن أولها [من الخفيف] :
 أرواحٌ مودَّعٌ أم بكورٌ لك فاعِدْ لآى حالٍ تصيرُ
 وفيها يقول :

أيها الشامتُ المعبّرُ باللهـمـرِ أأنتَ المبرأُ الموفورُ
 أم لديك العهد الوثيقُ من الأيسامِ أم أنتَ جاهلٌ مغرورُ
 من رأيتَ المنونَ جازتُه أم من ذا عليه من أن يضامَ خفيرُ (٣)
 أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشيرُ وإنْ أم ابن قبله سابورُ (٤)

(١) لعدى بن زيد ترجمة في الشعراء لابن قتيبة (١١١) وفي الأغاني
 (٢ - ١٨) وفي خزنة الأدب (١ - ١٨٤)

(٢) في الأغاني « عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب »

(٣) في الشعراء « من رأيت المنون خلدن »

(٤) في الشعراء « كسرى الملوك أبو ساسان »

وبنو الأصغر الكرام مؤنة الرُّوم ، لم يبقَ منهم مذكورٌ
 وأخو الحضرة إذ بناءً وإذ دجلة تُجنى إليه والخابورُ
 شادَهُ مَرَمًا وَجَلَّهُ كَلْبًا فَلطَّيرَ في ذَرَاهُ وَكُورُ
 وَتَبَيَّنَ رَبِّ اتَّخُورَنِي إِذْ أَشْرَفَ يَوْمًا وَللهي تفكيرُ
 سرَّهُ حالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ والبحرُ مُعْرِضًا والسديرُ (١)
 فارغوى قلبُهُ وَقَالَ وما غِيْطَةٌ حَتَّى إِلَى المَمَاتِ يَصِيرُ
 ثم بَعْدَ الفلاحِ وَالْمَلِكِ وَالْأَمْسَةِ وَارْتَبَهُمْ . هُنَاكَ القُبُورُ
 ثم أَصْحَوْا كَأَنَّهُمْ رِيقٌ جَسَفَ فَأَلَوْتَ بِهِ الصَّبَا والدُّبُورُ (٢)
 والثانية أولها [من الطويل] :

أَتَرَفَ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ نَمَ قَرَمَاكَ الشَّوْقُ قَبْلَ التَّجَلِّدِ
 أَعَاذَلْ مَا يُدْرِيكَ أَنْ مَنِيَّتِي إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوْمِ أَوْ فِي ضَحَى الْقَدِ
 ذَرَبْنِي فَأَنَّى إِنَّمَالِي مَا مَضَى أُمَامِي مِنْ مَالِي إِذَا خَفَّ عَوْدِي
 وَحَتَّ لِمِقَاتِي إِلَى مَنِيَّتِي وَغُودِرْتُ قَدْ سُدَّتْ أُولَمْ أَوْسَدِ
 وَلِلوَارِثِ الْبَاقِي مِنَ الْمَالِ فَاتَرَكِي عَتَابِي فَأَنَّى مُصْلِحٌ غَيْرُ مُفْسِدِ
 والثالثة أولها [من المنسرح] :

لَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي غَبَنِ الـ أَيَّامٍ يَفْسُونُ مَا عَوَاقِبُهَا
 والرابعة أولها [من الخفيف] :
 طَالَتْ لَيْلِي أَرَأَقِبُ التَّنَوِيرَا أَرُقُبُ اللَّيْلَ بِالصَّبَاحِ بَصِيرَا
 انتهى ما قاله ابن قتيبة .

(١) في الأغاني « سره ماله » وفي الشعراء مثل ما هنا

(٢) في الأغاني « ثم صاروا » وفي الشعراء مثل ما هنا

وكان جده أيوب، منزله بالبيعة فصاب دما في قومه فهرب فملحق بؤوس
 ابن قلاه أحد بني الخث بن كعب بالخير ، وكان بينهما نسب من قبل
 النساء ، فقام بالخير واتصل بالملوك الذين كانوا بها ، وعرفوا حقه وحق بني .
 وبذلك عدى وأيقع ضربه أبوه في الكتاب ، حتى إذا حقق أرسله مرزبان
 الخيرة مع ابنه شاهان مرد إلى كتاب الفارسية ، فكان يختلف مع ابنه ويتعلم
 الكتابة والكلام بالفارسية ، حتى خرج من أفهم الناس بهما وأفصحهم
 بالعربية ، وقال الشعر ، وتعلم الرمي بالنشاب ، فخرج من الأساورة الرماة ، وتعلم
 لعب العجم على أنجيل بالصوالجة وغيرها ، ثم إن المرزبان وفد على كسرى ومعه
 ابنه شاهان مرد ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السور فتصاعما
 كما يتصاعم الذكر والأنثى يجعل كل واحد منهما منقاره في منقار الآخر ، فغضب
 كسرى من ذلك ، ولحقته غيرة شديدة ، فقال للمرزبان وابنه : ليرم كل واحد
 منكما واحداً من هذين الطائرين فان قتلتماهما أدخلتكما بيت المال وملأت أفواهكما
 بالجوهر ، ومن أخطأ منكما عاقبته ، فاعتمد كل واحد منهما طائراً منهما ورميا
 قتلتاهما جميعاً ، فبعث بهما إلى بيت المال فلبت أفواههما جوهراً ، وأثبت شاهان
 مرد وسائر أولاد المرزبان في صحابه ، فقال عند ذلك للملك : إن عندى غلاماً
 من العرب مات أبوه وخلفه في حجرى فربيته ، وهو أفصح الناس وأكثيرهم
 بالعربية والفارسية ، والمالك محتاج إلى مثله ، فان رأى الملك أن يثبت في ولى
 فل ، فقال : ادعه ، فأرسل إلى عدى بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحسن ،
 وكانت الفرس تتبرك بالجميل ، فلما كلمه وجهه أطرف الناس وأحضرهم جواباً ،
 فرغب فيه وأثبت مع ولد المرزبان ، فكان عدى أول من كتب بالعربية في ديوان
 كسرى ، فرغب أهل الخيرة إلى عدى ورهبوه ، فلم يزل بالملائن في ديوان

كسرى يؤذن له عليه في الخاصة ، وهو معجب به (١) قريب منه ، وأبوه زبدين
 حماد حتى إلا أن ذكر عدى قد ارتفع وجمل ذكر أبيه (٢) ، فكان عدى إذا دخل
 على المنذر قام له هو وجميع من عنده حتى يقعد عدى ، فعلا له بذلك صيت عظيم ،
 وكان إذا أراد المقام في الحيرة مع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر
 والشهرين وأكثر وأقل ، ثم إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهدية من طرَف
 ما عنده ، فلما أتاه عدى بها أكرمه وحمله إلى أعماله على البريد ليريه سعة أرضه
 وعظم ملكه وكذلك كانوا يصنعون ، فن ثم وقع عدى بدهشق وقال بها الشعر ،
 فما قاله بالشام وهو أول شعر قاله فيها ذكر [من الخفيف] :

رُبَّ دَارٍ بِأَسْفَلِ الْجَزْعِ مِنْ دُوْمَةٍ أَشْهَى إِلَى مِنْ جِيرُونِ
 وَتَدَامَى لَا يَفْرَحُونَ بِمَا نَالُوا وَلَا يَتَقُونَ صَرَفَ الْمُنُونِ (٣)
 قَدْ سَقِيتَ الشَّوْلَ فِي دَارِ بَشَرٍ قَهْوَةً مُرَّةً يَمَاءَ سَخِينِ (٤)

ثم إن عدنيا قدم المدائن على كسرى بهدية قيصر فصادف أباه والمرزبان
 الذي ربه قد هلكا جميعا ، فاستأذن كسرى في المقام (٥) بالحيرة ، فتوجه إليها
 وبلغ المنذر خبره ، فخرج فتلقاه ورجع معه ، وعدى أنبل أهل الحيرة في
 أنفسهم ، ولو أراد أن يملكه للملكه ، ولكنه كان يؤثر الصيد والاهو واللعب
 على الملك ، فمكث سنين يبدو في فصلى السنة ، فيقيم في البر (٦) صيفا ويشنو

(١) في الأصول « وهو معجب له » وما أثبتناه موافق لما في الأغاني

(٢) في القصة أن المرزبان قال لكسرى « إن عندي علما من العرب مات

أبوه وخلفه في جحى قريبته »

(٣) في الأغاني « ولا يرهبون صرف المنون »

(٤) هكذا في أصول هذا الكتاب وفي الأغاني ، وأجسبه « قهوة مزنة »

بالزاي

(٥) في الأغاني « في الامام بالحيرة » فأذن له ،

(٦) كذا والذي في الأغاني ، « فيقيم في جفير ويشنو بالحيرة »

بالحيرة ، ويأتى المدائن فى خلال ذلك ، فيخدم كسرى ، فكث بذلك سنين .
ثم إن المنذر هلك وقام ابنه النعمان بمقامه بمعاونة عدى فى خبر طويل ، ثم لم يزل
الحسدة يوقعون بينه وبين عدى إلى أن حبسه ، فقال فى ذلك أشماراً كثيرة
منها [من الرمل] :

طالَ ذا الليلُ علينا وَاَعْتَكُرْ وكأني بادرُ الصبحِ تَهْمُرُ^(١)
من نَجَى الهمَّ عِنْدِي ثَوِيًّا فوقَ ما أعلَنُ منهُ وأسرَ
وكانَ الليلَ فيه مثلهُ ولَقَدْما ظُنَّ بالليلِ القصرُ^(٢)
لَمْ أَغْضِ طولهُ حتى انقضى أُنحَى لو أَرَى الصبحَ حَشَرُ^(٣)
غيرَ ما عَشِقَ ولكن طارقُ تَخْلَسَ النومَ وأجداني السهرُ
وقال يخاطب النعمان بن المنذر أيضاً [من الرمل] :

أبلغ النعمان عني ما ألكأ أنه قد طالَ حبسِي وانتظارُ
لو بغير الماءِ حلقتى شريقُ كنت كالعَصانِ بالماءِ اعتصارُ
ليت شعري مَنْ دَخِيلٌ يعتري حينما أدركَ ليلي ونهارُ^(٤)
قاعدًا يكرِبُ نفسى بَهَا وحرام كانَ سجنِي واختصارُ^(٥)

-
- (١) فى الأصول « وكأني بادر الصبح سحر » محرفاً عما أثبتناه موافقاً
لما فى الأغاني
(٢) فى الأصول « ولقد أبطن بالليل القصر » محرفاً عما أثبتناه موافقاً
لما فى الأغاني
(٣) فى الأصول « جسر » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما فى الأغاني
(٤) رواية هذا البيت فى الأغاني :
ليت شعري عن دَخِيلٍ يفتري حينما أدري ليلي ونهار
(٥) فى الأغاني « وحرام ما كان سجنى » وهو أصح عربية

في قصائد كثيرة كان يقولها ، ويكتب بها إليه ، فلا تجدى عنده شيئاً
ولقد تداول الشعراء معنى بيت عدى « لو بغير الماء خلقى شرق إلخ »
بعد عدى ، فقال أبو نواس [من البسيط] :

غصصتُ منك بما لا يدفع الماء وصحَّ حبك حتى ما به داه
وقال الآخر [من البسيط] :

من غصَّ داوى يشرب الماء غصته فكيف يصنع ن قد غصَّ بالماء
وقال الخبزازرى [من البسيط] :

بالماء أدفع شيئاً إن غصصت به فما احتيالى وغصى منك بالماء

ثم لما طال سجن عدى كتب إلى أخيه أبي ، وهو مع كسرى ، يعلمه
بحاله : فلما قرأ كتابه قام إلى كسرى فكلّمه في أمره وعرفه بخبره ، فكتب
إلى النعمان يأمره باطلاقه ، وبث معه رجلاً ، وكتب خليفة النعمان إليه ، إنه قد
كتب إليك في أمره ، فأبى النعمان أعداء عدى ، وقالوا : اقتله الساعة ،
فأبى عليهم . وجاء الرسول ، وقد كان أخو عدى تقدم إليه ورشاه ، وأمره أن
يبدأ بعدى فيدخل عليه وهو محبوس بالصين ، فقال له : ادخل عليه ، وانظر
، ماذا يأمر بك به ، فامثله ، فدخل الرسول على عدى ، فقال له : إني قد جئت بأمر
فما عندك ؟ قال : عندي الذي تحب ، ووعده عدة سنّة ، وقال له : لا تخرجن
من عندي ، وأعطاني الكتاب حتى أرسله إليه ، فانك والله لن تخرجت من
عندي لأقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتى الملك بالكتاب فأوصله إليه ،
فانطلق بعض من كان هناك من أعداء عدى ، فأخبر النعمان أن رسول كسرى
دخل على عدى وهو ذاهب به ، وإن فعل والله لم يستبق منا أحداً ، أنت ولا
غيرك ، فبعث إليه النعمان أعداءه فعموه حتى مات ، ثم دفنوه ، ودخل الرسول
إلى النعمان ، فأوصل الكتاب إليه ، فقال : حباً وكرامة ، وأمر له بأربعة آلاف

منقال ذهب وجارية حسناء ، وقال له : إذا أصبحت فادخل أنت بنفسك المجلس فأخرجه ، فلما أصبح ركب فدخل السجن ، فأخبره الحارس أنه قد مات منذ أيام ، ولم نجترئ على إخبار الملك بذلك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهيته لموته ، فرجع إلى النعمان فقال : إني قد كنت أمس دخلت على عدى وهو حى ، وجئت اليوم فوجدتى السجنان وبهتتى ، وذكر لى أنه قد مات منذ أيام ، فقال له النعمان : أبيعك بك الملك إلى فتدخل إليه قبلى ؟ كذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبث ، وتمده ، ثم زاد جائزته وأكرمه وتوثق منه أن لا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول إلى كسرى ، وقال : إني قد وجدت عدياً قد مات قبل أن أدخل عليه ، وندم النعمان على قتله ، وعلم أنه قد احتيل عليه فى قتله ، واجترأ أعداؤه عليه ، وهابهم هيبة شديدة .

وكان لمدى ولد اسمه زيد ، فسيره النعمان إلى كسرى ، ووصفه بأوصاف جبيلة ، فوقع من كسرى الموقع ، فما زال يعمل الحيلة إلى أن غير كسرى على النعمان وأرسل إليه أن أقبل علينا ، فحمل سلاحه وما قوى عليه ، ثم لحق بجبل طيب ، ثم بعث إلى كسرى بخيل وحلل وجواهر وطرف ، فقبلها كسرى وأظهر له الرضا ، وأمره بالقدوم ، فعاد الرسول وأخبره بذلك ، وأنه لم ير له عند كسرى سوءاً ، فضى إليه حتى إذا وصل إلى ساباط لقيه زيد بن عدى عند فطرة ساباط ، فقال له : انج نعم إن استطعت النجاة ، فقال له : أفعلتها يا زيد ؟ أما والله إن عشت لك لأقتلك قتلة لم يقتلها عربى قط ولأحقتك بأبيك ، فقال له زيد : امض لشأنك نعم فقد والله أخيت لك أخية^(١) لا يقطعها المهر

(١) الأخية — بفتح الهمزة وتشديد الياء — أن تدفن طرفى جبل فى الأرض فظهر منه مثل عروة تشد فيها الدابة ، وأختها : صنعتها ، وأراد أنه حبك له حيلة لا يستطيع الفكك منها .

الأذن^(١)، فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيهه، وبعث به إلى سجن له بخاتين، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه. وقال ابن الكلبي: ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته حتى مات؛ وأنكر هذا من زعم أنه مات بخاتين؛ وقالوا: لم يزل محبوساً مدة طويلة، وإنما مات بعد ذلك بحين قبيل الإسلام. وغضبت له العرب حينئذ، وكان قتله سبب وقعة ذي قار.

وكان عدى يهوى هند بنت النعمان بن المنذر ولها يقول [من الرمل]:

عَلَّقَ الْأَحْشَاءُ مِنْ هَنْدَ عَلَّقُ مُسْتَمِرَّ فِيهِ نَصَبٌ وَأَرْقُ^(٢)
وفيه يقول أيضاً [من الرمل]:

مَنْ لِقَلْبِ دَنْفٍ أَوْ مُعْتَمِدٍ قَدْ عَصَى كُلُّ نَصِيحٍ وَمُعْتَدٍ^(٣)
وفيه يقول أيضاً [من الخفيف]:

يَا خَلِيلِي يَسِّرْ أَلْتَعْسِيرَا نَمُّ رُوحَا فَهَجَرَا تَهْجِيرَا
عَرَّجَا بِي عَلَى دِيَارِ لَهْنَدٍ لَيْسَ أَنْ تُعْجِمَا الْمَطَى كَبِيرَا^(٤)

وقد تزوجها عدى في خبر طويل، فكشبت معه حتى قتله النعمان، فترهبت وحسبت نفسها في الدبر المعروف بدبر هند في ظاهر الحيرة، وكان هلاكها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة، وخطبها المغيرة فردته،

(١) المهر الأذن — بفتح الهمزة وكسر الراء — المرح النشيط، وفعله أَرَنَ يَأْرَنُ أَرْنًا — على وزن مَرَحَ يَمْرَحُ مَرَحًا — وإرانا، وأرينا، مثل عناق وذميل

(٢) مستمر: مختف مسكتم، والنصب — بفتح النون أو ضمها مع سكون الصاد — الداء والبلاء والشر

(٣) في الأغاني «قد عصى كل نصوح»

(٤) في الأغاني «ليس أن تعجما المطى كثيرا»

وقالت : يا الصليب لو علمت أن في خصلة من جمال أو شباب رغبتي في لاجبتك
ولكنك أردت أن تقول في المواسم : ملكت مملكة النعمان بن المنذر وتزوجت
ابنته ، فبحق معبودك أهذا أردت ؟ قال : إى والله ، قالت : فلا سبيل إليه

* * *

حامد
المعروف

٦٠ - وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى
وَصَبْرِ الْفَتَى أَوَّلًا لِقَاءَهُ شُعُوبِ

البيت لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من الطويل يمدح بها سيف الدولة
ابن حطان ويمزجه بغلامه يملك التركي ، وأولها (١) وفيه انحراف وهو حنف الحرف
الأول من الوند المجموع :

لَا يُحْزِنُ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَأِنِّي لَا خُدُّ مِنْ حَالَتِهِ بِنَصِيبِ
وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ نِمَّ بَكِي أَسَى بَكِي يُعْيُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبِ
وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الدَّفِينُ حَبِيبُهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبُ حَبِيبِ
وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَحَبَّةَ قَبْلُنَا وَأَعْيَا دَوَامُ الْمَوْتِ كُلُّ طَبِيبِ
سَبَقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنَعْنَا بِهَا مِنْ جِئَةٍ وَذُهوبِ
تَمْلِكُهَا الْآتِي تَمْلِكُ سَالِبِ وَقَارَقَهَا الْمَاضَى فِرَاقُ سَلِيبِ
وبعد البيت ، وبعده :

وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبِ حَيَاةِ أَمْرِي خَاتَمُهُ بَعْدَ مَشِيبِ
لَا بَقِيَ يَمَّاكَ فِي حَسَائِ صَبَابَةٍ إِلَى كُلِّ تَرْكٍ النَّجَارِ جَلِيبِ
وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَبْيَضٍ بِمَبَارِكِ وَلَا كُلُّ جَنَنِ ضَيِّقٍ بِنَجِيبِ
لَنْ مَظْهَرَتْ فِينَا عَلَيْهِ كَابَةٌ لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيبِ

وَفِي كُلِّ قَوْمٍ كُلِّ يَوْمٍ تَنَاضِلٌ وَفِي كُلِّ طَرَفٍ كُلِّ يَوْمٍ رُكُوبٌ
يَمُرُّ عَلَيْهِ أَنْ يُجْلَّ بِعَادَةٍ وَتَدْعُو لِأَمْرِ وَهوَ غَيْرُ مُجِيبٍ
وَكَنتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا نَظَرْتُ إِلَى ذِي لِبَدَتَيْنِ أَرِيبٍ^(١)
فَإِنْ يَكُنِ الْعَلَقُ النَّفِيسَ فَقَدْتُهُ فَمَنْ كَفَّ مِتْلَافٍ أَغْرَ وَهَوْبٍ^(٢)
لِأَنَّ الرَّدَى عَادٍ عَلَى كُلِّ مَا جَدٍ إِذَا لَمْ يَمُودْ سَجَدُ بِعِيُوبٍ^(٣)
وَتَوَلَّى أَيَادِي الدَّهْرِ فِي السَّجْعِ بَيْنَنَا غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبٍ
وهي طويلة

وشعوب : اسم للنية غير منصرف للعالمية والتأنيث ، وصرفه للضرورة ،
سميت النية بذلك لأنها تشعب : أي تفرق .

والشاهد فيه : الحشو الزائد المفسد ، وهو هنا لفظة « الندى » لأن المعنى
أن الدنيا لا فضل فيها للشجاعة والعطاء والصبر على الشدائد على تقدير عدم
الموت ، وهذا إنما يصح في الشجاعة والصبر دون العطاء ، فان الشجاع إذا تيقن
الخلود هان عليه الاقتحام في الحروب لعدم خوفه من الهلاك فلم يكن في ذلك فضل ،
وكذلك الصابر إذا تيقن زوال الشدائد والحوادث وبقاء العمر هان عليه صبره
على المكروه لو تيقه بالخلوص منه ، بل مجرد طول العمر يهون على النفوس الصبر
على المكارة ، ولهذا يقال : هب أن لي صبر أيوب فمن أين لي عمر نوح ؟ بخلاف
البازل ماله ، فانه إذا تيقن الخلود شق عليه بذل المال لاحتياجه إليه فيكون بذله
حينئذ أفضل ، أما إذا تيقن الموت فقد هان عليه بذله ، ولهذا قال طرفه [من الطويل] :

(١) في الديوان « أدب »

(٢) في الأصل « أعز » وأثبتنا ما في الديوان

(٣) في الديوان « كأن الردي عاد »

فَإِنْ كُنْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِّي قَدَّرَنِي أَبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي^(١)
ومثله قول مهباز الديلمي [من المتقارب] :

فَكُلْ إِنْ أَكَلْتَ وَأَطْعَمَ أَخَاكَ فَلَا الزَّادُ يَبْقَى وَلَا الْأَكْلُ
وقيل : المراد بالندی بذل النفس لا المال كما قال مسلم بن الوليد [من البسيط] :
يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل في بذل النفس ، وإن استعمل فعلى
وجه الإضافة ، والأقرب ما ذكره ابن جني ، وهو أن في الخلود وتنقل الأحوال
فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس ، ويسهل البؤس ،
فلا يظهر لبذل المال كنذر فضل

* * *

٦١ - * وَأَعْلَمَ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ *

عامد الحث
غير المقصد

هو من البحر الطويل ، وتماهه :

* وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمَّ *

وقائله زهير بن أبي سلمى ، وهو من آخر قصيدة^(٢) قالها في الصلح الواقع
بين عيس وذبيان ، وأولها :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَسْكَمْ بِحُومَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُثَلَّمِ

(١) في نسخ المعلقات « فإن كنت لا تستطيع » و « فدعى أبادرها »
انظر شرح التبريزي على القصائد العشر (٨١)

(٢) هي إحدى السبع المعلقات وأقرأها في شرح القصائد العشر للتبريزي
(١٠٠) وفي جهرة أشعار العرب (٤٧) وفي الديوان (٤ - ٣٢)

وَدَارُهَا بِالرَّقَّتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَّاجِيعٌ وَشَمٌّ فِي نَوَاشِرِهِمْ^(١)
بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاوْهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ تَجَنُّمٍ

ومعنى البيت : إن على قد يحيط بما مضى وبما هو حاضر ، ولكننى عى
القلب عن الاحاطة بما هو منتظر متوقع ، يريد لا أدرى ماذا يكون غدا
والشاهد فيه : الحشو الغير مفسد^(٢) للمعنى ، وهو لفظة « قبله »
ومثله قول عدى المتقدم [من الكامل] :

نَحْنُ الرُّؤْسُ وَمَا الرُّؤْسُ إِذَا سَمَتْ فِي الْجَبَدِ لِلْأَقْوَامِ كَأَنَّ ذُنُوبَ
قَوْلِهِ « للأقوام » حشو ، وفيه نظر ، لأن استعمال الرأس في المقدم والرأس
بجاء ، وذكر الأقوام كالقرينة
وقول الآخر [من مجزوء الوافر] :

ذَكَرْتُ أَخِي فَمَادِنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ
فلفظة « الرأس » حشو ، فإن الصداع لا يستعمل إلا في الرأس
ومن الحشو المفسد قول ديك الجن [من الكامل] :

فَتَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُرِجْتُ بِإِلْمَاءٍ وَاسْتَلْتُ سَنَا الْقَهْبِ
كَتَنَفْسِ الرِّيحَانِ خَالِطُهُ مِنْ وَرْدٍ جَوْرٍ تَأْخُضُ الشَّعْبِ
فذكره المزاج يفتى ، والماء فضل لا يحتاج إليه ، وقد قصر عن قول أبي
نواس^(٣) [من الكامل] :

(١) رواية الخطيب « ديار لها بالرقتين » و« مراجع وشم » وفي كامل
المبرد (١ : ٥١) « ودار لها » و« مراجع وشم »
(٢) الصواب أن يقال « غير المفسد للمعنى »
(٣) هـ ، فى الديوان (٣٠٣) ضمن قصيدة

سلا قنّاع الطينِ عن رَقِيٍّ حتى الحياةِ مُشارفِ الحنْفِ
فَنَنَفَسْتُ في البيتِ إِذْ مُزِجْتُ كَنَفَسِ الرِّيحانِ في الأَنْفِ
وزهير بن أبي سلمى ^(١) هو أبو كعب وُجَيْر ، واسم أبي سلمى ربيعة بن ^{ترجمة زهير بن} أبي سلمى
رباع بن قرّة ، ينتهي نسبه لزار ، وهو أحد الثلاثة المتقدمين على سائر الشعراء ،
وإنما الخلاف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ، فأما الثلاثة فلا اختلاف
فيهم ، وهم : امرؤ القيس ، وزهير ، والناطقة الذبياني .

وعن عمر بن عبد الله اللبثي قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة
في مسيره إلى الجابية : أين ابن عباس ؟ قال : فأتيته ^(٢) ، فشكا إلى تخلف عليّ
ابن أبي طالب رضى الله عنه ، فقالت : أولم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت :
هو ما اعتذر به . ثم قال : إن أول من ريشكم عن هذا الأمر أبو بكر رضى الله
عنه ، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم بين الخلافة والنبوة ، ثم ذكر رضى الله
عنه قصة طويلة . قال : ثم قال لى : هل تروى اشاعر الشعراء ؟ قات : ومن
هو ؟ قال : الذى يقول [من الطويل] :

ولو أن حمداً يخلدُ الناسَ خلدوا ولكنَّ حمداً الناسَ ليس يخلدُ ^(٣)

قلت : ذاك زهير بن أبي سلمى ، قال : هو شاعر الشعراء ، قلت : وبم
كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يماطل في الكلام ، وكان يتجنب
وحشى الشعر ، وكان لا يمدح أحداً إلا بما هو فيه .

(١) تجد ترجمة زهير في الأغاني (٩ : ١٤٦ - ١٥٨) وفي الشعر
والشعراء (٥٧) وفي خزانة الأدب (١ - ٣٧٥)

(٢) في الأغاني « فأتاه » وكذلك في كل الضمائر وهي أنسب لأن راوى
القصة ليس هو ابن عباس

(٣) في الأغاني « ولو أن حمداً يخلدُ الناسَ أخلدوا » وهي أنسب بقوله
« يخلدُ الناس » وبقوله « يخلد »

وفي رواية أنه قال له : أنشدني له ، فأنشده حتى برق الفجر ، فقال : حبسك ، الآن اقرأ القرآن ، قلت : وما اقرأ ؟ قال : الواقعة ، فقرأتها ، ونزل فأذن وصلى .

وسأل معاوية الأخنف بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ذاك ؟ قال : كُتِبَ عن المادحين فضول الكلام ، قال : بما ذا ؟ قال : بقوله [من الطويل] :

فمايك من خير أنوه فإنيما توارثه آباء آبائهم قبل
وبروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى زهير بن أبي سلمى ، وله
مائة سنة . قال : اللهم أعذني من شيطانه ، فإلا لك بيتا حتى مات .

وعن الأصمعي قال : قال عمر رضى الله عنه لبعض ولد هريم بن سنان :
أنشدني مدح زهير أباك ، فأنشده ، فقال عمر : إن كان ليُحسن القول فيكم ،
فقال : ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء ، فقال : ذهب ما أعطينموه
وبقي ما أعطاكم .

قال : وبلغني أن هريم بن سنان كان قد حلف أن لا يعده زهير إلا أعطاه ،
ولا يسه إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه ، غرة عبداً أو وليدة أو فرساً ،
فاستحيا زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه فى ملا قال : انعموا صباحا
غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وعن عمر بن شبة قال : قال عمر رضى الله عنه لابن زهير : ما فعلت بالحلل
التي كساها هرم أباك ؟ قال : أبلاها الدهر ، قال : لكن الحلل التي كساها أبوك
هرماً لم يلبها الدهر .

وقال أبو زيد الطائي^(١) : أنشد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قول
زهير [من الطويل] .

(١) فى بعض النسخ « أبو زيد الطائي »

ومهما يكن عند امرئ من خَلِيقَةٍ وإنْ خالها نَحْيٌ على الناسِ تُعلم
 فقال : أحسن زهير وصادق ، ولو أن الرجل دخل بيتاً في جوف بيتٍ لنحدث
 به الناس ، قال : وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تعمل عملاً تتركه أن
 يتحدث الناسُ به عنك » ، ومنه قول عمرو بن الأهتم [من الطويل] :
 إذا المرء لم يُحِبِّكَ إلا تَكْرَهًا بَدَاكَ من أخلاقه ما يغالبُ
 وقول أبي الطيب المتنبّي [من الطويل] :

وللنفسِ أخلاقٌ تدلّ على الفقى أ كَانَتْ سخاءً مائى أم تساخياً
 وعن المدائنى أن عروة بن الزبير رضى الله عنه لحق بعبد الملك بن مروان
 رضى الله عنهما ، فكان إذا دخل عليه منفرداً أكرمه ، وإذا دخل عليه
 وعنده أهل الشام استخفّ به ، فقال له يوما : يا أمير المؤمنين ، بئس المزور
 أنت تكرم ضيفك في الخلا وتهينه في الملا ، ثم قال : لله در زهير حيث يقول
 [من الوافر] :

فَحُلِي من ديارك إن قوماً متى يَدْعُرُوا ديارهمْ يهونوا
 ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة المنورة ، فقضى حوائجه وأذن له .
 وقال ابن الأعرابي : كان زهير في الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً ،
 وهو شاعرٌ ، وخاله شاعرٌ ، وابناه كبٌّ وبجيرٌ شاعران ، وأخته سلمى شاعرة ،
 وأخته الخنساء شاعرة ، وهى القائلة ترثيه [من الوافر] :

وما يغنى تَوَقُّي المرءَ شيئاً ولا عقدُ التميم ولا الغضارُ
 إذا لاقى منيتهُ فأمسى يساقُ به وقد حق الحذارُ
 ولا قاهُ من الأيامِ يومٌ كما من قبلُ لم يخلد قدارُ
 وكان زهير يضرب به المثل في التنقيح ، فيقال « حوليات زهير » ، لأنه
 كان يعمل القصيدة في ليلة ثم يبقى حولا ينتحها .

ومما يمد من محاسنه قوله [من الطويل] :
 وأبيض فياض نداء غامة على مقفيه ما تُغِبْ فواضله
 تَرَاهُ إذا ما جثته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
 وقوله أيضاً [من البسيط] :
 كم زرتُه وظلامُ الليل منسدلٌ مسهم راقٍ إعجاباً بانجمه
 وأبتُ والصبحُ منحور بكوكبه وسائق الشفق الحمر من دمه
 ومحاسنه ومحاسن أولاده كثيرة ، وغرتها قصيدة كعب ، وهي :
 * بانت سعادُ قلبي اليومَ متبولُ *
 المشرقة بمن قيلت فيه صلى الله عليه وسلم .

٦٢ — فإنك كالليل الذي هو مذكرى وإن خلت أن المنتأى عنك واسعُ
 البيت للنايفة الديباني ، من قصيدة من العويل يمدح بها أبا قابوس ، وهو
 النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وأولها ^(١) :
 عَقَاذُ وحساً من فَرَّتْنِي فالفراعُ فجنباً أريك فالتلاع الدوافع ^(٢)
 فجمعُ الأشراج غَيْرَ رسمها مصايِفُ قد رت بنا ومرايع ^(٣)
 توهمتُ آيات لها ففرقتها لسته أعوامٍ وذأ العامُ سابعُ
 إلى أن قال فيها :
 وقد حال مَ دون ذلك شاغلُ مكان الشغاف تبغيه الأصابعُ
 وعيدُ أبي قابوس في غير كنهه أناني ودوني راكس فالضواجعُ

شاهد مساواة
اللفظ للمعنى

- (١) ارجع إليها في الديوان (٣٧)
 (٢) في المطبوعين « الروافع » محرراً عما أثبتناه عن الديوان والأغاني
 (٣) في الديوان « مصايِف مرت بعدنا ومرايع » وكذلك في الأغاني

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُ ضَمِيلَهُ
 مِنْ الرُّقْشِ فِي أُنْيَالِهَا الشَّمُّ نَاقِعٌ
 يُسَهَّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمَهَا
 لِحَلْيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاغُ (١)
 تَبَادَرَهَا الرَّاqُونَ مِنْ سُوءِ سَمْعِهَا
 تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرَاجُعُ (٢)
 أَتَانِي أَبَيْتُ اللَّعْنِ أَنَّكَ لَمْ تُنَنِّ
 وَتِلْكَ الَّتِي تُسَنِّكَ مِنْهَا الْمَسْمُوعُ (٣)
 مَقَالَةٌ أَنِ قَدْ قُلْتَ سَوْفَ أَنَا لَهُ
 وَذَلِكَ مِنْ تَلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعُ
 إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا :

فَان كُنْتُ لَا ذَوَالِضْنَ عَنِّي مُكْذَبٌ
 وَلَا أَنَا مَا مَوْنُ بَشَى أَقُولُهُ
 وَلَا حَافِي عَلَى الْبِرَاءَةِ نَافِعُ
 وَأَنْتِ بِأَمْرِي لَا مُحَالَةَ وَاقِعُ
 وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، وَبَعْدَهُ :

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِيَالٍ مَتِينَةٍ
 تَمْدُّ بِهَا أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوَازِعُ
 سَتَبْلُغُ عَذْرَاءً أَوْ نَجَاحًا مِنْ أَمْرِي
 إِلَى رَبِّهِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ رَاكِعُ (٤)
 أَتَوَعِدُ عَبْدًا لَمْ يُخَيِّكْ أَمَانَةً
 وَتُتْرِكُ عَبْدٌ ظَالِمٌ وَهُوَ ظَالِمُ (٥)
 وَأَنْتِ رَبِيعٌ يَنْعَشُ النَّاسَ سَيْبُهُ
 وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَةُ قَاطِعُ
 أَيْ اللَّهِ إِلَّا عَدْلُهُ وَوَفَاءُهُ
 فَلَا التَّكْرَمُ مَعْرُوفٌ وَلَا الْعَرَفُ ضَائِعُ

- (١) فِي الْأَصُولِ « فِقَاقِع » مَحْرَفَا مَا أَتْبَعْنَاهُ عَنِ الدِّيَوَانِ
 (٢) فِي الْأَصُولِ « تَبَادَرَهَا » وَهِيَ رَوَايَةٌ ، وَ « مُطْلَقَةٌ طَوْرًا » وَهُوَ
 تَحْرِيفٌ مَا أَتْبَعْنَاهُ عَنِ الدِّيَوَانِ
 (٣) فِي الْأَصُولِ « وَتِلْكَ الَّتِي تُسَنِّدُ »
 (٤) هَذَا الْبَيْتُ لَا يَوْجَدُ فِي الدِّيَوَانِ ، وَلَيْسَ بِلَمْتَمٍ مَعَ بَقِيَّةِ أَيْبَاتِ
 الْقَصِيدَةِ
 (٥) يَرُوى « وَهُوَ ضَالَعٌ » وَالضَالَعُ : الْجَائِرُ الْمَذْنُوبُ . وَالظَّالِمُ : الْجَائِرُ
 عَنِ الْحَقِّ

وَنُسْقَى إِذَا مَا شَتَّ غَيْرَ مُصَرَّدَ بَرِّوَرَاءَ فِي حَاقَتِهَا الْمُسْكُ كَانُعٌ (١)
وَالْمُنْتَأَى : اسم موضع من اتنأى عنه أى بعد ، وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال
سخطه وهوله

والمعنى : أنه لا يفوت المدح وإن أبعد في الحرب وصار إلى أقصى الأرض
لسعة ملكه وطول يده ، ولأن له في جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب إليه
وقد اعترض الأصمعي على النابتة فقال : أما تشبيهه الإدراك بالليل فقد
تساوى الليل والنهار فيما يتركانه ، وإنما كان سبيله أن يأتي بما لا قسم له حتى
يأتي بمعنى منفرد . فلو قال قائل إن قول النمرى في ذلك أحسن منه لوجد مساعاً
إلى ذلك حيث يقول [من الطويل] :

فَلَوْ كُنْتُ كَالْعَقَاءِ أَوْ كَسَمُوهَا لَخَلَيْتُكَ إِلَّا أَنْ تُصَدَّ تَرَانِي
والشاهد فيه : مساواة اللفظ للمعنى المراد .

وفي معنى بيت النابتة قول علي بن جبلة [من الطويل] :
وَمَا لَأَمْرِيءَ حَاقَلْتُهُ مِنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفَعْتُهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِمُ
بَلَى هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاطِعُ
وَأَكْثَرُ الْأَدْبَاءِ يَرْجِعُهُ عَلَى بَيْتِ النَّابِتَةِ . وفي هذا المعنى أيضاً قول سلم
الخالس [من البسيط] :

فَأَنْتَ كَالْدَهْرِ مَبْنُونًا جِبَائِلُهُ وَالْدَهْرُ لَا مَلْجَأَ مِنْهُ وَلَا هَرْبُ
وَلَوْ مَلَكَتْ عَنَانَ الرِّيحِ أَضْرِفُهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا فَاتَكَ الطَّلَبُ
وتناوله البحرى أيضاً فقال [من الكامل] :

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَكَبُوا السَّكَاكِبَ لَمْ يَكُنْ يَنْجِيهِمْ مِنْ خَوْفِ بَاسِكٍ مَهْرَبُ

وما أبدع قول أبي القاسم بن هانيء فيه [من الكامل] :

أبن المفر ولا مفرَّ هاربٍ ولك البيطان الثرى والماء
وقول الآخر [من الطويل] :

فلو كُف فوق الريح ثم طَلَبْتَنِي لَكُنْتُ كمن ضاقت عليه المناهيبُ

و بديع قول أبي العرب الصقلی [من الطويل] :

كَانَ بِلَادَ اللَّهِ كَفَّالَكُ إِنْ يَسِيرُ بِهَا هَارِبٌ تَجْمَعُ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ

وَأَبْنُ يَفْرُ الْمَرءِ عَنْكَ بِجَرْمِهِ إِذَا كَانَ تُطَوَّى فِي يَدَيْكَ الْمَرَا حِلُ

ترجمة النابغة
القياني

والنابغة (١) : اسمه زياد بن معاوية بن ضباب ، ينتهى نسبه إلى ذبيان ثم

لمضر ، ويكنى أبا أمامة ، وإنما سمي النابغة لقوله :

* وَقَدْ نَبَغْتُ لَهُمْ مَنَّا شُرُونُ *

وهو أحد الأشراف الذين غَضَّ منهم الشعر ، وهو من الطبقة الأولى المقسمين

على سائر الشعراء .

عن ربيع بن خراش (٢) قال : قال لنا عمر رضى الله عنه : يا معشر غطفان

من الذى يقول [من الوافر] :

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظَنُونُ

قلنا : النابغة ، قال : ذاك أشعر شعرائكم .

وعن جرير بن يزيد (٣) بن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : كنا عند الجنييد

(١) تجد ترجمة النابغة في الأغاني (٩- ١٦٢) وفي الشعراء لابن قتيبة (٧٠)

(٢) في الأغاني « ابن خراش » مهمل

(٣) في الأغاني « جرير بن شريك بن جرير بن عبد الله البجلي »

ابن عبد الرحمن بنجراسان ، وعنده بنو مرة وجلساؤه [من الناس] ^(١) فتذاكروا شعر النابغة ، حتى أنشدوا قوله * فانك كالليل الذي هو مدركي * البيت ، فقال شيخ من بني مرة : وما الذي رأى في النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان إلا على منظره من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية أيضاً فأكثرت فنظر إلى الجنيد فقال : يا أبا خالد ، لا يهولك قول هؤلاء الأعراب ^(٢) وأقسم بالله لو عاينوا من النعمان ما عين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون

وقال عمر ^(٣) بن المنتشر المرادي : وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر إليه من أمر وحلف عليه ، فقال له عبد الملك : ما كنت حرياً أن تفعل ولا تعتذر ، ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيكم يروى من اعتذار النابغة إلى النعمان [من الطويل] :

حلفتُ فلم أترك لنفسي ريباً وليس وراء الله للمرء منهجٌ
فلم يجد فيهم من يرويه ، فأقبل على فقال : أترويه ؟ قلت : نعم ، فأنشدته القصيدة كلها ، فقال : هذا أشعر العرب .

وعن أبي عبيدة وغيره أن النابغة كان خاصاً بالنعمان ، وكان من ندمائه وأهل أنسه ، فرأى زوجته المتجردة يوماً وقد غشيها شيء شبيه بالفجاءة ، فسقط نصيفها فاستترت بيديها وذراعيها ، فكلدت ذراعها تستر وجهها لعلها

(١) زيادة عن الأغاني

(٢) في الأغاني « هؤلاء الأعراب »

(٣) في الأغاني « عمرو بن المنتشر »

وغلظها ، فقال قصيدته التي أولها ^(١) [من الكامل] :

من آل مية رائج أو متدى تجلان ذا زادٍ وغير مَزودٍ
زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذلك تَمَاب الغرابِ الأسودِ ^(١)
لا مرجباً بفد ولا أهلاً به إن كانَ تفرقُ الأُحبة في غدٍ
أزفَ الترحلُ غيرَ أن ركبنا لما نزل برحالنا وكان قد
في إثر غانية رمتك بسهما فأصاب قلبك غير أن لم تقصِد
بالدر والياقوت زين نحرها ومُفَصِّلٍ من لؤلؤ وزبرجدٍ
سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليدِ
بمُخَصَّبٍ رخص كان بَنانهُ غمٌّ على أغصانه لم يُعَقِدِ ^(٢)
وبفاحم رجلٍ أثيث نَبَنهُ كالكرم مال على الدعام المسدِ
نظرت إليك لحاجة لم تنضها أظَرَ السقيم إلى وجوه العودِ
ومى طويلة ، فأشدها النابغة وتهده ، فهرب ، فأتى قومه ، ثم شخص إلى ملوك
فامتلاً غضباً وأوعد النابغة وتهده ، فهرب ، فأتى قومه ، ثم شخص إلى ملوك
فسان بالشام فامتدحهم .

وقد اعترض الأصمى على البيت الأخير من هذه الآيات فقال : أما تشبيه مرض الطرف فحسن إلا أنه مجنن بذكر العلة وتشبيهه المرأة بالعليل ،

- (١) أقرأها في الديوان (٦٣) وستة الآيات الأولى منها في الأغاني (٩-١٦٤) والأربعة بعدها في (٩-١٦٥ منه) وفيها غناء
 - (٢) زعموا أن أصل الرواية في عجز هذا البيت * وبذلك خبرنا الغراب الأسود * وأن النابغة أقوى في هذا البيت ، ثم سمع جارية تغنى فيه فأصلحه
 - (٣) وزعموا أن أصل الرواية في عجز هذا البيت :
- * غم يكاد من اللطافة يعقد *

وأحسن منه قول عدي بن الرقاع العاملي [من السكامل] :
 وَكَانَ بَيْنَ النَّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنُهُ أَخْوَرُ مِنْ جَادِرِ جِلْصِهِ
 وَسَنَانُ أَقْصَدُهُ النَّعَاسُ فَرَنَّتْ فِي عَيْنِهِ سَنَةٌ وَلَيْسَ بِنَانِهِ
 وأما قوله « سقط النصيب - البيت » فيروى أن عبد الملك بن مروان قال
 يوماً لجلسائه : أتعلمون أن النابغة كان مخنثاً ؟ قالوا : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟
 قال : أو ما سمعتم قوله ، يعني هذا البيت ، والله ما عرف هذه الإشارة إلا مخنث
 وقد أخذ هذا المعنى أبو حية النخعي فقال [من الطويل] :
 قَالَتْ قَبْلَنَا دُونَهُ الشَّيْءُ وَأَتَقْتُ بِأَخْسَنِ مَوْصُولِينَ كَفِّ وَمِعْصَمٍ^(١)
 ثم أخذ الشماخ فقال [من الطويل] :
 إِذَا مَرَّ مِنْ تَحْتِي أَتَقْتُهُ بِكَفِّهِ وَسَبَّ بِنَضْحِ الرَّعْفَرَانِ مُضْرَجٍ
 وَأظْفَرٍ مَا يَعْرِفُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى مَا أَنشَدَهُ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ لِنَفْسِهِ [من المنسرح] :
 لَمْ أُنْسَ شَمْسَ الضُّحَى تُطَالَعِي وَنَحْنُ فِي رَوْضَةٍ عَلَى فَرْقٍ
 وَجَفْنُ عَيْنِي بِمَاءِهِ شَرِيقٌ وَقَدْ بَدَتْ فِي مُعْصَفٍ شَرِيقٌ
 كَأَنَّهُ دَمْعِي وَوَجْتَهَا حِينَ رَمْتَنَا الْعَيُونُ بِالْحَدِيقِ
 ثُمَّ تَغَطَّتْ بِكُفِّهَا خَجَلًا كَالشَّمْسِ غَابَتْ فِي حُمْرَةِ الشَّافِقِ
 رجع إلى أخبار النابغة

عن المفضل أن مرة الذي وشى بالنابغة كان له سيف قاطع يقال له
 ذو الريقة من كثرة فِرْنْدِهِ وجودته ، فذكره النابغة للنعمان ، فاضطامن من ذلك
 مرة حتى وشى به إلى النعمان وحرضه عليه .

وقيل : إن الذي من أجله هرب النابغة من النعمان أنه كان هو والمنخل بن عبيد
 ابن عامر اليشكري جالسين عنده ، وكان النعمان دميماً أبرش قبيح المنظر ، وكان

في المطلوبين « كفا ومعصما »

المنخل من أجل العرب ، وكان يُرمى بالمتجردة زوجة النعمان ، وتحدث العرب
أن ابن النعمان منها كانا من المنخل ، فقال النعمان للناطقة : يا أبا أمامة ، صف
المتجردة في شعرك ، فقال قصيدته هذه ووصف فيها بطنها وروادفها وفرجها ،
فلحق المنخل من ذلك غيرة ، فقال للنعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا
من جرب ، فوفر ذلك في نفس النعمان ، وبلغ الناطقة تخافه فهرب فصار إلى غسان
فتزل بعمر بن الحارث الأصغر ومدحه ومدح أخاه النعمان ، ولم يزل مقبلا مع عمرو
حتى مات وملك أخوه النعمان ، فصار معه ، إلى أن استطفه النعمان فعاد إليه .
وعن أبي بكر الهذلي قال : قال حسان بن ثابت رضى الله عنه : قدمت
على النعمان بن المنذر وقد امتدحته ، فأنتيت حاجبه عصام بن شهر ، فجلست إليه
فقال : إني أرى عربيا ، أفن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم ، قال : فكُن قحطانيا ،
قلت : فاني قحطاني ، قال : فكُن يثربيا ، قلت : فاني يثربي ، قال : فكُن
خزرجيا ، قلت : فاني خزرجي ، قال : فكُن حسان بن ثابت ، قلت : فأنا هو ،
قال : أجبني بمدحة الملك ؟ قلت : نعم ، قال : فاني سأرشدك ، إذا دخلت عليه
فانه سيأذك عن جيلة بن الأيهم ويسبه ، فاياك أن تساعد على ذلك ، ولكن
أمرُ ذكره إمرارا لا توافق فيه ولا تخالف ، وقل : ما دخول مثلي أيها الملك
بينك وبين جيلة وهو منك وأنت منه ؟ فان دعاك إلى الطعام فلا تأكله ، فان
أقسم عليك فأصعب منه اليسير إصابة مُبرِّة قَسَمه متشرف بما كُتبه ، لأكل جائع
سفيب ، ولا تبدأ باخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ، ولا تفل الاقامة
في مجلسه ، فقلت : أحسن الله رفدك ، قد أوصيت واعيا ، ودخل ثم خرج إلى فقال :
ادخل ، فسخلت وحييت بتحية الملك ، فجاءني في أمر جيلة ما قاله لي عصام
كأنه كان حاضرا ، فأجبت بما أمرني ، ثم استأذنته في الانشاد ، فأذن لي ،
فأنشدته ، ثم دعا بالطعام ، ففعلت مثل ذلك ، فأمر لي بجائزة سنينة ، وخرجت
فقال لي عصام : بقيت عليك واحدة لم أوصك بها ، بلغني أن الناطقة الذبياني

قادم عليه ، وإذا قدم عليه فليس لأحدهما حظ سواه ، فليستأذن حينئذ وانصرف
مكرما خيرا من أن تنصرف بجحؤوا . قال : فأقت ببابه شهرا ، ثم قدم عليه خارجة
ابن سنان ومنظور بن زبان ^(١) الفزاريان ، وكان بينهما وبين النعمان دخل
— أى خصة — وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألها مسألة النعمان أن يرضى
عنه ، فضرب عليهما قبة ولم يشعر أن النابغة معها ، ففسد النابغة قينة تغنية بشعره
* يا دار مية بالعلياء فالسند *

فلما سمع الشعر قال : أقسم بالله إنه لشعر النابغة ، وسأل عنه فأخبر أنه مع
الفزاريين ، وكلاه فيه فأثمه ، ثم خرج في غيب سماء فعارضه الفزاريان والنابغة
بينهما قد خضب بحناء وأقى خضابه . فلما رآه النعمان قال : هي بدم كانت أخرى
أن تخضب ، فقال الفزاريان : أبيت اللعن لا نتريب قد أجرناه ، والعمو أجمل .
قال : فأثمه واستنشمه أشماره ، فعند ذلك قال حسان بن ثابت : فحسده على ثلاث
لا أدرى على أيهن كنت أشد له حسدا : على إذناء النعمان له بعد المباعدة
ومسارته له وإصفاؤه إليه ، أم على جودة شعره ، أم على مائة بعير من عصفيره
أمر له بها .

قال : وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان
وأبيه وجده ، لا يستعمل غير ذلك .

وقيل : إن السبب في رجوع النابغة إليه بعد هربه منه أنه بلغه أنه عليل
لا يرجى فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه ،
وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه فألفاه محولا على سرير ينقل ما بين العمران
وقصور الحيرة فقال لمصام حاجبه [من الوافر] :

(١) في نسخة «منظور بن زياد» ولم يذكر أبو الفرج اسم الفزاريين وإن
كان قد ذكر هذه القصة

أَلَمْ أَقْسَمْ عَلَيْكَ أَنْخَبِرُنِي أَنَحْمُولُ عَلَى النَّعْشِ الْمَهَامُ
فَإِنِّي لَا أَلَامُ عَلَى دُخُولِي وَلَكِنْ مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ ^(١)
فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ
وَنُصَيْكُ بَعْدَهُ بَذَنَابُ عَيْشٍ أَحْبَبُ الظُّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ
ومات النابغة الذبياني على جاهليته ، ولم يدرك الاسلام .

٦٣ - * أَنَا ابْنُ جَلَا *

شامه
الحقه

هو أول بيت لسجيم بن وثيل الرياحي ، ولفظه :
أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الدَّيَا مَتَى أَضْعُرُ الْعَمَامَةَ تَعْرِفُونِي
وهذا البيت من قصيدة ^(٢) من الوافر أولها :
أَفَاطِمَ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَّعِينِي وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبِينِي
يقول فيها أيضاً :
فَإِنْ عَلَلْتَنِي وَجَرَاءَ حَوْلِي لَدُو شَقٍّ عَلَى الضَّرْعِ الظَّنُونِ
أَنَا ابْنُ الْغَرِّ مِنْ سَلَفِي رِيَّاحٍ كَنْصَلِ السِّيفِ وَضَاحِ الْجَبِينِ
وبعد البيت ، وبعده :
وَأَنَا مَكَاتِنَا مِنْ جَمِيرِي مَكَانُ اللَّيْلِ مِنْ وَسْطِ الْعَرِينِ

(١) في الأغاني * فَإِنِّي لَا أَلَامُكَ فِي دُخُولِي * وكان في الأصل * لَا أَلَامُ عَلَى دُخُولِي *

(٢) ارجع إلى خزانة الأدب (١- ١٢٣) و (٣- ٤١٤) وكامل المبرد (١- ١٣٢ و ٣٢٤) والمقدد الفريد (٤- ١٣٠) والأغاني (١٢- ١٤)

وإن قَتَاتَنَا مَشْطُ شَطَاها شديدٌ مَدَّها عَنقَ القَرِينِ (١)
وإني لا يَمُودُ إلى قَرْنِي غَدَاةُ الغَبِّ إلا في قَرِينِ (٢)
بَنَى لِيَدَ يَصُدُّ الرَّاكِبَ عَنْهُ ولا تُؤَنِّي فَرِيستَهُ لِحِينِ
عَنَرَتِ البَرْقُ إِذْ هِيَ صَاوِلَتْنِي فَا بَالِي وَبَالُ ابْنِي كَبُونِ (٣)
وماذا يَبْتَغِي الشَّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الأَرْبَعِينَ (٤)
أَخُو الحُسَيْنِ مَجْتَمِعٌ أَشَدُّي وَتَجَدَّنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ (٥)
سَأَجْنِي مَا جَنَيْتُ وَإِنِّي ظَهَرِي لِلدُّوسُنْدِ إِلَى نَضِيدِ أَمِينِ
وكان السبب في قوله هذه الآيات أن رجلاً أتى الأبيّرد الرّياحى وابن
عه الأحوص - وهما من ردف الملوك من بنى ريلج - يطلب منهما قطراناً لآبله ،
فقالا : إن أنت أبلفت سُحيم بن ومُئيل الرّياحى هذا الشعر أعطيناك قطراناً ،
فقال : قولاً ، فقالا : اذهب قتل له :

(١) أنشد صاحب اللسان هذا البيت (م ش ظ) عن ابن السكيت ثم قال:
قوله مشط شطاها مثل لامتناع جنباه : أى لا تمس قناتنا فينالك منها أذى .
(٢) غداة الغب - بعين مكسورة - هكذا فى الأصول ، ومثله فى خزانة
الأدب ، ونص البغدادى على ضبطه وشرحه بقوله « وغداة الغب : اليوم الذى
يسوقون إبلهم فيه » اهـ . ووقع فى الأغاني « غداة العبء » بعين مهمله وآخره
همزة - ويمكن أن يفسر بأحد تفسيرين : الأول أن يكون أراد بالعبء الحمل
الذى يثقل عليك ويهبطك ، وكنى بذلك عن الحرب ، لما فيها من التبعات
الجسام ، والآخر أن يكون أخذ من تعبئة الجيوش وتهيئة أماكن الفرسان
والأبطال فيها

(٣) فى الخزانة « إن هى خاطرتنى »

(٤) فى اللسان (ن ج ذ) « وماذا بدرى » بتشديد الدال ومعناه ينجيل

(٥) فى الخزانة « أخو خمسين » وكذا فى العقد

فان بُداهتي وجراء حَوْلِي لَنُوشِقَ عَلَى الحَطَمِ الحُرُونِ
فَلَمَّا أَنَاهُ وَأَنشَدَهُ الشَّعْرَ أَخَذَ عَصَاهُ وَانْحَدَرَ فِي الْوَادِي يَقْبَلُ فِيهِ وَيَدِيرُ
وَيَهْمُ بِالشَّعْرِ ، ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبَ قُلُوبُهَا ، وَأَنشَدَ الْآيَاتِ ، قَالَ : فَأَتِيَاهُ فَاعْتَدُوا
فَقَالَ : إِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَرَى أَنَّهُ صَنَعَ شَيْئًا حَتَّى يَقْيِسَ شَعْرَهُ بِشَعْرِنَا وَحَسَبَهُ
بِحَسَبِنَا وَيَسْتَطِيفَ بِنَا اسْتَطَافَ الْمَهْرَ الْأَزْبَ (١) فَقَالَا لَهُ : فَهَلْ إِلَى التَّرْعِ مِنْ
سَبِيلٍ ؟ فَقَالَ : إِنَّا لَمْ نَبْلُغْ أَنْسَابَنَا

وذكر ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء (٢) مطلع هذه القصيدة في أبيات
أخر ، ونسبها للمُنَقَّبِ الْعَبْدِيِّ ، وقال : لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب
على الناس أن يتعلموه ، وصورة ما أورده ابن قتيبة :

أَفَاطَمَ قَبْلَ بَيْنِكَ مَتَعْنِي . وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُ كَأَنْ تَبْنِي
وَلَا تُبْدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ تَمُرُّ بِهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ دُونِي (٣)
فَإِنِّي لَوْ تُخَالَفَنِي شِمَالِي بِنَصْرِ لَمْ تَصَاحِبْهَا يَمِينِي (٤)
إِذَا لَقِطَعُوهَا وَلَقَلْتُ بَيْنِي كُنْكَ أَجْنَوِي مِنْ يَجْتَوِي
فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخْرَ بِحَقِّ فَأَعْرِفُ مِنْكَ غَيًّا مِنْ مَعْنِي
وَالَا فَاطِرُ حَتَّى وَأَتَرُكَنَّيْ عَدُوًّا أَتَقِيكَ وَتَتَقِنِّي (٥)

(١) في الخزانة « استطافه البعير الأزب »

(٢) انظره (ص ٢٣٤)

(٣) في الشعراء « ولا تعدى »

(٤) في الشعراء في ترجمة المنتقب العبدى رواية البيت هكذا :

فَإِنِّي لَوْ تَعَانَدَنِي شِمَالِي عِنَادُكَ مَا وَصَلَتْ بِهَا يَمِينِي

ورواه في ترجمة النابغة الذباني :

وَلَوْ أَنِّي تُخَالَفَنِي شِمَالِي بِنَصْرِ لَمْ تَصَاحِبْهَا يَمِينِي

(٥) في الشعراء « وإلا فاطر حتى وأتركنني »

وما أدري إذا يَمُت أرضاً أريد الخير أيُّهما يلين
 الخير الذي أنا أبتغيه أم الشر الذي هو يبتغى
 والأبيات المارة تُقوى أنها لسُجيم المذكور ، فلعل اتفاقهما في المطلع من
 باب توارد الخواطر ، والله أعلم .

و«جلا» هنا غير منوّن لأنه أراد الفعل فحكاه مقدرّاً فيه الضمير الذي
 هو فاعل ، والفعل إذا سمى به غير منزع عنه الفاعل لم يكن إلا حكاية ،
 كقول تائب شرّاً [من الطويل] :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها بنى شاب قرناها تُصرُّ وتُحبَّبُ^(١)
 وكقول الشاعر [من الرجز] :

والله ما زيدُ بنامُ صاحبه ولا مخالطُ الأيامِ جانبه^(٢)
 وإنما أراد أنا ابن الذي سجلا ، وبني التي يقال لها شاب قرناها ، والله ما زيد
 بالذي يقال فيه نام صاحبه

وابن جلا يقال للرجل المشهور : أي ابن رجل قد انكشف أمره ، أو جلا
 الأمور أي كشفها . والثنايا : جمع ثَنِيَّة ، وهي العقبة ، يقال : فلان طلاعُ
 الثنايا ، أي ركباً لصعاب الأمور

والشاهد فيه : إيجاز الحذف ، والحذف موصوف ، وهو هنا « رجل »
 من قوله أنا ابن جلا

وهذا البيت تمثل به الحجاج على منبر الكوفة حين دخلها أميراً . حدث

(١) يروى « لا تنكحونها » مبنيًا للمعلوم ، وبضم تاء المضارعة من المزيد

بالهمزة ، وفتح تاء المضارعة من المجرد ، والبيت في كامل المبرد (١ - ٢٣٦)

(٢) يروى « والله ما ليلى » و« ولا مخالط الليان » والبيت في كامل المبرد

(١ - ٢٣٦)

عبد الملك بن عبد الله^(١) قال : بينما نحن بالمسجد الجامع بالكوفة ، وأهل الكوفة يومئذ ذؤوحالة حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه ، إذا أنا آت فقال : هذا الحجاج قدم أميراً على العراق ، وإذا به قد دخل المسجد تدوم الحجاج أميراً على العراق معتماً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يوم المنبر ، فقال الناس نحوه حتى صعد المنبر ، فكث ساعة لا يتكلم ، فقال بعض الناس لبعض : قبح الله بنى أمية ! كيف تستعمل مثل هذا على العراق ؟ حتى قال عمر بن ضابط البرجمي : ألا أخضبه لكم ، فقالوا : أهل حتى تنظر ، فلما رأى الحجاج أعين الناس تدور إليه حسر اللثام عن وجهه ونهض فقال : أنا ابن جلا ، وأنشد البيت ، وقال : يا أهل الكوفة ، إني لأرى رؤوساً قد أينعت ، وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، وكأنني أنظر إلى الدماء بين العمام واللحي : هذا أوان الشد فاشتدّ زيمٌ قد لفها الليل بسواق حطّم^(٢) ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزّار على ظهر وضيمٌ ثم قال :

قد لفها الليل بعصبيّ أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابي معاودٍ للطعن بالخطى
ثم قال أيضاً :

قد شممت عن ساقها فشدوا وجددت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وترٌ عرّدت مثل ذراع البكر أو أشد
إني والله يا أهل العراق لا يقعق لي بالشئان ، ولا يغمز جانبي كتمهاز التين^(٣)

(١) انظر هذه الخطبة في كامل المبرد (١ - ٢٢٣) وفي العقد الفريد (٤ - ١٢٠)

(٢) في الاصول « الشر »

(٣) المحفوظ « كتمهاز التين »

ولقد فُرت عن ذكاه، وفُتشت عن تجربة، وإن أمير المؤمنين نزل كنانته بين يديه فعجبه عيدانها عوداً عوداً فَرَأَى أمرها عوداً وأصلها مكسراً وأبعدها مرمى فوما كان بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتم في مراقد الضلال، والله لأحزمتكم حزم السلة، ولأضربنكم ضرب غرائب^(١) الابل، فانكم لكأهل قرية كانت أمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنهم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وإني والله ما أقول إلا وفيت، ولا أُم إلا أمضيت، ولا أخلق إلا فريت^(٢)، وإن أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم، وأن أجيزكم إلى عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا لأضرب عنقه، يا غلام، اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إلى من نال كوفة من المسلمين، سلام عليكم، فلم يقل أحد منهم شيئاً، فقال الحجاج: اكفف يا غلام، ثم أقبل على الناس فقال: أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً؟ هذا أدب ابن سمية^(٣)، أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب، أولست تقيمون

(١) في الأصول «ضرب غرائب الابل» محرفاً عما أثبتناه

(٢) في الأصول «أخلق» بجاء مهملة، وكتب مصحح مطبوعة بولاق وفي بعض النسخ ولا أحلف إلا بريت «وكلاهما تحريف ما أثبتناه عن المبرد والاصل في هذه العبارة قول زهير بن أبي سلمى المزني ولأنت تقرى ما خلقت وبعـض القوم يخلق ثم لا يفري

ومعناه ينفذ ما يعزم عليه ويؤيد بالعمل ما يقدره بالظن

(٣) في كامل المبرد «هذا أدب ابن نهية» بكسر النون وسكون الهاء - وكتب أبو الحسن في تعليقاته عليه ما نصه: «زعم أبو العباس أن ابن نهية رجلاً كان على الشرطة بالبصرة قبيل الحجاج» اهـ. قلت: والذين يروون «ابن سمية» يزعمون أنه أراد زياد بن أبيه

اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يبق في المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل ، فوضع للناس أعطياتهم ، فقبلوا يأخذونها حتى أناه شيخ يرعش كبراً ، فقال : أيها الأمير ، إني من الضعف على ما ترى ، ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني ، أفقبله مني بدلاً ؟ فقال له الحجاج : نفعل أيها الشيخ ، فلما ولي قال له قائل : أتدري من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ، قال : هذا عمير بن ضبابة البرجمي الذي يقول أبوه :

تَمَمْتُ . ولم أفعلُ وكنتُ وليتني تركتُ على عثمان تبكي حلالته

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه يوم الدار ، وهو مقتول ، فوطئ بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه وهو يقول : أين تركت ضابئاً ^(١) يا نعل ؟ فقال : ردوه ، فلما ردوه قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلاً يوم الدار ، إن في قتلك لصلاًحاً للمسلمين ، يا حرسى اضرِبْ عنقه ، فسمع الحجاج ضواء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذه البراجم جاءت لتنصر عمرًا فيما ذكرت ، فقال : أنحفوهم برأسه ، فرموم برأسه ، فولوا هاربين ، وجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ، وازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب بن أبي صفرة ، وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي ^(٢) [من الطويل] :

أقولُ لأبراهيم لما رأيته أرى الأمر أسمى داهياً متشعباً

تغير فإما أن تزور ابن ضبابة عميراً وإما أن تزور المهلبا

(١) نعل : رجل من أهل مصر قريب الشبه من عثمان رضى الله عنه ، وكانوا إذا أرادوا أن ينالوا من عثمان أطلقوا عليه اسم هذا الرجل

(٢) روى هذه الأبيات ماعداً الأول منها : الكامل في المبرد (١ - ٢٢٦) وروى ابن قتيبة في الشعراء (٢٤٠) ثانياً وما يليه

هما خطنا خسف نجاؤك منهما
ركو بك حولياً من الثلج أشهباً (١)
فأضحى ولو كانت خراسان دونه
رأها مكان السوق أو هي أقربا

٦٤ - وإن صخرًا لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار
شاهد الايتال البيت للخنساء، من مريثة في أخيها صخر ، وهي تصبده (٢)
من البسيط ، أولها:

قدى بعينك أم بالعين عوار
أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار
كان عيني لذكراه إذا خطرت
فيض يسيل على الخدين مدرار
تبكي خناس على صخر وحق لها
إذ راها الدهر إن الدهر ضرار
تبكي لصخر هي العبرى وقد ثكلت
ودونه من جديد الترب أستاذ (٣)
لا بد من ميتة في صرفها غير
والدهر في صرفه حول وأطوار
يا صخر واد ماء قد تناذره
أهل الموارد ما في ورده عار (٤)
مشى السبتي إلى هيجاء معضلة
له سلاحات أنياب وأظفار (٥)
فما عجول على بوتر تطيف به
لهما خنينان إصغار وإكبار
ترعى إذا نسيت حتى إذا ذكرت
فإنما هي إقبال وإدبار (٦)

- (١) في الأصول «من البلج أشهباً» وما أثبتناه موافق لما في الكامل والشعراء
(٢) ارجع إليها في شرح الديوان (٧٣ بيروت) والأغاني (١٣ - ١٣٨)
(٣٧٩) ومنها ثمانية أبيات في الكامل للمبرد (٢ - ٣٩)
(٣) في الديوان «وقد ولت» مكان «وقد ثكلت»
(٤) في الديوان «وراد ماء» بصيغة المبالغة ، «وتبادره» كذا في الأصول
موافقاً لما في الشريشي (٢ - ٢٥٤) وفي الديوان «تناذره»
(٥) السبتي : الفر ، و«هيجاء» معضلة «موافق لما في الأغاني وكامل المبرد»
وفي الديوان مضلعة
(٦) في الديوان «ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت»

لَا تَسْمَنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبِمَتْ : فَأَيْمًا رِيَّ تَحْنَانٍ وَتَسْجَارُ^(١)
 يَوْمًا بِأَوْجَدَ مَنَى حِينَ فَارَقَنِي صَخْرَ ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءُ ، وَإِمْرَارُ
 وَإِنْ صَخْرًا لَوَالِينَا وَسِيدُنَا وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لِنَحَازُ^(٢)
 وَبَعْدَهُ الْبَيْتُ ، وَبَعْدَهُ :

لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا لَرِيَّةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الْجَارُ^(٣)
 وَلَا تَرَاهُ وَمَا فِي الْبَيْتِ يَا كُلَّهُ لَكِنَّهُ بَارِزٌ بِالصَّحْنِ مِمَّارُ^(٤)
 مِثْلُ الرُّدْيِ لَمْ تَنْفُذْ شَبِيبَتُهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ طَلْيِ الْبِرْدِ أَسْوَارُ^(٥)
 فِي جَوْفِ رَمْسٍ مَقِيمٌ قَدْ تَضَمَّنَهُ فِي رَمْسِهِ مَقَطَّرَاتٌ وَأَحْجَارُ
 طَلَّقَ الْيَدِينَ بِفَعْلٍ الْخَيْرِ ذُو فُجْرٍ ضَخَمَ الدَّسِيعَةَ بِالْخَيْرَاتِ أَمَارُ^(٦)

والعلم : الجبل الطويل ، وقيل : هو عام في كل جبل .

والشاهد فيه : زيادة المبالغة في الایغال ، وهو قولها « في رأسه نار » ،

(١) في الأصول « وإن ربت » محرفا عما أثبتناه عن الديوان ، و ربت :
 أصابها مطر الربيع

(٢) روى هذا البيت في الأغاني (١٣ - ١٣٨) وفي الشريشي (٢ - ٢٥٢)
 كما هنا ، وروى في الديوان « وإن صخرًا لكافينا »

(٣) في الأصول « ولم تره » والواو زائدة عن الوزن

(٤) في الديوان « وما تراه » وبارز : ظاهر في خارج البيت ، والصحن :
 الحفنة الضخمة ، والمهارة : الذي يكثر لأضيافه من القرى ، يعني أنه لا يأتى كل
 طعامه في داخل البيت مختلفيا ، ولكنه يبرز طعامه ليدعو إليه الضيفان
 ويكثر من قرام

(٥) في الأصل « لم تنفذ » محرفا عما أثبتناه عن الديوان ، والأسوار
 بضم الهمزة

(٦) ذو فُجْر : يتفجر بالمعروف ، ووقع في الأصول « ذو فُجْر » وأثبتنا
 ما في الأغاني والديوان ، والدسيعة : العطية

فان قولها « علم » واف بالتقصود ، وهو تشبيهه بما هو معروف بالهداية ، لكنها أتت بالنسبة إليه لا وزيادة للمبالغة .

وقد ضمن عز الدين الموصلى عجز البيت في سامري اسمه نجم ، فقال [من البسيط] :

وسامري أعارَ البدرَ فضلَ سنا سَوَّهْهُ نَجْمًا وَذَاكَ النَّجْمُ غَرَّارُ
تَبَزَّ قَامَتُهُ مِنْ تَحْتِ عِمَتِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

ترجمة الخنساء (١) اسمها تمأضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، ينتهى نسبها لمضر ، والخنساء : لقب غلب عليها ، وفيها يقول دريد بن الصمة ، وكان خطبها فردته وكان رآها تنأى بعيداً (٢) [من الكامل] :

حيوا تماضرَ وارْبَعُوا صَحْبِي وَقِفُوا فَإِنَّ وَقُوفَكُمْ حَسْبِي
أَخْنَأْسُ قَدْ هَامَ الْفَوَادُ بِكُمْ وَأَصَابَهُ تَبَلٌُّ مِنَ الْحَبِّ
مَا إِن رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ كَالْيَوْمِ طَالَى أَيْنَقُ جُرْبِ
مَتَبَذَّلَاتِهِ يَدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقَبِ

قال أبو عبيدة ومجد بن سلام : لما خطبها دُرَيْدُ بَعَثَ خَادِمًا لَهَا ، وَقَالَتْ :
انظري إليه إذا بال ، فان كان بوله يخرق الأرض ويخد فيها فنيه بقية ، وإن
كأن بوله يسبح على الأرض فلا بقية فيه ، فرجعت إليها واخبرتها أن بوله ساح
على وجه الأرض ، فقالت : لا بقية في هذا ، وأرسلت إليه : ما كنت لأدع

(١) لخنساء ترجمة في الأغاني (١٣-١٣٦) والشعراء لابن قتيبة (١٩٧)
وخزانة الأدب (١-٢٠٧) وفي مقدمة شرح ديوانها المطبوع في بيروت
(٢) الأبيات الأربعة في الأغاني والشعراء ، وزاد عليها في مقدمة
الديوان بيتين

بنى عى وهم مثل عوالى الرماح ، وأتزوج شيخاً ، فقال^(١) [من الوافر] :
 وقاك الله يا بنة آل عمرو من الفتيان أشباهى ونفسى^(٢)
 وقالت إبنى شيخ كبير وما نبأها أنى ابن أمس^(٣)
 فلا تلدى ولا ينسحكك منلى إذا ما ليلة طرقت بنحس
 تريد شر نبت القمين شتناً يباشر بالعشبة كل كرس
 فقأت الخنساء [من الوافر] :

مماذ الله ينسكحنى حبر كنى يقال أبوه من جشم بن بكر
 ولو أصبحت فى جشم هدياً إذا أصبحت فى دنس وقدر
 وكانت الخنساء فى أول أمرها تقول البيتين والثلاثة ، حتى قتل أخوها معاوية
 وصخر . وكان صخر أخها لأبيهما ، وكان أحبهما إليها ، لأنه كان حلماً جواداً
 محبوباً فى العشيرة .

وكان من حديث قتله ما ذكره أبو عبيدة قال : غزا صخر بن عمرو وأنس
 ابن عباس الرعلى بنى أسد بن خزيمه فأصابوا غنائم وسببياً ، وأخذ صخر يومئذ بديلة
 امرأة من بنى أسد ، وأصابته يومئذ طعنة طعنه بها رجل يقال له ربيعة بن ثور
 ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفه حلقة من الدرع فانسل عليه حتى شق عليه بعد سنين
 وكان ذلك سبب موته . وروى أن صخر أمرض من تلك الطعنة قريباً من حول

(١) الأبيات الأربعة فى الأغاني (١٣-١٣٦) وهى فيه ضمن قصيدة لدريد
 ابن الصمة (٩ - ١٢)

(٢) فى الأصول «من الفتيان» وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني ومقدمة
 الديوان ، ويروى «عن الأزواج أشباهي»

(٣) كذا فى الأغاني فى ترجمة الخنساء ، ورواه فى ترجمة دريد بن الصمة :
 وتزعم أننى شيخ كبير وهل أخبرتها أنى ابن أمس

مقتل صخر أخى
 الخنساء

حتى مله أهله ، فسمع صخر امرأة تسأل سلى امرأته : كيف بملك ؟ فقالت :
لا حتى فيرحى ، ولا ميت فيسلى ، وقد لقينا منه الأورين ، فقال صخر في ذلك
[من الطويل] :

أرى أمَّ صخرٍ لا تملئ عيادي وملت سائمي مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازةً عليك ومن يفتري بالحدمان
أهمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والثروان
لعمري لقد نمت من كان ناعماً وأسمعت من كانت له أذنان
ولموت خير من حياة كأنها محلة يعسوب برأس سينان
وأنى امرئ ساوى بأم حليمة فلا عاش إلا في شقاء وهوان

وزعم قوم أن التي قالت هذه المقالة بديلة الأسدية التي كان سبها من بني
أسد واتخذها لنفسه ، وأنشد مكان البيت الأول :

ألا تلکم عرسي بديلة أوجست فراقى وملت مضجعي ومكاني (١)

قال أبو عبيدة : فلما طال عليه البلاء ، وقد نتأت قطعة مثل اليد (٢) في
جنبه من موضع الطلعة فتدلت واسترخت - قالوا له : لو قطعناها لرجونا أن تبرأ ،
فقال : شأنكم وهي ، فأشفق عليه بعضهم فتهام ، فأبى صخر وقال : الموت أهون
على مما أنا فيه ، فأحموا له شفرة ثم قطعوها فيئس من نفسه ، قال : وسمع صخر
أخته الخنساء وهي تقول : كيف كان صبره ؟ فقال صخر في ذلك [من الطويل] :
أجارتنا إن الخطوب تنوب على الناس كل الخططين نصيب

(١) في الأغاني «أوحشت فراقى» محرفاً عما هنا ، وأوجست : توقعت
وارتقت

(٢) في الأغاني « مثل السكبد في جنبه »

فان تسألني هل صبرت فاني صبورٌ على ريب الزمان أريب^(١)
 كافي وقد أدنونا إلى شيفارهم من الصبر دامي الصفحتين ركوب
 أجاتنا لست الغداة بظاعن ولكن مقيم ما أقام عسيب
 فأت فدفن هناك فقبره قريب من عسيب ، وهو جبل بأرض بني سليم إلى
 جنب المدينة المنورة .

وروى أنه لما طعن ودخلت حلقى الدرع في جوفه صخر منها زماناً ، وبعث
 إلى ربيعة الأسدي الذي طعنه : إنك أخذت حلقاً من درعي بسنانك . فقال له
 ربيعة : اطلبها في جوفك ، فكان ينثف الدم وتلك الحلق معه ، فذلت امرأته
 وكان يكرهها ويعينها على أهله ، فربها رجل وهي قائمة ، وكانت ذات كفل وأوراك
 فقال لها : أبيع هذا الكفل ؟ فقالت : عما قليل ، وصخر يسمع ذلك ، فقال :
 لئن استطعت لأقدمك أمامي ، ثم قال لها : ناوليني السيف أنظر هل تقبله يدي ،
 فدفعته إليه فاذا هو لا يقبله ، فعندها أنشد الأبيات السابقة ، ثم لم يلبث أن مات
 وكان أخوه معاوية قد قتل قبله ورثته الخنساء أيضاً ، وكان صخر قد أخذ بثأره
 وقتل قاتله .

ثم لما كانت وقعة بدر وقتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، أقبلت
 هند بنت عتبة ترثهم ، وبلغها تسويم^(٢) الخنساء هوذجها في الموسم ومعاطفتها
 العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سومت
 هوذجها براية وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وأن العرب عرفت ذلك
 لها ، فقالت هند : بل أنا أعظم العرب مصيبة ، فأمرت بهودجها قسوم براية
 أيضاً ، وشهدت الموسم بعكاظ ، وكانت عكاظ سوقاً تجتمع فيه العرب ، فقالت :

(١) في الأغاني « صليب » مكان « أريب »

(٢) تسويم الهودج : أن تجعل له علامة يتميز بها عن سائر الهوداج

أقرونا جلي بجعل الخنساء ، ففعلوا ، فلما دنت منها قالت لها الخنساء : من أنت يا أخية ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تماظمين العرب بمصيتك فيهم تماظمينهم ؟ قالت : بأبي عمرو بن الشريد وأخوي صخر ومعاوية ، فيهم تماظمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة وعمي شيبه وأخي الوليد ، قالت الخنساء : لسوأم عندك ، ثم أنشأت تقول ^(١) [من الطويل] :

أبكي أبي عمراً بعين غزيرة قليل إذا نام الخلى هجودها
وصنوى لا أنسى : معاوية الذي له من سرارة الحرتين وفودها
وصخر ، ومن ذامل صخر إذا غدا بسلمة الأطلال قب يقودها ^(٢)
فذلك يا هند الرزية فاعلمى ونيران حرب حين شب وقودها

قالت هند بنت عتبة تجيبها [من الطويل] :

أبكي عميد الأبطحين كليهما وحاميتها من كل باغ يريدتها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمى وشيبة والحلمى الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب وفي العزم منها حين ينمي عديدها ^(٣)
وقالت الخنساء أيضاً يومئذ ^(٤) [من مجزوء الكامل] :

من حش لي الآخرين كالسفصنين أو من رآهما ^(٥)

- (١) أقرأها في الديوان (٥٨) وفي الأغاني في شرح موقعة بدر (٤ - ٣٥)
- (٢) في الديوان « بساهمة الأطلال » وذكر في شرحه أنه يروى « بسلمة الأطلال » والسلمية : الجسيمة ، والأطلال : جمع إطل
- (٣) في شرح ديوان الخنساء « حين تنمي عديدها » ومثل ذلك في الأغاني
- (٤) أرجع إليها في الديوان (٢٥٦)
- (٥) في الأصول روى هذا البيت محرفاً هكذا :

من حش لي الآخرين كالعصنين أو مذرآهما

قَرَمِينَ لَا يَنْظِلُّا نَبَ وَلَا يُرَامُ جَاهُهَا
وَيَلِي عَلَى الْأَخَوِينَ وَالْ سَقْبَرِ الَّذِي وَارَاهُمَا
لَا يَمِثِلَ كَهَلِي فِي الْكُهْوِ لَ وَلَا نَقِي كَفَتَاهُمَا
رُحْمَيْنِ خَطِيئَيْنِ فِي كَبِيدِ السَّمَاءِ سَنَاهُمَا
مَا خَلَفَا إِذْ وَدَّعَا فِي سَوْدَدِ شَرَوَاهَا
سَادَا بَغِيرِ تَسْكَافٍ عَفْوًا يَفِضُ نَدَاهُمَا

وقد أجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها .
ووفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سُليم فأسلمت
مهم ، وذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستنشدها ويعجبه شعرها
وكانت تشده وهو يقول : هَيْه يَا خَنَاسَ ، ويومئ بيده صلى الله عليه وسلم .
وعن أبي وجرة عن أبيه قال : حضرت الخنساء بنت عمرو السليمية حرب
القادية ومعهما بنوها أربعة رجل رضى الله عنهم أجمعين فقالت لهم من أول
الليل : يا بني ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذي لا إله غيره
إنكم لبنور رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت
خالك ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تملون ما أعدَّ الله تعالى
للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، واعلموا أن الدار الباقية خير من
الدار الفانية ، لقوله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالين فاغدوا إلى قتال
عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، فإذا رأيتم الحرب قد
ثمرت عن ساقها ، واضطربت أظفي مساقها ، فتميموا وطيئوها ، وجالدوا رئيسها ،
عند احتدام حميئها ، تظفروا بالغم والكرامة ، في دار الخلد والمقامة . فخرج
بنوها قائلين لنصحها ، عازمين على قولها ، فلما أضاء لهم الصبح بادروا رাকزهم
وأنشأ أولهم يقول [من الرجز] :

يَا إِخْوَتِي إِنَّ الْعَجُوزَ النَّاصِحَةَ قَدْ نَصَحْتَنَا إِذْ دَعَيْنَا الْبَارِحَةَ
 بِقَالَةٍ ذَاتِ بَيَانٍ وَأَضْحَى فَبَاكَرُوا الْحَرْبَ الصُّرُوسَ الْكَلِمَةَ
 وَإِنَّمَا تَلْقَوْنَ عِنْدَ الصَّائِحَةِ مِنْ آلِ سَاسَانَ كِلَابًا نَابِجَةً
 قَدْ أَقْبَنُوا مِنْكُمْ بِوَقْعِ الْجَلَامِجَةِ وَأَنْتُمْ بَيْنَ حَيَاةٍ صَالِحَةٍ
 * وَمَيِّتَةٍ تَوْرَثُ غَنَمًا رَابِجَةً *

وتقدم قتال حتى قتل رحمه الله تعالى . ثم حل الثاني وهو يقول
 [من الرجز]:

إِنَّ الْعَجُوزَ ذَاتُ حَرَمٍ وَجِلْدٍ وَالنَّظَرَ الْأَوْفَقِ وَالرَّأْيَ السَّدَدِ
 قَدْ أَمَرْتَنَا بِالسَّدَادِ وَالرُّشْدِ نَصِيحَةً مِنْهَا وَبِرًّا بِالْوَلَدِ
 فَبَاكَرُوا الْحَرْبَ كَلَامَةً فِي الْعُدَدِ إِمَّا بِفَوْزٍ بَارِدٍ عَلَى الْكَبَدِ
 أَوْ مَيِّتَةٍ تَوْرَثُكُمْ غَنَمُ الْأَبَدِ^(١) فِي جَنَّةِ الْفَرْدَوْسِ وَالْعَيْشِ الرُّغْدِ
 وقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى ، ثم حل الثالث أيضا وهو يقول
 [من الرجز]:

وَاللَّهِ لَا نَعَصَى الْعَجُوزَ حَرْفًا قَدْ أَمَرْتَنَا حَرْبًا وَعَظْفًا^(٢)
 نُصَحًا وَبِرًّا صَادِقًا وَلُطْفًا فَبَادِرُوا الْحَرْبَ الصُّرُوسَ رَحْنَا
 حَتَّى تَلْقَوْا آلَ كَيْسَرَى لُفًّا أَوْ تَكْشِفُوهُمْ عَنْ حِمَاكُمُ كَشْفًا
 إِنَّا نَرَى التَّقْصِيرَ مِنْكُمْ ضَعْفًا وَالْقَتْلَ فِيكُمْ نَجْدَةً وَعَرَفًا^(٣)
 وقاتل أيضا حتى استشهد رحمه الله ، ثم حل الرابع وهو يقول [من الرجز]:

- (١) في شرح الديوان * تورثكم عيش الأبد *
 (٢) ذكر في شرح الديوان أنه يروى « قد أمرتنا حذرا »
 (٣) في الأصول « أمارتوا » ولا يستقيم عربية ، وما أثبتناه عن شرح الديوان

لَسْنَا تَلْفَسَاءَ وَلَا لِلْأَحْزَمِ: وَلَا لَعَمْرُو ذِي السَّاءِ الْأَقْدَمِ^(١)
 إِنَّمَا أَرَى فِي الْجَيْشِ جَيْشَ الْأَعْجَمِ ماضٍ عَلَى هَوْلٍ خَضَمَ خَضَمَ^(٢)
 إِمَّا لِفُوزٍ عَاجِلٍ وَمَعْنَمٍ أَوْ لَوَفَاةٍ فِي السَّبِيلِ الْأَكْرَمِ^(٣)
 وَقَاتِلَ حَتَّى قَتَلَ أَيْضًا رَحِمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ ، فَبَلَّغَهَا الْخَبِيرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
 قَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فِي
 مَسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ !

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطيها أرزاق أولادها الأربعة ، لكل واحد منهم مائتي درهم ، إلى أن قبض رحمه الله ورضي عنه .
 وكانت وفاتها [في زمن معاوية بن أبي سفيان نحو سنة خمسين من الهجرة^(٤)]

* * *

عامة الأفعال

٦٥ — كَانَ عِيُونُ الْوَحْشِ حَوْلَ خَبَائِنَا
 وَأَرْحَلْنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبْ

البيت لامرئ القيس ، من قصيدة من الطويل^(٥) أولها :

خَلِيلِي مُرَّابِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ لِنَقْضِ حَاجَاتِ الْفَوَادِ الْمُعَذِّبِ
 فَإِنْ كُنَا إِنَّا نَنْظُرَانِي سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعُنِي لَدَى أُمِّ جُنْدَبٍ

(١) في الأصول « وَلَا لِلْأَحْزَمِ » وأثبتنا رواية الديوان ، وفيها « وَلَا لَعَمْرُو فِي السَّاءِ »

(٢) لم يستقم لنا هذا البيت وهو في شرح الديوان مضطرب أيضا

(٣) في الأصول « أَوْ لَوَفَاةٍ » وأثبتنا ما في شرح الديوان

(٤) سقط من جميع أصول هذا الكتاب تاريخ وفاة الخنساء وكتب بهامش مطبوعة بـ « لاق » هكذا بياض بالأصل » وقد أثبتناه عن شرح الديوان

(٥) انظرها في الديوان (ص ٢١) وقد مضت أبيات منها في (ص ١٧٦) من هذا الجزء) ومضت ترجمة امرئ القيس في شرح الشاهد (رقم ١)

ألم نزياني كلما جئت طارقاً
عقيلة أخذانر لما لا ذميمة
وَجِئْتُ بِهَا طَيِّباً وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ
وَلَا ذَاتُ خَلْقٍ إِنْ تَأْمَلْتَ جَانِبَ
إِلَى أَنْ يَقُولَ فِيهَا :

وَقُلْتُ لِنَيَّانٍ كِرَامٍ أَلَّا أَنْزِلُوا
فَقُنْنَا إِلَى بَيْتٍ بَعْلَاءِ مُرْدَحٍ
وَأَوْتَادُهُ عَادِيَّةٌ وَعِمَادُهُ
فَلَمَّا دَخَلْنَاهُ أَضْفَأَ ظُهُورَنَا
فَقَطَّلَ لَنَا يَوْمَ لَدِيدٍ نِعْمَةً
وَبَعْدَهُ الْبَيْتَ ، وَبَعْدَهُ :

نَمَشْتُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفُنَا
إِذَا نَحْنُ قُنَّاعُنْ شَوَاءُ مُضْهَبٍ
وهي طويلة .

قال الأصمعي : الطي والبقرة إذا كانا حين فعيونهما كلها سود ، فإذا ماتا بدا بياضها ، وإنما شبهها بالجرع وفيه سواد وبياض بعد ما مَوَّتَتْ ، والمراد كثرة الصيد ، يعني مما أكلناه كثرت العيون عندنا ، كذا في شرح ديوان امرئ القيس ، وبه يقين بطلان ما قيل : إن المراد أنها قد طالت مسابرتهم حتى ألفت الوحوش رحلهم وأخبتهم .

(١) في الأصل «فقالوا علينا» محرفاً عما أثبتناه عن الديوان ، ومعنى عالوا رفعوا ، والمطنب : المشدود بالحبال
(٢) في الديوان «وأوتاده ماذية» والمماذية : الدروع ، وهو أنسب بقوله «وعِمَادُهُ رَدِينِيَّةٌ» والردينية : الزمراع
(٣) في الأصل «إلى كل عادي» وما أثبتناه موافق لما في الديوان ، ولما في اللسان (ض ي ف) وفيه «قشيب» مكان «جديد»
(٤) هكذا في الأصول موافقاً لما في الديوان وشرحه وفي البيت الاقواء ، وهو عيب وقع فيه بعض خول الجاهلية .

والشاهد فيه : تحقيق التشبيه في الايغال ؛ لأنه شبه عيون الوحش بالجرع وهو بفتح الجيم وتكسر الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض تشبه به عيون الوحش ، لكنه أتى بقوله « لم يقب » ايغالا وتحقيقا للتشبيه ، لأن الجرع إذا كان غير مقوب كان أشبه باليون .

وقد اشتمل هذا البيت على نوع من أنواع البديع يسمى التبليغ والتتميم ، ويسمى الايغال أيضاً ، وهو : أن يتم قول الشاعر دون مقطع البيت ويبلغ به القافية ، فيأتي بما يتم به المعنى ويزيد في فائدة الكلام ، لأن للقافية محلا من الاسماع والخواطر ، فاعتناء الشاعر بها أكد ، ولا شيء أقبح من بنائها على فضول الكلام الذي لا يفيد .

ومن الشواهد عليه قول ذى الرمة أيضاً [من الطويل] :
 كف الصبر في أطلال مية فأسأل رؤوما كأخلاق الرداء
 قتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المسلسل » فزاده شيئا ثم قال :
 أظن الذي يجدي عليك سؤلها دُموعاً كتبديد الجبان
 قتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاده شيئا
 قيل : وكان الرشيد يجب بقول مسلم بن الوليد [من الطويل] :
 إذا ما علت منأ ذؤابة شارب تمشت به مشى القيد في الوحل
 وكان يقول : قاتله الله ! أما كفاه أن يجعله مقيدا حتى جعله في وحل ؟
 ومنه قول ابن الرومي [من المنسرح] :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللآلى الفلق

فزاد بقوله « الفلق » تمكينا في التشبيه

ومن أبسط ما وقع فيه لمتأخر قول أبي بكر بن مجير [من مجزوء الكامل] :
 وخليفة ابن خليفة ابن خليفة وستفعل

قوله « وستغل » تبليغ بديع أفاده بشارة الممدوح بأن سلسلة الخلافة في عقبه .

وحكى أن بعض الشعراء قال لأبي بكر بن مجير هذا : إني نظمت قصيدة مقصورة الروى ، وأعجزنى منها روى بيت واحد ، فما أدري كيف أتممه ، فقال له أبو بكر : أنشدني ، فأنشده قوله [من المتقارب] :

سكّلُ الإمام وضنو الإمام * وعمُّ الإمام

فقال له من غير تفكير ولا روية قل * ولا منتهى * فوضعه في قصيدته على ما تمه له ، وكان أمكن قوافيه وأقواها

وللسيد أبي القاسم شارح مقصورة حازم في هذا النوع قوله [من البسيط] :
لم يبرح المجدُ يسمو ذاهباً بهمُ حتى أجاز الثريا ، وهو ما قتما
قوله « وهو ما قتما » من التبليغ الذى أفاد زيادة في المعنى ظاهرة

علمه التذييل ٦٦ - وَلَسْتَ بِمُسَدِّقِي أَخَا لَا تَكَلِّمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيْ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبُ
البيت للناطقة الذبياني ، من قصيدة من الطويل (١) يخاطب بها
النعمان ، أولها :

أرسمًا جديداً من سعاد تجبُّ عفت روضة الأجداد منها فيثقب (٢)

(١) اقرأ أبياناً منها في الديوان (٥٦) ، والاول والثاني وحدهما فيه (٩٦)
والآيات التي رواها المؤلف هاهنا ليست على نسقها في الديوان ولا هي على
نسق ما تقتضيه معانيها من الترتيب

(٢) الأجداد : أرض لبني مرة وأشجع وفزارة ، قال عروة بن الورد :
فلا وألت تلك النفوس ولا أت على روضة الأجداد وهي جميع
وقال في السان : ينقب موضع في البادية .

عفا آية نسج الجنوب مع الصبا وأسحم دانٍ مزنه منصوب^(١)
يقول فيها أيضاً :

فلا تتركئي بالوعيد كأنني إلى الناس مطلى به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاك سورة يرى كل ملك دونها يتدنب
فانك شمس والملك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب
وبعد البيت ، وبعده :

فإن يك مظلوماً فعبء ظلمته وإن تك ذا عتبٍ فثلك يعبئ
أناي أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهم منها وأنصب
والشعث : انتشار الأمر . والمهذب : المنقح الفعال المرضي الخصال
والمعنى لا تقدر على استبقاء مودة أخ حال كونك ممن لا تله ، ولا تصلحه
على تفرق وذم خصال .
ذكرت هنا قول الشاعر ، معارضا للناطقة في هذا البيت ، وهو
[من الطويل] :

ألم زياداً في ركافة عقله وفى قوله أى الرجال المهذب^(٢)
وهل يحسن التهذيب منك خلاصاً أرق من الماء الزلال وأطيب
تكلّم والنعمان شمس سماءه وكل ملك عند نعمان كوكب
ولو أبصرت عيناه شخصك مرة لا بصّر منه شمسه وهو غيب
وهذا نوع من البديع ، يسمى التوليد ، وسيأتى الكلام على شئ منه في
الفن الثالث إن شاء الله تعالى .

(١) يروى « عفت آية ربح الجنوب »

(٢) زياد : هو الناطقة الذي أتى صاحب البيت الشاهد

والشاهد فيه : التذييل لنا كيد مفهوم ، فصَدْرُ البيت دل بمفهومه على نفى
الكامل من الرجال ، وعجزه تأكيد لذلك وتقرير ، لأن الاستفهام فيه
إنكارى : أى لا مهذب فى الرجال .

وفى معنى البيت قولُ أبى الحسن عِد الموقت المكي [من الطويل] :
إذا المرء لم يبرحْ بِمَارَى صَدِيقِهِ ولم يَحْتَمِلْ مِنْهُ فَكَيْفَ يَمَاشُهُ
وَأَتَى يَدُومُ الْوُدِّ وَالْعَهْدُ بَيْنَهُ وبين أخٍ فى كل وقت يناقشه
وما أحسن قول مؤيد الدين الطغرائى [من الوافر] :

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهُوَ أَجَلُ ذُخْرٍ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةُ الزَّمَانِ
فَإِنْ رَابَتْ إِسَاءَتُهُ فَوَيْبُهَا لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّيْءِ الْحَسَانِ
نَزِيدٌ مُهَذَّبًا لَاعِيبٌ فِيهِ وَهَلْ عُودٌ يَفُوحُ بِبَلَادُخَانِ
وبدئ قول ابن الحداد أيضاً [من الكامل] :

وَأَصْلُ أَخَاكَ وَإِنْ أَنَاكَ بِمَنْكَرٍ فَخُلُوصُ شَيْءٍ قَلِمَا يُمْكِنُ
وَلِكُلِّ حَسَنِ آفَةٍ مَوْجُودَةٍ إِنَّ السَّرَّاجَ عَلَى سَنَاهُ يَدْخُنُ
وما أحسن قول ابن شرف أيضاً [من البسيط] :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْأَيَّامَ عَنْ خَيْرٍ هُمَا يُبَيِّنَانِكَ الْإِخْيَارَ تَفْصِيلاً
وَلَا تَعَايِبَ عَلَى نَقْصِ الطَّبَاعِ أَخَا فَإِنْ بَدَرَ السَّمَاءُ لَمْ يُعْطَ تَسْكِيلًا
ومن النفيس قولُ ابن سَحمْدِيس [من مجزوء الكامل] :

أَكْرَمُ صَدِيقِكَ عَنْ سَوْأٍ لَكَ عَنْهُ وَاحْفَظْ مِنْهُ ذِمَّةً
فَلَرَبَّمَا اسْتَخْبَرْتَ عَنْهُ عَدُوَّهُ فَسَمِعْتَ ذِمَّةً

وقول عمر الخراط ، وهو رجل من القيروان [من مجزوء الكامل] :

لَا تَسْأَلَنَّ عَنِ الصَّدِيقِ وَسَلِّ فَوَادِكَ عَنْ فَوَادَةٍ

فلربما بحث السؤا لُ على فسادك أوفساده
ولؤلؤه فى معناه [من الرمل] :

لستُ عن ود صديق سائلا غيرَ قلبى فهو يدرى وده
فكنا أعلم ما عندى له فكنا أعلم ماى عنده
وما أحسن قول بعضهم [من الكامل] :

عنى عليك مقارن العذر قد رَدَّ عَنْكَ حفيظتى صبرى
فتى هفوت فانت فى سعة ومتى جفوت فانت فى عذر
ترك العتاب إذا استحق أخ منك العتاب ذريعة الهجر
وقول بعضهم [من الطويل] :

إذا أنت لم تغفر ذنوباً كثيرة ترى بك لم يسلك الدهر صاحب
ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه بمت وهوعات
وقول أبى الفتح البسى [من المتقارب] :

نحمل أخاك على ما به فما فى استقامته مطعم
وأنى له خلق واحد وفيه طبائعه الأربع

وما أحسن قول بعضهم [من مجزوء الرمل] :

لا تنق من آدمى فى وداد بصفاء
كيف ترجو منه صفوا وهو من طين وماء
وهو كقول الآخر [من الوافر] :

ومن يك أصله ماء وطنياً بعيد من جبلته الصفاه

وما أبدع قول الجلال بن نباتة [من البسيط] :

يا مشكى الهم دعه وانتظر فرجاً ودار وقتك من حين إلى حين

وَلَا تَعَانِدْ إِذَا أُمِيتَ فِي كَدَرٍ فَأَنَا أَنْتَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ طِينٍ

والملاح الصفدى فيه أيضا [من الوافر] :

دَعِ الْإِخْوَانَ إِنْ لَمْ تَلَقَ مِنْهُمْ صَفَاءً وَاسْتَعِنْ وَاسْتَعِنْ بِالْقَفَّةِ
أَلَيْسَ الْمَرْءُ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ وَأَنْتَ صَفَا لَهَا تَيْكَ الْجَبِلَةُ

ومما ينظر إلى معنى البيت المستشهد به قول بعضهم [من الطويل] :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرَكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً أَرَادَ لَهَا أَوْشَكَمَا أَنْ تَفَرَّكَهَا

وقوله أيضا [من المتقارب] :

مَدِيحَتُكَ مَهْمَا جِئْتَ غَطُّهُ وَلَا تُخَفِّ شَيْئاً إِذَا أَحْسَنَا

وَكُنْ كَالظَّلَامِ مَعَ النَّارِ إِذَا يَوَارَى الدُّخَانَ وَيَبْزَى السَّنَا

ولولفه [من مجزوه المتقارب] :

أَخَاكَ اغْتَفِرْ ذَنْبَهُ وَسَلِّحْ إِذَا مَا هَفَا

وَعَطُّ عَلَى عِيْبِهِ يَدُمُّ مِنْهُ عَهْدُ الْوَقَا

وَإِنْ رُمْتَ تَهْرِيمَهُ تَجِدُ وَدَهُ قَدْ عَفَا

٦٧ - فَتَى دِيْلَرْكِ غَيْرَ مُفِيدِهَا صَوْبُ الرِّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي

البيت لطرفة بن العبد، من قصيدة من الكامل يمدح بها قتادة بن مسلمة

الحنفى (١) وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم، وأولها :

إِنْ أَمْرًا سَرَفَ الْفَوَادِرِ يَرَى عَسَلًا بِمَاءِ سَحَابَةٍ شَتْمِي

(١) فى الأصول «قتادة بن سلمة» وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ٦١

وَأَنَا أَمْرُؤٌ أَكْرَى مِنَ الْقَصْرِ الـ
وَأَصِيبُ شَاكِلَةَ الرِّمِيَةِ إِذْ
وَأُجِرْتُ ذَا الْكُفْلِ الْقَنَآةَ عَلَى
وَتَصَدُّعِكَ تَحْيَلَةُ الرَّجُلِ الـ
بِخْصَامِ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالـ
أَبْلَغُ قِتَادَةٍ غَيْرَ سَائِلِهِ
إِلَى حَدِّتِكَ الْعَشِيرَةِ إِذْ
أَقْوَا إِلَيْكَ بِكُلِّ أَرْمَلَةٍ
وَفَتَحْتَ بَابَكَ لِلْمَسْكَامِ حَيْثُ
وَبَعْدَ الْبَيْتِ (٤) وَهُوَ آخِرُهَا .

وصوب الربيع : نزول المطر ووقعه في الربيع . والديعة : مطر يدوم في سكون
بلا رعد ولا برق أو يدوم خمسة أيام أو ستة أو سبعة أو يدوم يوماً وليلة أو أقله
ثلث النهار أو الليل وأكثره ما بلغت ، وجمعها دِيمٌ وذِيُومٌ . ومعنى تهى :
تسلل .

والشاهد فيه : التكيل ، ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو : أن يؤتى في كلام
يوم خلاف المقصود بما يدفمه ، وهو هنا قوله «غير مفسدها» فإن نزول المطر قد
يكون سبباً لخراب الدنيا وفسادها ، فدفع ذلك بتوسط قوله «غير مفسدها» .

- (١) في الأصول «وَأَنَا أَمْرُؤٌ أَلْوَى» محرفاً ، وما أثبتناه موافق لما في الديوان
(٢) في الأصول «منه الثواب»
(٣) في الأصول «مقنع البرم» وما أثبتناه موافق لما في الديوان
(٤) في الديوان بيت بينهما - ولم يروه الأعلام - وهو :
وَأَهْنَتْ إِذْ قَدَمُوا التَّلَادَ لَهْمَ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ مَبْنَى النَّمَمِ

وفي معنى البيت قول جرير [من الكامل] :

فَسَاكِرُ حَيْثُ حَلَّتْ غَيْرَ فَتِيْدَةٍ هَزَجُ الرِّيحِ وَدِيْمَةٌ لَا تُقْلَعُ

ومن الاحتراس قول زهير بن أبي سلمى [من البسيط] :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَّاتِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

وقول امرئ القيس أيضا [من الطويل] :

عَلَى هَيْكَلٍ يُعْطِيكَ قَبْلَ سَوَالِهِ أَفَانِينَ جَرِيٍّ غَيْرِ كَرٍّ وَلَا وَانِي

وقول نافع بن خليفة النخعي [من الطويل] :

رَجَالٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمْ وَيُطَوُّهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ

ومثله قول عنتره العبسي [من الكامل] :

أَنْتَى عَلَىَّ بِمَا عَلِمْتَ فَاَنْتَى سَهْلٌ مُخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أُظْلَمْ

وقول الآخر [من الوافر] :

فَإِنِّي إِنْ أَفْتُكَ يَفْتُكَ مِنِّي فَلَا تُسَبِّحْ بِهِ عِلْقُ نَفْسٍ

ومن مליح الاحتراس قول الرمادي في وصف فرس [من الكامل] :

فَأَمَّتْ قَوَائِمُهُ لَنَا بَطْعَانًا غَضًا وَقَامَ الْعُرْفُ بِالْمُنْدِيلِ

ف قوله « غضا » احتراس عجيب ، إذ لو لم يذكر لتوهم أنهم ينقلون عليه

أزوادهم .

وطرفة بن العبد^(١) : هو ابن سفيان بن سعد بن مالك بن عباد بن صمصمة

جهة طرفة بن
العبد

ابن قيس بن ثعلبة ، ويقال : إن اسمه عمرو ، وسمى طرفة بسبب بيت قاله ،

(١) لطرفة ترجمة في الشعراء لابن قتيبة (٨٨) وفي خزانة الأدب

لبيدادي (١ - ٤١٢)

وأمه وردة من رهط أبيه ، وفيها يقول لأخوالها وقد ظلموها حقها [من الكامل] :
 ما تنظرون بحق وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب^١
 وكان أحدث الشعراء سنا وأقلهم عمراً ، قتل زهوا بن عشرين سنة ،
 فيقال له : ابن العشرين ، وقيل : قتل وهو ابن ست وعشرين سنة ، وإلى ذلك
 تشير أخته حيث قالت ترثيه [من الطويل] :

عددنا له سينا وعشرين حجة فلما توفّاها استوى سيّداً ضخماً
 فجعنا به لما رجونا إياه على خير حال لا وليداً ولا نجماً
 وكان السبب في قتله أنه كان ينادم عمرو بن هند فأشرفت ذات يوم أخته
 فرأت طرفة ظلها في الجام الذي في يده فقال [من المزج] :

ألا يأتى لى الظبي الـ سدى يبرق شِفَاهُ^(١)
 ولولا الملك القاعد سُدّ قد أُلْمِنَى فَأُ

فقد عليه ، وكان قد قال أيضاً قبل ذلك [من الوافر] :

وليت لنا مكان الملك عمرو رغوفاً حول قبئنا نخور^(٢)
 لعمرك إن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير

وقابوس هذا هو أخو عمرو بن هند ، وكان فيه لين ، ويسمى قينة الفرس^(٣)
 فكتب له عمرو بن هند إلى الربيع بن حوثة عامله على البحرين كتاباً أوممه
 فيه أنه أمر له بجائزة ، وكتب للمتلمس بمثل ذلك ، فأما المتلمس فكأنه كتابه ،

(١) في الشعراء لابن قتيبة «ألا يا باني الظبي»

(٢) في الأصول « تدور » موافقاً لما في نسخة من الشعراء ، وما أثبتناه
 موافق لما في الديوان ٦ وما في الشعر لابن قتيبة ٨٩

(٣) في الشعراء لابن قتيبة «قينة العرس» وهو الصواب

وعرف ما فيه فنجأ، كما سيأتي في خبره، وأما طرفه فمضى بالكتاب، فأخذهم
الربيع فسقاه الخمر حتى أقبله، ثم فصد أكله، فقبّره بالبحرين. وكان لطفه
أن يقال له معبد فطالب بدينه فأخذها من الحوائر.

قال أبو عبيدة: مر لبيد بمجلس لَهْدٍ بالكوفة، وهو يتوكأ على عصا، فلما
جاوز أمروا فقي منهم أن يلحقه فيسأله: مَنْ أشعر العرب؟ ففعل، فقال له لبيد:
الملك الضليل — يعني أمراً القيس — فرجع فأخبرهم، فقالوا له: ألا سألته ثم
مَنْ، فرجع فسأله، فقال له: ابن العشرين — يعني طرفه — فلما رجع قالوا:
ليتك سألته ثم من، فرجع فقال: صاحب المِحْجَن — يعني نفسه — قال أبو عبيدة:
طرفة أجودهم، وأجده لا يلحق بالبحور، يعني أمراً القيس وزهيراً والنابغة،
ولكنه يوضع مع أصحابه الحارث بن حنظلة وعمر بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل.
ومن شعر طرفه وهو صبي^(١) قوله [من الطويل]:

فَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدْتُكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي
فَمَنْ سَبَقَ الْعَاذِلَاتِ بَشْرِي كَيْتِ مَتَى مَا تُفْلَ بِالْمَاءِ تَزِيدُ
وَكُرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحْبَا كَسِيدَ الْفَضَا تَهْتَهُ الْمُتَوَرِدُ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنِ مُعْجَبٌ يَهْكَنُهُ تَحْتَ الْغِيَاءِ الْمَعْمَدُ

وقد أخذه عبد الله بن نهيك بن إساف الأنصاري فقال^(٢) [من الطويل]:
وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدْتُكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ رَامِسُ
فَمَنْ سَبَقَ الْعَاذِلَاتِ بَشْرِي كَانَ أَخَاهَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ نَاعَسُ
وَمَنْهُمْ تَجْرِيدُ الْكُوعَابِ كَالدُّمَى إِذَا ابْتَزَّ عَنْ أَكْفَاهُنَّ الْمَلَابِسُ

(١) هي أبيات من قصيدته المعلقة

(٢) الأبيات في الشعراء ٩٣

ومنهن تَقرِيطُ الجِوَادِ عِناهُ إِذَا اسْتَبَقَ الشَّخْصَ القَوِيَّ الفَوَارِسُ^(١)
وقد ناقض عبد الحميد بن أبي الحديد البغدادى أبيات طرفة السابقة فقال
[من السريع]:

لولا ثلاث لم أخفُ صرعتي ليست كما قال فتى العبدِ
أن أنصر التوحيدَ والعذلَ في كل مكانٍ باذلاً جهدي
وأن أناجي الله مُستمتعاً بخلوته أجلي من الشهدِ
وأن أنيه الدهرَ كبيراً على كل لثيم أصغر الخلدِ
لذلك أهوى لا فتاة ولا خير ولا ذى مبيعة نهدي
ومما سبق إليه أيضاً، وكانت يتمثل به النبي صلى الله عليه وسلم قوله^(٢)
[من الطويل]:

ستبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكُ بالأخبارِ من لم تزود
وقال غيره^(٣) [من الطويل]:
ويأتيكُ بالأخبارِ من لم تبعْ لهُ بتاتاً ولم تضربْ لهُ وقتَ موعدِ
ومما يستجد من قصيدته التي منها البيت السابق على هذا^(٤) قوله [من
الطويل]:

ألا أيهاذا الرّاجى أحضرَ الوغى وأن أشهد اللّذات هل أنت مُخلّدي

(١) في الشعراء «إذا استبق الشخص الخفي الفوارس»

(٢) هو من قصيدته المعلقة أيضاً

(٣) ليس هذا البيت لغير طرفة ، بل هو له نفسه ، بل هو تال للبيت
الذي ذكره قبله

(٤) هذه الأبيات أيضاً من قصيدته المعلقة

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيْقٍ فَنَدْرِي أَبَادِيَهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي
أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُسَدِّ
أَرَى الْمَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ يَنْفَدُ
لَمَبُوكٍ إِنْ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ التَّقَى لِكَالِطُولِ الْمَرْخَى وَثَنِيَّاهُ بِالْبَدِ

وما يلعب من شعره قوله بمدح قوما [من الرمل] :

أَسْدُغِيلُ فَإِذَا مَا شَرَبُوا وَهَبُوا كُلَّ أُمُوتٍ وَطَمَرٍ
نَمَّ رَاحُوا عَبَقُ الْمَسْكِ بِهِمْ يُلْحَفُونَ الْأَرْضَ أَهْدَابُ الْأَزْرِ^(١)
ذَكَرَ أَنَّهُمْ يُنْطَوْنَ إِذَا سَكَرُوا ، وَلَمْ يَشْرُطْ ذَلِكَ فِي صَحُومٍ كَمَا قَالَ غَنْتَرَةُ

[من الكامل] :

وَإِذَا شَرِبْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يَكْلَمْ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَأَنَا قَصْرٌ عَنْ نَدَى وَكَأَمْ عَلِمْتُ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمِي

قَالُوا : وَالْجِيدُ هُوَ قَوْلُ زَهْرِيْنَ أَبِي سَلَمَى [من الطويل] :

أَخْوَفَقَةٍ لَا يُتْلَفُ الْخَمْرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ [من الطويل] :

قَتَى لَا يَلُوكُ الْخَمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلَكِنْ عَطَايَاهُ نَدَى وَبَوَادِي

وَمَا أَلْفَ قَوْلِ ابْنِ سَعْدِيسٍ فِي مَعْنَى قَوْلِ غَنْتَرَةِ [من الطويل] :

يَعِيدُ عَطَايَا سَكْرِهِ عِنْدَ صَحْوِهِ لِيَعْلَمَ أَنَّ الْجَوْدَ مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ

وَيَسْلِمُ فِي الْإِنْعَامِ مِنْ قَوْلِ قَائِلٍ تَكَرَّمَ لَمَّا خَامَرَتْهُ ابْنَةُ الْكَرَمِ

(١) فِي الدِّبْوَانِ « هَدَابُ الْأَزْرِ »

شاهد
الاعتراض

٦٨ - إِنَّ الثَّانِينَ وَبُلَّغَتْهَا قَدْ أَحْوَجَتْ مَعْنَى إِلَى تَرْجُمَانِ

البيت لعَوْف بن مُحَلَّم الشيباني ، من قصيدة من السريع (١) ، قالها
لمجد الله بن طاهر ، وكان قد دخل عليه فلم [عليه عبد الله] (٢) فلم يسمع ،
فأعلم بذلك ، فدنا منه ، ثم ارتحل هذه القصيدة ، وأولها :

يا ابنَ الذِّى دَانَ لَهُ المَشْرِقَانِ طَرًّا وَقَدْ دَانَ لَهُ المَغْرِبَانِ

وبعد البيت ، وبعده :

وَبَدَّلْتَنِي بِالشَّطَطِ انْحَا وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ (٣)

وَعَوَّضْتَنِي مِنْ زِمَاعِ الْفَقَى وَهَمَّتْ مِمَّ الْجِبَانِ الْمُهْدَنِ (٤)

وَقَارَبْتُ مَنَى خُطَاً لَمْ تَكُنْ مَقَارِبَاتٍ وَثَنْتُ مِنْ عَنَانِ

وَأُنْشَأْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَرَى سَحَابَةً لَيْسَتْ كَنَسَجِ الْعَنَانِ (٥)

وَلَمْ تَدْعُ فَيَّ لِمُسْتَمْعٍ إِلَّا لِسَانِي وَبِحَسْبِي لِسَانِ

أَدْعُو بِهِ اللَّهُ وَأُثْنِي بِهِ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصْعَبِيِّ الْهَجَانِ (٦)

(١) أقرأها - ما عدا تاسعها والبيتين الأخيرين - في أمالي أبي على

القال (١ - ٥٠)

(٢) زيادة عن الأمالي يتضح بها المراد

(٣) الشطاط - بزنة السحاب - الاعتدال وحسن القوام ، والصعدة - بفتح
الصاد وسكون العين - القناة المستوية التي تنبت كذلك فلا تحتاج إلى تنقيف

(٤) في الأمالي « وبدلتني من زماع الفتى » والزماع : المضاء في الأمر
والعزم ، عليه ، والهدان - بزنة الكتاب - الجافي الأحق

(٥) في الأمالي « عنانة من غير نسج العنان » والعنان : مثل السحاب
وزنا ومعنى ، واحده عنانة كسحابة

(٦) الهجان - بكسر الهاء - الكريم

وَهَمْتُ بِالْأَوْطَانِ وَجَدْتُهَا ، وَبِالْعَوَانِي ، أَيْنَ مِنْهُ الْعَوَانِ ؟
 قَسْرَبَانِي ، بِأَبَى أَنَا ١ مِنْ وَطَنِي قَبْلَ أَصْفَارِ الْبَنَانِ
 وَقَبْلَ مَنَعَايَ إِلَى رَسُوْقٍ مَسْكَنُهَا حِرَّانَ وَالرَّقَّتَانِ (١)
 سَقَى قُصُورَ الشَّاذِيخِ الْحَيَا مِنْ بَعْدِ عَهْدِي وَقُصُورَ الْمِيَانِ
 فَكَمْ وَكَمْ مِنْ دَعْوَةٍ لِي بِهَا أَنْ تَنْخَطَّاهَا صُرُوفُ الزَّمَانِ
 وَ « التَّرْجَمَانِ » يُقَالُ بَضْمُ تَائِهِ وَجِيهِهِ ، وَفَتْحُهَا ، وَفَتْحُ التَّاءِ وَضَمُّ الْجِيمِ ،
 وَهُوَ الْمَفْسَرُ لِلْسَّانِ ، يُقَالُ : تَرْجَمَهُ ، وَعَنْهُ ، وَالْفِعْلُ يَدُلُّ عَلَى أَصَالَةِ التَّاءِ .

وَلَقَدْ أَجَادَ الْغَزَى فِي تَضْمِينِهِ صَدْرَ الْبَيْتِ بِقَوْلِهِ [مِنْ السَّرِيعِ] :
 طُولُ حَيَاةٍ مَالِهَةٍ طَائِلٌ نُقِصُ عَنْدِي كُلَّ مَا يُشْتَهَى
 أَصْبَحْتُ مِثْلَ الطُّفْلِ فِي ضَعْفِهِ تَشَابَهُ الْمَبْدَأِ وَالْمُنْتَهَى
 فَلَا تَأْتُمْ تَسْمَعِي إِذَا خَانَنِي إِنْ التَّمَانِينَ وَبُلَغْتَهَا
 وَلَطِيفُ قَوْلِ الشَّهَابِ الْمَنْصُورِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ [مِنْ السَّرِيعِ] :

نَحْوُ ثَمَانِينَ مِنَ الْعُمُرِ قَدْ قَطَعْتَهَا مِثْلَ عَقُودِ الْجَمَانِ
 مَا أَحْجُجْتُ يَوْمًا يَمْنِي إِلَى عَصَاً وَلَا سَفَى إِلَى تَرْجَمَانِ

وَالشَّاهِدُ فِيهِ : الْإِعْتِرَاضُ ، وَيَسَى : الْإِلْتِفَاتُ (٢) ، وَهُوَ : أَنْ يُوْثَى فِي
 أَثْنَاءِ الْكَلَامِ ، أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَصِلَيْنِ مَعْنَى ، بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا حُلَّ لَهَا مِنْ
 الْإِعْرَابِ ، لِنَكْتَةِ سَوِيِّ دَفْعِ الْإِيهَامِ ، وَهُوَ هَذَا الدَّعَاءُ فِي قَوْلِهِ « وَبُلَغْتَهَا » لِأَنَّهَا
 جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ اسْمٍ إِنْ وَخَبَرِهَا ، وَالْوَاوُ فِيهِ إِعْتِرَاضِيَّةٌ : لَيْسَتْ عَاطِفَةٌ ،
 وَلَا حَالِيَّةٌ .

(١) فِي الْأَغَانِي « أَوْطَانُهَا حِرَّانُ وَالرَّقَّتَانِ »

(٢) انْظُرْ كِتَابَ الْعَمْدَةِ لِابْنِ رَشِيقٍ (٢ - ٤٢ بِتَحْقِيقِنَا)

ومن الاعتراض أيضا قول كثير عزة [من الكامل] :
ولأن عزة حاكمت شمس الضحى في الحسن عند موقى لقضى لها ،
وهو معترض ، إذ لا بد فيه من ذكر موقى ، لأنه لا يتم المعنى بدونه ،
ومنه قول كثير أيضا [من الوافر] :

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتِ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعْلَمُوا مِنْكَ الْإِطْلَالَ
ومن مليح ما سمع فيه قول نُصَيْب ، وكان أسود [من الطويل] :
فَكَدْتُ وَلَمْ أُخْلُقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَأَ سَنَا بَارِقَ نَحْوِ الْحِجَازِ أَطِيرُ^(١)
يروى أن التي قيل فيها هذا البيت لما سمعته تنفست نفسا شديدا ،
فصاح ابن أبي عتيق : أَوْهَ ، قد والله أجابته بأحسن من شعره ، والله لو سمعك
لنقى وطار ، فجعله غرابا لسواده .

ومن المستحسن فيه أيضا قول العباس بن الأحنف [من المنسرح] :
قَدْ كُنْتُ أَبْكِي وَأَنْتِ رَاضِيَةٌ حِذَارَ هَذَا الصَّدُودِ وَالْقَضْبِ
إِنْ تَمْ ذَا الْهَجْرِ يَا ظَلُومُ وَلَا تَمْ فَالَى فِي الْعَيْشِ مِنْ أَرْبِ
وما أحسن قول أبي الفتح البستي [من الوافر] :
أَرَاكَ اللَّهُ قَلْبِي مِنْ زَمَانٍ مَحَتْ يَدُهُ سُرُورِي بِالْإِسَاءَةِ
فَإِنْ حَمِدَ الْكَرِيمُ صَبَاحُ يَوْمٍ وَأُنَى ذَاكَ لَمْ يَحْمَدَ مَسَاءُ
والمتاخرون يسمون هذا الاعتراض حشو اللوزينج ، وما أبدع قول ابن
الساعاتي فيه [من الرمل] :

(١) روى ابن رشيقي هذا البيت هكذا :
وددت - ولم أخلق من الطير - أننى أعار جناحي طائر فأطير
وحكى معه نفس القصة التي حكاهها المؤلف

حَالَ مِنْ دُونِكَ يَا أَخْتَ الْكِلَلِ مَقْلُ الْحَيِّ وَفُرْسَانُ الْأَسَلِ
وَمَوَاضِي مُرْهَقَاتُ فَتَكَتْ بِي وَحَاشَاكَ وَلَا مِثْلُ الْكَحْلِ
وَقَوْلُ أَبِي الْحُسَيْنِ الْجَزَارِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَيَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى إِذَا مَا مَدَحَتْهُ كَمَا اهْتَزَّ حَاشَا وَصَفَهُ شَارِبُ الْخَرِ
وَقَدْ أَخَذَهُ مِنْ ابْنِ السَّاعَى فَانَهُ قَالَ [مِنْ الْبَسِيطِ] :
يَهْزُهُ الْمَدْحُ هَزَّ الْجُودِ سَائِلَهُ أَوْ لَا وَحَاشَاهُ هَزَّ الشَّارِبُ الثَّمْلِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْفَقِيهِ عِمَارَةَ الْبَيْتِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

لَهُ رَاحَةٌ يَنْهَلُ جُودًا بَنَانُهَا وَوَجْهٌ إِذَا قَابَلْتَهُ يَنْهَلُ
يَرَى الْحَقَّ لِلزَّوَارِحِ كَأَنَّهُ عَلَيْهِمْ وَحَاشَا قَدْرَهُ يَتَطَفَّلُ
وَالْكَلَّ أَخَذُوا لَفْظَةً حَاشَا مِنْ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي حَيْثُ يَقُولُ
[مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَيَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مَجْرُبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاهُ فَانِيَا
وَمَا أَحْسَنَ أَيْضًا قَوْلُهُ فِيهِ [مِنْ الْكَامِلِ] :
وَحُفُوقُ قَلْبٍ لَوْرَأَيْتَ لَهِيئَهُ يَا جَنَّتِي لَوَجَدْتِ فِيهِ جَهَنَّمَ
وَالْقَاضِي مَهْنَبُ الدِّينِ النَّسَائِيُّ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَمَالِي إِلَى مَاءِ سَوَى النَّيْلِ غَلَّةً وَلَوْ أَنَّهُ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ زَمْرُ
وَبَدِيعُ قَوْلِ أَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَرَمٍ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
أَتَجْزَعُ مِنْ دَمْعِي وَأَنْتَ أَسْلَتُهُ وَمَنْ نَارَ أَحْشَائِي وَمَنْكَ لَهِيئَهَا
وَزَعَمُ أَنْ النَّفْسَ غَيْرَكَ عَلَّقْتُ وَأَنْتَ وَلَا مِنْ عِلَيْكَ حَبِيبَهَا
وَمِنْ الْحُشْوِ الَّذِي زَادَ حِلَاوَةَ قَوْلِ الْجَمَالِ بْنِ نُبَاتَةَ [مِنْ الْبَسِيطِ] :
لَوْ ذُقْتَ بَرْدُ رَضَابٍ مِنْ مَقْبَلِهِ يَا حَارِ مَا لَمْتَ أَعْطَانِي الَّتِي تَمَلْتُ

وقول السراج الوراق [من الرمل] :

إِنْ عَيْنِي عَضُو دَنَفٍ مَا عَلَى مَا كَابِدَتْهُ جِلْدُ
مَا كَفَاهَا بَعْدَهَا عَنْكَ إِلَى أَنْ دَهَاهَا ، وَكُنِفَتْ ، الرَّمْدُ

وما أحسن قول ابن اللبّانة في ناصر الدولة صاحب ميورقة [من الكامل] :

وَعَمْرَتْ بِالْإِحْسَانِ أَهْلُ مَيُورِقَةَ وَبَنِيَتْ فِيهَا مَا بَنَى الْإِسْكَانِدُرُ
فَكَانَهَا بَعْدَ أَنْتَ رَشِيدَهَا وَوَزِيرَهَا ، وَلَهُ السَّلَامَةُ ، جَعْفَرُ

قوله « وله السلامة » من أملح الحشو وأحلاه ، قالوا : وهو أملح وأوضح من قول المتنبي « ويحتقر الدنيا — البيت المار » .

ومن المضحك فيه قول الجزار [من الطويل] :

لَنْ قَطَعَ الْغَيْثُ الطَّرِيقَ قَبْلَ عِلْقِي وَحَاشَاكَ قَبْقَابِي وَجَوْخِي الدَّارُ
وَإِنْ قِيلَ لِي لَا تَخْشَ فَهُوَ عِبُورَةٌ خَشِيتُ عَلَى عَلِيٍّ بَأْنَى جَزَارُ

وما أطف قوله في معنى « رقة الحال » وإن لم يكن من هذا الباب **آيات في معنى رقة الحال**

[من الخفيف] :

لِي مِنَ الشَّمْسِ حَلَّةٌ صَفْرَاهُ لَا أَهْلِي إِذَا أَتَانِي الشَّتَاهُ
وَمِنَ الزَّمْهِيرِ إِنْ حَدَثَ الْغَيَاءُ — م' ثِيَابِي وَطِيلَسَانِي الْهَوَاهُ
بَيْنِي الْأَرْضُ وَالْفَضَائِيهِ سَوْرٌ لِي مَدَارٌ وَسَقْفُ بَيْتِي السَّمَاءُ
شَنَعَ النَّاسُ أَنْنِي جَاهِلِيٌّ نَانَوِيٌّ وَمَا لَهْمُ أَهْوَاهُ
أَخَذُونِي بِظَاهِرِي إِذْ رَأَوْنِي عَبْدَ شَمْسٍ تَسُوهُنِي الظُّلُمَاهُ

وما أطف قول البهاء زهير في هذا المعنى [من الخفيف] :

أَدْرِكُونِي فِي مِنَ الْبَرْدِ هَمْ لَيْسَ يُنْسَى فِي حَشَايَ النَّهَابُ
كَمَا أَرِيقُ لَوْ أَنَّ جَسْمِي مِنَ الْبَرْدِ دِرْ تَحْيَلْتُ أَنَّهُ سِنَجَابُ

عود إلى
الاعتراض

رجع إلى الاعتراض .

ومنه قول أبي محمد الميتراني ، وكتب به إلى صديق له رأى عنده غلاماً
استخدمه [من المنسرح] :

رَأَيْتُ ظُلِيًّا يَطُوفُ فِي حَرَمِكَ أَغْرَى مُتَانِسًا إِلَى كَرَمِكَ
أُطْمِئِنُّ فِيهِ أَنَّهُ رَشَأٌ بِرِشَى لِيخْشَى وَلَيْسَ مِنْ خَدَمِكَ
فَاشْغَلْهُ بِي سَاعَةً إِذَا فَرَغْتَ دَوَّاهُ إِنْ رَأَيْتَ مِنْ قَلَمِكَ

ومن بديعه مع الرقة والانسجام قولُ ريسم بن شادلويه صاحب أذربيجان
[من الوافر] :

سَعَادُ تَسْتَبِي ذُكْرَتْ بِخَيْرٍ وَتَزَعُمُ أَفْنَى مَلِيقٌ خَبِيثُ
وَأَنْ مَوَدَّتِي كَنْبٌ وَتَيْنٌ وَأَنْى بِالَّذِي أَهْوَى بُثُوثُ
وَلَيْسَ كَذَا وَلَا رَدُّ عَلَيْهَا وَلَكِنَّ الْمُلُوكَ هُوَ النَّكُوثُ^(١)
رَأَتْ شَفَقِي بِهَا وَنَحُولَ جَسَمِي فَصَدَّتْ ، هَكَذَا كَانَ الْحَدِيثُ

وما ألفت قول البهاء زهير بهجو [من الوافر] :

صَدِيقٌ لِي سَأَذْكُرُهُ بِخَيْرٍ وَإِنْ عَرَفْتُ بَاطِنَهُ الْخَبِيثَا
وَحَاشَا السَّامِعِينَ يُقَالُ عَنْهُمْ وَبِاللَّهِ أَكْتُمُوا هَذَا الْحَدِيثَا

وبالغ ابن الساعاني بقوله [من الطويل] :

تَوَدُّ مَجْهُومُ اللَّيْلِ لَوْ نَصَلَتْ بِهَا وَإِنْ لَقِيتُ بُؤْسًا ذَوَابِلُ مَلِدِهِ
وَلَوْ تَمَلَّكَ الْحَكَمُ الْأَهْلَةُ لَمْ تَكُنْ وَيَا فخرها إِلَّا نَمَالاً لَجُودِهِ

(١) في ب «ولكن الملوك هم النكوث» محرفاً

وعوف^(١) بن محم الخزازي أبو المتهال^(٢) : هو أحد العلماء الأدباء ، الرواة
 الفهماء النعماء الطرفاء الشعراء الفصحاء . وكان صاحب نوادر وأخبار ومعرفة
 بأيلم الناس ، واختصه طاهر بن الحسين بن مصعب لمناذمته ومسامرته ، فلا يسافر
 إلا وهو معه فيكون زميله وعديله ويعجب به . وقال محمد بن داود : إن سبب اتصاله
 بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الآيات أيام الفتنة بينداد وطاهر منصور في
 حرّاقة له ببجلة ، فأدخله معه ، وأنشده إياها ، وهي [من المتقارب] :

عجبتُ لحرّاقة ابن الحسيّن كيفَ تَعمُومُ ولا تَفرُقُ
 وبحرّانٍ من تحتها واحدٌ وآخرُ من فوقها مُطْبِقُ
 وأعجِبُ من ذاكَ عيدانها وقد مَسَّها كيفَ لا تورِقُ

وأصله من حران ، وبقي مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه ، وكلما استأذنه في
 الانصراف إلى أهله ووطنه لا يأذن له ، فلما مات ظن أنه نخلص وأنه يلحق
 بأهله ، فقر به عبد الله بن طاهر وأنزله منزله من أبيه ، وأفضّل عليه حتى كثر
 ماله وحسنت حاله ، وتلطّف بجهده أن يأذن له في العود إلى أهله ، فاتفق أنه يخرج
 عبد الله من بغداد إلى خراسان ، فجعل عوطاً عديله ، فلما شارف الرى سمع صوت
 عندليب يفرّد أحسن تغريد ، فأعجب ذلك عبد الله ، والتفت إلى عوف وقال :
 يا ابن محم ، هل سمعت بأشجى من هذا ؟ قال : لا والله ، قال عبد الله : قاتل
 الله أبا كبير حيث يقول^(٣) [من الطويل] :

ألا يا حاكم الأيكة إليك حاضرٌ وغُصنك ميّاد فميم تنوحُ

(١) لعوف بن محم ترجمة في فوات الوفيات (٢ - ١٤٩) وعنها نقل

(٢) في ب «أبو المناهل»

(٣) نسب أبو علي في الأمل (١ - ١٣٣) هذه الآيات الثلاثة إلى عوف

ابن محم رواية عن المبرد ، ولعل سر ذلك هذه القصة التي حكها المؤلف هنا

أَفِيْ لَا تَنْتَحُ مِنْ غَيْرِ بَيْنِ ثَانِي بَكَيتُ زَمَانًا وَالْفَوَادُ صَحِيحُ
وَلَوْ عَا فَشَلَّتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَب فَمَا أَنَا أَبْكِي وَالْفَوَادُ قَرِيحُ

قَالَ عَوْفٌ : أَحْسَنُ وَاللَّهِ وَأَجَادُ أَبُو كَبِيرٍ ، إِنَّهُ كَانَ فِي الْمَهْدَلِينَ مِائَةً وَثَلَاثُونَ شَاعِرًا مَا فِيهِمْ إِلَّا مُتْلَقٌ ، وَمَا كَانَ فِيهِمْ مِثْلُ أَبِي كَبِيرٍ ، وَأَخَذَ يَصِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا أَجَزْتَ قَوْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ كَبِرَ سَنَى ، وَفَقَى ذَهْنَى وَأَنْكَرْتُ كُلَّ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : بِحَقِّ طَاهِرٍ إِلَّا فَعَلْتُ ، فَابْتَدَرَ عَوْفٌ قَالًا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةً وَزُرُوحُ أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَثِيَّةٍ فَتَرِيحُ
لَقَدْ طَلَعَ الْبَيْنُ الْمَشْتِ؛ رَكَائِي فَهَلْ أَرَيْنَ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحُ
وَأَرْقَى بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ فَتَحْتُ وَذُو اللَّبِّ الْغَرِيبُ بِنَوْحُ
عَلَى أَنَهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُنْذِرْ دَمْعَةً وَنَحْتُ وَأَمْرَابُ الدَّمُوعِ سَفُوحُ
وَنَاحَتْ وَفَرَّخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهَا وَمَنْ دُونَ أَفْرَاحِي مَهَامُهُ فَيَحُ
أَلَا يَا حَمَامَ الْإِيكِ الْفُكُ حَاضِرُ وَغَصْنُكَ مِيَادُ فَقِيمِ تَنُوحِ
عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَعْكُسَ النَّوَى فَتَلْقَى عَصَا التَّطَوَّافِ وَهِيَ طَرِيحُ
فَإِنَّ الْغَيْثَ يُدْنِي الْغَيْثَ مِنْ صَدِيقِهِ وَعُدُّمُ الْغَيْثِ بِالْمَغْرِبِينَ طَرُوحُ

فَاسْتَعْمَرَ عَبْدُ اللَّهِ رَوْقَ لَهُ ، وَجَرَتْ دَمُوعُهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَضَنِينٌ بِمَفَارِقَتِكَ شَحِيحٌ عَلَى الْفَائِثِ مِنْ مَحَاضِرَتِكَ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَا أَعْمَلْتُ مَعِيَ خَفًا وَلَا حَافِرًا إِلَّا رَاجِعًا إِلَى أَهْلِكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ عَوْفُ الْآيَاتِ الْمَشْهُورَةِ وَصَارَ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِهِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ وَمَاتَ فِي حُدُودِ الْعَشْرِينَ وَالْمِائَتَيْنِ .

وَمِنْ شِعْرِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلُهُ [مِنْ الْوَافِرِ] :

وَكُنْتُ إِذَا صَحِيتُ رِجَالَ قَوْمٍ مَحَبَّتُهُمْ وَنِيَّتِي الْوَفَاءُ

فأَحْسِنُ حِينَ يَحْسُنُ مُحْسِنُمْ وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا
وَأُبْصِرُ مَا يَرِيهِمْ بَعِينَ عَلَيْهَا مِنْ عُيُوبِهِمْ غِطَاهُ
ومنه قوله [من مجزؤه الكامل] :

وَصَغِيرَةٌ عُلِقَتْهَا كَانَتْ مِنَ الْفَيْنِ الْكِبَارِ
بَلْهَاءٌ لَمْ تَعْرِفْ لَغَرًّا نَهَا الْيَمِينَ مِنَ الْيَسَارِ
كَالْبَدْرِ إِلَّا أَنَّهَا تَبْقَى عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ

٦٩ - واعلمْ فَعَلِمَ الْمَرْءُ يَنْفَعُهُ أَنْ سَوَّفَ يَأْتِي كُلُّ مَا قُدِّرَا
البيت من السريع ، وأنشده أبو على الفارسي ، ولم يعزه إلى أحد .
و « أن » هنا مخففة من الثقيلة ، وضمير الشأن محذوف ، يعني أن المقذور
آتٍ لا محالة وإن وقع فيه تأخير . وفي هذا تسلية وتسهيل للأمر .
والشاهد فيه : الاعتراض بالتنبيه ، وهو قوله « فعلم المرء ينفعه » وهو جملة
معتضة بين « اعلم » ومعموليّه ، والفاء اعتراضية وفيها شائبة من السببية .

٧٠ - * يَصْدُ عَنْ الدُّنْيَا إِذَا عَنْ سَوْدَدِ *

شاهد الإيجاز

هو من الطويل ، وتمامه :

* وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءٌ نَاهِدِ *

وقائله أبو تمام من قصيدة ^(١) يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم ، وأولها :
قفوا جدّوا من عهدكم بالمعاهدِ وإن هي لم تسمع لنشيدان ناشدٍ ^(٢)

(١) ارجع إليها في الديوان (١١٦)

(٢) في الأصول « وإن لم تكن تسمع » ولا يستقيم عربية ، وما أثبتناه
موافق لما في الديوان

لقد أطرق الربيع المحيلُ لقدمي
وأبقوا لضيف الشوقِ متى بعدهم
سقتة ذعافا عَادَة الدهر فيهمُ
به علة صماء للبين لم تُصنِعْ
وفي السكيلةِ الورديةِ اللونِ جوذر
رمت بخلف بعد ما عاش حَقْبَةً
غدت مُغْتَدَى الغضبي وأوصت خيالها
وقالت نكاحُ الحب يفسد شكله
وهي طويلة، يقول في مدحها :

وبَيْنَهُمْ إِطْرَاقَ تَكَرُّانٍ قَادِدٍ
قَرَى مِنْ جَوَى سَارٍ وَطِيفٍ مُعَاوِدٍ (١)
وَسَمَ اللَّيَالِي فَوْقَ سَمِّ الْأَسَاوِدِ (٢)
لَبِزٌ وَلَمْ تَوْجِبْ عِيَادَةَ عَائِدِ
مِنْ الْعَيْنِ وَرَدَى الْخُدُودَ الْمَجَاسِدِ (٣)
لَهُ رَسَقَانٌ فِي قِيُودِ الْمَوَاعِدِ (٤)
بِحِرَانِ نَضْوِ الْعَيْسِ نَضْوُ الْخِرَائِدِ (٥)
وَكَمْ نَكَحُوا حَبًّا وَلَيْسَ بِفَاسِدِ

(١) في الديوان « لضيف الحزن »

(٢) في الأصول « سقتة ذعافا غارة الدهر » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما
في الديوان ، والدعاف : السم السريع القتل ، وأراد بعادة الدهر الرحلة
والافتراق وألا يجتمع شمله بشمل أحبابه

(٣) في الديوان « ورد اللون ورد المجاسد » والكلمة - بكسر الكاف -
السترالقيق ، والجوذر : ولد البقرة الوحشية ، والعين - بكسر العين - جمع أعين
أو عينا ، وهي الواسعة العين ، ويراد بها بقرة الوحش ، والمجاسد : الثياب المزعفرة
(٤) أراد بالخلف خلف الوعد بالوصال ، والحقبة : المدة من الزمان ،
والرسقان - بفتح السين - مثنى المقيد

(٥) في الأصول « بحرآن نضو العيش » محرفا ، في عدة مواضع ، وما أثبتناه
موافق لما في الديوان ، والنضو - بكسر النون وسكون الضاد - المهزول ،
والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، وأراد بها النوق ، وأراد بنضو العيس الذي
أهزله طول السفر ، والخرائد : جمع خريدة ، وهي في الأصل اللؤلؤة التي
لم تنقب ، وأراد بها الفتيات الابتكار

مُحْدَرُهُ لَا مَلُومِينَ مَجْدُهُ وماحسده في المَكْرُمَاتِ بِمَحْسَدِهِ
قَرَأَنِي اللَّهُ وَالْوُدُّ حَتَّى كَانَمَا أَغَادَ الْغَنَى مِنْ نَائِلِي وَفَوَائِدِي^(١)
فَأَصْبَحْتُ يُلْقَانِي الزَّمَانُ مِنْ آجَلِهِ بأعظام مولود وإشفاق والد^(٢)

وبعد البيت، وبعده :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ وَقَدْ صُبِغَتْ لَهُ بعصرها الدنيا فليس بزاهد^(٣)
فَوَاكِدِي الْحَرَّى وَوَاكِدِي النَّوَى لِإِيَامِهِ لَوْ كُنَّ غَيْرَ بَوَائِدِ
وَهِيَّاتٍ مَا رِيبُ الزَّمَانِ بِمَخْلِدِ غريباً ولا ريبُ الزمان بخالد
وَالزَّيْ - بِكسر الزاي - الهَيْئَةُ . والعنراء : البكر . والناهد : التي نهت

نديها ، أى ارتفع .

والشاهد فيه : وصفه بالإيجاز بالنسبة إلى كلام آخر سألوه في أصل المعنى ،
وهو البيت الآتي بعده ، وهو « إذا المرء لم يزهده - الخ » .

٧١ - ولستُ بِمَيَّالٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى إِذَا كَانَتْ الْعَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الْفَقْرِ شَاهِدِ الْإِطْنَابِ

البيت من الطويل ، وهكذا رويته ، وإن كان في التلخيص بلفظ « نظار »
بدل « ميال » . وقائله المعضل بن غيلان أبو عبد الصمد ، أحد الشعارين
المشهورين ، روى ذلك عنه الأخفش عن المبرد ، ومحمد بن خلف المَرْزُبَانِ عن
الرُّبْعِيِّ^(٤) ، وبعد البيت :

(١) قرأني : أصله من القرى وهو ما يقدم للاضيافان ، وأراد منحني
وأعطاني ، واللهى - بضم اللام - العطايا

(٢) في الديوان « يلقي الزمان لأجله »

(٣) في الديوان « بيزرجها الدنيا »

(٤) ذكر ذلك كله وأنشد البيتين أبو الفرج في الأغانى (١٢ - ٥٧)

وإني لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْوِينِي وَحَسْبُكَ أَنْ اللَّهُ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ
ورواه صاحب الدرّ الفريد ، لأبي سعيد الخزومي ، يحاطب به امرأته ،
وأول الأبيات :

رَفِيقٌ بِجَمِيلِ الصَّبْرِ مَنَى عَلَى الْمُجَرِّ وَلَا تَتَّقِ بِالصَّبْرِ مَنَى عَلَى الْهَجْرِ
وأراد بالفنى مُسَبِّبَهُ ، أعنى الراحة ، وبالفقر المحنة ، يعنى أن السيادة مع
التعب والمشقة أحبُّ إليه من الراحة والدعة بدونها .

والشاهد فيه : وصفه بالإطّباب بالنسبة إلى مصراع أبي تمام ، لأنه مسالٍ له
في أصل المعنى مع قلة حروفه .

ومثل ذلك قول الشَّاعِر [من الوافر] :

إِذَا مَارَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَّابَةٌ بِالْيَمِينِ

وقول بشر بن أبي خازم [من الوافر] :

إِذَا مَا الْمَكْرُمَاتُ رُفِعْنَ يَوْمًا وَقَصَرَ مَبْتَفُوهَا عَنْ مَدَاهَا

وَضَاقَتْ أَذْرُعُ الْمُتَرِّينَ فِيهَا سَمَا أَوْسُ إِلَيْهَا فَاحْتَوَاهَا

والمعدل^(١) : هو ابن غيلان بن الحكم بن البحتري ، وكان أبوه غيلان
شاعراً أيضاً .

ترجمة للمعدل
ابن غيلان

حدث عمارة قال : مرّ المعدل بن غيلان بعبد الله بن سَوار العبدي
القاضي ، فاستنزه عبد الله ، وكان من عادة المعدل أن ينزل عنده ، فأبى وأنشده
[من الوافر] :

أَرَمَنْ حَقَّ الْمَوْدَةِ أَنْ تُقْضَى ذِمَامُكُمْ وَلَا تَقْضُوا ذِمَامَا

(١) من تنايا ترجمة عبد الصمد بن المعدل من الأغانى (١٢ : ٥٧ - ٧٢)
أخذ المؤلف ما ذكره عن أبيه المعدل

وقد قال الأديب مقال صدقٍ رآه الآخرون لهم إماماً
 إذا أكرمتمكم وأهتتموني ولم أغضب لذيكم فداماً
 قال : وانصرف ، فبكر إليه عبد الله بن سوار ، فقال له : رأيتك أباع عبد الله
 مُضْطَبّاً ، فقال : أجل ، ماتت بنت أُختي ولم تأتني . قال : ما علمت ذلك ، قال :
 ذنبك أيسرُ من عذرك ! ومالي أنا أعرف خبر حقوقك ، وأنت لا تعرف خبر
 حقوق ؟ فما زال عبد الله يعتذر إليه حتى رضى عنه .
 وحدث الجواز قال : هجأ أبا نُو اللاحِظِيُّ المعدِّلَ بن غيلانف ، قال
 [من الخفيف] :

كنتُ أمشي مع المعدل يوماً ففسا فسوةً فكنتُ أطيرُ
 فنلتُ هل أرى ظرَباً نأياً من ورأى والأرضُ في تستديرُ
 فاذا ليسَ غيره وإذا إعصارُ ذاك الفناء منه يفورُ
 فتعجبتُ ثم قلتُ لقد أعرقَ في ذا فيما أرى خنزيرُ^(١)
 فأجابه المعدل بقوله [من الرمل] :

صحفتُ أمك إذ ممستك في المهد أبانا
 صيرت باء مكان التاء فالله أعاناً^(٢)
 قطع الله وشيكاً من مسميك اللسانا
 وقد روى عن المعدل وأبيه شيء من الأخبار والحديث واللغة ليس بالكثير
 ومن شعره [من الطويل] :

- (١) في الأغاني «لقد أعرف هذا فيما أرى خنزير» وأراه محرفاً عما هنا
 (٢) في الأغاني « والله أهانا »

إلى الله أشكو لا إلى الناس أننى أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى حَلَّةً فى إخوة وقاربة وذى رحم ما كان مثلى يضيها
فلو ساعدتني فى المكارم قدرة لفاض عليهم بالنوال ربيها

ترجمه عبد
مسد بن المعذل

وأما ابن المعتل^(١) عبد الصمد، فكان شاعراً فصيحاً من شعراء الدولة
العباسية، وكان هجاءً خبيث اللسان، شديد المعارضة، وكان أخوه أحمد
شاعراً أيضاً، إلا أنه كان عفيفاً ذا مروءة ودين، وتقدم عند المعتلة، وجاء
واسع فى بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه، وكان يحسده ويهجموه،
فيحلم عنه، وعبد الصمد أشعرهما، ومن هجاء أحمد لأخيه عبد الصمد قوله،
وهو فى غاية الأذى مع مافيه من اللطافة [من الرمل]:

قال لى أنت أخو الكلب وفى ظنّه أن قد هجاني واجتهد
أحمد الله تعالى أنه ما درى أنى أخو عبد الصمد

٧٢- وتُسكّر إن شئت على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
البيت للسّمّوأل بن عادياء اليهودى من قصيدة^(٢) من الطويل، وأولها:
إذا المرء لم يدنس من اللّوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن التناء سبيل
تُبّرنا أنا قليل عديدنا قتلنا لها إن الكرام قليل

ن شواهد
الأطباء

(١) فى الأصول «وما أبو المعتدل عبد الصمد» محرفاً عما أثبتناه، فأبو
المعتدل هو غيلان بن الحكم على مامر للدؤلف، وعبد الصمد بن المعتدل شاعر
مشهور يذكر أبوه من أجله، وقد كتب بهامش مطبوعة بولاق كلام
لا يقضى المعجب منه

(٢) أقرأها فى الأمالى لابن على القالى (١ - ٢٦٩)

وما قَلَّ مَنْ كانت بقاءه مثلنا
 وإنا لَقَوْمٌ لا نرى القتل سُبَّةً
 يقربُ حبُّ الموتِ آجالنا لنا
 وتكرهه آجالهم فَنَطُولُ
 وما ماتَ منا سَيِّدٌ في فراشه
 ولا طُلَّ منا حيثُ كانَ قَتِيلُ
 تَسِيلُ على حدِّ الطُّبَاتِ نفوسنا
 وليس على غير السيوف تَسِيلُ^(٣)
 إلى أن يقول فيها :

فنحنُ كماءِ المِزْنِ مافي نِصالنا
 وكهَّامٌ ولا فينا يمدُّ بِخيلُ
 وبعده البيت ، وبعده :

إذا سَيِّدٌ منا خَلا قَامَ سَيِّدُ
 قولُ لما قالَ الكرامُ قَولُ
 وما أُخِدتُ نارٌ لنا دُونَ طارقِ
 ولا ذمُّنا في النَّازِلينَ نَزِيلُ
 وأيامنا مشهورةٌ في عدونا
 لها غَرَّ معروفةٌ وحُجُولُ
 وأسبافنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ
 بها من قِراعِ الدَّارعينَ فلولُ
 مَعُوذَةٌ أَنْ لا تُسَلَّ نِصالها
 فتغمدُ حتى يُسْتَباحَ قَتِيلُ^(٤)
 سلى إن جهلتِ النَّاسَ عَنَّا وعنهمُ
 فليسَ سِواهُ عالمٍ وجَهلُ
 ومعنى البيت : إنا نُغَيِّرُ ما نريدُ تَغْيِيرَهُ من قولِ غيرنا ، ولا يَجْزِي أَحَدٌ على
 الاعتراضِ علينا اتِّقِاداً لهواناً واقتداءً بِعِزِّنا . يصفِ رياستهم ، ونفاذَ حكمهم ،
 ورجوعِ النَّاسِ في المهماتِ إلى رأيهم .

(١) حفظي «شباب تسامى للعلا» وهو الموافق لما في الأماي
 (٢) في الأماي «ما نرى القتل» وبين هذا البيت والذي قبله في الأماي
 ثلاثة أبيات

(٣) في الأماي «ولست على غير السيوف»

(٤) في الأماي «يستباح قتيل» وهو الموافق لمقام الفخر

والشاهد فيه : وصفه بالأطاب بالنسبة إلى قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ووصف الآيات الكريمة بالإيجاز بالنسبة إليه .

وفى قوله من القصيدة « وإنا لقوم لا ترى القتل سبة — البيت » نوع من الاستطراد البديع يسمى الاستطراد ^(١) ، وهو : أن يرى الشاعر أنه يريد وصف شيء وهو إنما يريد غيره ، ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

كَأَنَّ فَتَاحَ الْأَرْدِ حَوْلَ ابْنِ مِيسَمٍ إِذَا اجْتَمَعُوا أَقْوَاهُ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ
وقول جرير [من الكامل] :

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي وَضَعَا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ
ويروى أن الفرزدق وقف على جرير بالبصرة وهو ينشد قصيدته التي هما فيها الراعي ، فلما بلغ إلى قوله

* بِهَا بَرَصٌ بِأَسْفَلِ أَسْكَتِيهَا *

وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنقه ، فقال جرير :

* كَمْ تَنْقَعُ الْفَرَزْدَقُ حِينَ شَابَا *

فانصرف الفرزدق وهو يقول : اللهم اخزه ، والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكنني طمعت أن لا يأتي به ، فغطيت وجهي فما أغنى ذلك شيئا ، ويقال : إن يونس كان يقول : ما أرى جريرا قال هذا المصراع إلا حين غطى الفرزدق عنقه فانه نبه عليه بتغطيته إيها .

ومن الاستطراد قول أبي تمام في وصف فرس [من البسيط] :

فَلَوْ تَرَاهُ مُشَبَّحًا وَالْخَصَا فَلَئِنْ تَحْتَ السَّنَابِكِ مِنْ مَثْنَى وَوُحْدَانِ

(١) انظر كتاب العمدة لابن رشيق (٢ - ٣٧ بتحقيقنا) فأكثر ما ذكر المؤلف هنا من شواهد هذا الفن مروية هناك ، ثم انظر خزانة ابن حجة (٥٦) ونفحات الأزهار للنابلسي (١٥٠)

حَلَّتْ إِنْ لَمْ تَنْبُتْ أَنْ حَافِرُهُ مِنْ صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عَيْنٍ

وقول بكر بن النطاح ^(١) في مالك بن طوق [من الطويل]:

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنْ أَلْمَى لَتَرْضَى قَالَتْ قَمْ بَغْنَى بِكَوْكَبٍ
فَقُلْتُ لَهَا هَذَا التَّعْتُ كُلُّهُ كَمَنْ يَشْبَهُ مِنْ لَحْمٍ عَفَاءٍ مُغْرَبٍ ^(٢)

سَلَى كُلُّ أَمِيٍّ يَسْتَقِيمُ طِلَابُهُ وَلَا تَذْهَبِي يَادِرْبِي كُلُّ مَذْهَبٍ
فَانْقَسَمَ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي عَزِّ مَالِكٍ وَقَدَرْتِهِ أَهْيَا بِمَا رُمْتُ مَطْلَبِي

قَتَى شَقِيَّتْ أَمْوَالُهُ بِمُفَاتِهِ كَمَا شَقِيْتُ قَيْسُ بَارِمَاحٍ تَغْلِبِ

وقول بعضهم يمدح الوزير المهلبى [من الخفيف]:

بَابِي مِنْ إِذَا أَرَادَ سِرَارِي عَبَّرْتُ لِي أَنْفَاسُهُ عَنْ عَبِيرِ

وَسِبَانِي ثَمَرُ كُدْرٍ نَظِيمٍ نَحْنُهُ مَنَاطِقُ كَسْرٍ تَثِيرِ

وَلَهُ طَلْعَةُ كَنْتَلِ الْأَمَانِي أَوْ كَشْفَرِ الْمُهَلْبِي الْوَزِيرِ

وقول أبي الطاهر الخزاعي ^(٣) [من الطويل]:

وَالِيلِ كَوْجِهِ الْبَرْقَمِيدِي ظُلْمَةً وَبَرْدِ أَغَانِيهِ وَطُولِ قُرُونِهِ ^(٤)

(١) في الأصل «أبي بكر النطاح» محرفاً

(٢) في الممددة «كمن يشبهني لحم عفا مغرب»

(٣) قد نسب هذه الأبيات ابن حجة الحموي في خزانة الأدب (٥٦) إلى

أبي محمد بن مكرم، ونسبها صاحب نفحات الأزهار (١٥٠) نقلاً عن الباخريزي

في الدمية إلى الظاهر الحرصي، وقد بحثت في دمية الباخريزي من أوله إلى

آخره فلم أعر أثر عليها، وظاهر أن أحد العلين اللذين نسب الشعر إليهما هنا

وفي النفحات محرف عن الآخر

(٤) في الأصول «ورداً أغانيه» محرفاً من وجبين، وما أثبتناه موافق لما

في خزانة الأدب لابن حجة الحموي

قَطَعْتُ دِيَابِجِهِ بَنُو مِمْشَرْدٍ كَمَقْلٍ سُلَيْبَانَ بْنِ قَهْدٍ وَدِينِهِ (١)
 عَلَى أَوْلَى فِيهِ التَّفَاتُ كَأَنَّهُ أَبُو جَابِرٍ فِي خَبْطِهِ وَجَنُونِهِ (٢)
 إِلَى أَنْ بَدَأَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ سَنَا وَجْهَ قِرَاشٍ وَضَوْءُ جَبِينِهِ

وقول إسحاق بن إبراهيم يهجو أحمد بن هشام [من الطويل]:

وصَافِيَةٌ يَفْشَى الْعُيُونُ صَفَاؤُهَا رَهْنَةً عَامٍ فِي الدُّنْيَانِ وَعَامٍ
 أَذْرَبَتْهَا الْكَأْسُ الرُّؤْيَى مَوْهِنًا مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى انْجَابَ كُلُّ ظُلَامٍ
 فَادَّرَ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى رَأَيْتُنَا مِنَ الْعَمَى نَحْكِي أَحْمَدَ بْنَ هِشَامٍ

وقول الحسين بن علي القمي (٣) [من الكامل]

جَلُوزَتْ أَجْبَالًا كَأَنَّ صَخُورَهَا وَجَنَاتُ نَجْمِ ذِي الْحَيَاءِ الْبَارِدِ
 وَالشُّؤْكَ يَعْمَلُ فِي ثِيَابِي مِثْلَ مَا عَمِلَ الْهَجَاءُ بَعْرُضِ عَبْدِ الْوَاحِدِ (٤)
 وَقَوْلُ أَبِي الْفَرَجِ الْبَغَاءِ (٥) [من الطويل]:

لَنَا رَوْضَةٌ فِي الدَّارِ صَبِغَ لَزْهَرُهَا فَلَا تَدُ مِنْ حَلِي النَّدَى وَشُؤْفُ (٦)
 يُطِيفُ بِنَا مِنْهَا إِذَا مَا تَنَفَسْتُ نَسِيمُ كَمَقْلٍ الْخَالِدِيُّ ضَعِيفُ
 وَمِنْ ظَرِيفِ الْإِسْطِرَادِ وَغَرِيبِهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ [من الخفيف]:

أَكْشَنِي وَجْهَكَ الَّذِي أَوْحَلْتَنِي فِيهِ مِنْ قَبْلِ كَشْفِهِ عَيْنَاكَ

- (١) فِي الْخَزَانَةِ * قَطَعْتُ فَنَوَى عَنْ جَفُونِي مُشَرْدٌ *
- (٢) الَّذِي فِي الْخَزَانَةِ * بَذَى أَوْلَى فِيهِ أَعْوَجَاجٌ * وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا هُنَا
- (٣) رَوَاهَا ابْنُ حُجَّةٍ فِي الْخَزَانَةِ (٥٦)
- (٤) فِي الْخَزَانَةِ * يَفْعَلُ . . . فَعِلَ الْهَجَاءُ »
- (٥) نَسَبَهَا ابْنُ حُجَّةٍ (٥٧) إِلَى السَّرِيِّ الرَّفَاءِ
- (٦) فِي الْأَصُولِ « فَلَا تَدُ مِنْ حَلِي النَّدَى » وَمَا ثَبَتْنَا مُوَافِقًا لِمَا فِي الْخَزَانَةِ

غَلَطِي فِي هَوَاكِ يَشْبِه عُنْدِي غَلَطِي فِي أَبِي عَلِيٍّ بَنِ زَاكِي
وقول أبي بكر الخوارزمي [من الطويل] :

وصفراء كالذي نار بنت ثلاثة شمال وأنهار ودهر مجرم
مسترة محزون وعذر معربد وكثر مجوس وفتنة مسلم
مات لأحياء حياة لميت وعدم لمن أترى نراه لمعلم
يدور بها ظبي تدور عيوننا على عينه من شرط يحيى بن أكنم
ينزها من ثغره ومدامه وخديه في شمس وبدر وأنجم
نهضت إليها والظلام كأنه معاش فقير أو فؤاد معلم
وقوله [من الكامل] :

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا دمي يحاكي لفظك المنظوما
ولقد حزنت عليك حتى قد حكي قلبي فؤاد حسودك المحموما
ومنه قول ابن رشيقي وكتب به إلى بعض الرؤساء [من المقتضب] :
إني لقيت مشقة فابثت إلى بشقة
كمثل وجهك حسناً ومثل ديني رقة

فقال له الرئيس : أما مثل دينك رقة فلا يوجد بوزن أمثال رمال الرقة

ولشرف الدين ابن عنين الشاعر على هذا الأسلوب في قبهين كانا بسمشق
يدعى أحدهما بالبغل والآخر بالجاموس [من الكامل] :

البغل والجاموس في جدليهما قد أصبعا عظة لكل مناظر
برزاً عشية ليلة فنباحنا هذا بقرنيه وذأ بالحافر
ما أنقنا غير الصياح كأنما لقا جدال المرتضى بن عساكر
لفظ طويل تحت معنى قاصر كالعقل في عبد الطيف الناظر

اثنان مالهَمَّا وحقَّ ثالثٌ إلَّا رَقاعةً مذكَّريه الشاعر
ومنه قول ابن جابر الأندلسي [من الطويل] :

تطولُ به للعجْدُ أشرفُ همةٍ فما باعهُ عن غايَةٍ بقصير
سما لا تقتناصُ المكروماتِ كاسمًا بعمرو إلى الزَّباء سعى قصير
وقوله أيضًا [من الطويل] :

سراةٌ رُكَّامٌ من ذُؤابةٍ هاشمٍ يقولون للأضيافِ أهلاً ومرحباً
ويُفعلُ في قعرِ الثَّقَلَيْنِ جودهم كفعل على يومٍ حاربَ مَرَحِباً

ترجمة السؤال

والسؤال (١) : هو ابن غريص (٢) بن عادياء ، ذكر ذلك أبو خليفة عن
عبد بن سلام والسكري عن الطوسي وأبي حبيب ، وذكر أن الناس يدرجون
غريصاً في النسب وينسبونه إلى عادياء جده ، وقال عمرو بن شيبة : هو السؤال
ابن عادياء ، ولم يذكر غريصاً ، وقد قيل : إن أمه كانت من غسان ، وكلهم قال :
إنه صاحب الحصن المعروف بالأبلى بتيّماء ، وقيل : بل هو من ولد الكاهن بن
هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجده عادياء واحتفر فيه بئراً عذبة روية ،
وقد ذكرته الشعراء في أشعارها ، قال السؤال [من المتقارب] :

فبالأبلى الفردُ يتيّ. به وبيت النصير سوى الأبلى

وكانت العرب تنزل به فيضيها ، وتمتاز من حصنه ، ويقع هناك سوطا .
وبه يضرب المثل في الوفاء لأنه رضى بقتل ابنه ولم يخن أمانته في أدراع أودعها
وكان السبب في ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندي لما سار إلى الشام يريد
قيصر نزل على السؤال بن عادياء بحصنه الأبلى بعد إيقاعه ببني كنانة على أنهم

(١) له ترجمة في الأغاني (١٩ - ٩٨)

(٢) في الأصول «عريص» بالعين مهجلة في كل المواضع، وما أثبتناه موافق
لما في الأغاني.

بنو أسد وكراهة من معه لفعله، وتفرقهم عنه، حتى بقي وحده واحتاج إلى الحرب، وطلبه المنذر بن ماء السماء ووجهه إلى طلبه جيوشاً، وخذله حير وتفرقت عنه، فلجأ إلى السموأل بن عاديات، وكان معه خمسة أذراع: الفضفاضة، والضاوية، والمحصنة، والحريق^(١)، وأم الديول. وكانت لبنى آكل المارار يتوارثونها ملك عن ملك، ومعه ابنته هند، وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث، وسلاح ومال وكان بقي بما^(٢) كان معه رجل من بني فزارة يقال له الربيع، وهو الذي قال فيه امرؤ القيس [من الطويل]:

بكي صاحبي لما رأى الدربَ دُونَهُ وأيقنَ أَنَّا لَا حِقَانٍ بَقِيصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نَحَاوُلُ مَلِكًا أَوْ نَمُوتَ فَعَنَدَرَا

فقال له الفزاري: قل في السموأل شعراً تمدحه به فإن الشعر يعجبه، فقال فيه امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها [من الكامل]:

طَرَفْتُكَ هَندَ بَعْدَ طَوْلِ تَجَنُّبٍ وَهَنَّا وَلَمْ تَكُ قَبْلَ ذَلِكَ تَطْرُقُ

فقال له الفزاري: إن السموأل يمنع منها^(٣) وهو في حصن حصين ومال كثير، فبقدم به على السموأل وعرفه إياه وأنشده الشعر، فعرف لها حقهما، وضرب على هند قبة من آدم، وأنزل القوم في مجلس له، فأقاموا عنده ماشاء الله ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني

(١) في الأصول «الحريق» بالحاء مهذلة، وأثبتنا ما في الأغاني
(٢) من حق التعبير أن يقول «من كان معه» ولكنه أخذ عبارة الأغاني وأسقط منها كلمات فجاءت العبارة كما ترى، وأصل العبارة في الأغاني «وسلاح ومال كان بقي معه، ورجل من بني فزارة - إلخ»
(٣) في الأصول «يمنع منك» وما أثبتناه عن الأغاني، وفيه زيادة «حتى يرى ذات عينيك» والمعنى أنه يحميها إلى أن تعود بنفسك

أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب رجلاً يدلّه على الطريق ، وأودع ابنته وماله وأدراعه السموأل ، ورحل إلى الشام ، وخلف ابن عمه مع ابنته هند .

قال : ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلى ، ويقال : بل كان المنذر وجّهه في خيل وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل ، فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يقعّ وخرج إلى قنص له ، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموأل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم هذا ابني ، فقال : أقتل ما قبلك أو أقتله ؟ قال : شأنك به فلست أخفر ذمتي ولا أسلم مال جاري ، فضرب الحارث وسط الغلام فقتله وقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ، فقال السموأل في ذلك [من الوافر] :

وفيت بأذرع الكندي إني إذا ما ذمّ أقوامٌ وفيتُ
وأوصى عادياً يوماً بأن لا تُهدمَ يا سموأل ما بنيتُ
بني لي عادياً حصناً حصيناً وبترأً كلما شئتُ استقيتُ

وفي ذلك يقول الأعشى — وكان قد استجار بشريح بن السموأل من رجل كلبي قد هجاه ، ثم ظفر به فأسره وهو لا يعرفه ، فنزل بابن السموأل فأحسن ضيافته ، ومر بالأسرى فناده الأعشى من جملة أبيات [من البسيط] :

كن كالسموأل إذ طاف الهامُ به في عسكر كسوادِ الليل جرأ
إذ سامه خطتي خسفَ فقال له قل ما تشاء فإني سامعٌ حار^(١)
فقال غدرٌ وشكلٌ أنتَ بينهما فاخترْ ، وما فيهما حظٌ لختار
فشكٌ غيرَ طويلٍ ثم قال له اقلُ أسيرك إني مانعٌ جاري

(١) في الأصول « فإني سامع جاري » محرفاً ، وما ثبتناه موافق لما في الأغاني ، وحرار : مرخم حارث

وسوف يُعْقِبُنِي إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ رَبُّ كَرِيمٌ وَبَيْضُ ذَاتٍ أَظْهَارُ
 لَا سِرْمُنَ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ أَبَدًا وَحَافِظَاتُ إِذَا اسْتَوْدِعْنِ أَسْرَارِي^(١)
 فَاخْتَارَ أَذْرَاعَهُ كَيْلًا يُسَبِّ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ وَعْدُهُ فِيمَا بَحْتَسَارِ
 فجاء شريح إلى السكبي فقال له : هب لي هذا الأسير المضروء ، فقال :
 هو لك ، فأطلقه ، وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأجيزك ، فقال له الأعشى :
 إن تمام صنيعك أن تعطيني ناقة نجية ، فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من
 ساعته ، وبلغ السكبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شريح :
 ابث إلى الأسير الذي وهبته لك حتى أحبه وأعطيه ، فقال : قد مضى ، فأرسل
 السكبي وراءه فلم يلحقه

وشمية بن غريص^(٢) أخو السموأل شاعر أيضا ، ومن شعره [من السريع] :

إِنَا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ
 لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا ، وَلَا نُلْطُ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ^(٣)
 نَخَافُ أَنْ تَسْفَهَ أَهْلَامُنَا فَتَنْخَلَّ الذَّهَرُ مَعَ الْخَامِلِ

عن العتيبي قال : كان معاوية رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل إذا اجتمع الناس
 في مجلسه بهذا الشعر

وعن يوسف بن الماجشون قال : كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء
 بين الناس أقام وصيفا على رأسه فأنشده هذه الأبيات ، ثم يجتهد في الحق
 بين الخصمين .

(١) في الأصول « لاتشرهن لدينا » محرفا من عدة وجوه وما أثبتناه
 موافق لما في الأغاني

(٢) في الأصول « وسعيد بن غريص » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في معجم
 الشعراء للمرزباني ، ووقع في الأغاني « سعية بن غريص » بالسين المهملة ،
 وهو تحريف أيضا .

(٣) في الأصول « نلط » بالطاء مهملة

قد تم — بعون الله تعالى وحسن تيسيره — طبع الجزء الأول من كتاب
« معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص » للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي
ويتلوه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثاني ، مفتتحاً بشواهد الفن الثاني ،
وهو علم البيان ، نسأل الذي بيده مقاليد الأمور أن يعين على إكماله ، ويُيسّر
سبيل اختتامه ، آمين ؟

١ - فهرست بالموضوعات البلاغية

التي وردت الشواهد لإيضاحها

أولاً - في الجزء الأول

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	تقديم محقق الكتاب	١٠٠	شاهد تنبيه المخاطب على خطأ وقع في ظنه
٢	خطبة مؤلف معاهد التنصيص	١٠٣	شاهد الإيماء إلى وجه انبناء الخبر
٣	وصف الكتاب	١٠٧	شاهد تعريف المسند إليه بالإشارة
	موضوعات شواهد المقدمة	١١٩	شاهد الإتيان بالمسند إليه اسم إشارة
٨	شاهد التنافر في حروف الكلمة		للتعريض بعبارة السامع
١٤	شاهد الغرابة	١٢٠	شاهد الإتيان بالمسند إليه معرفة
١٨	شاهد مخالفة القياس اللغوي		بالإضافة لقصد إحضاره في ذهن السامع من أقرب طريق
٢٦	شاهد الكراهة في السمع	١٢٧	شاهد تنكير المسند إليه للتعظيم
٣٤	شاهد تنافر الكلمات		وللتحقير
٣٥	شاهد آخر لتنافر الكلمات	١٣٥	شاهد تقديم المسند إليه لم تكن الخبر
٤٣	شاهد التقيد اللفظي		في ذهن السامع
٥١	شاهد التقيد المعنوي	١٤٥	شاهد على أن لفظ «كل» إذا تأخر
٥٩	شاهد تابع الإضافات		عن أداة النفي كان المقصود بالنفي الشمول
	موضوعات شواهد علم المعاني	١٤٧	إذا تقدم لفظ «كل» على النفي دل
٧٢	شاهد تنزيل غير المنكر منزلة المنكر		الكلام على أن النفي يعم كل فرد مما أضيف إليه كل
٧٣	شاهد الحقيقة في الإسناد بالنظر للمتكلم	١٤٧	شاهد وضع المظهر الذي هو اسم
٧٨	شاهد ظهور حقيقة المجاز في الإسناد		إشارة موضع المضمر لتام العناية
	بعد نظر وتأمل	١٥٩	من شواهد وضع اسم الإشارة
	موضوعات شواهد المسند إليه		موضع المضمر
١٠٠	شاهد حذف المسند إليه للاحتراز		
	عن البعث		

فهرست الموضوعات البلاغية

الموضوع	ص	الموضوع	ص
موضوعات شواهد القصر		١٧٠ من شواهد وضع المظهر غير الإشارة	
٢٦٠ شاهد صحة انفصال الضمير مع إنما		موضع المضمير للاستعطف	
موضوعات شواهد الانشاء		١٧٠ من شواهد الالتفات	
٢٦٤ شاعر استعمال صيغة الأمر في التثنية		١٧٣ ومن شواهد الالتفات أيضا	
موضوعات شواهد « الفصل والوصل »		١٧٩ من شواهد القلب	
٢٧٠ شاهد على أنه إذا لم يكن بين الجملتين		موضوعات شواهد المسند	
المتعاطفتين جهة خاصة تربط بينهما		١٨٦ شاهد ترك المسند	
كان الكلام غثا		١٨٩ ومن شواهد ترك المسند	
٢٧١ شاهد امتناع العطف لاختلاف الجملتين		١٩٤ من شواهد حذف المسند	
خبرا وإنشاء		٢٠٢ من شواهد حذف المسند لوقوع	
٢٧٨ شاهد كمال الاتصال بين الجملتين		الكلام بعد استفهام مقدر	
٢٧٩ شاهد عطف البيان في المفردات		٢٠٤ شاهد مجيء المسند فعلا ليفيد التجدد	
٢٧٩ شاهد وقوع الجملة الثانية مستأنفة		٢٠٧ شاهد مجيء المسند اسماليا ليفيد الحدوث	
لكونها جوابا عن سؤال تضمنته		٢٠٨ شاهد تقديم المسند للتثنية من أول	
الجملة الأولى		وهلة على أنه خبر	
٢٨١ شاهد أن الاستئناف قد يقع جوابا		٢١٤ شاهد تقديم المسند ليدل على التشويق	
لسؤال عن غير سبب		موضوعات شواهد أحوال متعلقات	
٢٨٢ شاهد حذف الاستئناف وقيام شيء		الفعل	
مقامه		٢٣٢ شاهد تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم	
٢٨٤ شاهد الجامع الوهمي بين المتعاطفتين		٢٤٦ شاهد ذكر مفعول فعل المشيئة لكون	
٢٨٥ شاهد دخول الواو على جملة الحال		تعلق فعل المشيئة به غريبا	
الفعلية التي فعلها مضارع مثبت		٢٥٤ شاهد ذكر مفعول فعل المشيئة لعدم	
٢٨٧ شاهد مجيء جملة الحال بغير واو		القرينة التي تدل عليه إذا حذف	
٣٠٤ من شواهد مجيء جملة الحال بغير واو		٢٥٥ شاهد حذف المفعول لدفع توهم غير	
٣٠٥ ومن شواهد مجيء جملة الحال بغير واو		المراد	
		٢٥٦ شاهد حذف المفعول لأنه يقصد إلى	
		ذكره في جملة ثانوية لإظهار كمال العناية	

فهرست الموضوعات البلاغية

الموضوع	ص	الموضوع	ص
شاهد الإيغال لتحقيق التشبيه	٣٥٥	موضوعات شواهد	
شاهد التذيل	٣٥٨	الإيجاز والإطناب والمساواة	
شاهد التكيل (الاحتباس)	٣٦٢	٣٠٨ شاهد إخلال اللفظ بالمعنى المراد	
شاهد الاعتراض	٣٦٩	٣١٠ شاهد التطويل	
من شواهد الاعتراض أيضا	٣٧٧	٣٢٣ شاهد الحشو الزائد المفسد	
شاهد الإيجاز في كلام بالنظر إلى كلام	٣٧٧	٣٢٥ شاهد الحشو غير المفسد	
آخر يؤدي نفس المعنى		٣٣٠ شاهد مساواة اللفظ للمعنى	
شاهد الإطناب	٣٧٩	٣٣٩ شاهد إيجاز الحذف	
من شواهد الإطناب أيضا	٣٨٢	٣٤٦ شاهد الإيغال لزيادة المبالغة	